

جامعة الأزهر الشريف  
كلية أصول الدين والدعوة بطنطا  
الدراسات العليا والبحوث  
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

السيرة النبوية فى فكر  
(مونتجرى وات ، وكارين أرمسترونج)  
دراسة تحليلية تقويمية

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص (الماجستير)

إعداد الباحث

رائد محمد عبدالوهاب أبورية

إشراف

د.مخلف محمد جلاجل

مشرفا مشاركا

أ.د/عبدالمنعم صبحى أبو شعيشع

مشرفا أصليا

## إهداء

إلى سيدنا ونبينا رسول الله ﷺ الذي جاهد في سبيل ربه ﷻ حق جهاده .

إلى كل مسلم مجاهد في سبيل الله ﷻ، ولتكون كلمة الله ﷻ هي العليا، في أي ميدان كان جهاده، وعلى أي ثغر كان رباطه.

إلى من غمرتنا بعطفها وحنانها وحملت بعد موت أبي المسؤولية وما قصرت، فسهرت وتعبت وعانت.. إلى أمي الحنون ، رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته ، وجزاها عنا خير الجزاء .

إلى سبب وجودي في هذه الحياة .. إلى روح أبي الطاهرة .. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا خير الجزاء .

إلى أساتذتي الفضلاء، وشيوخي الكرام ، إلى من حفظاني كتاب الله تعالى:

الشيخ / تاج الدين المزين ، والشيخ / عبدالوهاب محمد . عليهما سحائب الرحمة وشأبيب المغفرة .

الأستاذ الدكتور / عثمان عبدالمعز رسلان . حفظه الله . أستاذ أصول التربية بجامعة طنطا ، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .. جزاء ما زرع في من حُبِّي العلم .

إلى زوجتي نعم صاحبة ، فقد أعانت وأشارت فأرشدت، وما ادخرت وسعا ولا آلت جُهدًا في سبيل إتمام الرسالة على خير حال .. فأسأل الله أن يجزيها خير الجزاء .

إلى جميع أهلي وعشيرتي وإخواني وأحبابي، وكل من جعله الله ﷻ سبب نفع وخير .. وكل من ساهم في إتمام هذه الرسالة بيد وعون، أو فكر ورأي ومشورة..

إلى كل أولئك أهدي هذا العمل .. أسأل الله تعالى له قبولاً حسناً... آمين.

## شكر وتقدير

اتباعاً لقول النبي الكريم ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)(1).

فإنني أتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير وبالغ الامتنان إلى شيخي وأستاذه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد المنعم صهي أبو شعيب .. أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية ، والمشرف على هذه الرسالة، على رعايته وحياطته للرسالة منذ أن كانت في مهدها، ولم يأل جهداً بإرشاد وتعليم وصبر ومصابرة وتصحيح وتصويب في سبيل إتمامها على أفضل حال فكان لي خير الأب ونعم المعلم.. أسأل الله تعالى أن يعظم له الجزاء، وأن ينفع به، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته..

وأتوجه بخالص الشكر وعميق التقدير وفائق الاحترام وبالغ الامتنان، إلى فضيلة الدكتور مخلوف محمد جلال .. مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية ، المشرف المشارك على الرسالة، لما أولى الرسالة من رعاية وتدقيق وتصحيح وتصويب وإرشاد وتعليم.. أسأل الله تعالى أن ينفع به ويجزيه خير جزاء وأوفاه.

حفظه الله تعالى ورعاه وجزاه عن العلم خير جزاء وأوفاه، على قبوله الكريم مناقشة هذا البحث المتواضع وتقويمه، جزاه الله تعالى خير جزاء.

كما أتوجه بجزيل الشكر وخالص التقدير وبالغ الاحترام وعميق الامتنان، إلى شيخنا وأستاذنا ، فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سعد شعيب .. أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية على تشريفه لي بمناقشة هذا البحث، أسأل الله تعالى له دوام التوفيق والسداد والعافية في دينه ودنياه وأن يجزيه عني أوفر جزاء وأوفاه.

كما أتوجه ببالح الشكر وفائق الامتنان والتقدير إلى شيخي وأستاذه الدكتور / موسى

شعبان السويدي .. وكيل كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية .. لقبوله مناقشة هذا البحث المتواضع فزاده بذلك شرفاً .

وإلى كل من كانت له على يد، وجعله الله رَبِّكَ سبباً لإتمام الرسالة من آل وعشيرة وإخوان وأحباب.. جزاهم الله تعالى عني خير جزاء.

---

(1) الحديث أخرجه الإمام أحمد وغيره واللفظ له في مسند أبي هريرة رَبِّكَ 322/13 برقم 7939 ط2 مؤسسة الرسالة بيروت 1420 هـ 1999م حققه شعيب الأرنؤوط ، وقال إسناده صحيح .



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فلقد توالى الهجمات على سيدنا محمد (ﷺ) منذ بعثته وما زالت حتى الآن ، ولم يكن النبي (ﷺ) بدعاً من الرسل فى هذا ؛ فهذه هى سنة الله فى رُسُلِهِ ، قال تعالى :

"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا. سورة الفرقان ، آية : 31 "

لكنَّ النبي (ﷺ) قد جُوبِه بعدة جبهات ؛ وذلك لأنه آخرُ إرسال السماء لهداية أهل الأرض ، فقد ختم الله به الرسالات السماوية ، وهذه الخاتمية لم تنلِ الحظوة من الكثيرين - لاسيما اليهود والنصارى - الذين كانوا يتشوفون ويتشوقون إلى أن يكون خاتم الرسل من بنى إسرائيل ؛ فدعاهم ذلك إلى إثارة الشبهات عليه (ﷺ) ومناصبته العدا ، وقد تمثل هذا العدا قديما فى عدة جبهات: هى جبهة اليهود والنصارى ، وجبهة المشركين ، وجبهة المنافقين ، واليوم انضمت جبهة جديدة إلى هذه الجبهات، وهى : جبهة الاستشراق والتبشير - إضافة إلى ما سبق ذكره - والتي يقف على ثغرها ناس سُئِمُوا (المستشرقين) لأنهم يدرسون علوم الشرق ودينه وثقافته ، لا بغرض العلم - إلا فيما ندر - وإنما بغرض الطعن فيها ومحاولة إثارة القلاقل والشبهات حولها والنيل من سيدنا محمد (ﷺ) .

هذا، ودور الدعاة إلى الله يتطلب الوقوف على مناهج هؤلاء المستشرقين دراسة وتحليلاً ونقداً ؛ للذب عن الإسلام ونبي الإسلام محمد (ﷺ)، وأرجو أن يكون هذا البحث المتواضع إسهاماً منى فى هذا الميدان .

ب

## خطة البحث :

وتقوم هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وهى :

المقدمة ، وتشتمل على :

أ - أسباب اختيار الموضوع .

ب - تحرير مفردات البحث .

ت - تحرير المفردات المناظرة ذات الصلة بموضوع البحث.

ث - الدراسات السابقة .

ج - الجديد فى هذه الدراسة .

ح - كيف يمكن الاستفادة من كتابات المستشرقين المعتدلين فى تحسين تصورات الغربيين عن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) - والإسلام والمسلمين .

## الباب الأول:

مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر مونتجمرى وات ، وكارين  
أرمسترونج ، ويشتمل على فصلين:

### الفصل الأول :

مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر مونتجمرى وات وتقويمها ، ويشتمل على  
مبحثين :

المبحث الأول : المصادر الإسلامية فى فكر وات وتقويمها .

المبحث الثانى : المراجع الاستشراقية فى فكر وات وتقويمها ، ويشتمل على تسعة  
مطالب ، وهى :

ت

المطلب الأول : كتابات القس لامانس وتقويمها .

المطلب الثانى : كتابات كابتانى وتقويمها .

المطلب الثالث : كتابات ريتشارد بل وتقويمها .

المطلب الرابع : كتابات نولدكة وتقويمها .

المطلب الخامس : كتابات فلهاوزن وتقويمها .

المطلب السادس : كتابات جولد زيهر وتقويمها .

المطلب السابع : كتابات جوزيف شاخت وتقويمها .

المطلب الثامن : كتابات فنسك وتقويمها .

المطلب التاسع : كتابات بولين وتقويمها .

**الفصل الثانى : مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر كارين أرمسترونج،  
وتقويمها ، ويشتمل على مبحثين:**

المبحث الأول : المصادر الإسلامية فى فكر كارين ، وتقويمها ، ويشتمل على .

المبحث الثانى : المراجع الاستشراقية فى فكر كارين ، وتقويمها ، ويشتمل على  
سبعة مطالب :

المطلب الأول : كتابات مونتجرى وات وتقويمها .

المطلب الثانى : كتابات رودنسون وتقويمها .

المطلب الثالث : ترجمة آربرى لمعانى القرآن وتقويمها

المطلب الرابع : كتابات نيكلسون وتقويمها .

المطلب الخامس : كتابات أرنولد توينبى وتقويمها .

المطلب السادس : كتابات برنارد لويس وتقويمها .

المطلب السابع : كتابات ظفر الله خان وتقويمها.

**الباب الثانى :**

**قواعد منهج وات وكارين فى دراسة السيرة النبوية (دراسة تحليلية تقييمية)، ويشتمل على فصلين :**

**الفصل الأول : قواعد منهج مونجمرى وات فى دراسة السيرة النبوية وتقييمها، ويشتمل على عشرة مباحث :**

المبحث الأول : منهج التأثير وتقييمه .

المبحث الثانى : منهج الشك وتقييمه .

المبحث الثالث : منهج النفى وتقييمه .

المبحث الرابع : منهج الافتراض وتقييمه .

المبحث الخامس : منهج اعتماد الضعيف الشاذ وتقييمه .

المبحث السادس : منهج التفسير المادى وتقييمه .

المبحث السابع : منهج الإسقاط وتقييمه .

المبحث الثامن : منهج التحريف وتقييمه .

المبحث التاسع : منهج التناقض وتقييمه .

المبحث العاشر : منهج تقديم المراجع الاستشراقية على المصادر الإسلامية .

**الفصل الثانى : قواعد منهج كارين أرمسترونج فى دراسة السيرة النبوية وتقييمها ، ويشتمل على سبعة مباحث :**

المبحث الأول : منهج الاستشهاد بالقرآن الكريم وتقييمه .

المبحث الثانى : منهج الاستشهاد بالسنة النبوية وتقييمه .

المبحث الثالث : منهج المقارنة وتقييمه .

## ج

المبحث الرابع : منهج التظاهر بالموضوعية وتقويمه .

المبحث الخامس: منهج النزعة العقلية وتقويمه.

المبحث السادس: منهج سوء التأويل وتقويمه .

المبحث السابع : منهج الإسقاط وتقويمه .

### الباب الثالث :

قضايا السيرة النبوية فى فكر وات وكارين (دراسة تحليلية تقويمية) ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : سيرة النبى (صلى الله عليه وسلم) الذاتية فى فكر مونجمرى وات وكارين أرمسترونج ، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : كتابات وات وكارين عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة .

المبحث الثانى : كتابات وات وكارين عن أخلاق الرسول (ﷺ) .

الفصل الثانى : قضايا السيرة النبوية فى فكر وات وكارين ( رؤية تقويمية ) ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : زواج الرسول (ﷺ) وأزواجه ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : زواج الرسول (ﷺ) وأزواجه فى فكر وات .

المطلب الثانى : زواج الرسول (ﷺ) وأزواجه فى فكر كارين .

المبحث الثانى : الوحى ومعجزة القرآن ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الوحى ومعجزة القرآن فى فكر وات .

المطلب الثانى : الوحى ومعجزة القرآن فى فكر كارين .

المبحث الثالث : دعوة الرسول (ﷺ) فى مكة فى فكر وات وكارين ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : دعوة الرسول (ﷺ) فى مكة فى فكر وات .

المطلب الثانى : دعوة الرسول (ﷺ) فى مكة فى فكر كارين .

المبحث الرابع : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة فى فكر وات وكارين ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة فى فكر وات .

المطلب الثانى : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة فى فكر كارين .

المبحث الخامس : الجهاد والغزوات فى فكر وات وكارين ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الجهاد والغزوات فى فكر وات .

المطلب الثانى : الجهاد والغزوات فى فكر كارين .

الخاتمة : وتتناول :

النتائج .

التوصيات

المصادر والمراجع .

## أ- أهمية الموضوع :

1- إن هذا الموضوع يتناول شخصية النبي (ﷺ)، وسيرته ، وأخلاقه ، وجهاده ، كما درَسَها اثنان من المستشرقين الإنجليز المعاصرين ، وهذا أمر مهم في عصرنا؛ لأن المستشرقين هم أحد روافد التشكيل الثقافي للإنسان في الغرب ، ومن هنا فمن الضروري أن نتعرف بهم من قريب ، وندرس : ماذا كتبوا عن الرسول (ﷺ) ؟ وما مصادرهم ؟ وما قيمتها العلمية ؟ وما منهجهم ؟ وما النتائج التي توصلوا إليها ؟ وما قيمتها ؟ وما سلبياتهم ؟ وما إيجابياتهم ؟ وما موقف الباحث العلمي من أحكامهم ؟ .... إلخ ، عن الرسول (ﷺ) وهذا أمر يثير اهتمام الباحث الجاد والحريص على تحقيق كل قول يُقال عن النبي (ﷺ) ، وتحديد مدى صوابه أو خطئه.

2 - ولاشك أن دراسة إنتاج المستشرقين المعاصرين عن الرسول (ﷺ) يمثل أهمية كبرى في الجعبة الراهنة ، وقد رأينا أثراً سلبياً لهذا الإنتاج في الرسوم المسيئة للرسول (ﷺ) في بعض الصحف الدانيمركية وغيرها ؛ ومن هنا يلزم التعرف من قريب على هذا النتاج ، وفحصه ، وتحليله ، ونقده ، وتمييز خطئه من صوابه ، ومحاولة الإسهام في تصويب ما قد يقعون فيه من أخطاء . ويأمل الباحث في أن يكون واحداً من الذين يقومون بهذه المهمة الرفيعة .

3- كما تتضح أهمية هذه الدراسة من حيث إنها تنصب على إنتاج عُلَمَين من أعلام المستشرقين الذين تناولوا السيرة النبوية وهما : (مونتجمري وات ، وكارين أرمسترونج) ، فالأول كتب الكتب الآتية عن الرسول (ﷺ) : محمد في مكة ، محمد في المدينة ، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، محمد ؛ نبيا ورجل دولة ، وغيرها ، والثانية ، كتبت الكتب الآتية : سيرة النبي محمد ، محمد نبى لزماننا . ويندر أن نجد باحثاً عربياً قد تناول هذين المستشرقين بالتحليل والتقويم ؛ ولهذا فإننى أرغب في أن أتصدى لهذا الموضوع الحيوي .

ومن هنا تبدو أهمية هذا الموضوع ؛ وهو : السيرة النبوية فى فكر ( مونتجمري وات ، وكارين أرمسترونج ) دراسة تحليلية تقويمية .

## ب - أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع ليكون محل دراستي لعدة أسباب منها :

1- حُبِّي لرسول الله (ﷺ) الذي دفعني إلى معرفة ما يُرَدُّه الأفاكون من أصحاب الأصوات النشاذ في الغرب ، والرد عليهم بالحجة والبرهان .

2- إبطال الشبهات التي يثيرها التيار الاستشراقي المتعصب ضد الرسول (ﷺ) ؛ وذلك حتى لا يلتبس الأمر على المسلمين .

3- شهرة هذين المستشرقين (وات وكارين) في العالم الغربي ، وتداول كتاباتهما كذلك في العالم العربي ؛ مما يجعل الحاجة ماسة إلى بيان ما في هذه الكتابات من فكر صائب أو خاطئ حتى يكون القارئ العربي على بينة مما يقرأ .

4- إماطة اللثام عن أسلوب وات العجيب والمُتَلَوِّن الذي يستطيع من خلاله أن يكسب عاطفة القارئ حين يكتب عن الإسلام ، لدرجة أنه استطاع التلبس على البعض، وإيهامهم بأنه ليس متعصبا ضد الإسلام ؛ لذا أردت وضع الأمر في نصابه .

## ت - تحرير مفردات البحث

### أولاً- التعريف بالسيرة:

لغة : السين والراء أصل يدل على مضى وجريان ، والسيرة : الطريقة في الشيء ، والسنة ؛ لأنها تسير وتجرى (1) ، يقال : سار بهم سيرة حسنة . والسيرة : الهيئة ، وفي التنزيل "سُنِعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى" . سورة طه ، آية : 21" (2).

وفي مختار الصحاح : "السَّيْرَةُ : الطَّرِيقَةُ ، يقال : سار بهم سيرة حَسَنَةً . والتَّسْيِيرُ بِالْفَتْحِ تَفْعَالٌ مِنَ السَّيْرِ" (3) .

(1) أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط اتحاد الكتاب العرب 1423 هـ ، 2002م (92/2).

(2) ابن منظور : لسان العرب ، ط1، دار صادر بيروت ، د.ت (389/4).

(3) أبو بكر الرازي : مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5: المكتبة العصرية بيروت - صيدا 1420 هـ / 1999م (159/1) .

وعلى ذلك ، فالكلمة تعنى ما يُؤثر عن الإنسان من أقوال وأفعال وأوصاف عبر مراحل حياته الماضية ، بمعنى أنها تكون حكاية عن الماضى ولا تعلق لها بالمستقبل .

**والسيرة :** يعرفها الجرجاني(\*) بأنها : "الطريقة ، سواء كانت خيراً أو شراً ، يقال: فلان محمود السيرة ، وفلان مذموم السيرة"(1).

وعلى هذا ، تعتبر السيرة تحديداً لِمَلامح حياة الإنسان فى الماضى بما لها من خير ، أو عليها من شر .

### **السيرة النبوية فى الاصطلاح (\*\*):**

"ولو أردنا أن نعرف مصطلح السيرة عند أهل الاختصاص من المحيِّثين والمؤرخين الذين أولوا السيرة عناية خاصة معتمدين على النصوص القرآنية الواضحة والأحاديث النبوية الثابتة نصاً ومنتأً، لرأيانهم يتجاوزون به إلى ما صحَّ من الإرهاصات النبوية منذ مولده، ونشأته، وصباه، وشبابه، ومظاهر حفظ وعناية الله به صلى الله عليه وسلم، حتى كمل سنه أربعين، فجاءه الوحي المبارك، وأمره بتبليغ هذا الدين القويم إلى الناس كافة (2) .

فالسيرة النبوية على ذلك : تعنى مجموع ما ورد لنا من وقائع حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الخُلقية والخُلُقوية، وغزواته وسراياه صلى الله عليه وسلم ، وهي السبيل إلى فهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته ، ولكنّه قبل ذلك رسول أيده الله بوحي من عنده.

---

(\*)الشرىف الجرجانى هو : محمد بن على بن محمد بن على، نور الدين ابن الشرىف الجرجانى: فاضل ، من أهل شىراز ، كان من المتضلعىن فى الأدب العربى ، المعدود من كبار المتكلمىن على المنهج الأشعربى ولد فى قرية « تاكو » قرب « أسترباد » وأتم دروسه فى شىراز ، ثم غادرها وألقى عصا رحله فى سمرقند . انظر : خىر الدين الزركلى : الأعلام ، ط15 دار العلم للملایىن ، ماىو 2002 م (288/6) بتصرف بىسیر .

(1)الجرجانى: التعرىفات، تحقىق جماعه من العلماء بأشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمىة ، بیروت - لبنان 1403هـ ، 1983م (122/1).

(\*\*) من ملاحظات الأستاذ الدكتور / محمد شعیب أثناء المناقشة .

(2) محمد أنور البكرى : مصادر تلقى السیره النبویة والعناية بها عبر القرون الثلاثة الأولى ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشرىف بالمدينة المنورة ، دب ، (15/1) .

**والسيرة فى الاصطلاح كذلك :** "يراد بها التّعرف على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قرّة العين وريحانة القلب؛ منذ ظهور الإرهاصات التي مهّدت لرسالته، وما سبق مولده من ظواهر وأحداث تلقي أضواء رحمانية على طريقة الدّعوة المحمّديّة، ثمّ مولده صلى الله عليه وسلم، ونشأته حتّى مبعثه، وما جاء بعد ذلك من دعوة النّاس إلى الدّين القيم، وما لقي صلى الله عليه وسلم في سبيل نشر هذا الدّين من عنق ومعارضة، وما جرى بينه عليه الصّلاة والسّلام وبين من عارضوه من صراع بالبيان والسّنان، وذكر من استجاب له، حتّى علت راية الحقّ، وأضاءت شعلة الإيمان" (1).

وأقصد بالسيرة فى عنوان بحثى : تفاصيل حياة النّبي (ﷺ) من أقوال وأفعال وغزوات ومواقف ، والتي تعرض لها المستشرقان (مونتجرى وات ، وكارين أرمسترونج) .

### ثانيا- النبوية:

**لغة :** النّبأ : العلو والارتفاع ، والنّبوة والنباوة والنّبى : ما ارتفع من الأرض ، والنّبىّ : العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها ، ومنه اشتقاق النّبى ؛ لأنه أرفع خلق الله ؛ وذلك لأنه يهتدى به (1) ، وقيل : النّبأ مهموز الخبر ، النّبى على فعيل مهموز ؛ لأنه أنبأ عن الله اى أخبر(2).

فالأصل اللغوى للكلمة يدور حول الرفعة وعلو الشّان ، وهذه هى صفة النّبى ، كما أن الكلمة تدل على هداية الآخرين وهذه هى مهمة النّبى ، كما قال الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) : **"وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . الشورى : 52"** .

**اصطلاحا :** النّبى هو: "من أوحى إليه بملك أو ألهم فى قلبه أو نبّه بالرؤيا الصالحة"(3).  
والنبوة هى : "سفارة بين الله عز وجل وبين ذوى العقول الذكية لإزاحة عطلها"(5).

(1) المختار محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بخرق» : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي، تحقيق: محمد غسان نصوص عزقول ، ط1 ، 1419هـ (14/1) .

(2) ابن منظور : لسان العرب (301/15).

(3) الفيومى : المصباح المنير، ط المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، دبت (591/2).

(4) الجرجاني : التعريفات ، مرجع سابق (239/1) .

(5) الزبيدي : تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية ، دبت (445/1).

## وحقيقة النبوة أنها :

"واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه وسفارة بين الملك وعبده، ودعوة من الرحمن الرحيم - تبارك وتعالى - لخلقه ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، فهي نعمة مهداة من الله - تبارك وتعالى - إلى عبده، وفضل إلهي يتفضل بها عليهم. هذا في حق المرسل إليهم ، أما في حق المرسل نفسه، فهي امتنان من الله يمنّ بها عليه، واصطفاء من الربّ له من بين سائر النَّاس، وهبة ربانيّة يختصّه الله بها من بين الخلق كلّهم" (1).

ومن هنا : فمن وظائف النبي إزاحة العلل النفسية الناتجة عن الشرك بالله ، التي تصيب قلب كل من لم يؤمن بوحده سبحانه تعالى ، وإحلال نور التوحيد مكانها .

والنسب إلى كلمة نبي : نبويّ ، فكل ما ينسب إلى النبي (ﷺ) يسمى نبويا ، فما أسند إليه من أحاديث تسمى أحاديث نبوية ، وما حكى عنه تسمى سيرة نبوية ، وهو ما أنا بصدده في هذا البحث.

---

(1) ابن تيمية : النبوات ، تحقيق : عبد العزيز بن صالح الطويان ، ط1 أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية -1420هـ/2000م (19/1).

## أهمية دراسة السيرة النبوية

"إن لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة، سجلاً حافلاً بالمآثر، مليئاً بالمكرمات، مفعماً بالفضائل والدروس، إنها كثيرة المواعظ والعبر التي تنبض بالنور، وترشد إلى الخير، وتوقظ الهمم، وتشحذ العزائم، وتزيد الإيمان، وترسم الطريق إلى مرضاة الله عز وجل، وتضع المعالم أمام الدعاة والمصلحين. إنها تجسد القيم العليا والمبادئ الرفيعة في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واقعاً محسوساً لحياة كريمة فاضلة، سار على هديها الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم، ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم بإحسان، فاستنارت العقول، وصلحت القلوب، وزكت النفوس، واستقامت الأخلاق، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس. لقد كان السلف الصالح يعلمون أبناءهم هذه السيرة كما يعلمونهم السورة من القرآن، فنشئوا على الفضائل، ونهضوا إلى المكارم، وطمحووا إلى معالي الأمور، واتخذوا من الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى، ومناراً شامخاً، وقدوة حسنة ينالون باتباعه واقتفاء أثره والعمل بسنته خير الدنيا وسعادة الآخرة" (2).

فالسيرة النبوية هي السبيل إلى فهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، كما أنها تعين على فهم كتاب الله وتذوقه وفهم مقاصده عن طريق أحداث السيرة النبوية التي تحدث عنها القرآن الكريم.

والسيرة النبوية يستفيد منها المعلم والداعية حيث إن السيرة النبوية مليئة بالمواقف التربوية، كما نتعرف من خلال السيرة النبوية على أفضل الأجيال وخير القرون، وهم جيل الصحابة الكرام.

فالسيرة بحق هي البيان النظري والتطبيق العملي لحياة الرسول والصحابة الكرام.

(1) محمد أنور البكري : مصادر تلقي السيرة النبوية والعناية بها عبر القرون الثلاثة الأولى ، طمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، دبت ، ص9 .

### ثالثا - فكر:

**لغة :** الفكر والفكر : إعمال النظر(1) ، أو إعمال الخاطر فى الشئ(2) ، وقيل : الفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر بطلب المعانى ، وهو بمعنى النظر والروية (3) ، والفكر: إجهاد الخاطر فى الشئ(4) ، وهو بمعنى : ترتيب أمور معلومة لتؤدى إلى مجهول(5).

فالكلمة - كما هو واضح - يظهر منها معنى المشقة ، وبذل الوسع والطاقة فى إنفاذ الشئ .

**اصطلاحا :** جاء فى المجمع الفلسفى : "الفكر : جملة من النشاط الذهنى من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة" (6).

أوهو : "إعمال العقل فى شئ ، وتحليله ، وهضمه للتوصل إلى وضع تصور عنه ، هذا التصور هو ما توصل إليه العقل وأفرزه بعد هضم وتحليل هذا الشئ" (7).

فالفكر العلمى إذن : هو جُمَاع ما يُحصَله الإنسان من قراءات ودراسات ليخرج فى النهاية بفكرة جديدة تستحق الدراسة .

أوهو : الحكم على الشئ بعد إعمال العقل فيه .

(1)الزبيدى : تاج العروس (345/13) ، وانظر الفيروز آبادى :القاموس المحيط ، ط8: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسى، بيروت - لبنان، 1426 هـ - 2005 م (458/1).

(2)ابن منظور : لسان العرب ( 65/5).

(3)الفيومى : المصباح المنير ( 479/2)

(4)محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، ط3 دار الفكر بيروت لبنان 1971م (358/7).

(5)الجرجاني : التعريفات (168/1).

- (6) المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية ، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1403 هـ ، 1983م (137).
- (7) طه جابر العلوانى : الأزمة الفكرية المعاصرة ، ط المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، 1989م ، ص 15 .

## رابعاً - التعريف بـ ( مونتجمري وات )

**مونتجمري وات** : ولد في كريس فايف(\*) في 14 مارس 1909م، والده القسيس أندرو وات درس في كل من أكاديمية لارخ 1914-1919 وفي كلية جورج واتسون بإدنبرة وجامعة أدنبره 1927م-1930م وكلية باليول بأكسفورد 1930م-1933م وجامعة جينا بألمانيا 1933م وجامعة أكسفورد وجامعة أدنبرة في الفترة من 1938م إلى 1939م ومن 1940م إلى 1943م على التوالي، عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبرة ومتخصص في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس، وبعد تقاعده عاد إلى العمل في المناصب الدينية والعمل رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من 1947-1979م. نال درجة الأستاذية عام 1964. دُعي للعمل أستاذاً زائراً في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو 1963 و1978 وكلية فرنسا في باريس عام 1970 وجامعة جورجتاون بواشنطن عام 1978-1979م ، أصدر العديد من المؤلفات، من أشهرها (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) و(الفلسفة الإسلامية والعقيدة) و(الفكر السياسي الإسلامي) و(تأثير الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى) و(الأصولية الإسلامية والتحديث) و(العلاقات الإسلامية النصرانية) ومن آخر كتبه (موجز تاريخ الإسلام) سنة 1995م ، (حقيقة الدين في عصرنا) سنة 1996م ، وكتاب (الفترة التكوينية للفكر الإسلامي) سنة 1998م وغيرها كثير، وقد تقاعد قريباً ويعمل حالياً(\*\*) راعياً لإحدى الكنائس في منطقة إدنبرة (1) ، "وقد عمل وات عميداً لقسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة"(2).

ومما سبق ذكره يتضح أن (وات) قد أمضى حياته في دراسة العلوم الإسلامية والعربية دراسة متعمقة . ويشهد له بذلك، هذه المؤلفات السالفة الذكر ، والتي تمتلئ كلها بالشبهات ضد الإسلام ورسوله (ﷺ) ، وعلى رأس هذه المؤلفات التي تمتلئ بالمغالطات والشبهات ، كتاباه (محمد في مكة ، محمد في المدينة) . وبالإضافة إلى كتبه المذكورة في ترجمته ، أذكر أيضاً له بعض كتبه التي حصلت عليها ، مثل :

- (\*) مدينة في بريطانيا (انظر : ويكيبيديا : الموسوعة الحرة ، الشبكة الدولية الإنترنت).
- (\*\*) كُتبت هذه الترجمة سنة 2005م ، أى قبل وفاة (وات) بعام واحد ، فقد توفي (وات) فى عام 2006م ، كما فى ويكيبيديا : الموسوعة الحرة على شبكة الإنترنت .
- (1) انظر: مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق (على الشبكة الدولية الإنترنت) ، اشراف : د / مازن مطبقان . وقد أشار الدكتور/ مازن (صاحب هذه الترجمة) أن وات قد أرسل إليه هذه الترجمة بنفسه . والدكتور / مازن مطبقانى : أستاذ مشارك بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض ، ورئيس وحدة دراسات العالم الغربى بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومؤسس مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على الشبكة الدولية ( الإنترنت ) .
- (2) نجيب العقيقى : المستشرقون ، ط4 ، دار المعارف - القاهرة ، دت (132/2).

1- الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر ، وقد استشهدتُ بكثير من نصوص هذا الكتاب فى هذا البحث ، وهو ضمن مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وقد ترجمه إلى العربية الدكتور / عبدالرحمن الشيخ .

2- فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، وهو ضمن مطبوعات ، مكتبة مدبولى بالقاهرة ، وترجمه إلى العربية / حسين أحمد أمين .

3- القضاء والقدر فى فجر الإسلام وضحاها (القرون الثلاثة الأولى) ، وهو أيضا من مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وترجمه الدكتور / عبدالرحمن الشيخ .

4- فى تاريخ أسبانيا الإسلامية ، وهو ضمن مطبوعات شركة المطبوعات بببيروت، وقد ترجمه إلى العربية / محمد رضا المصرى .

5- محمد ؛ نبياً ورجلَ دولة ، وهو من مطبوعات إكسفورد - لندن . وهذا الكتاب لم يُترجم بعدُ إلى العربية "وهو يُعتبر ملخصاً لكتابه : محمد فى مكة ، ومحمد فى المدينة " (1).

هذا ، وقد ذاعت شهرة وات بين الباحثين المتخصصين فى مجال الاستشراق بأنه من المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام ، وهذا ما سيظهر للقارئ الكريم من خلال هذا البحث والرد على الشبهات المثارة من وات .

(1) د. محمد أبو ليلة : محمد (ﷺ) بين الحقيقة والافتراء ، ط 1 ، دار النشر للجامعات ، 1420 هـ ، 1999 م ، ص 134 .

### خامسا - التعريف بـ (كارين أرمسترونج)

"هي مؤلفة بريطانية لعدة كتب في مقارنة الأديان وعن الإسلام . كانت راهبة كاثوليكية ، لكنها تركت الكاثوليكية ، ولدت في 14 نوفمبر 1944م " (1) .

"وقد تركت الراهبة (2) بعد أن وجدت أن حياة الأديرة لا تناسب طبيعتها وتمسكها بحرية التفكير للوصول إلى الحقيقة دون ضغط عليها ، وقد توصلت إلى أن هناك قاسما مشتركا بين الديانات الثلاث ، وأن القيم الجوهرية في كل الديانات واحدة" (3)

"وقد ولدت كارين أرمسترونج بإنجلترا لأسرة من أصول أيرلندية ، والتحقت بجمعية «يسوع الطفل المقدس» للعمل كراهبة 1962م ضمن نظام تعليمي وتقدمت في عملها كراهبة مبتدئة ل يتم إرسالها إلى كلية "سانت آن" في جامعة «أوكسفورد» حيث درست الأدب الإنجليزي ، تركت أرمسترونج الدير في سنين دراستها معترفة بأنها لم تستطع أن تفي بمطالب حياة الراهبانة والتي كانت قد اختارتها .. تلك الحياة التي وصفت ضيقها ومحدودية الخبرات التي تمنحها في كتابها "عَبْرَ البوَابِ الضيِّقة" لتكسب بذلك عداء الكثير من البريطانيين الكاثوليك رغم تصدر كتابها هذا قائمة الكتب الأكثر مبيعا في بريطانيا ، بعد تخرجها بدأت في العمل علي إنهاء رسالتها للدكتوراه من جامعة أوكسفورد واستمرت في عملها حتي درست في جامعة لندن ولكن أطروحتها للدكتوراه رُفضت علي يد ممتحن خارجي لتترك المجال الأكاديمي قبل أن تكمل رسالتها للدكتوراه . وفي العام 1976م أصبحت مُدرّسة للغة الإنجليزية في مدرسة للبنات إلا أن وضعها الصحي حال بينها وبين الانتظام في عملها بالتدريس الذي تركته عام 1981م ، وبتصدرها لمكانة مميزة في الحياة المعرفية والأدبية عبر كتاباتها دعته القناة الرابعة في لندن، وكانت تلك نقطة تحول في حياة "أرمسترونج" المعرفية علي أكثر من مستوي كان أبرزها أن العمل من أجل هذا الفيلم التسجيلي(\*) دفعها لأن تعود مرة أخرى للبحث في شؤون الدين بالرغم من هجرها للعبادات الدينية بعد تركها للدير . ويعرفها البعض بأنها «الراهبة الهاربة» التي تركت حياة الدير لا لتفقد اهتمامها بالشأن الديني وإنما لتدلف(\*\*) إليه مرة أخرى عبر بوابة البحث في مقارنة الأديان وتصبح واحدة من =

(1) من ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) على الشبكة الدولية الإنترنت.

(2) هي الخوف : كانوا يتترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا وترك مَلادَّها والرَّهْد فيها والغزلة عن أهلها وتعمد مشاقها حتى إن منهم من كان يَحْصِي نفسه ويضع السِّلْسِلة في عُقْقه وغير ذلك من أنواع التَّعْذِيب فنفاها النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ونهى المسلمين عنها . ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 669)

(3) رجب البنا : المنصفون للإسلام في الغرب ، ط دار المعارف ، دت ، ص 184.

(\*) هذا هو الفيلم الوثائقي الأمريكي الذي يحكي قصة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام والذي أثار اهتمام الكثيرين في الأوساط الأمريكية منذ العرض الأول ، حيث تعتبر المرة الأولى التي تقدم فيها قناة رسمية واسعة الانتشار على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية وهي قناة PBS فيلما يتحدث عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام بشكل تفصيلي يستغرق ساعتين ... أعد الفيلم " مايكل وولف " و " أليكساندر كرونيمير " و استغرق الإعداد 3 سنوات وكان قد تم الإنتهاء تقريباً من تصويره قبل أحداث 11/ سبتمبر (انظر : ملتقى البشارة الدعوى / من على الشبكة الدولية - الأنترنت) .  
(\*\*) تمشى نحوه (دَلْفٌ يَدْلِفُ دَلْفًا وَدَلْفَانًا وَدَلْفَانًا وَدُلُوفًا إِذَا مَشَى وَقَارَبَ الْخَطُوطُ ، انظر : لسان العرب (389/4).

أهم مقدمي سيرة رسول الله (محمد) لمجتمعها الغربي ، تلك الأهمية التي لا تقتصر علي خلفيتها المعرفية والأكاديمية(\*) ولكن تمتد إلي الأسباب التي دفعتها للكتابة عن سيرة رسول الله و علي رأسها ضرورة أن تمد القارئ الغربي بنظرة واضحة - يحجبها الغموض والخلط الفلكلوري(\*\*) - عن رجل كان نبياً بشراً غير من التاريخ الإنساني ويستمر - حتي هذا اليوم - في العمل كمصدر إلهام لمزيد من المخلوقات . لقد تمت كارين أرمسترونج عبر كتابتها عن سيرة سيدنا محمد أن تساعد الغرب في فهمه للدين الإسلامي الذي تراه ينتشر عبر العالم"(1)

إن المسيحية قامت على إلغاء العقل والفكر ، وتعطيل دورهما ، فبينما يقول العقل : إن الثلاثة في واحد تساوي ثلاثة ، نجد مسيحية بولس تقول : الثلاثة في واحد تساوي واحداً ، وهذا واضح من موقفها العقدي في الإله .  
وقد نشأت كارين في أحضان هذه الديانة المحرّفة ردحا من الزمن فكان لا بد وأن تتأثر بها إلى حد كبير ، وهي وإن حاولت التعرف على الإسلام من قريب إلا أنها - وبالأسف - لم تستطع أن تبرزه في صورته الحقيقية كدين سماوي ، وقد حاولت كارين أن تجد قاسما مشتركا بين هذه الأديان - على الأقل في الأخلاق والقيم - لكي يلتقى الغرب مع الإسلام في هذه النقطة .

---

(\*) وهذا خطأ من كاتبة المقال ، فلقد سبق أن ذكرت في نفس المقال في الفحة السابقة أنها تركت الحياة الأكاديمية بسبب رفض اللجنة رسالتها للدكتوراة .

(\*\*) الفلكلور هو : مجموعة الفنون القديمة والقصص والحكايات والأساطير المحصورة بمجموعة سكانية معينة في أي بلد من البلاد. ويتم نقل المعرفة المتعلقة بالفلكلور من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفهية غالبا وقد يقوم كل جيل بإضافة أشياء جديدة أو حذف أشياء لتتوافق في النهاية مع واقع حياته التي يعيشها وهذا الإبداع

ليس من صنع فرد ولكنه نتاج الجماعة الإنسانية ككل في مجتمع ما ، وكلمة **فلكلور** تعنى : الخليط من التراث الشعبي ، يقابلها باللغة العربية (التراث) . انظر : ويكيبيديا : الموسوعة الحرة على الإنترنت .

(1)داليا يوسف : مقال فى شهر ديسمبر 2006م على موقع "وجهات نظر" على شبكة الإنترنت الدولية .

## مؤلفاتها العلمية

إن لكارين تراثا كبيرا من الدراسات الإسلامية ، منها المترجم ، ومنها غير المترجم .

ومن مؤلفاتها المترجمة ، التى نُشرت فى العالم العربى ، ما يلى :

1- سيرة النبى محمد (ﷺ) ، وهو من مطبوعات شركة سطور بالقاهرة ، ترجمه لها: الدكتور / محمد عنانى ، والدكتورة / فاطمة نصر .

2- محمد نبى لزماننا ، وهو من مطبوعات دار الشروق بالقاهرة ، ترجمه لها / فاتن الزلبانى .

3- القدس مدينة واحدة - عقائد ثلاث ، من مطبوعات شركة سطور ، ترجمه لها أيضا : الدكتور / محمد عنانى ، والدكتورة / فاطمة نصر .

4- معارك فى سبيل الإله (الأصولية فى اليهودية والمسيحية والإسلام) ، من مطبوعات شركة سطور ، ترجمه لها أيضا : الدكتور / محمد عنانى ، والدكتورة / فاطمة نصر .

5- الله : لماذا؟ (مسعى البشرية الأزلى) من مطبوعات ، مكتبة الأسرة (مصر) ، ترجمه لها ، الدكتورة / فاطمة نصر ، والدكتورة / هبة محمود عارف .

## الدين الرسمى لكارين أرمسترونج

لقد تركت كارين المسيحية ، لكنها تكتب عنه كدين عظيم تقتنع به فنقول :

"ولم أعد الآن من المؤمنين بالمسيحية أو الممارسين لشعائرها ، بل لا أنتمى رسميا لأى دين آخر، ولكننى عكفت على مراجعة أفكارى عن الإسلام"(2).

وهى ، وإن لم تدخل الإسلام إلا أنها تركت المسيحية ؛ لعدم قناعتها بما فيها ، وتعترف بأنها الآن عاكفة على دراسة الإسلام . أسأل الله أن يهديها سواء السبيل .. آمين.

(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ترجمة : د . محمد عناني ، د. فاطمة نصر ، ط شركة سطور - القاهرة 1998م ، ص23.

### "نبذة عن المدرسة الإنجليزية الاستشرافية" (\*)

"أنشئت أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية في عامي 1632م ، 1636م في جامعتي كمبريدج وأكسفورد على التوالي، وكانت الدراسات العربية الإسلامية يغلب عليها الطابع الفردي، ولكن في هذه الأثناء كانت شركة الهند الشرقية تعمل جاهدة على إكمال احتلالها للهند ثم تسليمها للحكومة البريطانية، وقد قامت الشركة بإنشاء مراكز استشرافية في الهند لتدريب موظفين يستطيعون التعامل مع أهل البلاد. وأنشئت كذلك جمعيات استشرافية مثل الجمعية البنقالية في أواخر القرن التاسع عشر ، وانتشرت المراكز الاستشرافية في بريطانيا وظلت العاصمة لندن خالية من مثل هذا المركز حتى صرح اللورد كيرزن في إحدى جلسات البرلمان الإنجليزي بضرورة إنشاء مثل هذا المركز وانه من المكونات الضرورية للإمبراطورية وتأسست مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية عام 1916م وانتقل إليها بعض المستشرقين الكبار ، واستمرت المدرسة في النمو والازدهار حتى أصبحت المركز الاستشرافي الأول في بريطانيا، بل تنافس أكبر المراكز الاستشرافية في العالم . وكلفت الحكومة البريطانية لجنة لدراسة أوضاع الدراسات السلافية والأوروبية الشرقية والشرقية والأفريقية عام 1947م، ووضعت اللجنة تقريراً تضمن توصيات مهمة منها زيادة دعم مراكز الدراسات الاستشرافية، وتوفير الكثير من الوظائف والمنح للدارسين، وحددت اللجنة الجهات المستفيدة من هذه الدراسات وهي الحكومة البريطانية في المقام الأول، والبعثات التنصيرية، وهيئة الإذاعة البريطانية ووزارة التجارة والمؤسسات التجارية التي لها مصالح مع العالم الإسلامي . واحتاجت الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر في أوضاع الدراسات العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية فكلفت لجنة برئاسة سير وليام هايتر عام 1961م للقيام بهذا العمل، وقدمت مؤسسة روكفلر دعماً مالياً لهذه اللجنة لزيارة عشر جامعات أمريكية وجامعتين كنديتين للإفادة من التجربة الأمريكية في مجال الدراسات العربية الإسلامية، وقدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن خلاصة الرحلة الأمريكية ومقابلات مع المسؤولين عن الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية، وجاءت التوصيات من جديد لدعم هذه الدراسات والإفادة من الخبرة الأمريكي(1)".

هذا ، ويُعتبر مونتجمري وات من أعلام هذه المدرسة ، لكن كارين أرمسترونج ليست من أعلامها ، فهي متأخرة جدا .

---

(\*) وقد ذكرت هذه النبذة عن المدرسة الاستشرافية الانجليزية ؛ بناءً على طلب المناقش الأستاذ الدكتور / محمد شعيب أثناء المناقشة .  
(1) د . مازن مطبقاني : مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق - على شبكة الإنترنت الدولية .

### سادسا - دراسة:

**لغة :** درستُ العلم درسا ودراسة : قرأته (1)، ودرس الكتاب : قرأه (2).  
"وأصل الدراسة : الرياضة والتعهد للشئ" (3).

وعلى ذلك ، فالأصل فى الدراسة : الكثرة ، والمتابعة ، والمداومة .

**اصطلاحا :** ولم أجد للكلمة تعريفا اصطلاحيا ، غير أنه بالإمكان استخلاص تعريف لها من خلال التعريف اللغوى ، فالدراسة تعنى :

قراءة الشئ قراءة متأنية ، والإلمام بجميع جوانبه بحيث يمكن للدارس فى النهاية إبداء الرأى فيه .

ودراستى لأراء وات ، وكارين تعنى : قراءتى لنتائجهما الفكرى حول السيرة النبوية.

(2) القاموس المحيط (544/1) ، تاج العروس (64/16 ، 65) ، دائرة معارف القرن العشرين (28/4).  
(3) ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ، محمود الطناحى ، ط1 المكتبة العلمية - بيروت - لبنان 1399 هـ ، 1979 م (113/2).

### سابعاً - تحليلية:

**التحليل لغة :** الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل ، وأصلها كلها : فتح الشئ ، يقال : حللت العقدة . وحل : نزل ؛ لأن المسافر يشد ويعقد ، فإذا نزل حلّ ، ويقال : سميت الزوجة حليلة ؛ لأن كل واحد منهما يحل إزار الآخر (1) ، ويقال ، فصيل محلول : الهزيل الذى حلّ اللحم عن أوصافه فعرى منه (2) ، ويقال : حلّ الرباط يحله حلاً أى فكّه (3).

ومن الملاحظ أن الكلمة مبنية على التفكك والانفصال ؛ ولذا فتحليل الكلام يعنى : تفكيك ما فيه من أفكار ومعانٍ .

**التحليل اصطلاحاً :** تحليل الجملة : "بيان أجزائها ووظيفة كل منها"(4).

**والمنهج التحليلي :** "هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة ، تفكيكا أو تركيباً أو تقويماً ، فإن كان الإشكال تركيبية منغلقة ، قام المنهج التحليلي بتفكيكها ، وإرجاع العناصر إلى أصولها . أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة ، فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها ، ليركب منها نظرية ما أو أصولاً ما أو قواعد معينة . كما يمكن أن يقوم المنهج التحليلي على تقويم إشكال ما ، أي نقده"(5) . وعلى ذلك ، فالتحليل فيه معنى الشمولية والإحاطة ، كما أنه يعنى تقسيم الشئ إلى أجزاء ، والغوص فى معانى كل كلمة لاستخراج ما فيها من إيجابيات وسلبيات.

### ثامناً - تقويمية:

**لغة :** قومت الشئ تقويماً ، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك (6) وقوم الشئ : عدله وأزال عوجه ، وقوم السلعة : سعرها وثمنها (7).

وعلى ذلك ، فالكلمة فى محتواها تعنى إصلاح ما فى الشئ من عوج .

(1) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (15/2).

(2) ابن منظور : لسان العرب (163/11).

- (3)أ. محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين (479/3)  
(4)مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط ، ط دار الدعوة ، دبت (194/1).  
(5) د. سعد الدين السيد صالح : البحث العلمي ومناهجه النظرية رؤية إسلامية ط 3 سنة 1414 هـ - 1993 م  
مكتبة التابعين ، ص31 .  
(6)ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (36/5).  
(7) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط (768/2)

### التقويم اصطلاحاً(\*) :

"التقويم هو العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة التي يتضمنها المنهج وكذلك نقاط القوة أو الضعف في المنهج حتى يمكن تحقيق الأهداف المرجوة بأحسن صورة ممكنة . فالتقويم ليس فقط تشخيصاً للواقع بل هو أيضاً علاج لما به من عيوب . إذ لا يكفي أن نحدد أوجه القصور في المنهج وإنما يجب العمل على تلافيتها والتغلب عليها حتى لا تتكرر الأخطاء

وبذلك يكون الأداء في كل مرة أفضل من المرات السابقة"(1) .

فعلى ذلك يكون التقويم بمثابة ذكر المحاسن لتنميتها ، وذكر المثالب للرد عليها .

"وقد ذكر الأستاذ محمد خليفة التونسي فى كتابه / لغتنا السحاء ، الصادر ضمن سلسلة كتاب " العربى " صفحة 48 ، أن المجمع اللغوى بالقاهرة قد أقرّ لفظة (التقويم ) بمعنى : إصلاح الاعوجاج "(2).

كما أستخلص مما سبق ذكره أيضا أن التقويم : هو المنهج الذى يمكن من خلاله الوقوف على مناطق الضعف لعلاجها والوقوف على مناطق القوة لتأكيدھا .

وهذا ترتيب منطقى ، أن يأتى تقويم الموضوع بعد تحليله والوقوف على ميزاته وعيوبه لإعطاء الحكم النهائى فيه .

- (\*) من ملاحظات الدكتور محمد شعيب أثناء المناقشة .  
(1) عبد العزيز صادق: أسس تقويم المنهج ، مجلة البيان ، عدد رقم : (238) ، جزء 49 ، ص 19 .  
(2) د. فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ط دار القلم - دمشق ، د . ت ، ص 13 .

## ث - تحرير المفردات المناظرة ذات الصلة بموضوع البحث

### تعريف التاريخ:

**لغة :** "أَرَخَ الكتاب وأَرَّخه وأَرَّخه وأَرَّخه : وقَّته . والاسم : الأرخة بالضم" (1) يقال :  
"أَرَّخ إلى مكانه يَأْرِخ أروخا : حنَّ إليه" (2).

ومن المعانى اللغوية للكلمة ، يتضح أن الكلمة تطلق ويُراد منها : ردُّ كل شئ إلى أصله .

**اصطلاحا :** التاريخ : "هو جملة الأحوال والأحداث التى يمر بها كائن ما" (3)

أوهو : " تعيين الوقت ، وتاريخ كل شئ : الوقت الذى ينتهى إليه" (4)  
فهو مصطلح يعنى تحديد الوقت الذى وقع فيه الحدث ، ووضعه فى ذاكرة الإنسانية.

### تعريف التصور:

**لغة :** "تصوّر الشئ : توهم صورته" (5) .

"وتصوّر : تكونت له صورة وشكل ، وتصوّر الشئ : تخيله واستحضر صورته فى ذهنه ، والتصوّر فى علم النفس : استحضار صورة شئ محسوس فى العقل دون التصرف فيه" (6).

فالكلمة مبنية على الحدس والظن والتخمين لا على التأكيد واليقين ؛ لأنه ليس كلُّ ما يتصوره الإنسان يكون حقا .

(1) الفيروز أبای : القاموس المحيط (248/1).  
(2) حاشية الشيخ / محمد عبدالسلام هارون على معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، هامش (70/1)

- (3) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (13/1)  
(4)أ. محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين (151/1)  
(5)المرجع السابق (582/5).  
(6)مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (528/1)

**التصور اصطلاحاً : هو "النظرة الشاملة"(1).**

فالتصور على هذا ، يعنى : النظر إلى الموضوع المراد بحثه ، نظرة شاملة مُلَمَّة من جميع جوانبه حتى يمكن إبداء الرأى فيه.

### **تعريف العقل:**

**لغة :** يقول ابن منظور : " العقل الحَجْر والنهى ، ضد الحمق ، والجمع عقول..... رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام .... والعقل التثبت في الأمور والعقل القلب والقلب العقل ، وسمى العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان "(2) ، "عقل عقلاً : أدرك الأشياء على حقيقتها"(3).

فالعقل هو خاصية التمييز فى الإنسان التى يميز بها بين الحسن والقبيح ، والجيد والردئ ، والغث والسمين ، والنافع والضار ، وبه ميّز الله سبحانه وتعالى الإنسان على سائر المخلوقات .

**اصطلاحاً :** يعرفه الجرجانى بأنه : "ما يُعقل به حقائق الأشياء ، قيل محله الرأس ، وقيل محله القلب ، والعقل مأخوذ من عقل البعير ، يمنح ذوى العقول من العدول عن سواء السبيل"(4)

أو هو : "تلك الملكة التى يباط بها الوازع الأخلاقى ، أو المنع عن المحظور والمنكور ؛ ومن هنا كان اشتقاقه من مادة (عقل) التى يؤخذ منها العقل "(5).

والعقل هو وسيلة تحصيل العلوم والفنون والمكاسب ...إلى غير ذلك ؛ ولذا شرع الحجر على مال من فقد عقله ؛ حتى لا يبديده ويُهْلِكه .

- (1) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، ص45.
- (2) ابن منظور : لسان العرب (11 / 458).
- (3) المرجع السابق (2 / 616).
- (4) الجرجاني : التعريفات (1 / 152).
- (5) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، ط2 ، دار الكتاب العربي - بيروت 1969م ، ص8 .

## ج - الدراسات السابقة :

إن الدراسات النقدية للاستشراق ظهرت مؤخرًا ، وقد تناول معظمها دراسة فلسفة الاستشراق . وليس هناك تاريخ يحدد أول دراسة نقدية للاستشراق في العالم المعاصر ، غير أن هناك دراستين تُعدّان من أقدم الدراسات النقدية للاستشراق ، وهما : كتاب (الاستشراق) لإدوارد سعيد (\*) ، وكتاب (السنة ومكانتها في التشريع) للدكتور / مصطفى السباعي (\*\*) ، والذي رُدَّ فيه كثيرًا من شبهات المستشرقين . وعلى أية حال "فلقد بدأ الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى خطوة عملية في مواجهة الاستشراق سبق بها زمنه بعشرات السنين، ولكن هذه الخطوة لم تجد من يواصل طريقها إلى الأحسن، لذلك عندما ظهر كتاب إدوارد سعيد (الاستشراق) ظن كثيرون أنه أول من فضح الاستشراق وعزّاه. وبالرغم من أهمية كتاب إدوارد سعيد إلا أن أعمال الشيخ السباعي لم تنل ما تستحقه من الاهتمام والإشادة بها، فهي محطة بارزة في المواجهة مع الاستشراق . وقد تمثلت خطوات السباعي أولاً برسالة الدكتوراه حول السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي التي انتقد فيها موقف المستشرق المجري جولد زيهر " (1).

وبالرجوع إلى الكليات التي كُلفت بالبحث فيها عن براءات الموضوع ، فإنني لم أجد دراسة مفردة تناولت هذا الموضوع : (السيرة النبوية في فكر مونتجمري وات ، وكارين أرمسترونج).. دراسة تحليلية تقويمية . ولا توجد رسالة علمية - على حد علمي القليل - جمعت بين دفتيها النتاج الفكري (لمونتجمري وات ، وكارين أرمسترونج) حول السيرة النبوية ، لكنني وجدت بعض الدراسات المتشابهة إلى حدّ ما مع بحثي ، وهي :

(\*) ولد الشيخ مصطفى السباعي عام 1334-1915م في مدينة حمص السورية لأسرة عريقة في العلم والتدين والجهاد. فقد كان والده حسني السباعي من علماء حمص المعدودين، وكان خطيب الجامع الكبير فيها. بدأ رحمه الله تعليمه بحفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية، ثم التحق بالمدارس النظامية حتى أنهى الدراسة الثانوية عام 1930م، ولم يكن التعليم النظامي المصدر الوحيد للتعليم لدى السباعي . وفي عام 1933م التحق بقسم الفقه في الجامعة الأزهرية بالقاهرة، ثم انتقل إلى كلية أصول الدين ونال الماجستير منها، أما بحثه للدكتوراه فكان بعنوان السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي الذي رُدَّ فيه على شبهات المستشرقين حول السنة وبخاصة شيخهم المجري اليهودي إجناز جولدزيهر بأسلوب علمي رصين . انظر : موقع : ملتقى أهل الحديث - الإنترنت . (\*\*\*) ولد إدوارد سعيد في القدس 1 نوفمبر 1935 لعائلة مسيحية. بدأ دراسته في كلية فيكتوريا في الإسكندرية في مصر، ثم سافر سعيد إلى الولايات المتحدة كطالب، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون عام 1957م ثم الماجستير عام 1960 والدكتوراه من جامعة هارفارد عام 1964م ، وهو مفكر فلسطيني عاش في المهجر عمل كمدرس للأدب للمقارن في جامعة كولومبيا ولم يبعده هذا المجال الفكري " الأدب المقارن " عن قضيته بل اثرى فكره في أن يركز على الغزو الفكري الاستعماري الجديد ليكتب عن الأستشراق

عام 1978 والذي ترجم إلى 26 لغة عالمية. (انظر ويكيبيديا . الموسوعة الحرة على الإنترنت) ، وانظر موقع (نبأ) على شبكة الإنترنت .  
(1)مقال للدكتور / مازن بن صلاح مطبقاني . موقع صيد الفوائد على الإنترنت ، بعنوان/ الشيخ المجاهد

1- رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الخرطوم في السودان سنة 1994م تحت عنوان :  
الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء وات وبروكلمان وفلهاوزن)  
مقارنة بالرؤية الإسلامية .  
ويختلف بحثي عنه في أنه دراسة تحليلية تقييمية ، أما هذا البحث فدراسته تاريخية،  
كما أن بحثه لم يتناول كل جوانب السيرة ، أما بحثي فقد تناول معظمها مع الرد  
على ما أثاره وات من شبهات حولها .

2- كما وجدت دراسة للدكتور / عماد الدين خليل(\*) ، بعنوان : المستشرقون  
والسيرة النبوية : بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري  
وات .

وتقع هذه الدراسة في تسعين صحيفة ، وقد صدرت ضمن الجزء الأول من كتاب :  
مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية لمجموعة من العلماء . وهو  
كتاب في مجلدين ، من إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم  
بالاشتراك مع مكتب التربية العربي لدول الخليج .

وقد تميز هذا البحث الذي أعده الدكتور : عماد الدين خليل بأسلوب رصين ، ومنهج  
تحليلي نقدي متميز . ويختلف هذا البحث عن بحثي في الآتي :  
أ- أنه لم يتناول في بحثه السيرة النبوية عند كارين أرمسترونج ، بل تناولها عند  
مونتجمري وات فقط .

ب - أنه عندما ناقش وات ، ناقشه في كتابه (محمد في مكة) فقط ، ولم يتعرض قط  
لكتابه الآخر (محمد في المدينة) ؛ أي أنه ناقشه في آرائه في العهد المكي فقط .

ج - وحتى عندما ناقشه في هذا الكتاب ، فإنه لم يتناول جميع ما فيه من شبهات  
بالرد ؛ لأنه يرى أن المهم هو مناقشة مناهج المستشرقين ، لا مجرد الرد على  
شبهاتهم والجزئيات التاريخية المغلوطة في كتبهم ، فهو يرى : " أن مناقشة أي من  
المستشرقين الذين تناولوا السيرة على مستوى التفاصيل والجزئيات التاريخية ،  
والعقدية لا تغني شيئاً ؛ لأنها ستكون بمثابة نقد موقوف يتحرك على السطح  
ويستهلك نفسه في الجزئيات دون أن يبحث عن الجذور العميقة التي تظل تنبت  
الشوك والحسك " (1).

---

(\*) هو : كاتب مسرحي وناقد وأديب، ولد في مدينة الموصل سنة 1939م، وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة  
والإعدادية فيها، ثم تخصص بالتاريخ، وحصل على شهادة البكالوريوس بدرجة الشرف من قسم التاريخ بكلية  
التربية، جامعة بغداد سنة 1962م ، وحصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي بدرجة جيد جدا من معهد الدراسات

العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد عام 1965 عن رسالته الموسومة بـ (عماد الدين زنكي: 487 - 541 هـ / 1094-1146م) والدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدرجة الشرف الأولى من كلية آداب جامعة عين الشمس في القاهرة عام 1968 عن رسالته الموسومة (الإمارات الارتقية في الجزائر الفراتية والشام: 465 - 813هـ/ 1410- 1072 / وعلى سعيد الكتابة التاريخية يرقى إلى مستويات عالمية تجعله يمثل مكانة بارزة في المدرسة التاريخية الإنسانية (انظر: موقع قصة الإسلام على شبكة الإنترنت: إشراف د / راغب السرجاني) ، وانظر كذلك: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة .  
(1)د . عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية ضمن كتاب : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، سابق (119/1) .

أما البحث الذي أتناوله ، فقد ناقشت فيه :  
أ- آراء كل من (وات ، وكارين) من خلال كتابتهما في السيرة النبوية ، ولم أقتصر على بعض كتبهما في السيرة كما فعل الدكتور عماد الدين خليل .  
ب - كما تناولت جُلَّ ما في هذه الكتب من شبهات تتعلق بالسيرة النبوية، وقمت بتحليلها وتقييمها (نقدها) . لكنني - على أية حال - قد استفدت كثيراً من هذا البحث المتميز، بل لقد فتح لي مغاليق أمور ما كنت سأعرفها وحدي .  
3- وهناك بحث للدكتور / جعفر شيخ إدريس(\*) بعنوان : منهج مونتجمري وات في دراسة نبوة محمد (ﷺ) .  
وهذا البحث منشور ضمن الكتاب السابق ، وهو : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية .  
ويتكون هذا البحث من اثنتين وأربعين صحيفة . وقد تناول فيه الباحث بالتحليل والنقد كتاب وات (محمد في مكة) ولم يتطرق البتة لكتاب (محمد في المدينة) ، تماماً كما فعل من قبله الدكتور / عماد الدين خليل .  
كما ركّز الدكتور جعفر شيخ إدريس على قضية الوحي فقط ، ولم يتعرض لبقية قضايا السيرة النبوية عند وات .  
أضف إلى ذلك أنها دراسة مختصرة جداً ، كان يكتفي فيها الباحث بالرد المختصر، وأحياناً كان يكتفي بإبراز بعض آرائه على هيئة نقاط دون أن يردَّ عليها .  
أما بحثي فقد توسعت فيه كثيراً في الرد على شبهات وات . وقد استفدت أيضاً من هذا البحث كثيراً - على أية حال - ونقلت عنه .  
4- كذلك وجدت كتاباً للدكتور / عبدالعظيم المطعني(\*\*) - يرحمه الله - بعنوان :

(\*) جعفر شيخ إدريس محمد صالح بابكر عبدالرحمن بلل ، ولد عام 1931 ميلادية بمدينة بورسودان شرق السودان. والده ووالدته من منطقة نوري بشمال السودان. التحق بكلية الآداب بجامعة الخرطوم ثم تركها ليذهب للدراسة بمصر، ولم يعجبه الحال هناك فعاد إلى جامعة الخرطوم ليدرس فلسفة العلوم والاقتصاد. حصل على درجة البكالوريوس مع مرتبة الشرف من جامعة الخرطوم في تخصص الفلسفة، وتخصص ثانوي اقتصاد. (1961م). ثم عُيِّن معيداً بالجامعة وسجل لدراسة الماجستير، لكن الجامعة ابتعثته في العام التالي للدراسة بجامعة لندن. حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الخرطوم في تخصص فلسفة العلوم عام 1970م، وكانت الدراسة الفعلية في جامعة لندن وذلك حسب الاتفاقية بين الجامعتين في ذلك الوقت. (انظر موقع السلفي من شبكة الإنترنت).

(\*\*) عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني تاريخ الوفاة 1429 ترجمة المصنف الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني داعية إسلامي مصري معاصر، قدم إضافات ثمينة إلى المكتبة العربية في مجال تخصصه الأصلي وهو البلاغة العربية. من مواليد مايو 1931 بجزيرة المنصورة التابعة لمحافظة أسوان ، وحفظ القرآن الكريم في الكتاب، ودرس محو الأمية، وفي أثناء الزيارات التي كان يقوم بها علماء الأزهر والأوقاف يجوبون فيها أرجاء القطر المصري للتعليم والوعظ والإرشاد وجد الشيخ عطا محمد عطا في الطفل عبد العظيم نباهة وحباً للعلم؛ قلَّ أن يوجد لدى أقرانه، فنصحته بالالتحاق

بالأزهر الشريف، وبالفعل سافر إلى القاهرة في الأربعينيات ولكن فاتته امتحان القبول للتأخر في الوقت، فصمّم على عدم العودة إلى القرية مرةً أخرى . وبدأ الدراسة عن طريق جلسات الاستماع التي يقيمها العلماء ولكنهم لا يمتحنون من يستمع إليهم؛ فهي دراسة حرة، مما هيأ الطالب أكثر للدراسة والاستيعاب، فالتحق رسمياً في العام التالي، وبدأ المشوار العلمي ليحصل على الابتدائية ثم الثانوية ثم الالتحاق بكلية اللغة العربية، وتبدأ رحلته العلمية. بعد ذلك بدأ العمل في جريدة الأهرام ثم الإعداد للدراسات العليا والحصول على الماجستير عام 1968م، ثم الدكتوراه عام 1974م، والتي عنوانها خصائص التعبير القرآني. ومنذ ذلك التاريخ قدم استقالته بالأهرام وعمل بالتدريس بالجامعة ليؤدي مهمته العلمية ( انظر الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت ) .

(افتراءات المستشرقين على الإسلام .. عرض ونقد ) ، وهو من مطبوعات مكتبة وهبة بالقاهرة . وهو كتاب يقع في مائة وتسع وتسعين صحيفة . فهو كتاب مختصر ، وفي الوقت ذاته لم يَخُصَّ وات وحده بهذه الدراسة ، بل كان نصيبه منها حوالي عشر صفحات . وقد ردّ عليه في بعض القضايا المتعلقة بالدعوة في عهدنا المكي من خلال كتابه (محمد في مكة) فقط .. كما فعل غيره .  
والحق أن هذه الصفحات - على قلة عددها - إلا أنها عظيمة النفع ، وقد نقلت عن هذه الدراسة ، وأفادتني فائدة عظيمة . فالرجل معروف بإبداعه النقدي بوصفه أستاذاً للأدب والنقد بجامعة الأزهر ؛ ولذا كانت ردوده قوية على شبهات وات ..  
يرحمه الله رحمة واسعة .

5- كما أن هناك كتابا للدكتور / لخضر شايب(\*) بعنوان : نبوة محمد (ﷺ) في الفكر الاستشراقي ، وهو من مطبوعات مكتبة العبيكان بالسعودية .  
وقد تكلم في هذا الكتاب عن نبوة سيدنا محمد (ﷺ) عند بعض المستشرقين ... ، وذكر منهم (مونتجمري وات) .  
وقد استخدم المنهج التحليلي النقدي في الردّ على شبهاتهم ، وإن لم يستوعب هذا الكتاب كل نتاج وات في السيرة . ويقع هذا الكتاب في مجلد واحد يبلغ من الصفحات خمسمائة وخميس وثمانين صحيفة .  
ولا شك أنني قد استفدت من هذا الكتاب كثيراً كسابقه .

6- كما أن للدكتور . ساسي سالم حاج(\*\*) كتاباً بعنوان : (نقد الخطاب الاستشراقي .. الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية) .  
ويقع هذا الكتاب في جزئين - من مطبوعات دار المدار الإسلامي ، بيروت - لبنان .  
لم يتكلم المؤلف في الجزء الأول عن (وات) ، وإنما تكلم عنه في الجزء الثاني ضمن فصل بعنوان : المستشرقون والسيرة النبوية ، ولم يكن هذا الفصل قاصراً على رؤية وات وحده لقضايا السيرة النبوية ، بل تناول أيضا بعض المستشرقين المعاصرين الذين تكلموا عن السيرة النبوية .

(\*) لم أجد له ترجمة بعد جُهد جهيد، فهو باحث معاصر وغير معروف .  
(\*\*) لم أجد له ترجمة فهو باحث معاصر وغير معروف أيضا.

## كارين أرمسترونج

وبعد البحث والاطلاع ، لم أجد بحثا تناول السيرة النبوية عند كارين أرمسترونج ،  
إلا رسالة ماجستير - لا زالت قيد الدراسة (\*) - فى كلية الدعوة الإسلامية بجامعة  
الأزهر ، وهى بعنوان :

7 - ( كتاب محمد ﷺ ) للكاتبة البريطانية أرمسترونج .. دراسة تحليلية تقويمية فى  
ميدان الدعوة الإسلامية ) ، للباحث / سامى إبراهيم أحمد علام ، وقد حصلت على  
خطة هذا البحث فوجدتها تختلف تماما عن بحثى الذى تناولت فيه كتابى كارين ،  
وكتابى مونجمرى وات فى السيرة ، فدراستى حول أربعة كتب فى السيرة ، بينما  
الدراسة الأخرى هى لكتاب واحد فقط لكارين .

ثم إن دراستى قاصرة على دراسة قضايا السيرة ، بينما الدراسة الأخرى قد تناولت  
جميع قضايا كتاب : سيرة النبي محمد ( ﷺ ) ؛ العقديّة ، والتاريخية ، والسياسية ،  
والاجتماعية، والاقتصادية ، وما قبل الإسلام .... الخ .

وقد قسم الباحث رسالته إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، تناول فى التمهيد :

- نبذة عن الكاتبة .
- نبذة عن الكتاب ..
- المقصود بالدعوة الإسلامية .

**وفى الفصل الأول :** تحدث عن رؤية الكاتبة البريطانية للبيئة التى نشأ فيها الرسول  
صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وعن حالة العرب الدينية ، والسياسية ،  
والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية قبل الإسلام .

**وفى الفصل الثانى :** تحدث عن رؤية الكاتبة البريطانية للوحي فى الإسلام ، وموقف  
المستشرقين من الوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم تقويم ما ذكرته الكاتبة  
عن الوحي .

**وفى الفصل الثالث :** تحدث عن بعض جوانب السيرة للنبي صلى الله عليه وسلم  
التي أوردتها الكاتبة ؛ كالجانب الدعوى ، الجانب السياسي ، الجانب الاجتماعي،  
الجانب الإعجازي ، الجانب الأخلاقي .

وفي الفصل الرابع : تحدث عن صورٍ من نظرة الغرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ونظرة الجاحدين ، ونظرة المنصفين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وبذلك يتضح أنه لا تعارض بين الدراستين .

---

(\*) كانت هذه الرسالة قيد الدراسة وقت تسجيلي للموضوع ، لكنها نوقشت منذ أشهر قليلة فقط ، وقد عرفتُ ذلك بالمتابعة مع صاحب هذه الرسالة نفسه .

## ح - الجديد في هذه الدراسة:

كثيرة هي الدراسات الاستشراقية التي اهتمت بالحديث عن نشأة الاستشراق ، وتاريخ حركة الاستشراق ، والأهداف العامة للاستشراق ، وأساليب المستشرقين في نشر شبهاتهم ، والمدارس الاستشراقية ، والمناهج العامة للمستشرقين ؛ لذا أردت التجديد ، وذلك بتناول بعض الشخصيات الاستشراقية المعاصرة التي لها دور فعّال في كتابة السيرة النبوية من منظور استشراقي .

وقد وقع اختياري على المستشرقين : (مونتجمري وات ، وكارين أرمسترونج) ، وهما مستشرقان معاصران لهما قرأء كثيرون . وهذه الدراسة قد تعطى القارئ العربي خلفية - ولو قليلة - عن فكر هذين المستشرقين حتى يعرف : لمن يقرأ ، ومدى صحة ما يقرأ من انحرافه ، وحتى لا يندفع القارئ بما يكتبان .

### خ - كيف يمكن الاستفادة من كتابات المستشرقين المعتدلين فى تحسين تصورات الغربيين عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والإسلام والمسلمين؟

فى البداية أحب أن أقول : ليس كل المستشرقين سواءً فى بغضهم للإسلام، ومناصبته العدا ، فمنهم مستشرقون معتدلون كتبوا بموضوعية وانكبوا على دراسة الإسلام وعظمة رسول الإسلام (ﷺ) وكان دافعهم لهذه الدراسات الواسعة :

"حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها ، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ فى فهم الإسلام وتراثه ؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدسّ والتحريف فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمى السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين ، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وأمن برسالته .على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يُمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص ؛ لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً ، لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند عامة الباحثين ، ومن ثمة فهى لا تُدرّ عليهم ربحاً ولا مالاً ؛ ولهذا ندر وجود هذه الفئة فى أوساط المستشرقين" (1).

ويضرب الدكتور مصطفى السباعى - يرحمه الله - لهؤلاء المنصفين للإسلام (\*) بالمستشرق الفرنسى (غوستاف لوبون) (\*\*) و كتابه (حضارة العرب) فيقول:

"وأكثر ما نجد إنصاف الإسلام ورسوله عند العلماء والأدباء الغربيين الذين تحلوا من سلطة دياناتهم ، ونضرب لذلك مثلاً بكتاب حضارة العرب لمؤلفه (غوستاف لوبون) فإنه أعظم كتاب ألفه الغربيون فى إنصاف الإسلام وحضارته ؛ وهذا لأن غوستاف لوبون فيلسوف مادى لا يؤمن بالأديان قطعاً ؛ من أجل هذا ، ومن أجل إنصافه للحضارة الإسلامية لا ينظر إليه الغربيون فى أوساطهم العلمية نظر التقدير الذى يستحقه علمه" (2).

---

(\*) لقد نبهنى الأستاذ الدكتور المناقش: د. محمد سعد شعيب إلى أن غوستاف لوبون لم يكن من المستشرقين المنصفين للإسلام ؛ وقد أثبت ذلك حتى يتضح الأمر للقارئ .

(1) د.مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم ، ط المكتب الإسلامي ، دار الوراق ، دبت ، ص24 ، 25.

(\*\*) غوستاف لوبون (1841 - 1931م) من فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين ، ومن المستشرقين المنصفين إلى حد بعيد ، لم يدافع عن حضارتنا العربية فحسب ، بل دافع عن حقوق المسلمين ، وانتقد سياسة القهر والهضم التي عسفتهم بها الدول الأوروبية المستعمرة ، وقد كتب كتابات شافية في انتقادات قومه الفرنسيين بما يعاملون به مسلمي الجزائر من الظلم والإرهاب ونزع الأراضي والتشريد في الصحراء ، وغير ذلك . انظر: د.شوقي أبو خليل : غوستاف لوبون في الميزان ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، دار الفكر ، دمشق - سورية ، 1410هـ ، 1990م ، ص13.

(2) د.مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم : ص79 ، 80.

وهذا الصنف من المستشرقين لا يمكن تجاهله ، كما لا يمكن تجاهل أن هناك دافعاً من دوافع الاستشراق قد قام على الجانب العلمي الذي دفع المنصفين منهم إلى دراسة الإسلام دراسة علمية متجردة ، وإن كان هؤلاء - في القلة - كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود إذا ما قورنوا بالمتعصبين منهم ، إلا أنهم يمثلون تياراً استشراقياً لا يمكن تجاهله .

فلا عجب إذن أن نجد بعض الشهادات الإيجابية "تجيء كإقرار أو اعتراف لكي تردّ هذا الهوى وتبعد ذلك السوء ، وتعلن بالموضوعية التي يتطلبها التعامل الجادّ مع الحقائق ، تأكيدها لما وقع فعلاً لا لما يريد أصحاب الظنون والأهواء أن يكون" (1).

وهذا الكلام يُبَيِّن لنا ما نراه من دفاع بعض المستشرقين والكتاب الغربيين الماديين عن الإسلام . والسبب في ذلك أنهم ماديون لا يؤمنون بالأديان السماوية ؛ ومن ثم فإنهم يكتبون عن الإسلام كدين يستحق التعظيم ؛ لأنهم وجدوا دلائل ذلك في التاريخ، ويكتبون عن رسول الله (ﷺ) لا كنبىٍّ وإنما كمصلح اجتماعي ، أو كبطل عسكري ، أو سياسى مُخضرم ، أو مجدد ديني .

ويواصل الدكتور السباعي كلامه عن هذا الصنف من المستشرقين المعتدلين قائلاً :

"وهذا الصنف قليل عدده جداً ، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يَسْلَمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية مع حقيقتها فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها.... ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين" (2).

نعم إن إنصافهم لا يعنى عدم وقوعهم في الخطأ غير المتعمّد ؛ لأن معرفتهم بالإسلام لا تؤهلهم لدراسة كل ما يعنُّ لهم من قضايا ، والحكم عليها بما تستحقه ؛ ولذا وجدنا المستشركة (كارين أرمسترونج) قد وقعت في عدة أخطاء نتيجة لهذا السبب .

- (1) د. عماد الدين خليل : قالوا عن الإسلام ، ط1 مطبعة سفير ، الناشر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض 1412 هـ - 1992 م ، ص8 .  
(2) د. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، مالهم وما عليهم ، ص32 ، 33 .

ولذا ؛ يقول الدكتور عبدالكريم زيدان : "ومن سَلِمَ من هؤلاء المستشرقين من الهوى وسوء النية ، أوقعه جهله بمعانى الإسلام فى أباطيلٍ وافتراءاتٍ . والقليلُ منهم جداً مَنْ سلم من الهوى ، وأقلُّ القليل منهم من سلمت كتاباته من سوء النية والجهل ، ويجب عدم اتخاذ كتاباتهم مصدرًا للمعرفة الإسلامية" (1).

على أنه يجب أن نضع شهادات غير المسلمين منهم للإسلام وللرسول (ﷺ) فى إطارها ، فهى لا تعدوا كونها شهاداتٍ ماديةٍ منصفةٍ ولا تعبر بالضرورة عن موقفهم النهائى من الإسلام .

"كما أنها لا تعدو كونها تأكيدًا لحقائق معينة فى نسيج ديننا وحضارتنا، تارة بالترجمة الحرفية لنصوص الوقائع المستمدة من المصادر الإسلامية نفسها ، أو الغربية ، وتارة أخرى بتركيز هذه النصوص ، أو التوسع فيها مع المحافظة على جوهرها الأصيل" (2).

ومن ثم ؛ فيجب أن نحذر كل الحذر حين نتعامل مع المادة العلمية التى يقدمها لنا هؤلاء المستشرقون ، وأن لا نتعامل معها كمسلمات .  
ويقول عنهم الدكتور عبدالحليم محمود - يرحمه الله - : "مما لا ريب فيه أن هناك مفكرين منصفين لا غربيين فحسب بل عالميين أيضا ، وهؤلاء درسوا الإسلام دراسة عميقة فأحبه البعض وناصره ، وآمن به البعض الآخر وأعلن إسلامه وصدق فيه..... وهؤلاء الكتاب المفكرون ينقسمون إلى فريقين :  
فريقٍ أعلن إسلامه فى غير لباس ولا مُراءاة وجابه رأى العام فى بيئته بعقيدته ثم أخذ يدعو إليها مكرسا وقته وجهده لنشرها . وفريقٍ أحب الإسلام ومدحه ولا ندرى ماذا أسرَّ فى نفسه" (3).

ويقول المستشار على جريشة : "لا نُكران أن طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والإنصاف ، على تفاوت فيما بينهم ، فمنهم من أخطأ وأصاب ، ومنهم من انتهى به البحث الحُرُّ النزيه إلى الإيمان والإسلام" (4).

على أننا لسنا مأمورين بالتنقيب عن ما فى صدورهم ، كما أننا لسنا مأمورين برد كلامهم جملةً وتفصيلا ، ولكن ما وافق الإسلام من كلامهم قبلناه ، وما خالفه رددناه

- (1) أنور الجندي : موسوعة مقدمات العلوم والمناهج - التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ، ط دار الأنصار، دبت (208/5) .
- (2) عماد الدين خليل : قالوا عن الإسلام ، ص7.
- (3) د.عبدالحليم محمود : أوروبا والإسلام ، ط4 دار المعارف ، مصر ، دبت ، ص51، 52.
- (4) د.على جريشة ، د.محمد الزيبيق : أساليب الغزو الفكرى ، ط3 - 1399 هـ، 1979م، دار الاعتصام، ص28.

عليهم ، وقد حكم النبي (ﷺ) بذلك : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكْذِبُوهُمْ، وَقُولُوا : " أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا " [البقرة: 136] الآية" (1).

وقد أعجبنى قول أحد الكتاب الصحافيين المعاصرين : "كما أن المسلمين فى غفلة عن أعدائهم فإنهم أيضا فى غفلة عن أصدقائهم ، فلم يهتموا بدعوة هؤلاء المنصفين للإسلام وتكريمهم والمساهمة فى نشر أفكارهم بكل وسائل النشر حتى تكون مَوْجَة الإنصاف قادرة على مَوْجَة العداة الظالمة" (2)

وإذا كان الأمر كذلك ، وأن هناك منصفين لديننا ولديننا محمد (صلى الله عليه وسلم) فلم لا نبدأ التواصل والحوار معهم ؟

### مقترحات للاستفادة من كتابات المستشرقين المعتدلين

1- **التواصل معهم** : وذلك عن طريق هيئات ومؤسسات أو جامعات تتواصل معهم فى شكل ندوات أو محاضرات أو حتى من خلال المكاتبات ، والحوار معهم .

" وليس هناك شك فى أن مثل هذا الحوار سيكون له أثره الإيجابى على كلا الجانبين، فمن ناحية سيكون دعما لمواقف هؤلاء المستشرقين وتقوية لجانبهم وتشجيعا لاتجاهاتهم بهدف أن تصبح هذه الاتجاهات المعتدلة فى يوم من الأيام تيارا عاما فى الغرب يكون له تأثيره الفعال فى تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام فى العالم الغربى ، ومن ناحية أخرى سيكون من نتائج هذا الحوار ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار استشراقية سلبية والتخفيف من حدة اندفاعهم وتقليدهم لهذه الأفكار وإعادتهم إلى المواقف الإسلامية الصحيحة" (3).

ومن أشكال الحوار معهم ما حدث من دعوة الهيئة العالمية لخريجي الأزهر (بجامعة الأزهر بالقاهرة) للمستشرقة الإنجليزية (كارين أرمسترونج) وإجراء حوار معها في ندوة جامعة .

- 
- (1) صحيح البخارى ، كتاب الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ، رقم 2684.
  - (2) رجب البنا : المنصفون للإسلام فى الغرب ، ص7.
  - (3) د.محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ط دار المعارف ، ديت، ص159.

**2- ترجمة كتبهم إلى لغات العالم العربى والإسلامى ، ونشرها فى هذه البلاد ، وذلك لمجابهة تلك الأصوات النشاز (أعنى أصوات المتعصبين منهم) التى انبرت لتشويه صورة الإسلام وتراثه .**

**3 - استخدام كتبهم فى نشر الإسلام ، سواءً فى ذلك كتب المسلمين منهم وكتب غير المسلمين الذين كتبوا عن الإسلام ، وهم وإن كتبوا بروح غريبة إلا أنهم كانوا أقرب إلى الموضوعية والنزاهة العلمية ، ولا ريب أن نشر آراء هؤلاء وكتبهم ستدفع الغربيين لإعادة النظر فى رأيهم عن الإسلام من جديد ؛ لأنها آراء كُتبت بأيدٍ غريبة، ولم يكتبها المسلمون .**

**4- إنشاء مواقع على شبكة الإنترنت لعرض الإسلام عليهم ، ولتعريفهم بسماحة الإسلام وموقفه السامح من الغرب .**

## الباب الأول:

مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر مونتجمريوات  
وكارين أرمسترونج ، ويشتمل على فصلين:

## الفصل الأول

مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر مونتجمريوات وتقويمها،  
ويشتمل على مبحثين :

## الفصل الثانى

مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر كارين أرمسترونج  
وتقويمها ، ويشتمل على مبحثين :

## الفصل الأول

مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر مونجمرى وات  
وتقويمها ، ويشتمل على مبحثين :

### المبحث الأول :

المصادر الإسلامية فى فكر وات ، وتقويمها .

### المبحث الثانى :

المراجع الاستشراقية في فكر وات ، وتقويمها .



المصادر الإسلامية في فكر وات  
وتقويمها .

### تعريف المصادر :

#### أولاً - المصدر لغة :

"الصَّدْرُ : أعلى مقدّم كل شيء وأوّلُه ، حتى إنهم ليقولون صَدْرَ النهار والليل، وصَدْرَ الشتاء والصيف . وصَدْرُ الأمر أوّلُه وصَدْرُ كل شيء أوّلُه وكلُّ ما واجهك صَدْرٌ" (1) . والمصدر : "ما يصدر عنه الشيء" (2) . ويقال : "صَدَّرَ كِتَابَهُ تَصْدِيرًا: إذا جَعَلَ لَهُ صَدْرًا ، وصَدَّرُ الْكِتَابِ : عُنْوَانُهُ وأوّلُه" (3).

فالكلمة إذن ، مبنية على الرجوع إلى أصل الشيء والأخذ من ينابيعه الأولى ، كما أنها تعنى أيضا: ردّ الشيء إلى أصله .

#### ثانياً - المصادر اصطلاحاً : "هى أقدم ما يحوى مادة عن موضوع ما" (4) .

أو هى : "الوثائق والدراسات الأولى منقولة بالرواية أو مكتوبة بيد مؤلفين ثقات أسهموا فى تطور العلم أو عاشوا الأحداث والوقائع أو كانوا طرفا مباشراً فيها أو كانوا هم الوساطة الرئيسية لنقل وجمع العلوم والمعارفالسابقة للأجيال اللاحقة" (5).

فالمصادر على ذلك يكون لها فضل السبق على غيرها ، كما أنها أقرب وسيلة لمعرفة الحدث لقربها الزمنى منه ، فليس كل ما يرجع إليه الباحث يُسمى مصدرًا ؛ وهذا ما جعل بعض العلماء يفرقون بين المصادر والمراجع على النحو التالى :

- (1) ابن منظور : لسان العرب (445/4) .
- (2) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (510/1) .
- (3) الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس (298/12) .
- (4) د محمد عبدالمنعم خفاجي: البحوث الأدبية - مناهجها ومصادرها، ط2 دار الكتاب اللبناني - بيروت 1987م ، ص75 .
- (5) د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية ، ط3 دار الشروق 1406هـ ، 1986م ، ص39 .

فالمراجع " هي التي تعتمد في مادتها العلمية أساسا على المصادر الأصلية الأولى ، فتعرض لها بالتحليل أو النقد أو التعليق أو التلخيص ..... ويذهب البعض مذهباً آخر وهو أن كلمة المراجع كل ما رجع إليه الباحث أثناء بحثه فأفاد منها فائدة ثانوية" (1) .

وهذا يعني أن الكتب الحديثة تسمى مصادر ثانوية أو مراجع ، بينما تسمى الكتب الأصلية المتقدمة زمنياً والضاربة بأعماقها في التاريخ مصادر .

ولهذا جعلت المبحث الأول من هذا الفصل تحت عنوان : المصادر الإسلامية ، بينما جعلت المبحث الثاني تحت عنوان : المراجع الاستشراقية ؛ وذلك نظراً لتقدم المؤلفات الإسلامية على المؤلفات الاستشراقية بزمن طويل ، وكذلك حتى لا أعطى الكتب الاستشراقية نفس أصالة الكتب الإسلامية .

(1) د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمى ومصادر الدراسات الإسلامية ، ص 39-40 .

### قديمًا قيل : الفضل للمبتدى وإن أحسن المقتدى..

من الطبيعى أن يكون للباحث سنده فيما يكتب ويقول ، ومن الطبيعى كذلك أن تأتى أفكاره وإبداعاته وليدة المصادر التى اعتمد عليها والمراجع التى رجع إليها فى كتابة بحثه . وما من شك فى أن مصادر أية دراسة هى أحد معايير الحكم عليها ، وأولى عوامل نجاحها .

فما هى المصادر التى اعتمد عليها وات فى دراسته للسيرة النبوية ؟

تنقسم مصادر وات التى اعتمد عليها إلى قسمين ، هما :

**مصادر إسلامية .**

**مراجع استشراقية .**

## المصادر الإسلامية :

### 1- القرآن الكريم (\*):

والقرآن الكريم هو المصدر الأول الذى اعتمد عليه وات ، وهذا ما صرَّح به وات نفسه حين قال : "المصادر الرئيسية عن حياة محمد (ﷺ) هى القرآن الكريم ، أو الكتاب الذى يضمُّ الوحي الذى تلقاه من الله" (1).

ومن الملاحظ أن وات لم يكن أمينًا فى استخدام القرآن الكريم والأخذ منه ، فلقد كان استشهاده بآيات القرآن الكريم انتقائيا .

فإذا لم تصادم الآية القرآنية فكرة عنده قبلها واستشهد بها ، وإذا صادمت فكرة لديه أو شبهة يُرَوِّج لها استبعادها ولم يُشر إليها كما فعل عند حديثه عن عالمية رسالة الإسلام ، فقد قال بإقليمية دعوة الإسلام ؛ بناءً على استنباطات مادية بحثة ولم يذكر آية واحدة من آيات العالمية - على كثرتها وشهرتها - بل تعامى عنها بالكلية .

---

(\*) سيأتى التعريف بالقرآن الكريم تفصيلاً فى الباب الثالث ، فى أول مبحث / الوحي ومعجزة القرآن .  
(1) مونجمرى وات : محمد فى مكة ، ترجمة : د. عبدالرحمن الشيخ ، حسين عيسى ، مراجعة : د. أحمد شلبي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م ، ص 41 . وهذا الكلام لم يلتزم به وات ، وإنما قاله ليكسب عاطفة القارئ بدليل أنه سينقضه كله على مدار هذا البحث

ولا مبرر للقول بأن وات لم يَمُرَّ على آيات العالمية فى القرآن ؛ لأن كثرة استشهاده بآيات القرآن فى كتابيه (محمد فى مكة ، ومحمد فى المدينة) تؤكد على أنه قرأ - على الأقل - ترجمة كاملة لآيات القرآن الكريم ، وقد صرَّح وات بذلك قائلاً : "وقد أخذت معظم استشهاداتي القرآنية من ترجمة (ريتشارد بل)\* للقرآن" (1).

وما فعله وات فى قضية (العالمية) ، فعله فى قضية (أمية النبى) ، فقد قال بعدم أميته (ﷺ) وأعرض - عمدًا - عن الآيات التى تؤكد على أميته (ﷺ) .

هكذا كان استخدام وات انقائياً لآيات القرآن الكريم .

وبهذا يلتقى وات مع إخوانه المستشرقين على كلمة سواء ، فقد "استخدم المستشرقون الأوائل على وجه العموم خطة عملية فى تناولهم للإسلام ، تهدف إلى تشويه صورته ، والتشكيك فى مصداقيته ، فاستهدفوا القرآن الكريم باعتباره قاعدة الإسلام الكبرى الذى اجتمع عليه العرب وأحبوه ودانوا لله بحبه" (2).

وقد رجع وات إلى القرآن الكريم من خلال مطبوعين ، هما :

"أولاً : ترجمة (ريتشارد بل) للقرآن الكريم ، الذى نشر فى جزأين (1937 - 1939م) فى أدنبرة فى بريطانيا ، غير أن (ريتشارد بل) فعل شيئاً آخر غير الترجمة ، لقد أعاد ترتيب السور والآيات حسب النزول ، الأول فالأول .  
ثانياً : كتاب (ليون كيتانى)\*\* الذى حاول ترتيب أحداث السيرة النبوية عاماً فعاماً ، وربط ترتيبه هذا بالآيات القرآنية" (3)\*\*\* .

---

(\* ) ريتشارد بل : من رجال الدين ، وهو أستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة ، اشتهر برجاحة العقل ، ورعاية الصدر ، وقد صرف سنين كثيرة فى دراسة القرآن الكريم وتاريخه دراسة وافية متوالية . ومن مؤلفاته :

أسلوب القرآن ، المتشابه في القرآن ، أهل الأعراف ، أصل عيد الأضحى ، رؤى محمد ، محمد والرسول السابقون ، الأذان الإسلامي . انظر : نجيب العقيقي : المستشرقون (93/2 ، 94).

(1) مونجمرى وات : محمد في مكة ، ص39.

(2) د. محمد محمد أبو ليلة : القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي — دراسة نقدية تحليلية — ط1 ، دار النشر للجامعات ، مصر ، 1423هـ ، 2002م ، ص401.

(\*\*) الأمير ليون كيتاني (1869 — 1926م) ، ولد في روما وتخرج من جامعتها ، تعلم سبع لغات منها العربية . تقلد سفارة إيطاليا في أمريكا ، وسافر إلى الهند ومصر وسوريا ولبنان . اعتبر أكبر مستشرق في التاريخ العربي ، ومن مؤلفاته : حوليات الإسلام في خمسة مجلدات ، وسيرة الرسول ، ونمو الشخصية الإسلامية ، وانتشار الإسلام وتطور الحياة . انظر . نجيب العقيقي : المستشرقون (429/1).

(3) مونجمرى وات : محمد في مكة ، مقدمة المترجم ، ص10، 11 .

(\*\*) وسأبين بالتفصيل — إن شاء الله — ما في هاتين الترجمتين من ضلال في ص 36 ، 66 .

ومما يدل على عدم أمانة وات في التعامل مع القرآن الكريم وافترائه عليه ما يلي :

#### أ - قوله بإقليمية الإسلام :

إن وات لم يذكر آية واحدة من آيات العالمية التي ورد ذكرها كثيرًا في القرآن ، ولم يزد على أن قال : " لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يعتبر نفسه نبيا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش أو لقريش فقط ، ولم تكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنه فكّر في مدّ رسالته للعرب كافة" (1).

#### ب - القول بتأثر النبي (ﷺ) بالسابقين :

يقول وات : " وقد يوافق المؤرخ أيضاً أن محمداً قبل أن يتلقى الوحي ، كان قد سمع بعض القصص من أشخاص مزعومين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التهمة" (2).

والحق أن القرآن الكريم طالما نفى هذه التهمة عنه (ﷺ) كما في قوله تعالى :

"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . الفرقان 4-6" .

وقوله تعالى : "وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ

وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " النحل 103 ."

ج - يعلق وات على هذه الآية : " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا . النساء 3 " ، فيقول : "المسألة المهمة هي أن الآية لا تعين حداً لتعدد الزوجات " (3).

مع أن الآية صريحة في الدلالة على تحديد الحدِّ الأقصى للزواج بأربع نسوة . وهكذا فقد أظهر وات أنه كان يقوم بليِّ أدْرُع الآيات القرآنية لينتزع منها تأييداً لأرائه المسبقة .

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 274.

(2) السابق ، ص 261 .

(3) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ترجمة : شعبان بركات ، ط المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، دت، ص 419 .

## 2 - الحديث النبوى :

المصدر الثانى من مصادر دراسة (وات) للسيرة النبوية هو الأحاديث النبوية ، وقد صرّح وات بذلك حين قال : "كما يجدر بنا أن نذكر أيضاً مجموعات الأحاديث أو الروايات المختلفة لأقوال وأفعال محمد (ﷺ) ، مثل: صحيح البخارى ومسلم ، ومسند أحمد بن حنبل ، فإن هذه الكتب تحتوى على مادة تُهم المهتم بالتاريخ " (1).

وقد رجع وات إلى صحيح البخارى فى بعض المواضع من كتبه ، وعلى سبيل المثال فى كتاب (محمد فى المدينة) ص 433 .

كما رجع إلى مسند الإمام أحمد فى بعض المواضع ، وعلى سبيل المثال ، فى كتابه (محمد فى المدينة) ص 377 ، بينما ، لم يُشر وات إلى أيِّ من كتب السنة الأخرى .

والسؤال هنا : هل تعامل وات مع مصادر الحديث النبوى بأمانة؟؟ الجواب .. لا .

وأضع بين يدي القارئ الكريم مثالا واحداً على تحريفه لبعض الأحاديث ؛ وذلك لأننى سأفصّل ذلك بالأمثلة تفصيلاً عند الكلام على منهج التحريف عند وات (\*) (فى مبحث : "خصائص منهج وات فى دراسة السيرة النبوية " ، ومن أمثلة تلاعبه بالنصوص النبوية ، ما يلى : "نهى النبى (ﷺ) عن الشغار . وَالشِّغَارُ أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَىٰ أَنْ يُزَوِّجَهُ الْآخَرَ ابْنَتَهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ " (2).

فقد حرّف وات الحديث وجعله كالاتى : "دافع النبى عن الشغار" ، يقول وات :

"ونعلم من الأخبار أن محمداً دافع عن الشغار، وهو أن يتبادل رجلان أو جماعتان من الرجال بدون مهر بناتهم أو أخواتهم من أجل الزواج"(3).

وهذا مثال واضح على طريقة وات فى التعامل مع النصوص النبوية .

وربما كان اختيار وات لهذين المصدرين (صحيح البخارى ، ومسند أحمد) لتوافر ترجمتهما ، أو لأنه استطاع الحصول عليهما دون سواهما ، وعلى أية حال فقد كان وات مؤفقا فى اختيار مصادره ، لكنّ تعامله مع النصوص وتحريفه لها هو الذى ذهب بحسن اختياره .

---

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص42.

(\* ) انظر الكلام على منهج التحريف عند وات فى ، ص128 وما بعدها .

(2) صحيح البخارى : كتاب النكاح ، باب الشغار ، رقم 5112.

(3) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص433.

ولقد استخدم وات الأسلوب الانتقائى أيضا أثناء تعامله مع الأحاديث النبوية ، كما فعل مع القرآن من قبل ، فمن ذلك :

1- حينما تعرض للحديث الذى تناول مسألة (الأمية) ، فأهمل تماما رواية البخارى المشهورة التى قال النبى (ﷺ) فيها (ما أنا بقارئ) ، والتى تدل صراحة على أنه كان أميا ، واختار الرواية التى وردت فى بعض كتب السيرة ، والتى فيها أن النبى (ﷺ) قال : (ما أقرأ) .

ولأن وات لا يقول بأمية النبى (ﷺ) ، فقد جعل (ما) فى قوله (ما أقرأ) استفهامية ، ولم يجعلها نافية ؛ لأن كونها استفهامية ، تقوى - حسب زعمه - القول بقدره النبى (ﷺ) على القراءة ؛ ولأنها حينئذٍ تعنى : ماذا تريد منى أن أقرأ ؟ .

وهذا التأويل فيه تعسف شديد كما أنه مخالف لرواية البخارى الأصحّ ، وهى قوله : (ما أنا بقارئ) والتى تنفى علم النبى بالقراءة ؛ ولذلك رجّح وات رواية (ما أقرأ) ، وفسرها على أنها تعنى : ماذا أقرأ ، فقال :

"وهذا هو المعنى الأصلى . غير أن بعض الفقهاء المتأخرين ألحوا على عجز محمد عن القراءة كتأكيد لعقيدة إعجاز القرآن ؛ ولذلك نجد روايات تبدلت فيها الكلمات ليعنى قوله (لا أستطيع القراءة) (ما أنا بقارئ) . وهكذا استُغلت القصة لتأييد نظرة فقهية"(1).

2- ويذكر وات رواية الزهري : "وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَنَزَّ حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا بَلَّغْنَا ، حُزْنَا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبْدَى لَهُ جِبْرِيْلُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيَسْكُنُ لِدَلِّكَ جَأْشُهُ ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ ، فَيَرْجِعُ ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَنَزَّ الْوَحْيُ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبْدَى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ" (2).

ويُصِرُّ وات على إبراز هذه الرواية ؛ لأن ظاهرها يساعده على زعمه بأن النبي (ﷺ) قد أصابه اليأس والقنوط ، ولأن القارئ العادي (العربي، والغربي) تخفى عليه علة هذه الرواية ، ويصعب عليه فهمها فهما صحيحا وربما انطلت على الكثيرين .

- 
- (1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص514، 515 ، ونفس المعنى في : محمد في مكة ، ص13.  
(2) صحيح البخاري ، كتاب التعبير ، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ، رقم : 6982 ، وقد ذكر وات هذه الرواية في كتابه : محمد في مكة ، ص 104 .

### 3- كتب السير والمغازي:

وقد اعتمد وات كذلك على بعض كتب المغازي والسير ، وهي كالاتي :

سيرة ابن إسحاق\* مع ابن هشام\*\* ، ومغازي الواقدي\*\*\* وطبقات ابن سعد\*\*\*\*

---

(\*) هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، ولد سنة ثمانين للهجرة. انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1405 هـ / 1985 م ، (33/7 ، 34) ، ويقول فيه الذهبي أيضا : "كان صدوقا، من بحور العلم ، وله غرائب في سعة ما روى تستنكر ، واختلف في الاحتجاج به ، وحديثه حسن ، وقد صححه جماعة". انظر : محمد بن أحمد بن الذهبي ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تحقيق محمد عوامة ، أحمد محمد نمر الخطيب ، ط1 دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن - جدة ، 1413 هـ - م 1992 (156/2) .

(\*\*) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، شرح سيرة رسول الله (ﷺ) ، مشهور بحمل العلم ، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة ، وتوفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين ، رحمه الله تعالى ، وهذا ابن هشام هو الذي جمع

سيرة رسول الله (ﷺ) من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبه ولخصها" . انظر : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلکان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس : دار صادر - بيروت ، ط1 ، 1994م (3/ 177).

(\*\*\*)الواقدي ، هو : محمد بن عمر الواقدي ، ولد ببغداد سنة ثلاثين ومائة ، ومات سنة سبع ومائتين ، قال النسائي: المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان ، ومحمد بن سعيد بالشام . قال إسحاق هو- يعني : الواقدي - عندي ممن يضع الحديث.وقال البخاري : سكتوا عنه ، ما عندي للواقدي حرف ، وما عرفت من حديثه ، فلا أقنع به،استقرّ الإجماع على وهن الواقدي . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء بتصرف (457/9) .

(\*\*\*\*)محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البغدادي : ولد بعد الستين ومائة ، وقيل: مولده في سنة ثمان وستين، ومحمد بن سعد من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه، فإنه يتحرى في كثير من رواياته ؛ ولعل مصعباً الزبيري ذكر ليحيى عنه حديثاً من المناكير التي يرويها الواقدي فنسبه إلى الكذب. وقد قال بن أبي حاتم الرازي: سألت أبي عن محمد بن سعد، فقال: يصدق جاء إلى القواريري وسأله عن أحاديث فحدثه. انظر : سير أعلام النبلاء بتصرف (664/10) .

### القيمة العلمية لسيرة ابن إسحاق

"للعلماء بعض المآخذ على ابن إسحاق ، خلاصتها أنه صدوق في الرواية / وكان يدلّس ، وهو إمام في المغازي بلا نزاع وريب"(1) .

ويقول فيه الذهبي : "له ارتفاع بحسبه ، ولاسيما في السير ، وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحيح إلى رتبة الحسن إلا فيما شذ فيه ، فإنه يعد منكرًا"(2) .

ومما سبق يتضح أن ابن إسحاق موثق في السير والمغزى ، وأن ما قيل فيه من جرح ففي مسائل وأحاديث الأحكام فقط .

ويكفي ابن إسحاق توثيقاً لسيرته أنه لم يذكر في كتابه شيئاً عن فرية الغرائيق التي ردّها الكثيرون من أهل السير ، وبالجملة فإن مادحيه أكثر من ناقيه .

وأما ما روى من أنه كان مدلساً ، فلا يوجب ذلك رد رواياته كلها؛ لأن " التدلّيس من القادح وغير القادح، ولا يُحمل ما وقع هاهنا من مطلق التدلّيس المقيد القادح في العدالة"(3).

وقد لاحظ أحد الباحثين المشتغلين بهذا الفن ، والمهتمين بتنقية التراث الإسلامى من الضعيف والمدسوس أن سيرة ابن إسحاق مقارنة بغيرها " أدق وأوثق ، وتتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث فى كثير من الجوانب" (4) .

- 
- (1) ابن إسحاق :السيرة النبوية - مقدمة المحقق ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، ط1 دار الكتب العلمية - بيروت ، 1424هـ ، 2004م ، ص 6 .  
(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء (41/7) سابق .  
(3) ابن هشام : السيرة النبوية ، مقدمة المحقق : مصطفى السقا وآخران ، ط2 مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، 1375هـ ، 1955م (15 ، 16) .  
(4) د أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ط6 مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة 1415هـ ، 1994م ، ص42 .

## القيمة العلمية لسيرة ابن هشام

إن سبب شهرة سيرة ابن إسحاق هو ابن هشام نفسه ؛ وذلك بتهديبه وتلخيصه لها ، وتعليقاته الكثيرة عليها ، وحذفه منها ما لا يتعلق بسيرة الرسول (ﷺ) ، ونظرته النقدية لما فيها .

وأستطيع القول : إن سيرة ابن إسحاق مع تهذيب ابن هشام لها ، عملاً يُظهر كل منهما بهاء الآخر ونضارته ، وكأن الله تعالى "قد شاء لهذه السيرة (سيرة ابن هشام) أن تصبح الأصل الأول (بعد القرآن والسنة) لكتابة التاريخ النبوى، فقد تضمنت من آيات القرآن وأحاديث الرسول (ﷺ) وأقوال الصحابة والتابعين ما انتظمت منه هذه السيرة على نحو متسلسل ؛ ليسهل استيعابه فى غير جهد لدى الباحثين" (1).

وقد قدّمت هذه السيرة للإسلام خدمة جليلة حين لم تذكر شيئاً عن فرية الغرائيق التى اكتظت بها بعض مصادر السيرة الأولى ؛ فكان ذلك أدلّ دليل على خلوها ممّا شاب غيرها من أضرابها وتُرّها .

(1)د. محمد رجب البيومي : السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين – مناقشات وردود - سلسلة قضايا إسلامية معاصرة ، رقم 10، ط الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية - الأزهر الشريف - مصر ، دبت ، ص35.

### القيمة العلمية لمغازى الواقدي

"لقد وقف المحدثون وعلماء الجرح والتعديل من الواقدي مواقف متباينة انتهوا منها إلى أمر يهمننا هنا ، ألا وهو معرفته بالمغازى والسير ، وعدم الاعتماد عليه فى رواية الحديث والحلال والحرام"(1) .

يقول الذهبى فيه : " جمع فأوعى، وخط الغث بالسمين، واخرز بالدر الثمين ؛ فاطرحوه لذلك . ومع هذا فلا يُستغنى عنه فى المغازى وأيام الصحابة وأخبارهم"(2) .

وقد لاحظ أحد المهتمين حديثا بدراسة الأسانيد أن الواقدي فى مغازيه كان " يسوق روايات كثيرة من طرق فيها رجال لا نجد لهم تراجم فى كتب علم الرجال"(3) .

وهذه الأقوال السابقة تفدح في الواقدي وكتابه ، وتصرح بأنه كان يخلق أسماءً وهمية لرجال على أنهم رواة ؛ وهذا ما جعل المحثين يعزفون عن مروياته ، بل ويُحذرون غيرهم من الأخذ منه .

"ولعل قول من اتهمه بذلك لما رأى من كثرة غرائبه ومروياته ، ولعل منهج الواقدي يستلزم كثرة الغرائب والانفراد بمرويات لا يرويها غيره" (4) .

ومما يذكره التاريخ للواقدي أنه أول من رَوَّج لفرية الغرائيق ورواها في كتابه هذا ، فكان من بعده عيالا عليه في ذكرها ؛ وبذلك أعطى الواقدي سلاحا حادا للمستشرقين لمحاربة الإسلام - دون أن يقصد طبعاً - .

(1)د. فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقييمها ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، دت ، ص94.

(2)الذهبي : سير أعلام النبلاء (9 / 454، 455) .

(3)د. أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ص61 .

(4)د. عبدالعزيز بن سليمان بن ناصر السلومي : الواقدي وكتابه المغازي ، منهجه ومصادره ، ط1 ، مطبوعات الجامعة الإسلامية (1 / 132) ، وهذا الكتاب بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

## القيمة العلمية لطبقات ابن سعد

يقع هذا الكتاب في عشر مجلدات ، خصص مؤلفه أول مجلدين منه للسيرة النبوية ، فالكتاب مرجع للسيرة والطبقات معا .

جاء في وفيات الأعيان : " كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء، صحب الواقدي المذكور قبله زمانا وكتب له فعرف به ، وسمع سفيان بن عيينة وأنظاره، وروى عنه أبو بكر ابن أبي الدنيا وأبو محمد الحارث بن أبي أسامة التميمي وغيرهما وصنف كتابا كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة ، وله طبقات أخرى صغرى، وكان صدوقا ثقة . ويقال اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس: أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتابة ، كتب الحديث والفقهِ وغيرهما. وقال الحافظ أبو بكر الخطيب صاحب " تاريخ بغداد " في حقه ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير

من رواياته ، وهو من موالى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد  
المطلب "(1).

### منهجه :

"لقد برزت شخصية ابن سعد النقدية فى كتابه ، فهو لم يكن ناقل أخبار وسارد  
تراجم بل هو الناقد المتبصر سواء أكان بالنصوص التى ينقلها أو بأحوال الرجال  
الذين دونهم فى كتابه ، وقد تنوعت معرفته النقدية بمجالات شتى ، فقد اعتنى ببيان  
أحوال الرجال ومعرفة درجاتهم سواء المعدلين منهم أو المُجرحين "(2) .

ومع ذلك فالكتاب كغيره من كتب السيرة ، فيه الصحيح والضعيف ، بل والموضوع  
أحيانا .

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، سابق (352/4) .

(2) محمد بن أحمد الأزورى : منهج ابن سعد فى نقد الرواة من خلال كتابه الطبقات  
الكبرى – رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية ، سنة  
1422هـ (1/ 35) .

### نماذج من افتراءات (وات) على كتب السير والمغازى :

لقد افترى وات على كتب السيرة كثيراً ، وحملها مالا تحتمل ، ومن ذلك :

1- يقول ناسباً القول إلى ابن هشام ، ومغازى الواقدى : إن ابن سلول "كانت قد  
تقدمت به السن ليصبح مسلماً متحمساً ، وكان فى بعض الأحيان يعبر عن  
استيائه"(1).

وهذا الكلام – بعد التقصى – غير موجود فى سيرة ابن هشام ، ولا فى مغازى  
الواقدى .

2- ويقول عن ابن سلول أيضاً : "ولكنه كان مع ذلك مسلماً ، فرفض فى الحديبية  
الذهاب إلى مكة للحج حين سمحت له به قریش بينما رفضته لسائر المسلمين "(2).

ويعزو هذا الكلام إلى سيرة ابن هشام ومغازى الواقدي ، بل ويدّعى أن هذين المصدرين فيهما دليل على أن ابن سلول كان موجودًا فى صلح الحديبية (3).

### نماذج من افتراءات (وات) على كتاب الطبقات الكبرى :

وتجدر الإشارة هنا إلى أن وات لم يكن أمينًا فى تعامله مع هذا الكتاب ، ومما يدل على ذلك قوله : "ويقال بأن محمدًا لعب لعبة البصق مع أحد الأطفال" (4) ، ثم ينسب (وات) هذا الكلام فى هامش كتابه إلى طبقات ابن سعد .

والحق أنه لا وجود لهذا الخبر فى كتاب ابن سعد ، ولو وُجد لما ساغ قبوله لتعارضه مع مقام رسول الله (ﷺ) .

أما إن كان وات يقصد ما جاء فى الطبقات الكبرى من أن الرسول (ﷺ) بصق فى عين على بن أبى طالب فى غزوة خيبر ؛ لمّا أصابه رمد ، وأعطاه الراية " (5).

فإن تغيير سياق القصة على هذا النحو يُعدُّ تحريفًا وتزييفًا .

---

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 283 ، 284 .

(2) ، (3) السابق ، ص 284 .

(4) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 492

(5) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 1 دار صادر - بيروت ، 1968 م (111/2).

### 4- كتب التاريخ الإسلامى :

وقد اعتمد وات على كتب التاريخ الإسلامى ، وقد اختار من بين هذه الكتب ، تاريخ الرسل والملوك للإمام الطبرى (\*) .

### القيمة العلمية لتاريخ الطبرى

الإمام الطبري مشهور بسرده لجميع الروايات المتعلقة بالموضوع الذي يتكلم فيه ، وهو مع سرده للروايات الكثيرة ، يذكر الدخيل والضعيف وما يتعارض - أحيانا - مع العقل والنقل ، كذكره لشبهتي الغرائيق ، وزواج النبي (ﷺ) من السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها .

وهذا ليس شأن تاريخ الطبري وحده ، بل شأن معظم كتب التاريخ القديمة :

"فكم حوت مراجع التاريخ مبالغات وتشويهات وتحريفات تكذيبها الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلة الناصعة في مصادر أخرى .... ثم يجئ المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعجرها وبجرها ، ويقولون : نحن لم نجد عن الطريقة العلمية ، فمصدرنا ، الواقدي ، أو الطبري ، أو ابن الأثير ، جزء كذا ، صفحة كذا . وهكذا يصنع المستشرقون"(2).

---

(\* أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير ، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وجزارة فضله ، وكان من الأئمة المجتهدين ، لم يقلد أحدا . انظر . ابن خلكان : وفيات الأعيان . (191/4) .

(2) د. يوسف القرضاوى : تاريخنا المقترى عليه ، ط1 ، دار الشروق 2005م ، ص231 .

## الضوابط التي وضعها الطبري لتاريخه

**أولاً-** ما من شك في أن الإمام الطبري - يرحمه الله - حين خلط الغث بالسمين ، والصحيح بالضعيف ، والمقبول بالمموج ، لم يفعل ذلك عن سوء نية وخبث طوية "فقد كان المفهوم العام لجامع الأخبار التاريخية أن يسرد كل ما انتهى إليه بإسناده ؛ إذ ليست مهمته حينئذٍ فحص الأخبار وتمحيص الأحداث ، ولكن مهمته هي تتبع كل ما يستطيع الحصول عليه من أنباء لدى من يثق فيهم ؛ لأن الأخبار لديه (الطبري) تُعرف بالنقل لا باستنباط الفكر ، والحجج العقلية"(1).

**ثانياً-** أن الإمام الطبري - يرحمه الله - لم يكن يتبع المنهج العقلي في هذا الكتاب ، وإنما كان يتبع المنهج النقلى ، فحشد فيه ما استطاع من الروايات التاريخية التي رأى أنها تخدم الموضوع الذي يتناوله بالدراسة .

**ثالثاً-** كما أنه لم يستخدم المنهج النقدي في هذا الكتاب ، ولو أراد - يرحمه الله -  
لفعل، ولخرج كتابه أفضل ما يكون .

**رابعاً-** ومما يدل على حسن نية الإمام الطبرى ويرفع الحرج عنه ، أنه بيّن منهجه  
في بداية كتابه ، فقال :

"فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو  
يستشعنه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ،  
فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما  
أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا"(2).

وواضح من كلامه - يرحمه الله - أنه كان يعلم أن كثيراً من قارئى كتابه سينكرون  
عليه أشياء ، وواضح أيضاً أنه لم يدّع أن كتابه هو أصح كتاب فى بابهِ . وهذا فى  
حدِّ ذاته إنصاف منه .

"وبالتالى حَمَل (الطبرى) رواته التبعة ، وحَمَل بالتالى دارس كتابه أن يفتش عنهم  
فى كتب الرجال ومصادر الجرح والتعديل "(3).

**هذا هو العذر الأول للإمام الطبرى - يرحمه الله -**

---

(1)د. محمد رجب البيومى : السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين ، ص21 .

(2)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعارف - مصر ،  
د.ت ، ( 8 / 1 )

(3)د. يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ، ط10، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1416هـ ، 1996م ، ص94 ،  
وانظر : د. يوسف القرضاوى : تاريخنا المفترى عليه ، سابق ، ص233 .

**"والعذر الثانى للإمام الطبرى فى عدم تمحيص ما رواه تاريخياً : أن الموضوع لا  
يترتب عليه حكم شرعى من تحليل أو تحريم أو إيجاب أو غير ذلك مما يتعلق به  
علم الفقه ، كما أنه لا يتصل ببيان كلام الله أو كلام رسوله (ﷺ) ، كما فى علم  
التفسير أو الحديث "(1).**

فإذا كان من المعلوم عند علماء الأصول أنه : لا إنكار فى المسائل المختلف فيها  
- هذا فى الأحكام الشرعية - فإنه من الأولى أن تُطبَّق هذه القاعدة فى روايات  
السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى التى لم يقطع فيها نصُّ قرآنى أو نبوى بصحة أو  
بُطلان .

**والعذر الثالث الذى ينبغى أن نلتمسه للإمام الطبرى أنه "لم يكن يخطر على باله أنه  
سيجئ اليوم الذى يوجد فيه أعداء للإسلام يقرأون كتابه بكل عناية ؛ باحثين عن  
براهين يؤكدون بها ما يزعمون من أن رسول الله (ﷺ) قد أَلَف القرآن بنفسه  
- والعياذ بالله - وأن القرآن كله ليس من عند الله . ولم يكونوا ليجدوا على زعمهم**

هذا دليلاً هو أنصع من هذا الذي أتاهم به الطبرى بصورة هي الغاية في الوضوح" (2).

ولأن الطبرى - يرحمه الله - عالمٌ فذوّ موسوعيّ ؛ فإن المستشرقين يتشبثون بما في كتابه من سقطات وهنّات ليطعنوا في نبى الإسلام من خلاله ، آخذين بمبدأ : لا يقطع الشجرة إلا أحد فروعها .

وهذا ما جعل البعض ينقّم على الإمام منهجه التجميعى في هذا الكتاب دون نقد .  
وهناك عذر رابع يذكره الأستاذ / محب الدين الخطيب (\*) - يرحمه الله - فيقول :  
"إن مثل الطبرى ومن فى طبقتة من العلماء الثقّات المثبتين ، فى إيرادهم الأخبار الضعيفة كمثّل رجال النيابة الآن ، إذا أرادوا أن يبحثوا قضية ما ، فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ؛ اعتماداً منهم على أن كل شئ يتقدّر بقدره ، وهم يروون كل خبر معزّواً إلى راويه ؛ ليعرف القارئ قوة الخبر أو ضعفه من منزلة راويه العلمية ، وبذلك يرون أنهم أدّوا الأمانة" (3).

(1) د. يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ، ص 95 .

(2) د. حسين مؤنس : تنقية أصول التاريخ الإسلامى، ط1، دار الرشاد - القاهرة - 1417هـ ، 1997م ، ص12  
(\*) ولد فى بلاد الشام فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حيث ولد سنة 1886م ، ووالده الشيخ أبيوالفتح الخطيب ، وجدده الشيخ : عبدالقادر الخطيب ، وبداً تعلّمه الأولى فى دمشق وأتمه فى بيروت، وأما شيوخه الذى كان يجله كثيراً أو يذكره بخير دائماً فهوّ المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، ثمّ سافر رحّمه الله إلى استانبول والتحق هناك بكلبتي الحقوق والاداب وفى تلك الأثناء التقى بمجموعة من المثقفين العربّ الذين كانوا يدرسون فى استانبول ورأى منهم انهياراً فى شخصيتهم وذوباناً فى غيرهم وتزلفاً إلى غير العربّيّة والعرب ، فأسس جمعية النهضة العربّيّة، لتذكر العربّ بأصالتهم وبدورهم القيادي فى حياة البشرية . وبعد إتمام دراسته هناك عاد إلى دمشق ولكن لم يطلب له المقام فيها من جراء مضايقات بعض الجهات المسؤولة فسافر إلى بيروت ومنها إلى استانبول ثمّ قصد أخيراً إلى القاهرة، وحينما تأزمت الأوضاع فى الجزيرة العربّيّة وفى بلاد الشام وقّامت الثورة العربّيّة الكبرى التحق بها محب الدين وأشرف على تحرير جريدة القبلة التي كان يصدرها الشريف حسين (انظر : د. محمد عبدالرحمن برج : محب الدين الخطيب ودوره فى الحركة العربية، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م، ص 7 ، وانظر كذلك : ممدوح فخري : محب الدين الخطيب لمحات من حياته وقبسات من أفكاره ، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد الثالث - السنة الثانية - محرم 1390هـ، ص 142 ) .

(3) مجلة الأزهر ، صفر : 1372هـ ، نقل عن : د. محمد رجب البيومى : السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين ، ص 22 .

بل إن من العلماء من يرى أن طريقة الطبرى التى اتبعها فى تاريخه لها مزية جليلة للباحثين المجتهدين فى المجال التاريخى ، وهى :

" أنها قد حفظت لنا الوقائع كلها ، وما ورد فيها من أقوال ، فهى من هذه الناحية مصادر ثمينة للباحث المدقق الذى يأخذ على عاتقه مهمة التمهيص . ولكن عيبها بالنسبة للقارئ العادى وطالب العلم غير المتمرس ، أنها تغرقه فى خضم من الروايات والوقائع المتضاربة أو المتناقضة أحياناً ، لا يعرف لنفسه طريقاً للخلاص منها بنتيجة محددة ، ومن ثم لا تحقق له بغيته من قراءة التاريخ ودراسته ، فلا يملك الصبر ولا المقدرة الفنية التى يستطيع بها أن يمحص الروايات المختلفة ويرجّح بعضها على بعض" (1).

هذه بعض الفوائد من وراء حشد الروايات الكثيرة فى الموضوع الواحد ؛ فكثرة الروايات لها أهمية عند من يهتم بالتحقيق ، وهى - ولا شك - تضيف رصيذاً علمياً يخدم الموضوع المراد دراسته .

وما من شك فى أن وات قد استفاد من وجود هذه الشطحات والنتوءات غير المقصودة ، التى ذكرها الإمام الطبرى - يرحمه الله تعالى - فى تاريخه القيم .

### نماذج من افتراءات وات على تاريخ الطبرى :

1- يقول وات : "ويبدو أن محمداً نفسه لم يمارس يوم الصلاة هذا حتى الجمعة الأولى التى قضاها بالمدينة" (2).

إن وات يشير فى هامش كتابه إلى أنه أخذ ذلك الكلام من تاريخ الطبرى .

ومعنى كلامه : أنه (ﷺ) لم يُصلِّ الجمعة إلا لما ذهب إلى المدينة بعد الهجرة ؛ متأثراً باليهود فى عباداتهم .

2- ويشير إلى رواية الغرائيق قائلاً : "أورد لنا الطبرى نصاً من وثيقة مكتوبة ترجع لزمان مبكر، تشير كل الظواهر الى أنها وثيقة صحيحة" (3).

إن وات يستغل ورود هذه القصة فى تاريخ الطبرى ؛ لأنها تخدم غرضه فى إثبات هذه القصة الواهية .

---

(1) محمد قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامى ، ط1، دار الشروق ، القاهرة ، 1412هـ ، 1992م، ص12.  
(2) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص302 .  
(3) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص193 .

## **5- كتب التفسير :**

وقد اختار وات لبحثه من كتب التفسير : تفسير الإمام الطبرى المسمى (جامع البيان فى تأويل القرآن) .

وهذا التفسير يشوبه بعض ما فيه من غرائب وشواذٍ وشطحاتٍ .

"وقد أخذ على تفسير الطبرى : أنه يذكر الروايات من غير بيان وتمييز لصحتها من ضعيفها ، والظاهر: أنه من المحدثين الذين يرون أن ذكر السند ، ولو لم ينص

على درجة الرواية يخلى المؤلف عن المؤاخذة والتبعة . ولم يسلم تفسير الطبرى - على جلالة مؤلفه - من الروايات الواهية والمنكرة والضعيفة والإسرائيليات" (1).  
ومما أخذ على هذا التفسير أيضا أن فيه "أباطيل كثيرة يردُّها الشرع ، ولا يقبلها العقل" (2).

### نموذج من افتراءات وات على كتب التفسير :

يقول وات : "إن ابن السبيل هو الضيف ؛ إذ أن الضيف حين يقيم أكثر من الأيام الثلاثة التى يجب عليك فيها أن تقوم بوِّده ، تصبح الضيافة صدقة . ويصبح حسب هذا التفسير قرى الأنصار للمهاجرين قياما بواجب الكرم الذى يدعو إليه القرآن" (3).

ويشير فى هامشه إلى تفسير الطبرى .

إن وات بذلك يريد أن يقول : إن المهاجرين كانوا عيالاً أو متطفلين على الأنصار فى المدينة المنورة . وهذا محض افتراء على التفسير ، وكذب على الأئمة .

---

(1)د. محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ، ط4 ، مكتبة السنة ، 1408هـ ، ص123 .

(2)د. محمد حسين الذهبى : الإسرائيليات فى التفسير والحديث ، ط4 ، مكتبة وهبة 1411هـ ، 1990م ، ص99 .

(3)مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص394، 395.

## المبحث الثانى :

## المراجع الاستشراقية فى فكر وات ويشتمل على تسعة مطالب ، وهى :

- المطلب الأول : كتابات القس لامانس وتقويمها .
- المطلب الثانى : كتابات كايثانى وتقويمها .
- المطلب الثالث : كتابات ريتشارد بل وتقويمها .
- المطلب الرابع : كتابات نولدكة وتقويمها .
- المطلب الخامس : كتابات فلهاوزن وتقويمها .
- المطلب السادس : كتابات جولد زيهر وتقويمها .
- المطلب السابع : كتابات جوزيف شاخت وتقويمها .
- المطلب الثامن : كتابات فنسك وتقويمها .
- المطلب التاسع : كتابات بولين وتقويمها .



القسم الثانى من أقسام المراجع التى اعتمد عليها وات فى دراسته للسيرة النبوية ،  
هو المراجع الاستشراقية .

"إن المستشرقين قد اعتمدوا على سابقهم فى توثيق أبحاثهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين ، وهذا أمر وارد ؛ إذ أن المتأخرين من المستشرقين ينظرون لسلفهم من علماء المستشرقين نظرة إجلال وإكبار "(1).

ولا مريية أن اعتماد المتأخرين منهم على كتابات الأولين ، يُوقِعُهُم فى نفس أخطائهم، وهذا هو مكنم الخطر . ومن هنا ، فقد وقع (وات) فى هذه الأخطاء حين تبنى آراء بعض المستشرقين السابقين عليه واتخذ من كتاباتهم مصادر له .

---

(\* ) لقد كان من توجيهات الدكتور محمد شعيب أن يكون هذا المبحث فى تسعة مطالب وأن يكون على النحو الآتى ؛ وأن أذكر مؤلفات كل مستشرق وتقويمها فى مطلب واحد .  
(1) د. على بن إبراهيم الحمد النملة : الاستشراق والدراسات الإسلامية - مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرينهم - ، ط1 ، مكتبة التوبة ، الرياض ، 1418 هـ ، 1998 م ، ص 29 .

### المطلب الأول : كتابات القس لامانس (\*) ، وتقويمها

لقد اعتمد وات على بعض كتابات لامانس فى السيرة النبوية ، وهذا القسيس معروف بعدائه الشديد للإسلام ، وبعدم الموضوعية والأمانة فى البحث العلمى .

ومن المؤسف أن "شهرته العلمية قد خدعت الكثيرين فأحسنوا الثقة به مع أن إسناداته الكثيرة التي يثبتها في آخر كل صحيفة ، إنما هي من قبيل التمويه على القارئ ، والحقيقة أنها لا قيمة لها"(2).

كما أن دراساته تتسم بأنها "شديدة التعصب ضد الإسلام ، ويفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ، ويُعدّ نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين ..... وقد صنف في السيرة كتاب (مهد الإسلام) ، وكتاب (مكة عشية الهجرة) "(3).

وقد رجعت كثيراً إلى كتاب لامانس : (مكة عشية الهجرة) ، خاصة فيما يتعلق بالدعوة في الفترة المكية .

---

(\*الأب لامانس (1862 - 1937م) ، بلجيكي المولد ، فرنسي الجنسية ، انضم إلى الرهبانية سنة(1878م) ، وكان من أوائل خريجي جامعة القديس يوسف في بيروت حيث حصل على اللغة العربية ، ثم أصبح أستاذاً للبيان فيها ، ودرس اللاهوت في إنجلترا وتولى إدارة التبشير في بيروت ، ومن مؤلفاته : (سنّ محمد وتاريخ السيرة ، مهد الإسلام ، عبادة الأصنام ، في تاريخ الشرق الأدنى ... وغيرها ) . انظر : نجيب العقيلي : المستشرقون ، (293/3 ، 294).

(2)د. عبدالحليم محمود : أوروبا والإسلام ، ص128 .

(3)د. عبدالرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1993م ، ص503.

### افتراءات لامانس على الرسول (ﷺ) وسيرته

"لقد تحامل (لامانس) على السيرة النبوية تحاملاً شديداً زاعماً أن القرآن وحده هو الذي يُعتمد عليه في بيان السيرة النبوية . وأن كتب الحديث كلها موضوعة من أجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النبي (ﷺ) "(1).

وهذا ما فعله وات ؛ متأثراً بأستاذه (لامانس) حين تعرض لقضية أمية النبي (ﷺ)، فلقد اتهم وات علماء الحديث بتحريف النصوص النبوية ، فقال :

"ويكاد يكون من المؤكد أن أهل الحديث قد تجنبوا المعنى الطبيعي لهذه الكلمات (ما أقرأ) ليعززوا الاعتقاد بأن محمداً (ﷺ) لم يكن يستطيع الكتابة ، وهذا الاعتقاد جزء من إثبات الطبيعة المعجزة للقرآن"(2).

ومن افتراءات (لامانس) على الرسول (ﷺ) ، مقاله في أحد كتبه :

1- "كان محمد – رغم معايبه – (معاذ الله) يفتن البدوى الذى كان يرى ذاته فى شخص النبى العربى ، كما يدعو القرآن . وفى هذا التفاعل أو فى هذه المطابقة العامة بين محمد وبيئته ، نجد السر فى هذا السلطان الضخم الذى كان لمحمد على مواطنيه "(3).

2- كما ينفى (لامانس) اعتكاف النبى (ﷺ) وخلوته فى غار حراء للتعبد ، فيقول :

"كلا ، ليس هناك ما يثبت اعتكاف محمد وعزلته ، فذلك لا يتفق مع نفرة محمد من الوحدة وكراهيته المشهورة للنسك "(4).

3- ويظهر حقه على الإسلام من خلال كلامه :

"كان لمحمد شهوة قوية جداً ، وقد كثفت جسمه المذاث وخذرت أعضائه فأصبح مُهدداً بداء السكته "(5).

وهذه الاتهامات والأوصاف أبعد ما تكون عن سيدنا محمد (ﷺ) ، وهو منها براء .

---

(1)د. عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ص504 .

(2)مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص113 .

(3)لامانس : مهد الإسلام ، ص4، 5 ، نقلا عن : أتين دينيه ، سليمان بن إبراهيم : محمد رسول الله ، مقدمة د.عبدالحميد محمود للكتاب ، ط3 ، دار المعارف – مصر د.ت ص47 .

(4)لامانس : هل كان محمد صادقا ، نقلا عن : أتين دينيه ، سليمان بن إبراهيم : محمد رسول الله ، انظر : مقدمة د.عبدالحميد محمود ، ص47 .

(5)المرجع السابق ، نفس الصفحة .

أفبعد كل هذا الحقد الذى أظهره (لامانس) تجاه رسول الله (ﷺ) ، يمكن أن تُؤخذ آراؤه مأخذ الجدّ !!

إن قانون البشر يقضى بتجريح شهادة الخصم على خصمه ، وكان يُحتم قانون الإنصاف على وات أن لا يقبل شهادة (لامانس) على الرسول (ﷺ) ، أما وإن وات لم يكتف بقبول شهادته على رسول الله بل تبني بعض آرائه ، وعمل على نشرها .

## نماذج تؤكد اقتباس وات من كتب لامانس :

وعملى هنا هو جمع بعض الآراء التى اقتبسها وات من كتب لامانس (وهكذا فى بقية المصادر) دون المناقشة المطوّلة لها ؛ ولذا ستكون تعقيباتى على هذه الآراء سريعة ومختصرة .

كما أنه ليس بالضرورة أن تحمل الآراء التى اقتبسها وات من هذه المصادر شبهةً أو طعناً ، بل المهم أن يثبت أن وات قد اقتبس منها وجعلها مصادرَ لدراسته فى السيرة . وهذه نماذج من كتابات وات تؤكد اقتباسه من كتب لامانس .

1- يقول وات : " فكما ذكر لامانس (Lammens) أنه من بين أفكار البدو أن الثرى (صاحب الثروة) يبدو لهم ببساطة كمستودع للثروة (حافظ لها أو أمين عليها) أنه واضح يده بشكل مؤقت على ثروته ، وأن مهمته هى توزيعها عند الضرورة على أفراد قبيلته.. إنها وسيلته لإظهار كرمه وفداء الأسرى ودفع ثمن المديح الذى يقدمه الشعراء " (1).

2- ويقول ناسباً القول إلى (لامانس) : " وكان لأبى بكر بعض النفوذ بين عشيرته عند تحوله للإسلام ، لكنه لم يكن من القوة بمكان يجعله يحوّل عددًا كبيرًا من عشيرته إلى الإسلام . وكانت ثروته قوامها 40 ألف درهم عندما أسلم ؛ مما يدل على أنه لم يكن تاجرًا كبيرًا" (2).

وهذا غير صحيح ، فقد اشترى أبو بكر كثيرًا من العبيد ، وأنفذهم من برائن كفار مكة وأعتق معظمهم ؛ مما يدل على أنه كان ذا مال .

وأضع أمام القارئ شهادة القرآن الكريم والسنة النبوية لأبى بكر بالسعة والغنى .

---

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 157، 158 .

(2) السابق ، ص 177 .

يقول تعالى : " وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . سورة النور : 22" .

وقد أكّدت السنة المطهرة نزول هذه الآية فى أبى بكر الصديق ، كما جاء فى البخارى فى حادث الإفك (1).

ويقول ربنا: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . سورة الليل: (5-7).

قال ابن جرير: " وُدُّر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) " (2) .

3- وينقل وات عن لامانس قوله : " فكلمة (سيد) تطلق عادة على زعيم قبلى " (3).

4- يشير وات - بعد الكلام على غزوة بدر - إلى قوله تعالى :

"وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنْفَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الأنفال : 41".

ثم ينسب إلى لامانس قوله : "أما الآية التي تقرر أن خمس الغنيمة لمحمد ربما نزل الوحي بها رأسا بعد بدر ، فهي تشير إلى أن هذا الخمس، جزء منه لخير الأمة" (4)

وقد لاحظت أن وات قد نقل معظم هذه الاقتباسات من كتاب للقس (لامانس) يحمل عنوان (مكة عشية الهجرة) ، وكتاب آخر له بعنوان : (الإسلام) . وكلا الكتابين - حسب علمي - لم يُترجما إلى العربية .

(1) صحيح البخارى ، كتاب تفسير القرآن ، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات، بأنفسهم خيرا ، رقم : 4750 .

(2) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامى بن محمد سلامة ، ط2 دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1999م (420/8) .

(3) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص303 .

(4) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص353 .

سبق أن ذكرت آراء العلماء في كتابات لامانس عن الإسلام والسيرة النبوية ؛ فتبين من خلالها أن دراساته لم تتسم بشئ من الموضوعية والجدية بل امتلأت بالتعصب الأعمى .

"وقد بالغ في التعصب على الإسلام حتى أعلن المنصفون شكهم في أمانته العلمية وقالوا: إنه لا ينسى عواطفه فيما يكتب عن النبي والإسلام , وقد عُرف بتهكمه على النصوص العربية كما وصف بإرهاقه للنصوص وتحميلها أكثر مما تحتمل , فإذا وجد في الإسلام موضعاً للفضل ذهب بنسبته إلى مصدر غير إسلامي، ووصف بالراهب المؤرخ وأخذ عن جولد زيهر ونولدكه وكيثاني وفلهوزن وله كتاب عن حياة محمد لم توافق دوائر الفاتيكان على نشره خشية أن يؤدي إلى احتجاج الأمم الإسلامية لما فيه من طعن وتهجم , وله كتاب ( فاطمة وبنات محمد) وكتابه : ( الثلاثة : أبو بكر وعمر وأبو عبيدة )" (1).

ومما يدل أيضاً على تعصبه الممقوت حين يكتب عن الإسلام ورسوله (ﷺ) وأنه لا ينسى عاطفته وديانته كراهب مسيحي - أن وات نفسه قال عنه :  
" وقد انتهى هنري لامانس Henri Lamans في دراساته إلى أنه كاد يرفض تماماً أحداث الفترة المكية . ولكن العلماء الذين جاءوا بعده يعتقدون بشكل عام أنه قد بالغ كثيراً في تشككه ..... ثم يصف وات آراء لامانس بأنها شديدة التطرف" (2).

فإذا كان وات قد حكم على آراء لامانس بأنها شديدة التطرف ، أفيجوز له بعد ذلك أن يعتمد على كثير من آرائه ؟ وهذا خطأ كبير وقع فيه وات ولم ينتبه إليه في دراسته للسيرة النبوية .

ومما يبيّن كذلك حقد لامانس وكراهيته وتحامله على الإسلام ورسوله ، قوله :  
"ولولا الإسلام لاستطاع اليهود والنصارى أن يقتسموا الجزيرة العربية" (3).  
ولذلك كان اعتماد وات على كتابات لامانس غير موفق ، بل غير مقبول .

---

(1)د. سيد العفاني : مقال بعنوان /هنري لامانس المؤرخ الكذاب ، موقع لواء الشريعة ، بتاريخ 6 / 4 / 2008م  
(2)مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص 44 .  
(3)نقلا عن د. لخضر شايب : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي ، ط ، مكتبة العبيكان - الرياض ، د. ت ، ص 260 .

والذي يقرأ آراء لامانس السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - سيدنا محمد - (ﷺ) ، و تعصبه في آرائه ضد الإسلام .  
كما تظهر هنا بعض الشبهات التي أثارها لامانس ، وهي كالاتى :

- 1- زعمه أن القرآن هو المصدر الوحيد لبيان السيرة النبوية ، وأن كتب السنة لم تتحدث عن السيرة النبوية .
- 2- كما ينفي اعتكاف النبي (ﷺ) في غار حراء .
- 3- كما يتهم النبي (ﷺ) بالشهوانية المفرطة التي أصبحت تهدده بالسكتة القلبية .

## النقد والتأصيل

1- بالنسبة لادعاء وات أن القرآن هو المصدر الوحيد لمعرفة أحداث السيرة النبوية ، فهو مردود بكتب السنة الموجودة بين أيدينا والتي تمتلئ بأحاديثها الصحيحة عن وقائع وأحداث السيرة النبوية في السلم والحرب والحل والسفر .  
"فلقد شغلت السيرة النبوية حيّراً غير قليل من الأحاديث، و الذين ألفوا في الأحاديث لم تخل كتبهم غالباً من ذكر ما يتعلق بحياة النبي و مغازيه، و خصائصه، و مناقبه، و مناقب صحابته، و قد استمر هذا المنهج حتى بعد انفصال السيرة عن الحديث في التأليف، و جعلها علماً مستقلاً" (1).  
"وتأتي أهمية كتب الحديث في دراسة السيرة النبوية المطهرة لأنها توضح العقائد، والآداب الإسلامية، وتبين أحاديث الأحكام في النواحي العبادية والتشريعية من صوم وصلاة وحج وزكاة ونظم سياسية ومالية وإدارية " (2).  
ففي صحيح البخارى كتاب اسمه (كتاب المغازى) يجمع أحاديث الغزوات والمعارك التي حدثت في عهد النبي (ﷺ) .  
"ونظرة في أرجاء صحيح البخارى تريك أنه قد افتتح كتابه بعد حديث النية بحديث بدء الوحي على الرسول (ﷺ) وهو لمحة بارزة أمام دارس السيرة والباحث فيها ، كما تحدث عن قصة بئر زمزم وأنساب العرب وشيء من تاريخهم ، كما تكلم عن صفة النبي (ﷺ) ، وبوّب باب ( من علامات النبوة في الإسلام ) " (3) .

---

(1) د محمد أبو شهبة : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (1/ 27) ، سابق .  
(2) د. أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ص 49 .  
(3) فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ص 56 .

2- أما بالنسبة لزعمه أن النبي (ﷺ) لم يكن يعتكف في غار حراء ، فهذا مردود بحديث البخارى الذى يؤكد على أن النبي (ﷺ) كان يكثر من الاعتكاف والخلوة في هذا الغار للتعبد .

فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : "أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حَبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: 2] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّجْمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أُخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرَجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفِي، وَفَنَرَ الْوَحْيُ " (1).

لقد كان يخلو النبي (ﷺ) بربه في غار حراء استعداداً لتلقي القول الثقيل، وتحمل التضحيات لأجله ، وقد كانت هذه الخلوة تمهيدا من الله لنزول الوحي عليه ، ففي تلك الخلوة تصفية لسريته وتفرغ لقلبه عن الشواغل وإبعاد عن المجتمع المليء بالشرك والمعاصي والمخالفات . ولقد أراد لامانس من وراء إنكار تلك الخلوة الطعن في الوحي ؛ لأنه لو طعن في أول لقاء بين النبي (ﷺ) وجبريل ، لسهل عليه الطعن في الوحي ؛ لأن هذه الخلوة هي أول أمر الوحي .

(1) صحيح البخارى ، ك بدء الوحي (7/1) .

3- وأما بالنسبة لاتهامه النبي (ﷺ) بالشهوة المفرطة فأقول(\*) :

لعل الذى يدفع المستشرقين دائما إلى ترديد هذه الشبهة الأثمة هو الحديث عن تعدد أزواجه (ﷺ) ، وهذا مردود بأمرين :

" أولا : أن النبى (ﷺ) لم يُعَدّد زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة ، أى بعد أن جاوز من العمر خمسين سنة ، ثانيا : جميع زوجاته الطاهرات كن أرامل ما عدا السيدة عائشة رضى الله عنها فكانت بكرًا . ومن هاتين النقطتين ندرك - بكل بساطة - تفاهة هذه التهمة وبطلان ذلك الادعاء الذى ألصقه به المستشرقون الحاقدون . (1)"

فلو كان هذا الزواج بغرض الشهوة لفعله النبى (ﷺ) أيام شبابه حين كان معه السيدة خديجة رضى الله عنها والتي كانت تكبره بدرجة كبيرة .

إن المستشرقين يؤولون الأحاديث تأويلا يوافق أهوائهم ، فيأتون على هذا الحديث مثلا ، وهو :

"حُبب إلى من الدنيا النساء والطيب - ويحذفون بقية الحديث - وهو : وجُعِلت قرة عيني فى الصلاة" (2) .

أضف إلى ذلك أن كل أزواج النبى (ﷺ) قد زوّج بهن ، ماعدا خديجة ، فأين هى الشهوة الجامحة كما يفترى المستشرقون !!

"لقد استخدم لامانس معيارين ، هما : أيّ شيءٍ معاد للإسلام أو للنبى [ صلى الله عليه وسلم ] يجب أن يكون صحيحاً، وأيّ شيءٍ فى صالحهما، يجب فحصه بنظرة دقيقة)((3).

---

(\*وسياتى الدر على هذه الشبهة بالتفصيل فى الباب الثالث ، مبحث / زواج النبى (ﷺ) وأزواجه فى فكر وات . (1)محمد على الصابونى : شبهات وأباطيل حول تعدد أزواج الرسول (ﷺ) ، ط وقفية ، 1400هـ ، 1980م ، ص 10 .

(2)مسند الإمام أحمد ، عن أنس بن مالك ، برقم : 14037 ، (21 / 433) ، سابق .

(3)د. مازن ابن صلاح مطبقاني الاستشراق والاتجاهات الفكرية فى التاريخ الإسلامى- دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس ، ط مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1416هـ ، 1995م ، ص 599.

**المطلب الثانى : كتابات القس لليون كايثانى (\*) ، وتقويمها**

لقد اعتمد وات كثيرًا على كتاب (ليون كايثاني) فى السيرة النبوية ، "ويعتبر هذا الكتاب ترجمة للقرآن الكريم بطريقة مبتكرة ، وفى هذا الكتاب حاول (كايثاني) ترتيب أحداث السيرة النبوية عامًا فعامًا ، وربط هذا الترتيب بالآيات القرآنية ، فكأنما جعل السيرة إطارًا عامًا ، ثم راح يبحث عن الآيات أو السور التى تناسب كل واقعة أو حادثة أو ظرف اجتماعى ووضعها مرتبطة بها ، سواء كان ذلك بناء على مصادر إسلامية أو استنتاجات بالشواهد والقرائن والتخمينات " (1).

وأشهر كتاب لكايثاني هو كتاب (حوليات الإسلام) وهو الذى أخذ عنه وات كثيرًا من الآراء ، وهذا الكتاب يعتبر "أوسع تاريخ للإسلام فى عصر النبى محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين ، وقد أرخ فى هذا الكتاب للإسلام من هجرة النبى (ﷺ) حتى نهاية الدولة الأموية فى سنة 132هـ ، لكنه لم يستطع أن ينجز منه إلا تاريخ الفترة من السنة الأولى للهجرة حتى السنة الأربعين ، وهذا الكتاب أشبه بتاريخ الطبرى وابن الأثير ، فقد كان يورد تحت كل سنة الحوادث بحسب كل المصادر المتوافرة " (2) .

### منهجه فى كتابة السيرة

يلخص الدكتور/ عبدالرحمن بدوى منهج كايثاني فىقول : "ينزع كايثاني فى كتابة السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين نزعة نقدية مفرطة تتسم بالشك المبالغ فيه أحيانا فى قبول وثائق التاريخ الإسلامى ، وباعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع إهمال الجانب الدينى تماما ، وعلى هذا الأساس فسّر رسالة النبى محمد (ﷺ) والفتوح الإسلامية العظيمة ولم يحسب أى حساب لتأثير الإيمان بالدين الجديد فى نفوس العرب الفاتحين " (3).

وسوف يلاحظ القارئ فيما بعد أن وات قد تأثر تأثرًا شديدًا بهذين المنهجين (الشكى والمادى) .  
وكُتب وات تزخم بالأمثلة على المنهج الشكى والمادى كما سيأتى تفصيلا – إن شاء الله – عند الكلام على (قواعد منهج وات فى دراسة السيرة النبوية)\*\* .

مكتبة

(\*) سبقت ترجمته فى ص 36 .

(1) موننجمرى وات : محمد فى مكة ، مقدمة المترجم ، ص 11 .

(2) د. عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ص 493 ، 494 . بتصرف يسير دون مساس بالألفاظ .

(\*\*) انظر ، ص 151 وما بعدها .

**نماذج تؤكد اقتباس وات من كتب كايثاني :**

ومن النماذج التي تؤكد اقتباس وات من كائتاني ما يلي :

1- يقول وات : "وتوصف بداية السنين الثلاث أحيانا بمجئ النبوة ، وبداية السنين العشر بمجئ الرسالة" (1).

ويعزو وات هذا الكلام إلى كتاب ليون كائتاني المسمى : (حوليات الإسلام) .

وهذا كلام مرسل لا دليل عليه ، وما دام المستشرق لم يأت بدليل على ما يقول فلست مطالباً إلا بنفي كلامه ؛ عملاً بقاعدة : إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعيها فالدليل .

2- قوله عن كائتاني : "فبعض الروايات تجعل موت ورقة بعد بعثة محمد بعامين أو ثلاثة ، وأخرى تزيد إلى أربعة" (2).

وهذا يخالف رواية البخاري ، والتي فيها أن ورقة بعد لقائه بالنبى (ﷺ) "لم ينشب أن توفي" (3).

3- ينقل عنه : "وكلمة الناموس ، عادة ما ينظر إليها على أنها من الكلمة اليونانية (نوموس NOMOS) والتي تعنى الشريعة أو الكتاب الموحى به" (4).

4- ويعترف وات بأنه اعتمد على كائتاني في فكرة أنه لا توجد هجرتين إلى الحبشة، بل هي هجرة واحدة ، فيقول :

"تساءل المؤرخون الغربيون عن مسألة وجود هجرتين منفصلتين (أولى وثانية) إلى الحبشة ، خاصة الباحث كيتاني ( Caeteni ) الذى اعتمدنا فى المناقشات التالية اعتماداً كبيراً على معالجته لهذه المسألة" (5).

وهما بذلك يخالفان ما اجتمعت عليه كتب المغازى السير ، ومن قبلها كتب السنة .

5- ويتفق وات مع كائتاني في الطعن على رواية صلح الحديبية فينقل عنه قوله :

"ربما لم يكن هذا النص الحقيقى للمعاهدة بسبب تبدل الأشخاص المفاجئ" (6).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 115 .

(2) السابق ، ص 120 .

(3) صحيح البخارى ، باب بدء الوحي ، رقم 3 .

(4) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 120 .

(5) السابق ، ص 235 .

(6) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 72 .

## ثانيا - تقويم كتابات كائتانى :

من الملاحظ من خلال هوامش كتب وات أنه اعتمد بكثرة على كتاب كائتانى المسمى : (Annali dell Islam) أى (حوليات الإسلام) أو (تاريخ الإسلام) .

ومما سبق عرضه من الكلام على كتابات كائتانى يتضح للقارئ أنها ممتلئة بالشك المبالغ فيه حتى فى أصول الإسلام وركائزه ، كنفية لعالمية الإسلام .

وقد أشار توماس أرنولد إلى أن كائتانى كان من المعارضين لفكرة عالمية الإسلام ، فقال :

"ومن الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قد قُصد به مؤسسه فى بادئ الأمر ان يكون دينا عالميا برغم (آيات العالمية) ... ويقول : وكائتانى آخر من يؤيد هذا الرأى - وأشار أرنولد إلى كتابه حوليات الإسلام - "(1).

ومن هنا يتضح أن هناك قاسما مشتركا بين وات وكائتانى ، فوات هو الآخر لا يقول بعالمية الإسلام ، وهنا نجد كائتانى ينفى عالمية الإسلام ؛ فخرجت دراستهما فى السيرة متشابهة .

"إن كائتانى فى عرضه لنفوذ محمد ، أولى العوامل الاقتصادية والسياسية أهمية خاصة"(2).

وهكذا قال وات بالتفسير المادى لوقائع السيرة النبوية .

---

(1)توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن ، وعبدالمجيد عابدين ، ط1 مكتبة النهضة المصرية ، ص49، 50 .

(2)يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ص312.

والذى يقرأ آراء كابتانى السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - سيدنا محمد - (ﷺ) ، و تعصبه فى آرائه ضد الإسلام .

كما تظهر هنا بعض الشبهات التى أثارها كابتانى ، وهى كالتى :

1- زعمه أن ورقة بن نوفل عاش بعد البعثة النبوية عدة سنوات .

2- نفى عالمية الإسلام .

### النقد والتأصيل

1- **فيما يتعلق بورقة بن نوفل** ، فإن الروايات الصحيحة تصرّح بأن ورقة قد مات بعد البعثة بوقت يسير جدا ، وهذا بدلالة حديث البخارى السابق ، والذى فى آخره :

"ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى" (1) .

لكن كابتانى - ومن على شاكلته - من المستشرقين يريدون دائما إقناع القارئ بأستاذية ورقة للنبي (ﷺ) ، وأن ورقة قد عاش بعد البعثة سنوات كان فيها معلما للنبي (ﷺ) ومُوجِّها ، أو على الأقل كان النبي (ﷺ) متأثرا به دينيا.

فالرواية السابق توضح أن هذا اللقاء الذى جمع بين النبي (ﷺ) وورقة كان هو اللقاء الوحيد والأخير ، فكيف يمتد عُمر ورقة بعده لأربع سنوات كما يدعى ذلك كابتانى!!!

وعلى أية حال فإن كتب السيرة النبوية تقرر أن هذا كان هو اللقاء الأول والأخير بين ورقة ورسول الله (ﷺ) .

"ولقد توفى ورقة قبل أن يبدأ النبي (ﷺ) فى تدوين ما أوحى به جبريل إليه" (2).

---

(1) صحيح البخارى ، ك بدء الوحي (7/1) .

(2) عبدالمعتال الجبرى: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، د . ت ، ص 157 .

2- وأما فيما يتعلق بنفى عالمية الإسلام (\*)، فإن أول ما يقطع بعالمية دين الإسلام ، هي آيات القرآن الكريم :

قال تعالى : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } الأعراف : 158 .

وقال تعالى ايضاً : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء : 107 .

وقال سبحانه : {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } الفرقان: 1 .

وعن ابن عباس : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي وَلَا أُفْلِهِنَّ فَخَرًّا بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً الْأَحْمَرَ وَالْأَسْوَدَ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأَجَلْتُ لِي الْعَنَائِمَ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَأَحْرَزْتُهَا لِأُمَّتِي فَهِيَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا" (1) .

ويعلق العقاد على قول الله تعالى : " قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ" {31} {الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ} {32} وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} {33} إبراهيم : 31- 33 .

قائلاً : "فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سُخر لهم البحر والأنهار والليل والنهار، لا يخطر له لحظة أنهم أبناء الجزيرة العربية دون غيرهم من بنى الإنسان فى جميع البلدان ، وإذا كان عرب الجاهلية قوما لم يأتهم نذير من قبل فالدين الذى جاء به صاحب الدعوة المحمدية يعم المتدينين الذين سبقت إليهم الرسل ويقوم النبى العربى بالدعوة غليه ليظهره على الدين كله ..... وبعد، فكيف يسيغ لعقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية خاتم النبیین إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير!!" (2) .

فهذه الآيات وغيرها صريحة فى الدلالة على عالمية الإسلام، وأنه رسالة عامة خالدة، جاءت لتخاطب فى الإنسان فطرة الله التى فطر الناس عليها، ومن ثمَّ كانت صالحة للتطبيق الدائم إلى يوم الدين

(\*)سيأتى الرد بالتفصيل على هذه الشبهة فى فصل / الجهاد والغزوات عندوات وكارين من الباب الثالث .

(1)مسند أحمد ، رقم : 2606 ، (138/6) .

(2)عباس محمود العقاد : الإسلام دعوة عالمية ، ط الهيئة العامة للكتاب - مصر - 1999م ، ص 120 ، 121 .

### المطلب الثالث : كتابات القس ريتشارد بل (\*) ، وتقويمها

من أشهر أعمال (ريتشارد بل) ترجمته للقرآن ، وترجمة (ريتشارد بل) للقرآن لم تكن على غرار الترجمات السابقة ، بل "فعل شيئاً آخر غير الترجمة . لقد أعاد ترتيب السور والآيات مسلسلاً إياها حسب النزول ، الأول فالأول وأعطى للآيات والسور ترقيماً بالحروف كالاتى : (A) أول ما نزل ، (B) باكره ، أى من أول ما نزل بمكة ، (C) مكى بشكل عام ، (D) آخر الحقبة المكية ، (E) مدنية باكره ، (+E) مدنية بشكل عام ، (F) مرتبطة بغزوة بدر ، (G) مرتبطة بغزوة أحد ، (H) حتى الحديدية ، (i) بعد الحديدية ، (j) منسوخة ، ومعنى هذا أن (ريتشارد بل) رجع لكتب التفسير كلها ، وكتب السيرة ، وكتب أسباب النزول ليقوم بهذا العمل المرهق" (1).

وهدف (ريتشارد بل) من ترجمة القرآن ، كهدف بقية المستشرقين هو : "تحريف كَلِمِهِ وتصحيف معانيه للوصول إلى أهداف محددة وملتوية بعيدة عن النص في لغته وفحواه" (2) .  
ومن مؤلفات (ريتشارد بل) المشهورة (كتاب : مقدمة القرآن) ، ويرى فى هذا الكتاب "أن النبى (ﷺ) قد اعتمد فى كتابته للقرآن على الكتاب المقدس ، وخاصة على العهد القديم فى قسم القصص . فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود ، مستمدة من مصادر عربية ، ولكن الجانب الأكبر من المادة التى استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمدته من مصادر يهودية ونصرانية ، وقد كانت فرصته فى المدينة للتعرف على ما فى العهد القديم أفضل من وضعه السابق فى مكة ؛ حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية فى المدينة ، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل" (3).

---

(\*) تقدمت ترجمته فى ص 36 .

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، مقدمة المترجم ، ص 10 .

(2) د. محمد محمد أبو ليلة : القرآن الكريم من المنظور الاستشراقى - دراسة نقدية تحليلية - ط 1 ، دار النشر للجامعات ، 1423هـ ، 2002م ، ص 401 .

(3) د. إبراهيم اللبان : المستشرقون والإسلام ، ص 44 ، 45 ، ملحق بمجلة الأزهر / صفر 1390هـ ، إبريل 1970م ، نقلا عن : د. محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص 88 ،

## نماذج تؤكد اقتباس وات من كتابات ريتشارد بل :

لقد اعتمد وات على كتاب ريتشارد بل ، المسمى (translation of quran) بمعنى : (ترجمة القرآن) ، وهذه نماذج من كتب وات تؤكد ذلك :

1- اعتماد وات عليه فى دراسته للوحى بشكل كبير ، فيقول :

"وقد درس ريتشارد بل (Bell) استخدام الاسم (وَحَى) والفعل (أوحَى) وخلص إلى أنه فى الايات القرآنية التى نزلت أولاً ، لا يعنى الوحى الاتصال اللفظى أو التوصيل اللفظى لنص الوحى ، وإنما يعنى أفكاراً تقذف فى عقل شخص من مصدر خارج نفسه ، بحيث يصلح معها أن نستخدم الكلمات الانجليزية Suggestion أو prompting أو inspiration ، وفى معظم الحقبه المكية كان الوحى من عمل الروح Spirit بإذن من الله"(1).

2- كما يأخذ وات برأيه فى أصل كلمة (الرُّجْز) فى قوله تعالى : "وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ". المدثر : آية 5 " ، فيقول :

"كلمة (الرجز) فى الآية فى الآية راجعة لكلمة (روجزا) Rugza السريانية التى تعنى الاثم أو ما يقابل الكلمة الانجليزية : Wrath"(2).

3- ويشير وات إلى رأى (ريتشارد بل) فى معنى كلمة (تزكَّى) ، فيقول :

"فأحد الباحثين (ويشير فى الهامش إلى ريتشارد بل) جعل لها مقابلاً انجليزيا ( oneseir purify ) أى تطهير النفس ، لكنه أضاف بين قوسين فى الحواشى موضحاً أن تطهير النفس يكون بتقديم الصدقات"(3).

4- وينقل وات عنه : "ويُستبعد أن تكون جماعة أبناء السبيل بمعنى جماعة معينة"(4).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 125 .

(2) السابق ، ص 140 .

(3) السابق ، ص 317 .

(4) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 395 .

### تقويم كتابات ريتشارد بل:

إن القرآن عند (ريتشارد بل) مأخوذ من مصادر يهودية ونصرانية ، وقصصه مستمدة من قصص الكتاب المقدس ، وأن النبي محمدًا (ﷺ) قد أحسن تأليفها لمَّا خالط أهل الكتاب من اليهود وقرأ في كتبهم ، وقد تأثر به (وات) ، وردَّ معطيات السيرة النبوية إلى أصول يهودية ونصرانية .

إن ريتشارد بل "له في الجدل ضد القرآن عدة كتب ومقالات تبرز التأثير المسيحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأهمها مقدمته لترجمة القرآن التي ضمَّنها جدليته الأساسية ضد أصالة القرآن الكريم" (1).

وسوف يأتي أيضا أن وات يقول بأن النبي (ﷺ) قد تأثر باليهود والنصارى في الاعتقاد والشعائر والشرائع .

---

(1) عبد الرازي محمد عبد المحسن : الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة 1421هـ ، ص 44 .

والذى يقرأ آراء ريتشارد بل السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - سيدنا محمد - (ﷺ) ، و تعصبه فى آرائه ضد الإسلام . كما تظهر هنا شبهة أثارها ريتشارد بل فى كتاباته ، وهى :

### أن الإسلام مُستمد من اليهودية والمسيحية :

والحق أن الإسلام هو الذى نقد المسيحية واليهودية ، وبين ما فيهما من أخطاء ، فكيف يتأثر بشئ سبق أن انتقده ؟

"إن النجاح العظيم للنبي (ﷺ) لا يُتصور أن يكون قائماً على تصيّد معلومات ناقصة وخرافية من عوام الكتّابيين ، وإلا فقد ادعى النبوة آخرون افتضح أمر كذبهم ، ثم إن نجاح الدعوة الدينية لا يكفى للوصول إليه إقامة الدليل القاطع على حقائقها فحسب ، ولكن يجب أن يصحب هذا سموّ خلقى عظيم وتأثير روحانى كبير . وهكذا كان لسيدنا محمد (ﷺ) النصيب الأوفى من السمّو ... ثم إن التوراة والإنجيل لم يكونا منشورين بحيث يستطيع عامة اليهود والنصارى أن يحفظوا منها شيئاً ، فإن أول طبعة عربية رسمية للعهد القديم قد نشرت بعد المسيح بتسعة قرون ، وأول طبعة عربية رسمية للعهد الجديد قد ظهرت بعد ذلك بقرنين" (1) .

وبالرجوع إلى الوثائق التاريخية وجدت فعلاً أن ظهور هذه الكتب متأخر جداً ، وأنها ما ظهرت إلا بعد موت أنبيائها ، واتضح لى الآتى :

"أن أول ترجمة عربية لمجمل (الكتاب المقدس)، تدعى (البروباغاندا) ظهرت فى أواخر القرن الثامن الميلادى؛ أي بعد 250 عام تقريباً من ظهور الدعوة المحمدية" (2)

---

(1) عبدالمعتال الجبرى: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، د. ت ، ص 157 .  
(2) مجموعة من المؤلفين، المرشد إلى الكتاب المقدس، (بيروت: دار الكتاب المقدس ومجلس العالمى بالشرق، 1969)، ص 79.

## المطلب الرابع : كتابات نولدكة (\*) ، وتقويمها

يقول الدكتور عبدالرحمن بدوى عن تيودر نولدكة : " وهو شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع (1) .

وكما فعل (ريتشارد بل) فى تقسيم القرآن ، فعل (نولدكة) مع اختلاف طفيف "فقد قسّم نولدكة سور القرآن إلى مكية ومدنية ، وقسّم السور المكية إلى ثلاثة أقسام، هى سور الفترة المكية الأولى ، وسور الفترة المكية الثانية ، وسور الفترة المكية الثالثة، ولم يقسّم السور المدنية إلى فترات بل جعلها كلها فى مرتبة واحدة"(2).

وأشهر كتاب لنولدكة هو كتاب (تاريخ القرآن) ، وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة ، وقد رجع إليه (وات) فى بحثه . ويلاحظ على نولدكة فى هذا الكتاب عدة افتراءات ومن هذه الافتراءات التى افتراها فى هذا الكتاب ، قوله :

1- إن المؤونة العلمية التى نشرها محمد (ﷺ) فى القرآن جاء بها من الغرباء ، ويقصد اليهود والنصارى .

2- إن محمداً (ﷺ) - مع نبوته - لا يزعم أن جميع ما صدر عنه كان وحياً .

3- إن الوحي الذى زعمه لم يكن غير وهم غرائزى ظلّ يتفاعل ويتضخم باطنياً حتى دفع به إلى ادعاء النبوة .

4- إنه لم يكن أمياً ، بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة "(3).

وما من شك فى أن وات قد تأثر بفكر نولدكة فى كثير من القضايا اليقينية الكبرى ، فقد تأثر به وات حين قال بأن النبى (ﷺ) لم يكن أمياً ، وأنه (ﷺ) استمد القرآن من كتب أهل الكتاب (اليهود والنصارى) . وتأثر به كذلك حين قال نولدكة بأن الوحي الذى كان ينزل على الرسول (ﷺ) كان وهما غريزيا ، وهو ما سيعبر عنه وات بعد ذلك بـ (اللاوعى الجمعى) أو (اللاشعور الجمعى) .

---

(\*) تيودر نولدكة (1836 - 1930م) . ألمانى ولد فى هامبورج ، تعلم اللغات السامية والفارسية والتركية ، نال جائزة مجمع الكتابات والآداب فى باريس على رسالة(أصل وتركيب سور القرآن) ، كما عاون (شبرنجر) فى كتابه (سيرة محمد) . انظر : العقيقى : المستشرقون ، (379/2) .

(1)د. عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ص595 .

(2)تيودور نولدكة :مقدمة كتاب / تاريخ القرآن : ترجمة : جورج تامر ، ط1 ، مؤسسة كونراد - أدناور 2004م ، ص(xxxvi) .

(3)د. أحمد عمران الزاوى: جولة فى تاريخ القرآن ، ط1، مكتبة دار طلاس، دمشق – سوريا ، 2008م ، ص39 .

### نماذج تؤكد اقتباس وات من كتب تيودر نولدكة :

1- مرّ بنا أن وات قد حرّف الرواية التى تتكلم عن بدء الوحي ، فزاد الألف واللام فى قول النبى (ﷺ) عن الملك (فإذا هو على عرش بين السماء والأرض) لتكون الرواية بعد الزيادة (فإذا هو على العرش) . وقد أشرت إلى ذلك فى منهج التحريف(\*) باعتباره من خصائص منهج وات .

والحقيقة أن هذا الرأى قد أخذه وات عن بعض أساتذته من المستشرقين ، وعلى رأسهم (نولدكة) كما أشار فى هامشه (1) .

2- كما اعتمد عليه وات فى رأى غريب ، وهو أن أول من أسلم هو زيد بن حارثة ، وليس أبا بكر – كما هو مشهور – فيقول ناسبا القول إلى نولدكة :

" والحقيقة المطلقة تشير إلى أنه ربما كان زيد بن حارثة هو أول رجل أسلم، لأنه كان عتيق محمد صلّى الله عليه وسلم ولاارتباطه بالنبى ارتباطا شديداً، لكن وضعيته المتواضعة تجعل إسلامه ليس بأهمية إسلام أبى بكر"(2).

والحقيقة أنه لا تنافى بين الرأيين ؛ إذ أن أبا بكر كان أول من أسلم من الرجال ، وأن زيّداً كان أول من أسلم من الصبيان .

3- ويتبنى وات رأيه فى أن أهل المدينة حين اعترفوا بسيدنا محمد (ﷺ) ، كان ذلك طمعاً فى أنه "يستطيع وضع حدٍ للمنازعات الداخلية التى جعلت الحياة لا تُحتمل فى المدينة"(3).

(\*)انظر ، ص172 وما بعدها .

(1)مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص107 .

(2) السابق ، ص 173 .  
(3) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 349.

### تقويم كتابات نولدكة :

ما من شك فى أن نولدكة لا يُقَرُّ بنبوة سيدنا محمد (ﷺ) ، وأنه يتحامل على الإسلام.  
"إن المستشرق الشهير ( تيودور نولدكة ) كان قد اقترح فى القرن التاسع عشر  
الميلادى أن الحروف المقطعة قد تكون اختصاراتٍ لأسماء الرجال الذين ألفوا  
السور" (1).

وكتابُ نولدكة الشهيرُ (تاريخ القرآن) والذى رجع إليه وات كثيرًا - يكتظ بالأخطاء  
العلمية والمنهجية ، وليس من مهام هذا البحث أن أسرد هذه الأخطاء ، لكننى وقعت  
على دراسة نقدية جيدة لكتاب نولدكة (تاريخ القرآن) .

وأقل عنها هنا بعض أخطاء نولدكة فى كتابه (تاريخ القرآن) .

"إن بعض هذه الأخطاء سببه الشعور بالاستعلاء والتمحور حول الذات ، وبعضها  
مرجعه إلى المغالاة فى التأثير بالشك المنهجي عند ديكارت ، وبعضها يمكن رده إلى  
خطأ منهجي أساسى هو تحكم الآراء المسبقة فى بحث نولدكة . فمن هذه الأخطاء  
التي سببها الشعور بالاستعلاء والتمحور حول الذات أن نولدكة فهم بعض الأحاديث  
الشريفة فهما خاصا به ؛ ومن ثم بنى على فهمه هذا أحكاما خاطئة مكثفيا بالإحالة  
إلى مصادر تلك الأحاديث دون ذكر نصها أو حتى مضمونها فإرضًا بذلك فهمه  
على قارئه دون أن يتيح له فرصة الفهم بعيدًا عن إحياءات وسطوة أفكاره . وأنه  
طرح دعاوى بلا دليل ؛ حيث ادعى أن فى القرآن نصوصًا بدائية خيالية دون أن  
يذكر أمثلة ويبين وجه حكمه عليها . ولم يطرح نولدكة آراءه على أنها فرضياتٌ  
تقبل النقاش وتحتمل الخطأ" (2).

ومن هذه الأخطاء يتبين أن كتاب نولدكة لا يصلح لأن يكون حَكْمًا على سيرة  
الرسول (ﷺ) .

---

(1) محمد مهر علي : مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم ، ص 42 .

(2)د. رضا محمد الدقيقى : كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني : تيودور نولدكة .. ترجمة وقراءة نقدية ، ط1 وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية - قطر 1430 هـ ، 2009م ، الجزء الثالث ، ص245 .

بعض الشبهات التي طرحها نولدكة مردود عليها على مدار هذا البحث ، لكن هناك شبهة يجب الرد عليه ، لم يسبق أن تعرضت لها ، وهي :  
زعمه أن النبي (ﷺ) كان يعترف بأن جميع ما صدر عنه لم يكن وحيا .

إن نولدكة بذلك يقصد أن تقتضى الكلام كما تقتضى العمل ، وكان (ﷺ) بعض الآيات والأحاديث لم تكن وحيا من عند الله ، وإنما كانت من تأليف الرسول (ﷺ) ، وطالما أنه طعن فى بعض هذه الآيات أو الأحاديث فإنه يسهل عليه الطعن فيها جميعا .

والحق " أن النبي (ﷺ) لم يقل أبدا إن جميع أقواله كانت وحيا ... فهو بشر يعيش بين الناس ويرتبط معهم بعلاقات اجتماعية تقتضى الكلام كما تقتضى العمل ، وكان (ﷺ) حين يُستشار فى أمر من أمور النشاط الإنسانى الدنيوى فيقول : أنتم بأمر دنياكم أدرى ، وفى كتب السيرة مئات الأدلة على أن النبي (ﷺ) فرق تفريقا بين ما كان ينزل عليه بالوحر رسالة من الله وبين ما كان يتكلم به بين الناس" (1).

ومن الأدلة على أن النبي (ﷺ) كان يفرق بين كلامه وبين الوحي النازل عليه هذا الحديث " عن أنس أن النبي صلى الله عليه و سلم مر بقوم يلقحون فقال لو لم تفعلوا لصلح قال فخرج شبيصا فمر بهم فقال ما لنخلكم ؟ قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم" (2) .

---

(1)أحمد عمران الزاوى : جولة فى كتاب نولدكة تاريخ القرآن ، ط1 مكتبة دار طلاس - دمشق ، 2008م ، ص44 .

(2)صحيح مسلم (1836/4) رقم 2363.

## المطلب الخامس: كتابات فلهاوزن(\*) ، وتقويمها

وأشهر كتب فلهاوزن فى السيرة النبوية هو كتاب (تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية) ، وهذا الكتاب هو الذى اعتمد عليه وات فى دراسة السيرة النبوية .

وله كذلك كتاب بعنوان : محمد فى المدينة ، ولم أجده مترجما .

وهو مستشرق متحامل على الإسلام ورسوله (ﷺ) ، ويكفى لبيان تحامله على الرسول (ﷺ) محاولته إظهار الرسول بمظهر المستبد الظالم حين يقول :

"وحاول محمد أن يظهرهم (يعنى : اليهود) بمظهر المعتدين الناكثين للعهد ، وفى غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية ، أو أقصى عليها فى الواحات المحيطة بالمدينة ، وقد التمس لذلك أسبابا واهية" (2).

وهذا تحامل ملحوظ من فلهاوزن على الرسول (ﷺ) ، وهو تحامل ليس له مبرر سوى الحقد الدفين على الإسلام ورسول الإسلام محمد (ﷺ) .

---

(\*) فلهاوزن (1844 – 1918م) ، بدأ دراسة اللاهوت لنقد التوراة ، ثم تخرج باللغات الشرقية على يد المستشرق (إيفالد) فى جوتنجن فعُدّ من أشهر تلاميذه ، ومن مؤلفاته (تاريخ اليهود ، محمد فى المدينة ، السيادة العربية ، تاريخ إسرائيل ، فى تاريخ الإسلام والعرب ، تاريخ الدولة العربية من ظهر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية ) ، ويعتبر فلهاوزن مؤرخا لليهودية ولصدر الإسلام ، وناقدا للكتاب المقدس ، وهو ألمانى مسيحى ، وفى سنة 1872م صار أستاذا ذا كرسى فى جامعة (جريفسفلد) . انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون (386/2) ، وانظر: د. عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقون ، ص408.

(2) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : د. محمد عبدالهادى أبو ريدة ، مراجعة ، د. حسين مؤنس ، ط2 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ، 1968م ، ص 19 .

### نماذج تؤكد اقتباس وات من كتب فلهاوزن:

1- ينقل وات عن فلهاوزن قوله : " إن عبارة (بنات الله) ذاتٌ مضامينَ خطيرة رغم أنها بشكل عام لم تكن تعنى المعنى الحرفى لها . ثم يوافقه قائلاً : فكلمة (بنات) وغيرها من الكلمات الشبيهة قد تستخدم - غالباً - استخداماً مجازياً فى اللغة العربية. فالعرب يقولون بنت الشفه ويعنون الكلمة ، ويقولون بنت العين ويعنون الدمعة ، ويقولون : بناتُ الدهر ويعنون النكباتِ والمصائب" (1).

إن فلهاوزن ومعه وات يوافقان على تسمية الملائكة بهذه التسمية (بنات الله) على سبيل المجاز . وهذا مرفوض قطعاً فى حق الله تعالى أن يكون له ولد ، إن على سبيل الحقيقة ، وإن على سبيل المجاز .

قال تعالى : " { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } المؤمنون 91

وقال تعالى: { أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ } الزخرف 162- ويتكلم وات عن المسلمين فى المدينة بعد أن ازداد عددهم وظهرت قوتهم فينقل عن فلهاوزن قوله :

"وأخيراً ازداد عددهم واستطاعوا - بعد أن أتاهم دعم من الخارج - أن يحرزوا السيطرة السياسية فى الواحة فى حوالى منتصف القرن السادس للميلاد أو بعد ذلك بقليل" (2).

وقد وجدت هذا الرأى فى كتاب لفلهاوزن ، فيقول :

"لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر ، بل شرع فى الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة" (2).

- (1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 218 ، 219 .  
(2) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ص 15 .

3- وبعد أن تكلم وات عن أن الخمر حُرِّمت لاعتبارات سياسية ، قال ناقلًا عن فلهاوزن : "يبدو إذن من الممكن أن السبب الرئيسى لتحريم الخمر كان على صلة بالدين الوثنى نجعلها"(1).

4- وينقل عنه : " فالنبي - بسلطته القائمة على الدين لا على الدم - يمكنه أن يعلو فوق الأعراق المتحاربة وأن يكون حكما بينها . وتحدثنا المصادر أن الأنصار تصوروا محمدا صلى الله عليه وسلم المسيح المنتظر الذى كان يتوقع اليهود مجيئه ، فساروا - أى الأنصار - بقبوله"(2).

والحق ليس كما يقول وات وفلهاوزن ، فقد كانت طاعة الصحابة لنبيهم محمد (ﷺ) من منطلق أمر الله لهم بطاعته ، كما فى قوله تعالى :

"وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . آل عمران : 132" .

وقوله : {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} النساء 80

وقوله أيضا : "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {الحشر 7}" .

ومن أمثلة افتراءات وات على الإسلام ، والتي استخرجتها من كتاب فلهاوزن السابق (تاريخ الدولة العربية) ، ما يلى :

أ - يرى أن النبي (ﷺ) "اضطر لاستعمال وسائل غير مقدسة فى إخراج اليهود من المدينة"(3).

ب - كما يقول بإقليمية الدعوة الإسلامية : "لم ير محمد أن رسالته هى أن يضم إلى دعوته أتباعا متفرقين من هنا وهناك"(4).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 457 .  
(2) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 282 .

(3) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ص22 .  
(4) السابق ، ص4 ، 5 .

### تقويم كتابات فلهاوزن :

ومما يعيب كتاب فلهاوزن أنه "قام باختصار أحداث السيرة النبوية فى صفحات تزيد قليلا على الثلاثين صفحة ؛ مما يعطى انطباعاً بعدم أهمية الفترة النبوية عند فلهاوزن" (1).

ومن أخطاء فلهاوزن أنه ينفى عالمية الإسلام فيقول :

" وكان أولّ من اتبع محمد صلى الله عليه وسلم افراداً من أصدقائه وأقربائه ومن الموالي والرقيق ..... ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم عربياً ، فكانت له بحكم ذلك إحساسات بالعشيرة والقبيلة" (2) .

وهو هنا يريد أن يصبغ الاسلام بالصبغة العربية ويريد أن يقول إن الإسلام ليس دعوة عالمية ، فهو كما يرى : دين من صنع العرب فقط .

وهذا هو رأى وات أيضا كما سيأتى فى الباب الثالث ، وسيأتى الرد بعد ذلك على محاولته لنفى عالمية دين الإسلام(\*) .

---

(1) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة النبوية ، ط1 ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، سلسلة الرسائل الجامعية ، رقم 21 ، 1417هـ ، 1997م ، ص52 .  
(2) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص3 .

(\* ) انظر الرد على ذلك ، فى ص 489 وما بعدها .

والذى يقرأ آراء فلهاوزن بل السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - سيدنا محمد - (ﷺ) ، و تعصبه فى آرائه ضد الإسلام .

كما تظهر هنا بعض الشبهات أثارها فلهاوزن فى كتاباته ، ومنها :

1- يرى أن الإسلام صناعة عربية .

2- كما يرى أن النبى اضطر لاستعمال وسائل غير مقدسة فى إخراج اليهود من المدينة .

### النقد والتأصيل

بالنسبة للشبهة الأولى : فإن الجزيرة العربية كانت قبل مجيء الإسلام فى شر حال، فلما امتن عليهم بالإسلام ، وصاروا من أهله ، وأبنائه : صار أهل الجزيرة فى خير حال ، فقد سادوا الأمم ، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس ويتمثل السوء الذى وُجد فى الجزيرة العربية قبل الإسلام فى مظاهر كثيرة وفى جوانب كثيرة ، منها : جانب العقيدة ، وجانب الإخلاق والسلوك . فقد كانوا يعبدون الأصنام ، ويتقربون لها ، ويدبحون عندها ، ويعظمونها التعظيم كله ، وهى من صنع أناس مثلهم من البشر .

قال تعالى : ﴿رَوَيْعُبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ { يونس: 18 .

وقد كانوا يقتل بعضهم بعضاً ، لأتفه الأسباب ، وتطول الحروب بينهم لأعوام عديدة، فيقتل الرجال ، وتُسبى النساء والأطفال.

"وكان العرب مثل غيرهم، قد ضلوا الطريق، وعموا عن الحق، وغووا بعبادتهم الأصنام. حببها لهم الشيطان، ومن اتبع هواه من العرب" (1) .

لقد كان العرب جهلاء فى كل شئ ، فكيف يكون الإسلام من صناعتهم !! ثم إن الإسلام فى الأصل جاء ثورة على العادات العربية الجاهلة ، فكيف يتأثر بها بعد ذلك وقد سبق أن أعلن الحرب عليها .

(1)جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، سابق (7 / 455) .

وأما بالنسبة للشبهة الثانية ، فإن الروايات الإسلامية تشهد أن النبى (ﷺ) لم يُخرج اليهود من المدينة فى كل مرة إلا بعد نكوصهم عن العهود والمواثيق والاتفاقيات التى أبرموها معه ، وساعتها يكون للنبى (ﷺ) الحق فى ذلك ؛ لأنهم من بدعوا بالعدو . وباستعراض الغزوات الثلاث التى كانت بين النبى واليهود نجد الآتى :

**أولا : غزوة بنى قينقاع ، يظهر أن للغزوة سببين :**

**أولهما :** "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ (بَنِي) قَيْنُقَاعَ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ احذَرُوا مِنْ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِفُرَيْشٍ مِنَ النَّقْمَةِ وَأَسْلِمُوا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَرَى أَنَا قَوْمُكَ ، لَا يَغُرُّنَا أَنَّكَ لَقَيْتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَابَتْ مِنْهُمْ فُرْصَةٌ إِنَّا وَاللَّهِ لِنُبْنِي حَارِبًا لَتَعْلَمَنَّ أَنَا نَحْنُ النَّاسُ" (1).

لقد كشر اليهود عن أنيابهم ، وأظهروا الكراهية للمسلمين ، وترجموا هذه الكراهية إلى واقع عدائى ، وأفصحوا عن تحديهم السافر لرسول الله (ﷺ) .

**ثانيهما :** "كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلْبٍ لَهَا ، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِعٍ بِهَا ، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا ، فَأَبَتْ فَعَمِدَ الصَّائِعُ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا ، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوَاطِئُهَا ، فَضَحِكُوا بِهَا ، فَصَاحَتْ . فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِعِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ يَهُودِيًّا ، وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ ، فَعَضِبَ الْمُسْلِمُونَ فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ" (2) .

- (1) سيرة ابن إسحاق (323) ، سيرة ابن هشام (551/1) ، مغازى الواقدي (176/1) .  
(2) سيرة ابن هشام (47/2) ، عيون الأثر (386/1) ، سيرة ابن كثير (6/3).

### ثانيا : غزوة بني النضير نجد أن سببها هو :

قال ابن إسحاق : " خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرِ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَدَ لَهُمَا ، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ . فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ قَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ ، مِمَّا اسْتَعْنَتْ بِنَا عَلَيْهِ ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَغْلُو عَلَى هَذَا النَّبِيِّ فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحُنَا مِنْهُ ؟ فَأَنْتَدِبُ لِدَلِكِ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ ، أَحَدَهُمْ فَقَالَ أَنَا لِدَلِكِ فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ وَعَلِيٌّ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا اسْتَلْبَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ قَامُوا فِي طَلَبِهِ فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ رَأَيْتَهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ . فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْعُدْرِ بِهِ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ" (1).

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (2 / 189 ، 190).

### ثالثاً : غزوة بني قريظة كان سببها :

"كان بين النبي (ﷺ) وبين قريظة ولس (\*) من عهد" (1).

فنقضوا هذا العهد "جاء عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد ذلك على رسول الله (ﷺ) وقال : من نبعت يعلم لنا علمهم ؟ فقال عمر : الزبير بن العوام . فكان أول الناس بعث رسول الله (ﷺ) الزبير بن العوام ، فقال : اذهب إلى بني قريظة فذهب الزبير فنظر ، ثم رجع فقال : يا رسول الله ، رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم ، وقد جمعوا ماشيتهم" (2) . فجاء الأمر من الله بمحاربة بني قريظة ، فقال النبي (ﷺ) لأصحابه : " لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة" (3) .

فالنظر في أسباب هذه الغزوات يعلم أنه (ﷺ) ما اعتدى عليهم ، وما بدأهم بقتال إلا بعد أن أعلنوا العداوة للإسلام ، أو اعتدوا على حرمة المسلمين وأعراضهم ، أو التآمر على النبي (ﷺ) .

إزاء هذا التطور ، لم يقف الرسول (ﷺ) مكتوف الأيدي ، ورأى أنه من اللازم أن يقوم بصد عدوانهم منعاً لتفاقم الوضع وإعادته إلى ما كان عليه ، لأنه لو تراخي النبي (ﷺ) أمامهم ستكون نتائجه وخيمة على المسلمين ، وسيفسر على أنه ضعف منهم .

وهذا كله يرد اتهام فلهاوزن بأن النبي (ﷺ) كان يتلمس لليهود العثرات والسقطات .

(\*) ولس من عهد أى شئ قليل منه . انظر : لسان العرب (203/2) .

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (77/2) .

(2)مغازى الواقدي(457/2).

(3)صحيح البخارى ، كتاب : المغازى ، باب : مرجع النبى من الأحزاب ، رقم: 4119 .

## المطلب السادس : كتابات جولد زيهر(\*) ، وتقويمها

هذا المستشرق معروف بعدائه الشديد للإسلام ، وكتابه الشهير (العقيدة والشريعة فى الإسلام) ينم عن حقد دفين للإسلام ، وهذا الكتاب فى الأصل وضعه جولد زيهر بعنوان (محاضرات حول الإسلام) . " وقد توخى فيه أهم الجوانب فى التطور التاريخى الدينى : محمد ، تطور الشريعة ، التطور العقدى ، الزهد والتصوف ، طبيعة الفرق ، وفى الختام أشكالها المتأخرة"(1)

وهذا ما دفع بعض علماء المسلمين للرد عليه ، كالشيخ محمد الغزالى - يرحمه الله تعالى - فى كتابه الممتع : (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين).

### افتراءات جولد زيهر

يرى جولد زيهر "أن الإسلام ليس من صنع محمد وحده ، بل هو أيضا من صنع الأجيال التى جاءت بعده . العقيدة والشريعة بدأتا على يد محمد (ﷺ) فى القرن الأول ، ثم أتى المفكرون الصالحون - والظالمون كذلك - فنموا هذا التراث الساذج الذى تركه النبى العربى ، وزادوا فيه كَمَا وكيفا ، حتى بلغ الحد الذى وصل إليه فى عصرنا هذا(2).

إن العقيدة والشريعة وإن بدأتا على يد سيدنا محمد (ﷺ) إلا أنه لا يملك سوى تنفيذ أوامر ربه ، وحضّ الناس على ذلك .  
وإذا كان النبى (ﷺ) ذاته لا يملك سلطة التشريع للخلق ، كما قال تعالى :  
"قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكُنْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . الأعراف : 188 "  
فمن الأولى ألا يملك من بعده من العلماء والمفكرين أن يُشرِّعوا للناس أو يُملوا عليهم آرائهم .

"وقد شكك جولد زيهر فى الأحاديث النبوية واعتبرها فى جملتها تعكس تطور الإسلام الدينى والتاريخى والاجتماعى فى القرنين الأول والثانى"(3).

---

(\*)جولد زيهر (1850- 1921م) ، تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها ، وانتدبته الحكومة للقيام برحلة إلى سوريا (1873م) ، فصحب فيها الشيخ / طاهر الجزائري مدة ، ثم تركها إلى فلسطين ومصر حيث تطلع

- من العربية على شيوخ الأزهر ، ولا سيما الشيخ/ محمد عبده متزييا بزِيهم ، وأهم مؤلفاته : (العقيدة والشريعة فى الإسلام ، اليهود والإسلام)  
(1) يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ترجمة : عمر لطفى العالم ، ط2 دارالمدار الإسلامى ، بيروت 2000م ، ص 240 ، 241 .  
(2) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، محمد الغزالي ، ط7 دار نهضة مصر 2005م ، ص 15.  
(3) د. محمود حمدى زقزوق : الإسلام فى تصورات الغرب ، ط1 ، مكتبة وهبة ، 1407هـ ، 1987م ، القاهرة ، ص 186 .

كما يقول جولد زيهر : "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرًا عميقًا ، والتي رأها جديرة بأن توظف في بني وطنه عاطفة دينية صادقة.... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعد هذه التعاليم وحيا إلهيًا" (1).

ويرد الدكتور عبدالجليل شلبي - يرحمه الله - على افتراءات جولد زيهر فيقول :

"لم يكن لأى من الديانتين (اليهودية والمسيحية) مركز فى مكة حيث نشأ محمد وأعلن نبوته . وسفره مرتين إلى الشام لا يكفى لإمداده بكل هذه الثقافة ، فالفكر الإسلامى الذى جاء به محمد (ﷺ) يحتاج إلى دراسات طويلة وانقطاع للدرس والتحصيل ، على أن اليهود الذين سكنوا بعض الواحات القريبة من المدينة لم يكونوا أسخياء بمعلوماتهم ، بل ازدروا العرب وضمنوا عليهم بالتعليم" (2).

وواضح من هذا الكلام ، وجود الشقة بين سيدنا محمد (ﷺ) وبين اليهود والنصارى. ثم إن هذه الكتب لم تكن مُعرّبة أيام النبى (ﷺ) حتى يُتاح له سماعها بالعربية . إن التاريخ يكذب كل هذه الثرّهات التى جاء بها جولد زيهر .

ومع ذلك نجد وات قد اعتمد على أبحاث جولد زيهر فى بعض المباحث ، فيقول :

"وفى الحقيقة يمكن تطبيق أبحاث جولد تسيهر الخالدة فى كتابه (Studien-Muhemmedanischen) (\*) الجزء الثانى على التراث الفقهى" (3).

---

(1) إجناس جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ترجمة : د. محمد يوسف موسى وصاحبه ، ط2 ، دار الكتب الحديثة - مصر ، دبت ، ص 12.

- (2)د. عبدالجليل شلبي : صور استشراقية ، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، السنة العاشرة - الكتاب الأول ، محرّم 1398هـ - يناير 1978م ، ص 37 .  
(\* ) وترجمته : (دراسات مُحَمَّديّة) .  
(3)مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص44 ، 45 .

### نماذج تؤكد اقتباس وات من كتب جولد زيهر:

1- ينسب وات إلى جولد زيهر قوله : "يمكن أن نطلق على المثل الأعلى الأخلاقى لعرب الصحراء ، طبقاً لما قاله جولد تسيهر، اسم المروءة"(1) . وواضح أن وات قد تبني رأيه فى ذلك الرأى .

2- وينقل عنه أيضا : "ولم يكن المسلمون يعبأون بالمواثيق والحقوق إذا كانت مرتبطة بالدين القديم (الشرك) ، وكان تصرفهم فى بعض الأحيان يبدو بشعاً فى نظر أعدائهم الوثنيين"(2).

وفى ذلك تعدّ على الإسلام وتحاملٌ عليه ؛ حيث إن الإسلام أول من حتّ على الوفاء بالعهود والمواثيق .

قال تعالى : "وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا . الإسراء : 34".

3- ويتبنى وات رأى جولد زيهر حين يقول :

"ويقول القرآن بصراحة : إن المسلمين استمروا فى الاعتقاد بوجود كائنات خارقة أقلّ من الآلهة كالجن والشياطين"(3).

وقد رددت على هذه الشبهة فى الباب الثالث ضمن مبحث : دعوة الرسول (ﷺ) فى مكة (\*).

- 
- (1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص75 .  
(2) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص370 .  
(3) السابق ، ص474 .  
(\*) انظر الرد ، فى ص 330 .

### تقويم كتابات جولد زيهر :

إن جولد زيهر من أخطر المستشرقين وأكثرهم مكرًا بالإسلام . وقد كانت له الأسبقية فى التشكيك فى السنة النبوية ، كما ترك تلاميذ له ربّاهم على يديه وصنعهم على عينيه ، وسقاهم من كأس حقه على الإسلام .

ومما سبق عرضه عن جولد زيهر نلحظ أنه قد تبنى عدة قضايا من أهمها :

- 1- الطعن فى السنة النبوية .
  - 2- الطعن فى القراءات القرآنية .
  - 3- أن القرآن - وحاشاه - كان من عمل سيدنا محمد (ﷺ) .
  - 4- أنه (ﷺ) - وحاشاه - قد تأثر بأخبار اليهود والنصارى ، وأخذ من أفكارهم وزاد عليها وحذف منها .
- وقد أثار جولد زيهر بذلك حفيظة كثير من علماء المسلمين فرثوا عليه ، كلٌّ فى مجاله وتخصصه . فقد تصدى للرد عليه كل من :
- 1- الشيخ محمد الغزالي ، فى كتابه (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين) .
  - 2- الدكتور إبراهيم خليفة ، فى كتابه (مناهج التفسير) ، وهو من أجود الكتب وأفضلها .
  - 3- الدكتور عبد الفتاح شلبي ، فى كتابه (رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات) .
  - 4- الدكتور عبد الصبور شاهين ، فى كتابه (تاريخ القرآن) .
  - 5- الدكتور عبد العال مكرم ، فى كتابه ( أثر القراءات فى الدراسات النحوية) .

- 6 - الشيخ محمد طاهر الكردي في كتابه (تاريخ القرآن) ، في الفصل الرابع ، الرد على الإفرنج القائلين باستنباط القراءات من الرسم .
- 7 - الشيخ عبد الفتاح القاضي ، في كتابه (القراءات في نظر المستشرقين والملحدين) .
- 8 - الدكتور لبيب سعيد ، في كتابه (المصحف المرتل) .
- 9 - الدكتور عبد الوهاب حمودة ، في كتابه (القراءات واللهجات).

والذى يقرأ آراء جولد زيهر بل السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - سيدنا محمد - (ﷺ) ، و تعصبه في آرائه ضد الإسلام .

كما تظهر هنا بعض الشبهات أثارها جولد زيهر في كتاباته ، ومنها :

1- طعنه في القراءات القرآنية .

2- طعنه في السنة النبوية .

## النقد والتأصيل

1- فيما يتعلق بالشبهة الأولى : فبالرجوع إلى كتاب جولد زيهر المترجم وجدته يقول الآتى :

"والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي؛ فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة؛ تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي، يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول "؟؟" لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه، أو شكله من القرآن" (1) .

يقرر جولد زيهر أن القراءات ترجع في معظمها إلى أن الخط العربي كان خاليا من النقط والحركات ، وهذا هو الذي جعل كل صحابي يقرأ حسبما يترأى له بحسب إمكانياته واجتهاده في القراءة ، وهذا زعم خاطئ .

(1) جولد زيهر : المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ، ترجمة : على حسن عبدالقادر ، ط1 مطبعة العلوم 1363هـ ، 1944م ، ص 4 .

"فلم يكن اختلاف القراءات بين قرّاء الأمصار راجعاً إلى رسم المصحف؛ فهو يرجع إلى أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فاحتملت ما صح نقله، وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة، لما رأوا في ذلك من الاحتياط في القرآن" (1).

وهذا ما تؤكد النصوص الصحيحة من أحاديث رسول الله (ﷺ) ، والتي تفيد صحة هذه القراءات ، وإقرار النبي (ﷺ) لها عند سماعها من بعض الصحابة .

"عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أُقْرُؤُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَئِيهَا وَكَدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انصَرَفَ ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَحِثُّتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أُقْرَأْتُئِيهَا فَقَالَ لِي أَرْسِلْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْرَأْ فَقَرَأَ قَالَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ ثُمَّ قَالَ لِي أَقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَقْرَأُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ" (2).

ومن هنا فإن سبب تعدد القراءات القرآنية : "يرجع ذلك إلى أن الصحابة -رضوان الله عليهم- قرءوا القرآن بما تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلمهم إياه، وكان الصحابي لا ينكر على أخيه قراءة تتخالف هي ، ولما مات النبي -صلى الله عليه وسلم- وتفرّق الصحابة في الأمصار، يفقهون الناس في الدين، ويقرءونهم القرآن، أقرأ كل واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبي، وعلى ما تلقاه عنه، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم، وتلقوا عنهم . فلما وجهت إليهم المصاحف التي كتبها عثمان، وكانت خالية من النقط والشكل، قرأ أهل كل مصر مصحفهم على ما كانوا يقرءون قبل وصول المصاحف إليهم، وكانت قراءتهم متصلة السند بالصحابة الذين تلقوا عن الرسول إلى جانب أنها لا تختلف مع خط المصحف هذا هو التفسير الصحيح لاختلاف

القراءات، ومن ذلك التفسير يتبين أن القراءات المتخالفة سابقة لرسم المصحف، وأن الصحابة ومن تلقى عنهم من أهل الأمصار قرءوا المصاحف التي وجهت إليهم على حسب ما تلقوه متصلاً سنده بالرسول" (3) .

- 
- (1) د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم ، ط مكتبة وهبة ، د. ت ، ص 33 . ، وانظر للتوسع د. محمد حسن جبل : الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية ، ط 2 1423 هـ ، 2002 م ، كتاب جامعي ، ص 41 وما بعدها .
- (2) صحيح البخارى (15 / 392) ، رقم 4608 .
- (3) . عبد الفتاح إسماعيل شلبي: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم ، ص 87 .

## 2- طعنه فى الأحاديث النبوية واتصال سندها :

يرى جولدتسيهر : "أنه من الصعوبة بمكان أن ننخل أو نميز وبثقة - من كمية الحديث الكبيرة الواسعة - قسماً صحيحاً يمكننا نسبته إلى النبي أو إلى أصحابه . وتوصل جولدتسيهر إلى النتيجة التالية : إن الحديث النبوي وجد نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة" (1) .

ويرد الشيخ محمد الغزالي على هذه الشبهة فيقول :

"كيف يتصور هذا المستشرق أن الإسلام ينمو ؟ إن المقطوع به لدينا وفق النصوص المجمع عليها أن الإسلام فى حياة الرسول قد اكتمل فى عقائده وعباداته وأخلاقه وأحكامه ونصوصه وقواعده ، وأن الرسول انتقل إلى الرفيق الأعلى وترك الإسلام على هذا النحو ... فكيف ينمو الإسلام وقد جفت موارد نمائه؟! " (2) .

وأما طعنه فى صحة اتصال سنده الأحاديث إلى الرسول (ﷺ) .

"فإن الفقهاء والمحدثين المسلمين قد برهنوا أن نقد المتن كان جزءاً رئيساً فى عملية الحكم على صحة أي حديث، وأكدوا أن أي حديث يحظى بالقبول يجب أن يكون خالياً من أي علة أو شذوذ فى المتن أو فى الإسناد، فإذن مزاعم المستشرقين لم تثبت ولم تصمد أمام أدلة العلماء" (3) .

- (1) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، ص 11 ، 12 .
- (2) الشيخ محمد الغزالي : دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، ط 6 ، 2005م ، ص 50 .
- (3) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين ، ص 59 .

### المطلب السابع : كتابات شاخت(\*) ، وتقويمها

وهو مستشرق معروف بتحامله على الإسلام ، يقول عنه الدكتور مصطفى السباعي - يرحمه الله تعالى - :

"ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين ، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله ، من محرري (دائرة المعارف الإسلامية) ، وأشهر كتبه : أصول الفقه الإسلامي" (1).

وقد لوحظ أن شاخت ، وهو مستشرق يهودي "أشد حرصا على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه" (2).

ويقول الدكتور مصطفى السباعي : "إن هذا المستشرق كان يدرس في جامعة القاهرة - فؤاد سابقا - وله مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي ، كله دسٌ وتحريف ، على أسلوب شيخه جولدتسيهر" (3).

"وقد تأثر (شاخت) بأفكار (جولدتسيهر) ، فضخمها في كتاب بعنوان : (أصول فلسفة التشريع الإسلامي) ذهب فيه إلى القول : إن الروايات الإسلامية لا صحة لها على الإطلاق ، وحتى الروايات التاريخية لا يمكن الاعتماد عليها إذ إنها وضعت لأغراض تشريعية ، وأن الشريعة الإسلامية كانت خارج نطاق الدين الإسلامي وأن القرآن لم يكن مصدرًا لها خلال القرنين الأول والثاني من الهجرة" (4).

- (\*جوزيف شاخت (1902 – 1969م) ، ألماني ، كان أستاذا في الجامعة المصرية ، ومحاضرا للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد ، وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان نشأته ، وتطوره وتأثره وأثره ، من مؤلفاته (الفقه الإسلامي ، محمد ، الشافعي ، الفقه الإسلامي وعلم الأحوال الاجتماعية ، وله كتاب في نشأة الفقه الإسلامي ، وثلاث مجلدات : محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي ، ونشر كتاب : الحيل في الفقه للقرويني – متنا وترجمة ألمانية ، وغيرها كثير). انظر : د. نجيب العقيقي : المستشرقون (469/2) .
- (1) د. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم ، ص 49 .
- (2) د. عبدالرحمن حسن حبيكة الميداني : أجنحة الكر الثلاثة وخوافيها ، سلسلة أعداء الإسلام ، رقم 3 ، ط8، دار القلم ، دمشق ، 1420هـ ، 2000م ، ص 139 .
- (3) د. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ص 72 .
- (4) محمد مهر علي : مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم ، ط ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة ، د.ت ، ص 9 .

هذا هو شاخت في دراساته عن الإسلام ، وقد تأثر به (وات) وأخذ بآرائه .

وقد رجع وات كثيرا إلى هذا الكتاب (أصول الشريعة المحمدية) ، كما رجع إلى مقالاته في دائرة المعارف الإسلامية .

### نماذج تؤكد اقتباس وات من كتب شاخت:

- 1- ينقل وات عن شاخت في مقال له بدائرة المعارف الإسلامية ، فيقول بأن تحريم الربا " كان موجها ضد اليهود"(1). وقد رددت على هذه الشبهة في الباب الثالث ، ضمن مبحث : الهجرة وتأسيس الدولة في المدينة (\*).
- 2- يقول وات عن شاخت معترفا بأنه أخذ عنه الكثير :
- " تدفعنا استنتاجات شاخت الهامة والمؤسسة على أساس متين حول التراث الاسلامي في كتابه (أصول الشريعة المحمدية) إلى أن نفرق بين التراث الفقهي والتراث التاريخي"(2).
- 3- ويقول وات متأثرا بشاخت فيما يتعلق بتحريم الربا :
- "ويحيط الغموض نهاية هذه المسألة نظريا وعمليا"(3).

- 
- (1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص452 .  
(\*) انظر الرد على هذه الشبهة فى ص 384 وما بعدها .  
(2) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص44 .  
(3) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص454 .

### تقويم كتابات شاخت :

"إن شاخت يحاول أن يقلع جذور الشريعة الإسلامية ويقضى على تاريخ التشريع الإسلامى قضاءً تاماً ، ويصف كتابه (أصول الشريعة المحمدية) علماء المسلمين كافة - لحقب عديدة - من القرون الثلاثة الأولى بأنهم كانوا كذابين وملففين غير أمناء" (1).

والملاحظ أن شاخت كان فى كتاباته عن السنة النبوية واقعاً تحت تأثير التحيز العنصري ضد العرب والمسلمين، وهو وإن لم يُصرح بمسلماته بصورة جلية وواضحة - لغايات لا تخفى - إلا أن ذلك يظهر بجلاء فى حكمه القاطع والجازم على صفوة الأمة وأوثق علمائها بأنهم من الكذابين ، وأنهم اختلقوا الأسانيد ونسبوا زوراً واقترأوا لرسولهم (ﷺ) وهو - على أية حال - معروف بعذائه الشديد للإسلام.

يقول الدكتور عبدالرحمن حبتكة : " ويلاحظ أن المستشرقين اليهود - أمثال جولد تسيهر وشاخت - هم أشد حرصاً على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه" (2).

ومما يدل على تعصب شاخت ، قوله :

"إن المسلمين لم يشكوا في قطعية ثبوت القرآن وتنزهه عن الخطأ ، على الرغم من إمكان سعى الشيطان لتخليطه "(3).

ومن هنا فإن وات كان متعصبا حين أخذ من شاخت ليحكم على رسول الله (ﷺ) من خلال آرائه الفاسدة المتعصبة .

- 
- (1)د. محمد مصطفى الأعظمى :المستشرق شاخت والسنة النبوية ، بحث ضمن كتاب : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، مرجع سابق ، ص68 .  
(2)د. عبدالرحمن حبيكة : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، سابق ، ص139 .  
(3)شاخت : أصول الفقه ، ترجمة : إبراهيم خورشيد ، د. عبدالحميد يونس ، حسن عثمان - كُتِب دائرة المعارف الإسلامية ، رقم 5 ، ط دار الكتاب اللبناني ، دبت ، ص19 .

والذى يقرأ آراء شاخت بل السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - سيدنا محمد (ﷺ) ، و تعصبه في آرائه ضد الإسلام . وتظهر هنا شبهة أثارها شاخت في كتاباته ، وهى : الطعن في صحة السند واتصاله بالنبي (ﷺ) .

يقول شاخت: "إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباري، ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث، وكانت الأسانيد لا تجد أدنى اعتناء، وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد"(1).

ويقول كذلك : "لا صحة لأي حديث منسوب للنبي - صلى الله عليه وسلم - وإن أقدم ما بين أيدينا من أحاديث الأحكام لا يرجع إلا إلى سنة (100) هجرية ليس إلا"(2) ويقول:"كانت الأسانيد كثيرا ما تلصق بصفة اعتبارية"(3) .

### النقد والتأصيل

من الشبهات التي ادعاها بعض غلاة المستشرقين من قديم ، وأقام بناءها على وهم فاسد هي : أن الحديث بقي مائتي سنة غير مكتوب ، ثم بعد هذه المدة الطويلة قرر المحدثون جمع الحديث ، وهذا زعم باطل .

"لأن الإسناد من خصائص هذه الأمة، وذلك أنه ليس أمة من الأمم يمكنها أن تسند عن نبيها إسناداً متصلاً غير هذه الأمة. فلهذا كان طلب الإسناد العالي مرغباً فيه،

كما قال الإمام أحمد بن حنبل: الإسناد سنة عن سلف. وقيل ليحيى بن معين في مرض موته: ما تشتهي؟ قال: بيت خالي، وإسناد عالي. ولهذا تداعت رغبات كثير من الأئمة النقاد، والجهابذة الحفاظ، إلى الرحلة إلى أقطاب البلاد، طلباً لعلو الإسناد. وإن كان قد منع من جواز الرحلة بعض الجهلة من العباد، فيما حكاها الرامهرمزي في كتابه الفاصل. ثم إن علو الإسناد أبعد من الخطأ والعلة من نزوله. وقال بعض المتكلمين: كلما طال الإسناد كان النظر في التراجم والجرح والتعديل أكثر فيكون الأجر على قدر المشقة. وهذا لا يقابل ما ذكرناه والله أعلم. وأشرف أنواع العلو ما كان قريباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" (4).

- 
- (1) المستشرق شاخت والسنة النبوية ، محمد مصطفى الأعظمي ، بحث ضمن ساسلة / مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، ط مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (1 / 104) .  
(2) بتصرف من السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 153-155.  
(3) المستشرق شاخت والسنة النبوية ، محمد مصطفى الأعظمي (1 / 106) .  
(4) ابن كثير : اختصار علوم الحديث ، تحقيق أحمد شاكر ، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ص 159 ، 160 .

"إن فضل السند عظيم لأنه يحفظ الشريعة من الخلط والدس فيها ، فالحديث سند ومتمن ، والسند بمثابة الدعامة التي يُعتمد عليها ويتوقف غالباً قبول الحديث ورده" (1) .

والاهتمام بالسند جاء منذ رجيل الصحابة الأول ، منذ عهد الصديق أبي بكر

"فهو أول من بدأ بإلزام الرواة بذكر أسانيدهم ، حيث سن أمر التثبت من الراوى ، فلم يقبل من أحد من الصحابة حديثاً يرفعه إلى النبی حتى يشهد معه غيره بأنه سمعه من النبي" (2) .

وفى ذلك رد على شاخت فى طعنه فى اتصال سند الأحاديث النبوية ونسبتها إلى رسول الله (ﷺ) .

"إن الفقهاء والمحدثين المسلمين قد برهنوا أن نقد المتن كان جزءاً رئيساً في عملية الحكم على صحة أي حديث، وأكدوا أن أي حديث يحظى بالقبول يجب أن يكون

خاليا من أي علة أو شذوذ في المتن أو في الإسناد، فإن مزاعم المستشرقين لم تثبت ولم تصمد أمام أدلة العلماء" (3) .

(1) د.سعد المرصفي : المستشرقون والسنة ، ط مؤسسة الريان - بيروت ، لبنان ، ص43 .

(2) السابق ، ص45 .

(3) د. عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين ، ص59 .

### المطلب الثامن : كتابات فنسك (\*) ، وتقويمها

وهذا المستشرق كسابقية من مبغضى الرسول محمد (ﷺ) وشانئيه ، وهو معروف بأنه " عدوٌ لدود للإسلام ونبيه ، وكان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى ، ثم أُخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطيب/ حسين الهوارى مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام) الذى صدر فى سنة 1936م ، وحدث بعد ذلك أن نشر (فنسك) رأيه فى القرآن والرسول مدعياً أن الرسول (ﷺ) هو الذى ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية ، والفلسفة التى سبقته . هذا والمعروف لفنسك كتاب تحت عنوان (عقيدة الإسلام) صدر سنة 1932م " (1).

ومن أقوال فنسك التى تبين تعصبه ضد الرسول وحقده عليه ، قوله :

"إن النبي كان يُبشّر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية ، ومن ثمّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين فى التوراة والإنجيل ، لينذر قومه بما حدث لمكذّبي الرسل قبله ، وليثبّت أتباعه القليلين من حوله" (2).

(\*فنسنك (1882 – 1939م) ، مستشرق هولندي ، كان أول إنتاجه هو رسالته التي حصل بها على الدكتوراة في سنة 1908م وعنوانه (محمد واليهود في المدينة) باللغة الهولندية . وفي سنة 1916م ، أعلن عن عزمه على وضع معجم مفهرس بحسب الألفاظ وبالترتيب الهجائي للأحاديث الواردة في كتب السنة الصحاح الستة ، وفي مسند أحمد ، وموطأ مالك وهو ما نعرفه باسم (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف) ، ثم أصدر معجماً آخر مختصراً نقله إلى العربية : محمد فؤاد عبدالباقى تحت عنوان (مفتاح كنوز السنة) ، وله كتاب (العقيدة الإسلامية : نشأتها وتطورها التاريخي) . انظر : د. عبدالرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص 417 .

ملحوظة : هناك من يسمي هذا المستشرق (ونسك) بالواو ، كالأستاذ محمد رشيد رضا – يرحمه الله – في مقدمته على الكتاب ، وهو الاسم الذي وُضع على غلاف كتابه (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) ؛ ممايدلُّ على أن الاسم الأرجح والأشهر ، كما أنني رأيت صورة من خطاب فنسنك للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – يرحمه الله – يتنى فيه المؤلف على ترجمة الأستاذ فؤاد عبدالباقى للكتاب إلى العربية ، وقد وقّع فيها باسم (فنسنك) بالعربية . وبعض العلماء يسمونه (ونسك) بالواو ، كالأستاذ الشيخ / أحمد شاکر – يرحمه الله – في مقدمته على الكتاب نفسه .

(1)د. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ص44، 45 .

(2)أحمد عبد الحميد غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ط ، المنتدى الإسلامي، لندن 1411هـ ، ص9

## أشهر أعمال فنسنك

من أشهر أعمال فنسنك :

1-مفتاح كنوز السنة الذي كتبه سنة 1927م باللغة الإنجليزية ، ونقله إلى العربية الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – يرحمه الله – سنة 1934م ، وقد قامت بطاعته لأول مرة : إدارة ترجمان السنة في لاهور سنة 1978م .

وقد عوّل صاحب هذا الكتاب في فهرسة الأحاديث على الكتب الآتية :

الكتب الستة ، ومسند أحمد ، وموطأ مالك ، ومسند أبي داود الطيالسي ، وسنن الدارمي ، وسيرة ابن هشام ، ومغازي الواقدي ، وطبقات ابن سعد ، والمسند المنسوب إلى زيد بن علي .

2- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، وقد رتبته ونظمه لفيف من المستشرقين، ونشره الدكتور (فنسنك) ، وطبعته لأول مرّة مكتبة بريل بمدينة ليدن

سنة 1936م ، وقد ضمّ هذا الكتاب الكتب الستة ، ومسند الدارمي ، وموطأ مالك ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل .

### نماذج تؤكد اقتباس وات من كتب فنسك:

1- يشكك وات في صيام يوم عاشوراء معتمداً على فنسك فيقول :

"ويحوم شك أقل حول صيام عاشوراء" (1).

وينقل عنه : " وكان محمد في بعض المناسبات الخاصة يذهب للصلاة في المصلى في أراضي بنى سلمة ، وربما كان ذلك في المسجد الذي أسس على التقوى ، كما يقول القرآن" (2).

3- وينقل عنه كذلك : "والركن الرابع هو الحج ، ويسمى في بعض الأحيان (الحج الأكبر) تمييزاً له عن العمرة أو الحج الأكبر" (3).

---

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 304 .

(2) السابق ، ص 466 .

(3) السابق ، ص 468 .

### تقويم كتابات فنسك :

ومما سبق ذكره من افتراءات فنسك ، ندرك أنه كإخوانه من المستشرقين قد اتهم النبي (ﷺ) بأنه استمد دينه من الأديان السابقة .

وصدق الله تعالى : "كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . البقرة : 118 "

ويقول تعالى : "أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ . الذاريات : 53 " .

وهذه المعاجم التي رتبها وأشرف عليها فنسك ، والتي سبق الحديث عنها تعتبر سلاحاً ذا حدين . فقد يكون الرجوع إليها مفيداً بالنسبة للباحث المسلم ؛ إذ أنها تسعفه في الحصول على مكان هذه الأحاديث من مظانها ؛ وبهذا فهي توفر الجهد والوقت .

وقد يكون الرجوع إلى هذه المعاجم من الخطر بمكان ، وذلك بالنسبة للمستشرقين .  
فإنهم يستخدمونها للوصول بسرعة إلى النصوص النبوية التي يريدون الطعن فيها .  
والحقيقة أن هذا الهدف (الهدف الثانى) كان هو المصيطرَ والمستحوذ على فنسك  
وزملائه حين وضعوا هذه المعاجم ... فليحذر المتقف المسلم من ذلك .

ولفسنك آراءً تنم عن حقه على رسول الله (ﷺ) ، وهذه شبهة من شبهاته :

" وإن من أخطر آراء فنسك رأيه في كلمة إبراهيم، ورأيه في كلمة كعبة (في  
دائرة المعارف الإسلامية). فقد أشار تحت لفظ إبراهيم : إلى أن الآيات المكية  
ليس فيها ذكر لنسب إسماعيل إلى إبراهيم ، ويقول : إنه لا يعرف شيئاً عن شعور  
محمد نحو الكعبة في شبابه وبعد الرسالة إلا بعد أن هاجر بعام ونصف ، وأن ما  
لديه من تاريخ حياته لا يصح أن يؤخذ أساساً تاريخياً. ونسب (فنسك) إلى النبي  
محمد (ﷺ) أنه لم يشذ عن الجماعة في العبادة المكية ، أي بعبارة أصح : أنه كان  
وثيقاً قبل البعثة وأن فنسك لا يعرف شعور محمد نحو الكعبة" (1).

على أن الثابت أن النبي (ﷺ) كان يتعبد فى غار حراء بعيداً عن أهل مكة الوثنيين ،  
وكان يتجنب عبادة الأصنام ، وما سجد لأصنم قط .

---

(1)د. سيد العفانى : أعلام وأقزام فى ميزان الإسلام ، ط1 دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية،  
2004م (467/2).

## النقد والتأصيل

والذى يقرأ آراء فنسك السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام  
- سيدنا محمد - (ﷺ) ، و تعصبه فى آرائه ضد الإسلام .

ويرد الدكتور الهراوي على هذه الشبهة فيقول:

"إن عبادة محمد كما وردت في كتب السيرة معروفة تماماً فقد كان في الغار شهراً،  
ثم يطوف بالكعبة ويوزع الصدقات. وكان يحترم الكعبة ويتجنب الأصنام، وكانت

عبادته بالغريزة والوراثة تتصل بعبادة جده الأعلى إبراهيم . ومما أورده الدكتور الهراوي ردًا على فنسك القائل: بأن الآيات المكية ليس فيها إشارة إلى علاقة محمد بالكعبة، قال: إننا نذكره بالآية {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}، إلى قوله: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}. وقال: هلا يفهم فنسك أن الحج هو استجابة لهذا الدعاء إن لم يكن بناء البيت في هذا المكان لغرض الحج. وفنسك يعرض بالاختراع في الدين ويصرح بأن ملة إبراهيم اخترعت اختراعًا، ويزعم أن محمدًا أراد بهذا الاختراع أن يتصل بيهودية إبراهيم والواقع أنه: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}، ، ويقول الهراوي: فأنت ترى أنهم اختلفوا في أسانيدهم التاريخية واتفقوا على أن محمدًا كان يخدع ويدس ويطلب علاقات اليهود" (1) .

---

(1) د سيد حسين العفانى : أعلام وأقزام فى ميزان الإسلام ، ط1 دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية ، 1424 هـ - 2004 م (2/ 468) .

### المطلب التاسع : كتابات بولين(\*) ، وتقويمها

لقد اعتمد وات أيضا عند دراسته للوحى المحمدى على نظرية للمستشرق (بولين)، وطبق نظريته المتعلقة بالكلام الداخلى على وحى سيدنا محمد (ﷺ) .

وقد أعلن وات أنه أخذ عن بولين كثيرا فقال :

" وسيكون من المفيد فيما يتعلق بهذه النقطة أن نقدم بعض المصطلحات الفنية التى استخدمها بولين فى مبحثه : The Graces of Interior Prayer (1) ، فسيكون هذا كافيا لأغراض بحثنا الآن . ميز بولين عند مناقشته لجوانب التجربة الدينية التى أطلق عليها: الوحى الكلامى أو الكلام المنزل Locution والرؤى -Visions بين

نوعين: خارجي exterior وادخلي interior ، فالوحي الكلامي من النوع الخارجي يتكون من كلمات تسمعها الأذن ، رغم أن هذه الكلمات لم تصدر بطريقة طبيعية (من فم مثلا) ، وكذلك الأمر بالنسبة للرؤى الخارجية exterior vision أو الرؤى العينية Ocular فهي رؤى لأشياء مادية (أو ما يبدو كذلك) يتم ادراكها بالعيون البشرية. والرؤى فى سورة النجم تدخل فى هذا النوع- أى أنها رؤى خارجية exterior. أما الوحي الداخلى بالكلمات، interior locution فيقتسمه بولين الى: تخيلى imagenative وعقلى، intellectual أما التخيلى فيتم تلقيه مباشرة دون مرور بالأذن إذ يمكن أن نقول إنه وصل عن طريق حاسة الخيال. imaginative sense وأما العقلى، فهو توصيل بسيط للأفكار دون استخدام كلمات، وبالتالي لا صلة له بأية لغة محددة . وقد تكون الرؤى الداخلية interior visions مثل ذلك، أى إما تخيلية واما عقلية . ويمكننا الآن الاستعانة بهذه الأدوات لدراسة القران الكريم والروايات المتداولة حول الوحي (2).

وهذا النص يبين اعتماد وات على بولين فى أكبر قضية فى السيرة النبوية ، وهى قضية الوحي .

---

(\* هو : صاحب كتاب : عظمة الصلاة الداخلية ، وقد طبق بولين هذه النظرية على القديسين المسيحيين . ولم أجد له ترجمة ، لا فى كتب نجيب العقيقى ، ولا فى موسوعة د عبدالرحمن بدوى ، ولا حتى على شبكة الإنترنت ، وذلك بعد الجهد الجهد .  
(1) أى : عظمة الصلاة الداخلية .  
(2) موننجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 124 .

### تقويم كتابات بولين (\*)

"لقد اعتمد وات على دراسة قام بها بولين Poulain عن الصلاة الداخلية أو الباطنية ، أو الدعاء الباطنى أو المناجاة الداخلية (Graces of interior prayer) التى تناول فيها بعض التجارب الدينية أو (الصوفية) مثل (الرؤى) و (سماع الكلام) و (الحوار الداخلى) فى النفس ، وقسم بولين الوحي الداخلى بالكلمات إلى : تخيلى وعقلى . لاحظ أن بولين طبق نظريته هذه على القديسين المسيحيين ولم يتعرض إلا قليلا للتجربة التى خاضها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . لكن وات أخذ بنتائج

زميله بولين، وراح يطبقها على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ومن أفكار بولين أن الوحي هو معانٍ تقذف في النفس دون استخدام كلمات ؛ وبالتالي لا صلة له بأية لغة محددة . ويلاحظ أن بولين عندما يستخدم عبارات مثل (النوع التخيلي) أو (النوع العقلي) .. الخ ، لا يقصد أية سخرية أو انكار لمحتوى التجربة الدينية فهو يطبق مبحثه - كما سبق القول - على القديسين المسيحيين " (1).

لكن وات أخذ هذه النظرية وراح يطبقها على الوحي الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ .

وهذا تطبيق للنظرية في غير محلها ، وعلى غير مُراد صاحبها منها ؛ وبذلك يكون وات قد حملَ نظرية بولين ما لا تحتمله ، وتعسّف في تفسيرها . وهذا مُنافٍ لأمانة البحث العلمي . وسيأتى الرد - إن شاء الله - على هذا الزعم في الباب الثالث ، في مبحث : (الوحي ومعجزة القرآن) .

---

(\*) وقد قمت بالرد تفصيلا على هذه الشبهة وتقويمها في الباب الثالث ، في آخر مبحث / الوحي ومعجزة القرآن ، في مطلب / الوحي ومعجزة القرآن في فكر وات ؛ مما يغنى عن ذكره هنا .  
(1) مونتجمري وات : محمد في مكة ، مقدمة المترجم ، ص 26 .

## الفصل الثاني :

مصادر دراسة السيرة النبوية في فكر كارين  
أرمسترونج، وتقويمها ، ويشتمل على مبحثين:

## المبحث الأول :

المصادر الإسلامية فى فكر كارين ، وتقويمها .

## المبحث الثانى :

المراجع الاستشراقية فى فكر كارين ، وتقويمها .

## المبحث الأول :

# المصادر الإسلامية في فكر كارين ، وتقويمها .

## مدخل ..

لقد اعتمدت كارين أرمسترونج - أولاً - على المصادر الإسلامية التي كتبها الأولون في السيرة النبوية ، وهذا هو الواجب فعله على كل من يتصدى لكتابة التاريخ ، من منطلق أن السيرة النبوية جزء مهم من التاريخ عامة ، والتاريخ الإسلامي خاصة .

وأهمية الرجوع إلى كتابات الأولين في السيرة راجعة إلى أن "كتابة السيرة والتاريخ عموماً ليست من صنع الخيال ، وابتداع الذكاء ، بل هو البحث عن حقائق مرّت على هذا العالم في فترة من الفترات ، وعن أحداث كانت ماثلة في مكان ما ، وعن حياة عاشها فرد أو مجتمع بكل ما في هذه الحياة من أبعاد" (1).

يقول الطبرى - يرحمه الله - "والعلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادئين غيرُ واصل إلى من لم يشاهدهم ، ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس" (2)

وقد أفصحتُ كارين عن مصادرها فى هذه الدراسة ، ولا شك أنها قد استخدمت مصادرَ إسلامية ، ومراجع استشرافية كذلك .

---

(1)د. فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ص31 .

(2)محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (8/1) .

## المصادر الإسلامية ، وهى :

### 1- القرآن الكريم :

وقد حددت كارين مصدرها الرئيس فى هذا البحث فقالت :  
"مصدرنا الرئيسى للمعلومات هو القرآن الذى قرأه محمد على العرب" (1).  
وسوف أذكر أمثلة تؤكد اعتماد كارين على القرآن الكريم كمصدر أساسى لدراستها فى السيرة النبوية ، وذلك سيأتى - إن شاء الله - بالتفصيل عند الكلام على قواعد منهج كارين فى الباب الثانى (\*) ؛ مما يغنى عن ذكرها هنا .  
لكننى أود أن أشير هنا- سريعا - إلى أن كارين لم تحسن التعامل مع القرآن الكريم كمصدر رئيسٍ من مصادر دراسة السيرة النبوية ، كما أن استشهاداتها بالآيات القرآنية كان ينم عن عدم فهمها لهذه الآيات ، وقد اتضح لى - بالتقصى - أنها لم

ترجع إلى أى تفسير معتمد وإنما كانت تأخذ عن بعض الترجمات القرآنية لبعض المستشرقين ، وهى بذلك لم تكن أمينة فى استخدامها للقرآن الكريم .

## 2- السنة النبوية :

وأما بالنسبة للسنة النبوية ، فقد جعلت كارين من مصادرها الجامع الصحيح ، المسمى (صحيح البخارى) ، ودلائل النبوة للبيهقى ، وقد تأكدت من ذلك بالرجوع إلى هوامش كتبها وفهارسها ، كما أنها لم تكن أمينة فى استدلالاتها بالسنة النبوية . كما أننى ذكرت أيضا أمثلة تؤكد اعتماد كارين على السنة النبوية كمصدر من مصادر دراستها للسيرة النبوية ، وذلك سيأتى - إن شاء الله - بالتفصيل عند الكلام على خصائص منهج كارين فى الباب الثانى ؛ مما يغنى عن ذكره هنا .

## 3- كتب السير والتاريخ الإسلامى :

ومصادرها من كتب السير والتاريخ الإسلامى التى اعتمدت عليها هى : "سيرة ابن إسحاق ، ومغازى محمد بن عمر الواقدى ، الطبقات الكبرى لابن سعد ، تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبرى . أصبحت هذه المصادر الأولى لا غنى عنها لأى كاتب لسيرة النبى (ﷺ) ، وسيتم الرجوع إليها تكرارًا فى هذا الكتاب " (2) .

وبذلك تكون المصادر الإسلامية التى اعتمدت عليها كارين هى نفس المصادر الإسلامية التى اعتمد عليها وات ، فما قيل هناك يقال هنا ؛ ولذا لن أكرر هنا ما قلته عند معالجة مصادر وات .

(1) محمد نبى لزماننا ، ترجمة : فاتن الزلبانى، ط1 مكتبة الشروق الدولية ، 1429هـ ، 2008م ، ص23 .

(\* ) انظر ص182 ، وما بعدها .

(2) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص22

## المبحث الثانى

المراجع الاستشراقية فى فكر كارين ويشتمل على عدة مطالب ، وهى :

- المطلب الأول : كتابات مونتجرى وات وتقويمها .
- المطلب الثانى : كتابات رودنسون وتقويمها .
- المطلب الثالث : ترجمة آربرى لمعانى القرآن وتقويمها
- المطلب الرابع : كتابات نيكلسون وتقويمها .
- المطلب الخامس : كتابات آرنولد توينبى وتقويمها .
- المطلب السادس : كتابات برنارد لويس وتقويمها .
- المطلب السابع : كتابات ظفر الله خان وتقويمها.

### المصادر الاستشراقية

لقد اعتمدت كارين فى دراستها للسيرة النبوية على بعض المصادر الاستشراقية .  
وخطورة الرجوع إلى هذه المصادر للحكم من خلالها على الرسول (ﷺ) ، أن مصنفها هم من المستشرقين الذين لا يفهمون لغة القرآن ، ولا يعرفون عن سيرة النبي (ﷺ) ما يؤهلهم لتفسير وقائعها والحكم عليها ؛ ولذا فإن شهادتهم فى هذا الأمر مجروحة ، وهى وإن قُبل بعضها فبَحَدْرٍ وبَقَدْرٍ .  
والخطرُ كُلُّ الخطر أن يتخذ المثقفون المسلمون من المصادر الاستشراقية أداة للبحث فى سيرة رسول الله (ﷺ) .

يقول المستشار/ على جريشة : "ولا ريب أن أخطر آثار الاستشراق هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجعَ أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقہ والعقائد وغير ذلك" (1) .

ولو أن كارين قد اقتصرت في بحثها على المصادر الإسلامية والتاريخية والعلمية ، لجاء بحثها خاليا من الشطحات الملحوظة التي أخرجتها من الأمانة العلمية التي هي غاية كل باحث ينشد الحق بدليله .

وهذه بعض مصادر كارين الاستشراقية .

كتابات مونتجمري وات .

كتابات رودنسون .

ترجمة آربري لمعاني القرآن .

كتابات نيكلسون .

كتابات آرنولد توينبي .

كتابات أندراى تور .

كتابات مارتن لنجز .

كتابات برنارد لويس .

كتابات ظفر الله خان .

---

(1)د. على جريشة ، محمد الزبيق : أساليب الغزو الفكرى ، ص26 .

### المطلب الأول : كتابات مونتجمري وات وتقويمها (\*) .

لقد اعتمدت كارين على كتابي وات في السيرة ، وهما : (محمد في مكة ، ومحمد في المدينة) وقالت بالحرف الواحد :

"وأنا أقر بدينى الكبير إلى المجلدين الذين كتبهما مونتجمري وات ، وهما (محمد في مكة ، ومحمد في المدينة) " (1) .

وليس معنى ذلك أن كارين قد تبنت آراء وات في كل القضايا ، بل لقد خالفته في البعض ، لكنها في النهاية تأثرت بفكره إلى حد كبير ورددت بعض شبهاته . وهذا مثال على مخالفتها له أحيانا في الرأي :

فهو مثلا ، يرى وات أن من أسباب الهجرة إلى الحبشة حدوث "انقسام حاد في الرأي بين الجماعة الإسلامية الناشئة" (2).

لكن كارين تردُّ عليه بقولها : "إن كانت تلك الخلافات هي الدافع إلى الهجرة ، فلا بد وأنها لم تكن جدية ، فرغم أن عبيدالله بن جحش تحول إلى المسيحية أثناء وجوده في الحبشة ، فقد عاد عثمان مسرعاً إلى مكة حالما ساد الأمن واستمر في ولائه لمحمد وأبي بكر" (3).

ولم يتوقف الأمر على رفضها لآراء وات وحده بل أعلنت رفضها لكثير من آراء الغربيين والمستشرقين المتعصبين ، فقالت بخصوص فرية الخرائيق :

"لكن الأعداء الغربيين للإسلام رأوا في القصة مناسبة كي يشككوا في محمد ويبرهنوا على عدم إخلاصه . فكيف لرجل قام بتغيير الكلمات السماوية طبقاً لما ارتآه أن يكون نبياً حقاً؟" (4).

كما تردُّ كارين على المستشرقين زعمهم – بإزاء زواج النبي (ﷺ) بزَيْنَب بنت جحش رضي الله عنها – وتهاجمهم في قولهم بأن الحادث كان برهانا على شهوة سيدنا محمد (ﷺ) للنساء وعن استغلاله للوحي من أجل تحقيق ما يشتهيهِ ، فنقول :

"لو أنه ابتغى زينب لجاذبيتها الجنسية لتزوجها قبل ذلك بسنوات عديدة ، كما أن الحادثة تبرهن أيضاً على أن العلاقة بالنبي تختلف عن صلة الدم وليس لها أن تمنع الزواج" (5).

(\*لم أرد على الشبهات التي ذكرها وات هنا ؛ وذلك لأنني سأتناولها بالبحث على مدار هذه الرسالة .

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 23 .

(2) موننتجرى وات : محمد في مكة ، ص 242 .

(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 186 .

(4) السابق ، ص 292 ، 293 .

(5) السابق ، ص 171 .

### نماذج تؤكد اقتباس كارين من كتب موننتجرى وات:

لقد اقتبست كارين من وات اقتباسات كثيرة ، منها :

1- تنقل كارين عن وات قوله : "وبعد وصول محمد إلى المدينة بقليل ، بدأ في إرسال عصابات من المهاجرين في حملات للإغارة " (1).

2- وتنقل عنه كذلك : " في البداية ، حارب محمد (ﷺ) طبقا للقواعد التقليدية ، ولكن في رجب 2 هـ ، 624م قبيل تغيير القبلة ، خاض تجربته في الحرب غير المتوقعة " (2).

3- وتنقل عن وات قوله في حادث الإفك : "فبعد أسابيع قليلة من آيات الحجاب ، شنّ أعداء محمد (ﷺ) هجوما شريرا على عائشة لتدمير محمد (ﷺ) ، وكادت تُقسّم الأمة " (3).

4- وعن موقف النبي (ﷺ) من ابن سلول والمنافقين ، تنقل كارين عن وات قوله :  
"وبعد غزوة أحد أعطى القرآن لابن أبيّ وصحبه اسمًا جديدًا وهو (المنافقون) والتي عادة ما تترجم إلى (hypocrites) غير أن مونتجمري وات يرى أن التأويل الأكثر صحة هو (الزواحف) أو (الفئران) ؛ لأن ابن أبيّ وصحبه زحفوا متسللين إلى جحورهم إبان غزوة أحد مثل حيوانات ضئيلة منزعة " (4).

إن كتابات وات مليئة بالطعون على النبي (ﷺ) وسيرته الشريفة ، وسيوضح ذلك للقارئ بجلاء من خلال هذه الرسالة التي استغرقت فكر وات في السيرة النبوية .

وكما لاحظ القارئ ، فإن كارين قد اعتمدت على كتابات وات واقتبست منها كثيرا ، بل قد تكون كتابات وات هي المرجع الأول لكارين .

---

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص118 .

(2) السابق ، ص120 .

(3) السابق ، ص156.

(4) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص283.

## المطلب الثاني : كتابات رودنسون (\*) وتقويمها .

رودنسون ، مستشرق ماركسي معروف بعدائه للإسلام وبخاصة كتابه : (محمد) الذي أخذت عنه كارين .

ويقول أحد المتخصصين في هذا الميدان بعد دراسة عميقة لكتابه (محمد) :

"إن رودنسون خصم عنيد لرسول الله (ﷺ) ، وهو متخصص في مهاجمة الإسلام مثل معظم المستشرقين وإن ادعى أنه يناصر القضية الفلسطينية" (1).

ومن افتراءات رودنسون على القرآن والرسول (ﷺ) أنه يقول :

"إن القرآن الكريم ليس من وحى الله سبحانه ، ولكن كتبه واحدٌ كان يجيد الشعر، ولولا أنه مكتوب على شكل شعر من النبي (ﷺ) ما استمر القرآن ، وقال أيضا : إن الرسول في سلوكياته تزوج السيدة خديجة لأنها كانت غنية ، وهو كان يريد أن يرتفع إلى مستواها" (2).

ومما سبق ذكره عن سيرة رودنسون تتضح عداوته للإسلام ونبيه ، وأنه لم يكن يكف عن ترديد شبهاته في كتبه ؛ وبالتالي فهو مصدر مشبوه وغير مؤهل لأن يكون أداة للحكم على رسول الله (ﷺ) .

وبالرغم من هذا العدا لرسول الله (ﷺ) فقد أخذت عنه كارين ، تقول :

"ربما كانت أكثر كتب السيرة النبوية المتاحة للقراء حاليا جاذبية كتاب (ماكسيم رودنسون) بعنوان : محمد ، ولقد تعلمت منه كثيرا" (3).

---

(\*رودنسون مكسيم : ولد 1915م ، وحصل على الدكتوراة في الآداب ثم حصل على شهادة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ، وعيّن أستاذا في المعهد الإسلامي ببييدا من لبنان ، ومن مؤلفاته : كتاب محمد ، وكتاب : الإسلام والرأسمالية ، الماركسية والعالم العربي . انظر : نجيب العفيقي : المستشرقون (1/359، 360) .

(1)د. محمد أبو ليلة : محمد بين الحقيقة والافتراء ، ص20 .

(2) السابق ، ص22 ، وهذا كلام الدكتور/ مفيد شهاب ، بعد قراره بمنع تدريس هذا الكتاب بالجامعة الأمريكية في مصر (فجزاه الله خيرا) .

(3)كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص24 .

### نماذج تؤكد اقتباس كارين من كتب رودنسون:

1- رجعت كارين(\*) إلى كتاب محمد لرودنسون ، واقتبست منه رواية للسيوطي في الإتقان ، وهي :

" أخرج ابن سعد عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتبرد وجهه : أي يتغير لونه ويجد برداً في ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان"(1).

وقالت كارين في هامش كتابها (\*) بعد ذكر هذه الرواية :

(2) "Quoted in maxime Rodinson, Mohammed"

وترجمته : " هذه الرواية مقتبسة من كتاب محمد لمكسيم رودنسون " ؛ وهذا يعنى أن كارين لم ترجع إلى كتاب الإتيقان للسيوطي لتأخذ منه هذه الرواية ، وإنما نقلتها عن رودنسون . وقد ذكرت ذلك في هامش كتابها ، وهذه أمانة علمية تُحسب لها .

2- كما نقلت كارين (\*\*\*) عن رودنسون أيضاً رواية السيوطي المتعلقة بوصف النبي (ﷺ) لحالته عندما كان الوحي ينزل عليه : "أَسْمَعُ صَلَاحًا لَمْ أَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ عِنْدَ ذَلِكَ فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تُقْبَضُ" (3) .

وربما لم يكن كتاب الإتيقان للسيوطي المترجم إلى الإنجليزية متوفراً لدى كارين ؛ ولهذا عوّلت على كتاب محمد لرودنسون ، والذي جعلني متأكداً من ذلك أنها لم تأخذ من الإتيقان للسيوطي شيئاً إلا وقالت : إنها قد اقتبسته من رودنسون في كتابه (محمد) ، ولقد ازددت يقيناً بما أقول حين تتبعت هوامش كتابيها .

---

(\*) انظر . كارين : محمد نبي لزماننا ، ص52.

(1) جلال الدين السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394هـ / 1974 م ، (30/1).

(2) محمد نبي لزماننا ، ص196.

(\*\*) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص137.

(3) السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن (160/1).

**تقويم كتابات رودنسون(\*):**

سبق أن تكلمت عن رجوع كارين إلى رودنسون لتأخذ منه بعض الروايات التي ذكرها الإمام السيوطي في الإتيقان ، وأنها لم تأخذ عن السيوطي مباشرة وإنما أخذت عنه بواسطة رودنسون .

وكان يجب على كارين أن ترجع إلى كتاب الإتيقان نفسه لتأخذ منه ما تشاء من روايات ، وأن تُجهد نفسها في البحث عن نسخة إنجليزية ترجع إليها في بحثها ، لاسيما وأن رودنسون معروف بعذائه الشديد للإسلام ونبيه محمد (ﷺ) ، وتحامله عليهما .

ولذا ؛ فقد أحسنت كارين إلى حد ما (في هذا الجانب) حين لم تأخذ عن رودنسون إلا بعض الروايات من كتابه (محمد) ، ولم تَرِدْ شبهة من شبهاته .

بل لقد عابت عليه منهجه الشكي في دراسته للإسلام ، فقالت عنه :

"إنه يكتب من وجه نظر المتشكك والعلماني . ولمّا كان يركز في كتابه على الجوانب السياسية والحربية في حياة النبي (ﷺ) فإنه لا يُعِينُنَا حقا على تفهُم الرؤية الروحية للنبي محمد (ﷺ)" (1).

---

(\*) للتوسع في الرد على شبهات وافتراءات رودنسون يمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور محمد أبوليلة : محمد (ﷺ) بين الحقيقة والافتراء ، فقد ردّ فيه على معظم افتراءات رودنسون بالتفصيل ؛ حيث إنها دراسة انفردت بكتاب "محمد" لرودنسون .. عرض ونقد . فليرجع إليه .  
(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 24 .

والذى يقرأ آراء فنسك السابقة يتضح له حقه الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - سيدنا محمد - (ﷺ) ، و تعصبه فى آرائه ضد الإسلام . وقد اثار هنا شبهتين : الأولى : أن القرآن الكريم ليس من وحى الله سبحانه ، ولكن كتبه واحد كان يجيد الشعر .

الثانية : أن الرسول فى سلوكياته تزوج السيدة خديجة لأنها كانت غنية ، وهو كان يريد أن يرتفع إلى مستواها .

بالنسبة للشبهة الأولى ، وهى أن النبى (ﷺ) كان شاعرا وأن ما جاء به من القرآن كان شعرا ، فهى شبهة باطلة ، ودعوى ساقطة ؛ لأن النبى (ﷺ) لم يُعرف أبدا أنه كان ينظم الشعر ولو لمرة واحدة ، بل نفى القرآن ذلك عنه بقوله : قال تعالى: { وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } الشعراء : 224 .

وقال سبحانه: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } يس: 69 وقال تعالى أيضا: { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ } الحاقة : 41 .

يقول الدكتور محمد أبو ليلة : "إننا لا نعرف ولا يوجد دليل البتة على أنه (ﷺ) كتب لشعر قط أو وضع نفسه فى مصاف الشعراء أو وضعه أحد من معاصريه أو من غير معاصريه فى عدادهم ، هذا بالرغم من علو مكانة الشعراء ونفوذهم فى بيئتهم" (1) .

يقول القاضى أبو بكر الباقلانى : " وهذا يدل على أن ما حكاه عن الكفار - من قولهم: إنه شاعر، وإن هذا شعر - لا بد من أن يكون محمولا على أنهم نسبوه إلى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة فى نظم الكلام، لا أنهم نسبوه فى القرآن إلى أن الذى أتاهم به هو من قبيل الشعر الذى يتعارفونه على الاعاريض المحصورة المألوفة. أو يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم فى وصفهم إياهم بالشعر، لدقة نظرهم فى وجوه الكلام وطرق لهم فى المنطق. وإن كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة. أو يكون محمولا على أنه أطلقه بعض الضعفاء منهم فى معرفة أوزان الشعر . وهذا أبعد الاحتمالات. فإن حمل على الوجهين الاولين كان ما أطلقوه صحيحا، وذلك أن الشاعر يفتن لما لا يفتن له غيره، وإذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه - فى رأيهم وعندهم - أقدر، فنسبوه إلى ذلك لهذا السبب" (2) .

(1)د. محمد أبو ليلة : محمد (ﷺ) بين الحقيقة والافتراء ، ط1 دار النشر للجامعات، 1999م ، ص122 .

(2)أبو بكر الباقلانى : إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط3 - دار المعارف بمصر ، ص51 .

ويُفهم من كلام الباقلاني أن وصف العرب للرسول (ﷺ) قد لا يكون بالمعنى المتبادر إلى الذهن لیتساوى بذلك مع بقية الشعراء ، وإنما أرادوا بالشاعر : الحكيم الفطن كما كانوا يطلقون على حكمائهم وأهل الفطنة منهم لرجاحة عقلهم .

"ولو كان القرآن شعرا لسهل عليهم أن يحاكوه أو أن يأتوا بمثله ، فقد كانوا من أمهر الأمم فى الشعر إبداعا وتذوقا ورواية ورعاية ، لكنهم لم يفعلوا ذلك ولا حاولوه" (1) .

وبالنسبة للشبهة الثانية : الذى يجعل فيها زواج النبى (ﷺ) مقصورا على الناحية المادية البحتة ، وادعائه أنه (ﷺ) قد تزوجها حتى تغنيه مستغلا كبر سنها ، وعظم جاهها ، فإن ذلك كله يتهاوى إذا علمنا الآتى :

"أن هذا الزواج المبارك قد تم بترتيب إلهى بحت ، تقدير ربانى صرف ، كما كان فاتحة خير على الدنيا كلها ، لا على محمد بمفرده . هذا ولم يكن لسيدنا محمد (ﷺ) من غنى السيدة خديجة غير ما اعتاد عليه طول حياته من زاد قليل وملبس متواضع.... وإن حياته لم تكن تختلف من حيث مظاهر العيش ووجوه الإنفاق قبل الزواج عنها بعد الزواج" (2) .

هذا.. وقد رددت على هذه الشبهة بشئ من التفصيل فى الباب الثالث ، مبحث : زواج النبى (ﷺ) وأزواجه فى فكر وات ، فليُرجع إليها .

---

(1)د. محمد أبو ليلة : محمد (ﷺ) بين الحقيقة والافتراء ، ص123 .

(2)السابق ، ص75 .

## المطلب الثالث : ترجمة آبري (\*) لمعاني القرآن وتقويمها .

إن أى ترجمة استشراقية لمعاني القرآن الكريم ، لا تخلو من الأخطاء المتعمدة (غالبا) وغير المتعمدة (نادرا) .

وترجع هذه الأخطاء إلى عدة أسباب ، أهمها :

- 1- عداؤهم الشديد للإسلام ، ومحاولة الدسّ في القرآن والتحريف فيه .
- 2- جهلهم بلغة القرآن وبلاغته الإعجازية ، أضف إلى ذلك عجمة لسان المترجم .
- 3- اختلاف الدين ، فمهما كان المستشرق حياديا أو موضوعيا فهو فى النهاية يهودى أو نصرانى متأثر بديانته .

إن الترجمة الاستشراقية للقرآن لا بد أن نتعامل معها بحذر وبقدّر ، لاسيما إن كان المترجم على غير الإسلام ؛ لأن عدم إسلامه أكبر دليل على تمسكه بعقيدته المنحرفة ، ومن ثمّ يدسّ فى هذه الترجمة ما يشاء من معتقداته الفاسدة .

ولذا أقترح أن تخرج ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، تكتب بأيدٍ أمينة ويرتضيها علماء المسلمين ويجتمع المسلمون فى الشرق والغرب عليها .

---

(\*) آرثر جون آبري (1905 – 1969م) ، مستشرق إنجليزي برز فى التصوف الإسلامى والأدب الفارسى، درس اللغة العربية على يدى الأستاذ العظيم / نيكلسون فأنثر فيه تأثيرا شديدا ، ومن مؤلفاته (تراث الإسلام ، موقف الإسلام من الحرب ، الإسلام اليوم ، المدخل إلى تاريخ الصوفية ) ، وفى أوائل الخمسينات أخذ آبري على عاتقه القيام بترجمة جديدة للقرآن ، وهى ترجمة لمختارات من بعض آيات القرآن ، وفى عام 1955م أصدر ترجمته المفسرة للقرآن فى مجلدين . انظر د. عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ص5-7 ، وانظر أيضا : د. نجيب العقيقى : المستشرقون (136/2) .

## نماذج تؤكد اقتباس كارين من آربري:

1- لقد اعتمدت كارين على ترجمة آربري لمعاني آيات القرآن الكريم ، فقد قالت :

"All quotations from the Qu'ran are taken from the translation of Arthur J. Arberry, the Koran interprete"[1]

وترجمته :

" وكل اقتباساتي من القرآن الكريم مأخوذة من ترجمة آرثر جون آربري للقرآن ، والتي تسمى ( القرآن مفسراً )".

وعلى ذلك فهذا الاعتراف يغنينا عن حصر الاقتباسات التي اقتبسها كارين من آربري كما فعلت من قبل مع بقية المصادر ؛ إذ أن كل استشهادات كارين القرآنية كانت من آربري ، وذلك حسب اعترافها .

ومع ذلك فهذا أنموذج من اقتباساتها من ترجمة آربري :

فقد ذكرت كارين سورة الضحى : " وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ .

ثم ذكرت أنها مأخوذة من ترجمة آربري (2).

---

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص395.

(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص138 .

## تقويم ترجمة آبري لمعاني القرآن الكريم

لا يختلف آبري عن سابقيه في عدائهم للإسلام وكرهيتهم له ، وقد صنّفه الدكتور مصطفى السباعي ضمن أسماء أخطر المستشرقين المعاصرين فهو "معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا" (1).

وقد اعتمدت كارين على ترجمته للقرآن ، وهي ترجمة معيبة ، وقد درسها أحد الباحثين المتخصصين في هذا الميدان فخرج بالآتي :

"تعتبر ترجمة الإنجليزي آبري من الترجمات الجيدة نوعاً ما ، إلا أنها لم تخلُ كذلك من سموم في داخلها لتضليل الناس عن طريق الصواب . انظر إليه وهو يترجم الآية : [ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ] [الأعراف : 157] .

[Those who follow the Messenger, the prophet of the common folk]

## النقد والتأصيل

1- وهذه الترجمة من آبري يمكن ترجمتها بالعربية إلى : (الذين يتبعون الرسول نبي العوام ) أو (العامة) . وفي هذه الترجمة ما فيها من تحريف وتغيير للمعنى الأساسي في الآية. وفيها ما فيها من تلاعب بالألفاظ والكلمات ، وإلا فإن الفرق كبير بين (النبي الأمي) و (نبي العوام) أو (العامة) " (2).

---

(1)د. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ص38، 39 .

(2) د. فهد بن محمد المالك : مجلة البيان : مقال بعنوان / نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم ، عدد97 ، ص 40 .

2- "كما أخطأ آربري في تسميته لسورتي (المؤمنون) و (غافر) ، فقد أعطى لكلا السورتين الاسم نفسه بصيغة المفرد The Believer ( سورة غافر يسميها بعض العلماء سورة المؤمن) . وترجمة آربري بهذه الطريقة تسبب خطأ وإشكالاً لدى القارئ لمثل هذه الترجمة . كما أن آربري وقع في خطأ كبير ؛ وذلك بتسميته سورة الروم في ترجمته باسم The Greeks . وهذه التسمية تعني الإغريق أو اليونانيين ، وهذا خطأ تاريخي فادح فضلاً عن تشويه المراد وتحريف المقصود بكلام رب العالمين ، وليت الأمر يقتصر على خطأ التسمية فقط ، بل إن آربري ارتكب الخطأ نفسه في ثانياً السورة فهو يترجم الآية : [ غُلِبَتِ الرُّومُ ] [ الروم : 2 ] إلى : [The Greeks have been vanquished] (1) .

ومن المعلوم أن من أصول الترجمة أن لا يضيف المترجم من عنده شيئاً لم يكن موجوداً في الأصل .

ويعترف (آربري) نفسه بضعف المستشرقين - وهو منهم - في البحوث الإسلامية ، فيقول للدكتور/ مصطفى السباعي في حوار شفهي أجراه معه :

"إننا - نحن المستشرقين - نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام ، ومن الواجب أن لا نخوض في هذا الميدان ؛ لأنكم - أنتم المسلمين العرب - أقدر منا على الخوض في هذه الأبحاث" (2) .

فإذا أخذت كارين من آربري - لاسيما ترجمته للقرآن الكريم - فلا بد أن تخرج بنتائج غير دقيقة ، وليس بعد اعترافه شئ .

ويرى أحد المتخصصين أن "جميع الترجمات وبلا استثناء تحوى بين دفتها أخطاء كثيرة : إما من الناحية العقدية ، أو من الناحية البلاغية ، أو من الناحية اللغوية ؛ لهذا فإنني أعتقد اعتقاداً جازماً أن الأمر خطير جداً على الإسلام وأهله إن لم يتدارك المسلمون أنفسهم ويتنبهوا لما يجري على كتاب ربهم من محاولات للنيل منه ومن الدين الإسلامي . ومن هذا المنطلق وبحكم أنني متخصص في دراسة هذا الموضوع ، فإنني أرى أن الحل المناسب والأمثل حيال هذه القضية هو : أن تنشأ هيئة أو مؤسسة إسلامية عالمية تقوم على رعاية كل ما يتعلق بالقرآن الكريم ، وتبليغ دعوته وتعاليمه : إلى المسلمين أولاً ، وإلى العالم كله ثانياً بلغاته المختلفة ، وتكون من أولويات هذه المؤسسة القرآنية العناية التامة ، والإشراف الكامل على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى ، والتأكد من سلامة هذه الترجمات واعتمادها كما هو الحال فيما يقوم به النصارى ؛ حيث توجد هناك هيئة منبثقة من الفاتيكان تتولى مسؤولية متابعة ترجمة الإنجيل إلى لغات العالم" (3) .

(1) السابق ، نفس العدد ، ونفس الصفحة .

(2) د. مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ط1 دار الوراق - المكتب الإسلامي ، 2000م ، ص29

(3) د. فهد بن محمد المالك : مجلة البيان : مقال بعنوان / نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم ، عدد96 ، ص 28 .

3- "إن آربي لم يدرك في ترجمته للبسمة الفرق بين الصفة المشبهة و صيغة المبالغة للفظ (الرحمن)، وصيغة اسم الفاعل راحم . فترجم (الرحمن) إلى: Merciful، من دون مبالغة الأصل في ترجمتها Most Merciful/All-Merciful . كما أخطأ آربي أيضاً في ترجمة (أحلام) في سورة يوسف إلى: nightmares أي كوابيس، بدلاً عن: dreams أي أحلام" (1) .

4- "كما يؤخذ على آربي أنه شغل نفسه كثيراً كما قال في مقدمة ترجمته باستنباط أنماط إيقاعية ومجموعات نسقية أشبه ما تكون بالفقرات بحيث تشكل وحدات أصلية من التنزيل. أيا ما كان يعني بهذا، فقد جانب آربي الصواب فيه وفي جعل شكل نص الترجمة يبدو كالشعر في الإنجليزية" .

---

(1) د. حسن سعيد غزالة : أساليب المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم - دراسة أسلوبية لترجمتي سيل وآربي لمعاني لقرآن الكريم إلى الإنجليزية ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ص 16 .

(2) السابق ، ص 45 .

## المطلب الرابع : كتابات نيكلسون (\*) وتقويمها .

يقول الدكتور السباعي عن نيكلسون : "تخصص في التصوف الإسلامى والفلسفة ، وكان عضوًا بالمجمع اللغوى المصرى ، وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحى، ويصفه بالمادية وعدم سمو الإنسانى" (1) .

### شبهات نيكلسون

أولاً- يرى (نيكلسون) أن السنة تعارض بعضها بعضا ، ويطعن فى علماء الحديث فيقول فى كتابه ( تاريخ الأدب العربى أو التاريخ الأدبى للعرب) :  
" إن المحدثين قد جمعوا كثيرًا من الأحاديث المتناقضة دون توفيق أو تأويل ونسبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما أدى إلى تعارض بعض متون السنة النبوية الشريفة وصعوبة التوفيق بينها . ولقد أورد نيكلسون حول هذا الموضوع فى مؤلفه المشار إليه أنفا ما يلي : نفاخر بعض المحدثين بأن الإسناد من خصائص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يسبق هذه الأمة غيرها فى تحري الدقة والموضوعية عند نقل الأخبار المقدسة وتوثيقها ، إلا أن الأحاديث المتعارضة عند المسلمين تدل على خلاف ذلك حيث توجد بالسنة متون كثيرة متعارضة حيرت المحدثين ولم يجدوا سبيلا للتوفيق بينها ، ومن أمثلة ذلك الأحاديث التى أمرت بقتل الكلاب والأحاديث التى نهت عن ذلك ، بل إن بعض كبار الصحابة قد استباحوا لأنفسهم اقتناء بعضها كأبي هريرة ، الذى أباح اقتناء كلب الزرع لأنه كان يمتلك مزارع كما هو واضح من تعليق ابن عمر على الحديث ، حيث قال : إن لأبي هريرة زرعا ، ولم يتوصل العلماء إلى حلول مرضية إلى يومنا هذا فى مجال الإذن باقتناء الكلاب والنهي عن ذلك ..... كما زعم نيكلسون بأن المحدثين قاموا بجمع كثير من المتون المتعارضة ، وضمنوها السنة النبوية دون التمكن من تأويلها أو التوفيق بينها" (2).

(\*) نيكلسون (1868 - 1945م) ، مستشرق إنجليزى ، يعد أكبر الباحثين فى التصوف الإسلامى ، دخل جامعة أبردين ثم كلية الثالوث فى كمبردج ، تحول إلى دراسة اللغتين الفارسية والعربية فى سنة 1901م ، وإنتاجه العلمى كان غزيرا ويدور حول التصوف الإسلامى خصوصا . ومن مؤلفاته : (التصوف الإسلامى ، وهو كتاب نفيس فى نقد الصوفية ، والقراءة العربية ، دراسات فى التصوف الإسلامى) . انظر :د. عبد الرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ص593 ، د. نجيب العقيقى : المستشرقون (92/2).

(1)د. مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون ، ص48 .  
(2) مقال: د.عزية علي طه : من اقتراءات المستشرقين على أساليب المحدثين فى العناية بمتون الأحاديث ، مجلة البحوث الإسلامية - تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، عدد 31 ، من رجب إلى شوال ، 1411هـ ، ص 284.

**ثانيا - ويقول نيكلسون :** "والقارئون للقرآن من الأوروبيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه - وهو محمد - وعدم تماسكه في معالجة المعضلات، وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات، كما لم تكن حجر عثرة في سبيل صحابته الذين نقل إيمانهم الساذج القرآن على أنه كلام الله"(1).

### النقد والتأصيل

**أولا : فيما يتعلق بالشبهة الأولى :**

إن نيكلسون قد استشهد بالأحاديث الواردة في شأن الأمر بقتل الكلاب والأحاديث التي تنهى عن ذلك ؛ ليدلل على تضارب متون بعض الأحاديث النبوية الصحيحة وعجز العلماء عن التوفيق بينها . لكن العلماء قد تمكنوا من الجمع بين هذه الأحاديث بما يزيل صور التعارض الظاهري ، ويوفق بينها بصورة منطقية مقبولة

**وفقد وفق ابن قتيبة بين ذلك فقال :**

"وأما قتله كلاب المدينة ، فليس فيه نقض لقوله : (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها) لأن المدينة في وقته (ﷺ) مهبط وحي الله تعالى مع ملائكته، والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة ، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( قال لي جبريل عليه السلام: لم يمنعني من الدخول عليك البارحة، إلا أنه كان على باب بيتك ستر، فيه تصاوير، وكان في بيتك كلب ، فمُر به فليخرج) ، وكان الكلب جرؤا للحسن والحسين . وهذا دليل على أنها كما تكره الكلاب في البيوت ، تكره أيضا في المصر . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها ، أو بالتخفيف منها فيما قرب منها ، وأمسك عن سائرهما مما بعد من مهبط الملائكة ومنزل الوحي"(2).

---

(1) نيكلسون : الصوفية في الإسلام. ، ترجمة نور الدين شرييه ، ط2 مكتبة الخانجي بالقاهرة 1422هـ ، 2002م ، ص 14 ، 15 ، 16 بدون تصرف .

(2) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : تأويل مختلف الحديث ، ط2 ، المكتبة الاسلامي - مؤسسة الإشراف ، 1419هـ - 1999م ، ص 209 .

كما يُبطل زعم نيكلسون بأن المحدثين قاموا بجمع كثير من المتون المتعارضة ،  
وضمنوها السنة النبوية دون التمكن من تأويلها أو التوفيق بينها ، مايلي :

1- قلة عدد المتون المتعارضة بالمقارنة مع المتون المحكمة .

2- ابتكار المسلمين لمناهج دقيقة لتنقية الأحاديث النبوية والعناية بها .

3- تطبيق هذه المعايير في نقد أسانيد الأحاديث ومتونها ؛ مما ساعدهم على تمييز  
الخبر المقبول من المردود ، وعلى التوفيق بين الأحاديث المتعارضة ظاهرياً ،  
وإصدار الأحكام الصائبة على الأحاديث المتعارضة " (1).

**ثانياً : أما فيما يتعلق بالشبهة الثانية :** وهى أن القرآن الكريم من نظم سيدنا محمد  
(ﷺ) ، وأنه ليس منزلاً من عند الله تعالى ، فالرد عليه فى نقاط كالتالى :

أ - لو كان القرآن الكريم من كلام سيدنا محمد (ﷺ) لما حار العرب في أمره، ولما  
اختلفوا وتخبطت آراؤهم فيه، ولما ترددوا بين الثناء عليه واتهامه بكونه أساطير  
الأولين تارة أخرى، بل كانوا أجمعوا أمرهم على أنه من كلام النبي (ﷺ) ، وتعاملوا  
معه على ذلك ، ولأننا رأينا أن اعتراضهم انصب تارة على القرآن ، وتارة على  
كيفية إنزاله منجماً، وتارة على من أنزل عليه .

(ب) لو كان القرآن من إنشاء النبي (ﷺ) لما عجز العرب عن معارضته، وفيهم  
الفصحاء والبلغاء مع أنه تحداهم أن يأتوا بمثله ، أو بسورة من مثله، وقذف في  
وجوههم بقوة بهذا التحدي فعجزوا رغم حرصهم على معارضته وتكذيبه.

(ج) لو كان القرآن من كلام سيدنا محمد (ﷺ) للزم أن يكون قبل البعثة قارئاً كاتباً،  
ليس ذلك فحسب، ولكن عالماً بكل قضايا المنهج القرآني في: الاعتقاد، والتشريع،  
والأخلاق، والمعاملات، وأن يكون على معرفة بقصص السابقين بالدقة المتناهية  
التي لم يستطع الأعداء إيجاد ثغرة فيها ، والواقع التاريخي ينطق بذلك.

(د) وفصل الكلام الذي يقطع قول كل مدع في هذا الباب أن هذا القرآن لو كان من  
كلام سيدنا محمد (ﷺ) لحرص على إثباته لنفسه، ولما تبرأ من كونه قائله، بل كان  
يرى في نسبته إليه عزا وشرفاً، وطريقاً للسيادة إن كان يرومها" (2).

---

(1) مقال: د. عزية علي طه : من افتراءات المستشرقين على أساليب المحدثين في العناية بمتون الأحاديث ،  
مجلة البحوث الإسلامية - تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ،  
الرياض ، عدد 31 ، من رجب إلى شوال ، 1411هـ ، ص 348 .

(2) أ. د /محمد السيد راضي جبريل : مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين عرض ودراسة ونقد ، ط  
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ط 32 .

## يقول الدكتور دراز :

"القرآن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمد-صلى الله عليه وسلم- ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه. والعجب أن يبقى بعض الناس في حاجة إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة، وهو أنه ليس من عند محمد . في الحق إن هذه القضية لو وجدت قاضياً بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل، وذلك أنها ليست من جنس الدعاوى فتحتاج إلى بينة، وإنما هي من نوع الإقرار الذي يؤخذ به صاحبه، ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه، فأى مصلحة للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة، ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة؟ نقول: أي مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره، وينسلخ منها انسلاخاً؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن، ولو انتحلها ما وجد من البشر أحداً يعارضه ويزعمها لنفسه . الذي نعرفه أن كثيراً من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها، أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأمنت تهمة، حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى، ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأثواب المستعارة، أما أن أحداً ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته، فهذا ما لم يلد الدهر بعد"(1) .

نعم .. إن القرآن الكريم قد وصل إلينا كما نزل ، وقد حفظ بين الدفتين كما أوحى ، فالحديث عن سلامة القرآن وصيانتها من البديهييات ، والاعتقاد بخلوه من الزيادة والنقصان من الضرورييات . والقرآن في منأى عن التحريف في نصوصه وآياته ، إذ لم يصف إليها ما ليس منها ، ولم يحذف ما هو منها ، فالموجود بين أيدينا هو النص القرآني الكامل بلا شك . إن الدلائل العلمية تؤكد حقيقة صيانة القرآن كيانا متماسكا مستقلا لم تصل إليه يد التحريف والتبديل .

مما سبق ذكره عند الكلام على مصادر كارين يتضح أن (نيكلسون) من المبغضين للإسلام الناقلين عليه ؛ ومن ثم فلا تقبل شهادته على رسول الله (ﷺ).

(1) د . محمد بن عبد الله دراز ، النبا العظيم .. نظرات جديدة في القرآن الكريم ، ط دار القلم للنشر والتوزيع ، 1426هـ - 2005م ، ص 50، 51 .

## نماذج تؤكد اقتباس كارين من نيكلسون:

لقد رجعت كارين فى دراستها للسيرة النبوية إلى نيكلسون ، وبالتحديد رجعت إلى كتابه (تاريخ الأدب العربى) أو (التاريخ الأدبى للعرب ) ، وعلى سبيل المثال :

1- تتكلم كارين عن العرب فى الجاهلية فتستعير هذا الكلام من نيكلسون :

"مثّلت القبيلة القدسية العليا ؛ ولذلك كان يحامى عنها سواء كانت على حق أو باطل . وقد أنشد أحد الشعراء :

وما أنا إلا من غزيرة إن غوت \*\*\*\* غويت وإن ترشد غزيرة أرشد (1)(2).

فقد صرّحت كارين أنها اقتبست هذا الكلام من كتاب (تاريخ الأدب العربى) لنيكلسون .

2- كما ذكرت كارين قول زهير بن أبى سلمى :

لدى أسدٍ شاكى السلاح مُقدّفٍ له لبدٌ أظفاره لم تُقلم (3) ، وعَلّقت عليه بكلام نيكلسون الذى يقول فيه :

"كانت تلك الشجاعة التى يمتدحها الشاعر ، حماسة لا يمكن كبحها ، وإذا وقع الظلم على أحد أفراد القبيلة ، وجب على الكريم المتعطش للنار والانتقام بتعذيب الجانى"(4).

هذا.. ويُلاحظ من نقول كارين عن نيكلسون – وذلك بالاستقصاء – أنها لم تنقل عنه رأياً من هذه الآراء المتطرفة والمتناثرة فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) الذى اعتمدت عليه كارين .

وغاية ما نقلته عنه : بعض الكلام المرسل الذى يحكى فيه عن وجود بعض العصبية القبلية التى كانت سائدة فى الجاهلية ، أو ما نقلته عنه من بعض الأبيات الشعرية .

(1) البيت لدريد بن الصّمة ، انظر لسان العرب (140/15).

(2) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص 30 .

(3) ابن منظور : لسان العرب (276/9) .

(4) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 31 .

## المطلب الخامس : كتابات آرنولد توينبي (\*) وتقويمها .

وهذا المستشرق ، هو ابن أخى المستشرق (آرنولد توينبي 1852-1883م)

ولقد اشتهر توينبي بالبحث فى نظام الخلافة الإسلامية . وهو معروف بتعصبه للإسلام وتحامله عليه ، ومن دعاواه ما يلي :

1- أن علماء الإسلام عملوا بكل ما يستطيعون من جهد وبحث لإثبات شرعية الخلافة الإسلامية وإظهار الأدلة من النصوص الشرعية والأدلة والبراهين العقلية على ذلك معتبرًا ذلك أمرًا مسبقًا عند رجال الدين المسيحي فى العصور الوسطى .

2- الاستعانة بالأحاديث النبوية لإضفاء الشرعية على تصرفات الخلفاء والحكام المسلمين فى شتى العصور .

3- إيراد الأحاديث التى تقول بوجوب طاعة الحاكم عادلا كان أم جائرًا ، فإن كان عادلا فله ثواب عدله عند الله ، وإن جار فعليه الوزر فى الآخرة وللرعية ثواب الطاعة (1).

"ويزعم توينبي : أن اللغة العربية لغة دينية لا تصلح إلا للطقوس والشعائر كالصلاة، وتلاوة القرآن والدعاء" (2) .

ويقول : " إن اللغة العربية هى اللغة الدينية لجميع البلدان الإسلامية حتى تلك التى لا تستخدمها فى التخاطب " (3) .

---

(\*) آرنولد جوزيف توينبي . (1889-1975م) المؤرخ البريطاني المعاصر، الذى انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات ، وكان أبرزها - ولا ريب - مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ) الذى شرع يعمل فيه منذ عام 1921م ، وانتهى منه عام 1961، وهو يتكون من اثني عشر جزءًا عرض فيها توينبي لرؤيته الحضارية للتاريخ . ولقد وضع المستر سومر فيل - تحت إشراف توينبي نفسه - مختصرًا فى جزأين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدمًا عباراته الأصلية فى معظم الأحيان ، وحذف الكثير من الأمثلة والآراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب ، وهذا المختصر هو الذى ترجم إلى العربية فى أربعة أجزاء . انظر : د. عماد الدين خليل : قالوا عن الإسلام ، ط1: الندوة العالمية للشباب الإسلامى 1412هـ - 1992م ، ص 85.

(1) د.صلاح الدين عثمان هاشم : المستشرقون والجغرافيا العربية ، بحث فى كتاب : مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية والعربية لمجموعة مؤلفين ، ط مكتب العربى لدول الخليج ، دت ، (117/2) .

(2) أحمد محمد جمال : اللغة العربية لسان وكيان ، مقال : بمجلة البحوث الإسلامية : تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عدد / 1 ، ص 97 .

(3) آرنولد توينبي : العالم والغرب ، ترجمة : هاجر سعيد الغز ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، ص 36.

### تقويم كتابات توينبى :

أولاً : إن (توينبى) فى البداية : يحكم على علماء المسلمين بأنهم وضعوا الأحاديث النبوية لتأييد ما يريدون ، وفق الظروف السياسية التى يعيشونها ، وهذه الشبهة سبق الرد عليها فى هذا المبحث والذى قبله كثيرا مما يعنى عن الرد مرة أخرى .

ثانياً : سبق أن ادعى توينبى أن اللغة العربية لغة دينية لا تصلح إلا للطقوس الدينية

### التأصيل والنقد

ويرد عليه الشيخ محمود شاكر - يرحمه الله - فقال :

"إن الأمم المسلمة ، سواء كانت عربية اللسان والأصل أم كانت غير عربية اللسان والأصل ، لا تعد اللغة الفصحى أو اللغة العربية (لغة دينية) أى : لغة للعبادات والرسوم ، كالذى عند طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بل هى عند جميعهم لغة المسلمين التى لا يستغنى أحد من الناس كائنا من كان عن إتقانها والتوسع فى معرفتها والضبط لعلمها ومادتها وفقهها ما دام منتسبا إلى شأن من شئون الحضارة التى يعيشها"<sup>(1)</sup>.

إن اللغة العربية لغة ودود ولود لا تستعصى على من يريد أن يشتق منها كلمات جديدة ، وهى لغة وسعت حضارة الإسلام أربعة عشر قرنا من الزمان فى العلم والفكر والتاريخ ، وهى لغة ليست عاجزة عن مسايرة ركب العلم الحديث .

ومن الواضح أن كارين لم تقتبس من كتاب : دراسة للتاريخ (لتوينبى) إلا فى موضع واحد ، كان يتكلم فيه عن حالة العرب قبل الإسلام ، ولم تنقل عنه أى رأى من آرائه المتعصبة ضد الإسلام .

---

(1)الأستاذ. محمود محمد شاكر : أباطيل وأسمار ، ط3 مكتبة الخانجى - القاهرة ، د. ت ، ص191، 192 .

### نماذج تؤكد اقتباس كارين من توينبى:

إن كارين لم تقتبس من توينبى إلا اقتباساً واحداً من كتابه : (study of history) بمعنى : (دراسة للتاريخ) . وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية / فؤاد محمد شبل . وقد كان هذا الاقتباس بخصوص حالة العرب فى الجاهلية ، فنقلت عنه الآتى :

"وكان العرب أول الأمر مزارعين فى أراضى الهلال الخصيب ذات الحضارة العريقة ، ولكنهم بعد أن اكتسبوا خبرة طويلة فى تربية الحيوانات الصالحة للنقل والسفر ، اتجه بعضهم من ذوى الجرأة والجسارة إلى الحياة فى المناطق الوعرة القاحلة أثناء فترات الجفاف والعطش التى كانت تقع من حين لآخر " (1).

---

(1)كارين أرمسترونج : سيرة النبى محد ، ص89

## المطلب السادس : كتابات أندراى تور (\*) وتقويمها (\*\*).

وقد استندت كارين كذلك إلى دراسة المستشرق (أندراى تور) ، والتي هى بعنوان : (محمد : حياته وعقيدته ) ، وهذه الدراسة مليئة بالأخطاء والشطحات الفجة التى تخالف الروايات والوقائع التاريخية .

ومن افتراءاته فى هذا الكتاب على سيدنا محمد (ﷺ) معلقا على حديث بدء الوحي وبالتحديد على قول النبى (ﷺ) " دثرونى " يقول :

"لقد اقتبس محمد هذه التعبيرات - بلا أدنى شك - من الكهنة الوثنيين ؛ لأن كثيرا من الكهان كانوا يغطون رؤوسهم عندما يستقبلون الوحي ، وقد فعل محمد نفس الشئ ، وهذه الطريقة فى الواقع هى طريقة قديمة لاستقبال الوحي " (1) .

ويقول أندراى كذلك :

"إن السمة التى نفرت المسيحيين من سلوك محمد هى - بلا أدنى شك - إفراطه الجنسى وافتقاره لضبط نفسه والسيطرة عليها فى هذا الشأن ، وذلك يبدو لنا أوضح إذا قسناه بأخلاق مسيحيى القرون الوسطى الذين ورثوا النسك القديم والذين كانوا يبالغون فى النص على الآثام التى ترتكب بدافع جنسى : فالأخطاء لا تغتفر ؛ ولذلك فإن يهود المدينة وجدوا أن سلوك محمد فى هذه النقطة مصدم ، وقالوا : (ياله من نبي غريب ذلك الذى لا يفكر إلا فى الزواج) ، ومما لا يمكن إنكاره أن نبيا يعلن أن النساء والأطفال هم زينة الحياة الدنيا ، ثم يجمع لديه من الحريم ، وكثيرا مما ملكت يمينه - يبدو محل شك من الناحية الأخلاقية . ولا ينفعه فى شئ التأكيد على أنه حتى موت خديجة ، وحتى بلوغه الخمسين من عمره اكتفى بزوجة واحدة =

---

(\*) أندراى (1885 - 1947م) ، سويدي ، تخرج فى جامعة أوبسالة ، وسمى أستاذا للعلوم الدينية فى جامعة استوكهلم (1927م) ، ومن مؤلفاته : (كتاب عن الرسول ﷺ) اسمه ، محمد : حياته وعقيدته ، وهو دراسات فيها الكثير من الأوصال والمنطقية والجدية ، وله كتاب : القصص فى الإسلام ، والصوفية ، والنصرانية والإسلام ( انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون (3/33) .

(\*\*) ملحوظة : سبق تقويم شبهات أندراى تور فيما سبق ضمن الردود على شبهات المستشرقين السابقين

(1) أندراى تور : محمد ، حياته وعقيدته ، ص28 ، نقلا عن د. عبدالرحمن بدوى : دفاع عن محمد (ﷺ) ضد المنتقسين من قدره ، ترجمة : كمال جاد الله ، ط الدار العالمية للكتب والنشر ، سلسلة : نافذة على الغرب ، رقم 2 ، د.ت ، ص55 .

فقد كان قمة تصرفه حين أوهنت قواه السنون ترك العنان لغرائزه الجنسية ..... وعلى أية حال فإنه من المسموح به أن نفترض أن توبيخا من جانب المسلمين جعل محمدا يحدد فى سورة الأحزاب آية : 52 (\*) عدد زوجاته ، وقد أعلنت الآية أنه لم يعد مسموحا لمحمد أن يتخذ زوجات أخريات حتى وإن أعجبه حسنهن ، ومن الواضح أنّ تميزه عن المسلمين فى موضوع الزواج كان قد أحدث غضاظة عند المسلمين " (1) .

وتظهر انحرافات (أندراى) حين يقول عن سيدنا محمد (ﷺ) :

"وصل الأمر بالتدرج إلى الحد الذى جعله يعتبر ما يبدو له من أفكار وقرارات على أنها وحى الله ، ويتحدث عن الله ورسوله حديثا يكاد يجعلهما فى مكانة واحدة ، وقد بدا محمد متسامحا إلى درجة معينة إزاء ما كان يقدمه له أصحابه من الاحترام أو التقديس الخرافى الذى كان يقدم فى العصور القديمة للرجل القديس " (2).

---

(1) المرجع السابق ، نقلا عن د. عبدالرحمن بدوى : دفاع عن محمد (ﷺ) ضد المنتقسين من قدره ، ص74 .

(\*) وهى قول الله تعالى:

"لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا " (2)د. محمود حمدي زقزوق : الإسلام في تصورات الغرب ، ط1 ، مكتبة وهبة - القاهرة ، 1407 هـ ، 1987م ، ص105 ، 106 .

### نماذج تؤكد اقتباس كارين من أندراى تور:

1- تنقل كارين عن (أندراى تور) قوله فى وصف مجئ الوحي لرسول الله (ﷺ) لأول مرة : "افترض (محمد) فرضاً أن أحد الجن تملكه ، فأجابه : ما أنا بقارئ ، ولكن مهاجمه اعتصره مرة أخرى حتى ظن أنه لن يستطيع تحمله . حينئذ سمع أول كلمات القرآن تخرج منسابة تلقائياً من فمه"(1) .

2- وتنقل عنه رأيه القائل بأن سيدنا محمداً (ﷺ) لم يمارس التجارة ، تقول كارين :

"كما أبدى بعض الباحثين تشككهم فى أن محمداً مارس التجارة ؛ إذ ادعوا أنه لا يوجد فى القرآن ما يدلُّ على معرفة وثيقة بالشام والبلاد الأخرى المتمدينة ، كما أنه لم يُشر إلى المسيرات والموكب والممارسات المسيحية والسريانية المبهمة والتي ألهمت شعراء معاصرين لمحمد فى شبه الجزيرة"(2).

وقد أحسنت كارين حين لم توافق أندراى تور على هذا الرأى ، بل عارضته قائلة :

"لكن تلك التشكيكات فى الآراء الموروثة عن امتهان محمد للتجارة هى أقوال مبعثها الكراهية ؛ إذ أنه لا يوجد سبب يجعل أحداً يخترع أمراً كهذا"(3)

إن (أندراى تور) وإن كان فى الفكر كسابقه ونظراءه من المستشرقين ، إلا أن كارين لم تردّد ما ألقاه من شبهات على الإسلام ، وقد ذكرتُ - قبل قليل - شبهاته على الإسلام عند الكلام على كتاباته .

ومنها يظهر بغض (أندراى) للرسول (ﷺ) وحقده عليه ؛ ولذا فشهادته على رسول الله مجروحة ومردودة عليه ، فقد ردّ الوحي إلى أصل وثنى ، كما ردّ القول بشهوانية رسول الله (ﷺ) وأن هذه الشهوة قد تحركت فيه بعد الخمسين ، وهو ما يعنى عندهم : المراهقة المتأخرة ، وحاشا لرسول الله أن يكون كذلك .

(1)كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص27 .

(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 123 .

(3) السابق ، ص 123 .

## المطلب السابع: كتابات مارتن لنجز (\*) وتقويمها (\*\*).

لقد اعتمدت كارين على كتابه (محمد: حياته ؛ اعتمادًا على أقدم المصادر) . وهو "المفكر الإنجليزي مارتن لنجز ، كان يدين بالمسيحية شأن أسرته التي لا تعرف عن الدين شيئاً إلا أنها مسيحية بالوراثة.. وهكذا نشأ هو خالي النفس من أية عقيدة يؤمن بها حق الإيمان.. ولكن بدأت سمات نضجه الفكري تتضح بعد حصوله على شهادة الـ "A-B" في الآداب الإنجليزية حيث كان يدرس الأدب الإنجليزي في جامعة "أكسفورد" إنجلترا.. فقد أخذ ينقب في كتب التراث عن الديانات المنتشرة في العالم ليقرأ عنها جميعاً، فاستوقفه دين الإسلام كشرعية لها منهاج يتفق مع المنطق والعقل، وآداب تستسيغها النفس والوجدان، فاستشعر حينئذ أنه قد وجد نفسه مع هذا الدين الذي يتفق مع فطرة الإنسان حيث يعبر عن ذلك بقوله : لقد وجدتُ في الإسلام ذاتي التي افتقدتها طوال حياتي، وأحسست وقتها أنني إنسان لأول مرة ، فهو دين يرجع بالإنسان إلى طبيعته حيث يتفق مع فطرة الإنسان . ثم أردف قائلاً : (شاء الله لي أن أكون مسلماً، وعندما يشاء الله فلا راداً لقضائه.. وهذا هو سبب إسلامي أولاً وقبل كل شيء . ويذكر أنه قد أشهر إسلامه على يد شيخ جزائري اسمه الشيخ "أحمد العلوي"، التقى به في سويسرا التي كان يعمل بها مدرساً، بعدها قام بتغيير اسمه من "مارتن لنجز الى اسم : أبي بكر سراج الدين . ثم ماذا...؟ هل هناك أسباب أو دوافع أخرى وراء اعتناقه الإسلام؟.. يهز برأسه ويرد قائلاً: نعم .. إن ما أثر عليّ وجعلني أهتم بالإسلام هو كتب مؤلف كبير كان مثلي اعتنق الإسلام وأصبح من قمم المتصوفة، إنه الشيخ (عبد الواحد يحيى\*\*\*) =

(\*) ولد مارتن لنجز (Martin lings) في شمال إنجلترا في (24-01-1909 م) ، لابوين بروتستانتيين اخضعاه لتربية بروتستانتيية ملتزمة، وشب على اكمال ما يبغيان، ورزقه الله ذكاء وتعمقا في الفهم وحبا في الاطلاع منذ صغره، وتنقل في دراسته بين كليه كلفتون وكلية ما جدولين، ثم في مدارس اكسفورد للدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن حتى اذا بلغ عشرين سنة قرر هجر الدين المسيحي ، وعلل ذلك برفضه لفكرة ان تكون المسيحية هي وحدها الدين الحق. ثم قضى خمس سنين ملحدا لا يدين بدين، وحصل في اثناء هذه الفترة في سنة (1932 م) على ليسانس الآداب بقسم اللغة الانجليزية، وفي سنة (1934 م) عاد الى مطالعة الديانات وانكب على دراستها وفق التخصص الذي نسميه بالمصطلح المعاصر (علم مقارنة الأديان وفي سنة (1948 م) وكان قد اتقن اللغة العربية شد رحاله بصحبة السيدة زوجته حاجا الى بيت الله الحرام ، فحج وزار رسول الله وطال به المقام في القاهرة مدة اربعة عشر عاما متصلة اي حتى سنة (1952م) حيث عاد اخيرا الى بريطانيا، وكان حصل سنة (1954 م) على ليسانس في اللغة العربية، ثم دكتوراه في اللغة العربية عام (1959 م) من جامعة لندن، وعين منذ سنة (1955 م) مساعدا لرئيس الشؤون بقسم الدراسات والكتب الشرقية المطبوعة والمخطوطة في المتحف البريطاني بلندن حتى سنة (1970 م) . انظر : منتدى الحوار الإسلامي من الإنترنت ، بعنوان / ترجمة الصوفي : مارتن لنجز ، بتاريخ 26 / إبريل 2007م .

(\*\*) هذا المستشرق منصف بدليل أنه أعلن إسلامه ؛ ومن ثم فلم أكثر من تقويم ، ولم أنقدها .

(\*\*\*)رينيه جينو أو الشيخ عبد الواحد يحيى : هو فيلسوف فرنسي أسلم وانضم للطريقة الشاذلية وكان مقيماً بمصر، خذ عهد الطريقة الشاذلية على يد العارف بالله المرحوم الشيخ سلامة الراضي ، كان معروفاً بجبته الخضراء وعمامته البيضاء ، كما كانت قامته فارعة أقرب إلى النحافة منها إلى السمنة ، كان وجهه مشرقاً بالنور . ولد رينيه جينو في بلدة بلوا في 15 نوفمبر ، 1986م من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة كانت تعيش في يسر ورخاء . سافر الشيخ عبد الواحد يحيى إلى مصر في 20 فبراير 1930 ليتصل بالثقافة الصوفية ، وقد توفي الشيخ في 7 يناير عام 1951. انظر : ويكيبيديا . الموسوعة الحرة . الإنترنت .

لقد تأثرتُ بكتبه التي صنفها عن الإسلام ، حتى أنني لم أقرأ كتباً من قبل في مثل عظمة كُتُبِهِ ، مما دفعني لأن أسعى لمقابلة مَنْ كان سبباً في إسلامي ، فجنبتُ إلى مصر حيث كان يعيش فيها وقتئذٍ ، ثم يضيف فيقول : لقد استفدت منه كثيراً.. فقد كان بحق عالماً عاملاً بعلمه.. وأكثر ما تعلمته منه الزهد في الدنيا وهو ما تسمونه أنتم "التصوف" . هل أنت متصوف؟ سؤال يُطرح عليه ليجيب عنه بقوله : نعم.. ولكن مفهومي للتصوف أنه ليس انعزالياً عن الدنيا ، ولكنه أخذ بأسباب الحياة في الظاهر، والإعراض عنها بالقلب . ثم يصمت برهة ليوضح بعدها ما يعنيه فيقول : "إن الرسول محمداً (ﷺ) لخص معنى التصوف كله في حديثه الشريف: (كُن في الدُّنيا كأنك غريبٌ أو كعابر سبيل (1). أو ما قاله في حديث شريف آخر: (.. إنّما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثمّ راح وتركها(2).. هذا هو مفهوم التصوف الذي تعلمته من الشيخ عبد الواحد يحيى" ولكن إلى أي شيء قَادِك التصوف؟.. سؤال آخر يُطرح عليه ليجيب عنه أيضاً على الفور في تحمس المتيقن بالإيمان : إلى العبودية الخالصة لله . هذا هو المفكر البريطاني المسلم الدكتور أبو بكر سراج الدين الذي كان يدين بغير الإسلام ، ثم هداه الله للحنيفية السمحاء، فاعتنق الإسلام عن اقتناع تام.. ثم علا بإيمانه فزهد في الدنيا ، وأصبح متصوفاً في مجتمعات تموج بالفتن وإغراء الملذات.. وتفرغ للدعوة إلى الله في بلاده ، يحدوه الإيمان العميق بأن المستقبل للإسلام الذي هو الدين الحق المرسل لكل بقاع الأرض "(3). ومما سبق يتضح أن مارتن لنجز كان مستشرقاً معتدلاً منصفاً للحق ؛ ولذا أدى به إنصافه إلى الإسلام ، وقد أحسنت كارين حين استشهدت به في بحثها فقالت :

"وأقر بديني الكبير إلى كتاب مارتن لنجز بعنوان ، محمد : سيرة حياته استناداً إلى أقدم المصادر "(4) .

---

(1)صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ، رقم 6416 .

- (2) سنن الترمذى ، كتاب الزهد ، رقم 2377، وسنن ابن ماجة ، كتاب الزهد رقم : 4100، وصححه الألبانى .  
(3) عبد الرحمن محمود : رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ، بدون طبعة (انظر :موقع صيد الفوائد ،  
على الشبكة الدولية - الإنترنت) ، ص 215- 217 .  
(4) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص23 .

### نماذج تؤكد اقتباس كارين من مارتن لنجز:

- 1- تنقل كارين عن مارتن لنجز قوله :  
"لم تكن يثرب مدينة مثل مكة ، لكن سلسلة من القرى الصغيرة يسكن كلا منها  
مجموعة قبائل مختلفة ، وكل منها محصنة تماما "(1).  
2- وتنقل عنه : " فى 5هـ / مارس عام 627م ، تحركت الأحزاب التى جمعها  
المكيون بجيش جرّار قوامه عشرة آلاف رجل نحو المدينة"(2).  
3- وتنقل كذلك عنه تعليقه على كتاب صلح الحديبية ، وموقف سيدنا عمر بن  
الخطاب من هذا الكتاب فتقول :  
"كان ذلك نهاية الصبر لدى عمر ، فقد أسرع إلى النبي (ﷺ) غاضبا : يا رسول الله،  
ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : بلى ، قال : ففيم نعطى الدنيا فى ديننا  
ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ قال : يا ابن الخطاب : إني رسول الله ، ولست  
أعصيه ، وهو ناصرى ولن يضيعنى أبدا .... إلخ الرواية "(3).

- (1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 91 .
- (2) السابق ، ص 147 .
- (3) السابق ، ص 171 .

## المطلب الثامن: كتابات برنارد لويس (\*) وتقويمها .

وبرنارد لويس له أخطاء كثيرة ، وهو معروف بالنظرة العدائية للرسول (ﷺ) ، فهو يقول مثلا :

" إن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن" (1) .

ويتعرض برنارد لويس لمسألة المشروعية في الفكر السياسي الإسلامي من خلال حديثه عن الرسول (ﷺ) وقيامه برئاسة الأمة وحدود السلطات التي كانت له في هذا العمل فيقول عنه (ﷺ) :

أولاً - "وقد وصف لويس الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شيخ الأمة لأولئك الذين آمنوا به بحق ، ليست سلطته مشروطة أو مقبولة بدون اعتراضات من قبل القبيلة التي يمكن أن تسحبها في أي وقت ، ولكنه حق ديني مطلق . إن مصدر السلطة انتقل من الرأي العام إلى الله الذي أناطها برسوله المختار" (2).

وهذا الكلام ينم عن محاولة لإسقاط هوية الرسول (ﷺ) في أعين المسلمين .

---

(\*) مستشرق يهودي ، ولد برنارد لويس في لندن بتاريخ 1916/5/31م ، وحصل على الليسانس مع مرتبة الشرف الولى من جامعة لندن عام 1936م ، ودبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس 1937م، والدكتوراة من جامعة لندن 1939م ، وهو أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى في جامعة برنستون ، وعضو دائم في معهد الدراسات المتقدمة في برنستون - نيوجرسي 1974م ، وكان قد عيّن من قبل مساعد محاضر في التاريخ الإسلامي في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن 1938م ، وتولى عدة مناصب ، ومن أعماله : (أصول الإسماعيلية ، تركيا اليوم ، أرض السحرة ، العرب في التاريخ ، التاريخ ، عالم الإسلام، الإسلام من النبي محمد حتى سقوط القسطنطينية في مجلدين ) . انظر: برنارد لويس ، إدوارد سعيد : الإسلام الأصولي في

وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية (المقدمة) ، ط 1 ، دار الجيل - بيروت - 1414 هـ ، 1994 م ، ص 5، 6 .

(1) عبد الراضي محمد عبد المحسن : الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف د.ب ، ص 65 . وقد رددت على هذه الشبهة مراراً في هذا المبحث مما يغني عن إعادة الرد مرة ثانية .

(2) د. مازن بن صلاح مطبقاني : منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي الإسلامي ، ط المجمع الثقافي - أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1418 هـ ، 1998 م ، ص 9 .

**ثانياً -** ويقول برنارد لويس: ((تروي السنّة بعض الأخبار عن الحنفاء الذين لم يرتضوا دين قومهم الوثني، ولم يقتنعوا لا بالنصرانية ولا باليهودية، فيجب أن نبحت عن أصول محمّد [صلى الله عليه وسلم] عند هؤلاء ، وأن جزءاً من القرآن المجيد إنّما تولّد من تأثير البيئة التي عاش فيها محمد صلى الله عليه وسلم، وأنّه قد ضمّنه بعض أعراف الجاهليين وتقاليدهم" (1)

## النقد والتأصيل

**أولاً :** إن برنارد لويس يريد من وراء كلامه أن يُقنع القارئ بأن المسلمين لم يكونوا يحتفظون بشئ من الهيبة لرسول الله (ﷺ) ، وهذا فهم يكذبه التاريخ ووقائعه :

لقد كان الصحابة يستجيبون لأوامر رسول الله مهما كانت ، وهذا نموذج للطاعة في غزوة بدر الثانية ، وفيه :

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا على أيها الناس وإنما يريد الانصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له سعد بن معاذ: والله لكانك تريدنا يا رسول الله؟ قال: " أجل " قال: فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر

به عينك، فسر على بركة الله. قال: فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه " (2) .

(1) د. مازن بن صلاح مطبقاني : الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي؛ دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس ، ط. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1416هـ/1995م. ص 137 .  
(2) السيرة النبوية لابن هشام (392/2) .

**ثانيا : دعواه أن جزءاً من القرآن المجيد إنما تولد من تأثير البيئة التي عاش فيها محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه قد ضمّنه بعض أعراف الجاهليين وتقاليدهم .**

ويمكن الرد على هذه الشبهة في نقطتين :

"الأولى : أننا لا ندّعي أن القرآن الكريم حين نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كان الناس بلا أعراف ولا تقاليد، كلاً. فالجاهليون كغيرهم قد نشؤوا على عادات بل ومعتقدات وعبادات منها الصالح، والآخر طالح (1) وقد استوعب الإسلام الصالح من أعراف الجاهليين وأبقى عليها، وألغى في الوقت نفسه الأعراف الفاسدة وأبطلها؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق. ومما يؤكد لنا أن القرآن الكريم لم يأت لتبني ما لدى الجاهليين كما يندون المستشرقون حوله، ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، من إعلان صريح وواضح لهؤلاء الجاهليين بأنه قد أوحى إليه بدين مناقض لما هم عليه من الشرك والإلحاد فقال سبحانه وتعالى: **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6}** سورة : الكافرون .

الثانية : أنه لو كان الأمر كما يدّعيه هؤلاء المستشرقون لأبقى الإسلام على جميع أعراف الجاهليين و تقاليدهم، ولما حرّم بعضها وأباح البعض الآخر . ونحن نعلم يقيناً أن ما ألغاه الإسلام قرآناً أو سنّة من عادات الجاهليين وتقاليدهم أضعاف ما أبقاهم عليه. فلو أخذنا باب البيوع مثلاً، نجد عدداً كبيراً من بيوع الجاهليين التي كانت تُبنى على الظلم، واستغلال حاجات الناس، وأكل أموالهم بالباطل، فمنعها الإسلام ووضع حدّاً لها. كبيع النّجش (2)، وبيع السلعة قبل تملكها وقبضها، وبيع الثمار قبل بدو صلاحها، وبيع المسلم على بيع أخيه، وبيوع الغرر، والبيعتين في بيعة، وبيع الدّين بالدّين، وبيع المعدوم، وبيع حبل الحبلية (3)، وبيع العينة (4)، وبيع الحاضر للبادي، وتلقّي الركبان، وبيوع المصرة (5)، والمزابنة (6)، والملاسة (7)، والمنابذة (8)، وغير ذلك " (9) .

(1) د. ساسي سالم حاج : نقد الخطاب الاستشراقي 275/1  
(2) أن يزيد في ثمن السلعة ولا يريد شراءها، وإنما ليغرر بغيره فيزيد في السعر.

- (3) بيع ما ستلده الأجنة التي ما زالت في بطون أمهاتها.
  - (4) بيع الشيء نسيئة ثم شراؤه ممن بيع له نقداً بثمن أقل.
  - (5) المصراة: الشاة ونحوها إذا حبس لبنها في ضرعها فلم يحلب ليظن من يشتريها أنها كثيرة اللبن.
  - (6) المزبنة: بيع معلوم القدر بمجهول القدر من جنسه، أو بيع مجهول القدر بمجهول القدر من جنسه.
  - (7) بيع الملامسة: أن يتفق المتعاقدان على تسليم ما تلمسه يد المشتري بمبلغ كذا.
  - (8) بيع المناذرة: أن يشتري الثوب دون تعيين على أن يأخذ الثوب الذي ينبذه إليه البائع.
- وراجع في التعريفات السابقة كلها: التعريفات للجرجاني، ومعجم لغة الفقهاء للأستاذ الدكتور محمد رواس قلعه جي، وكلاهما مرتب على حروف الهجاء.
- (9) د. عبد الرزاق عبد المجيد الأرو: الخطاب الاستشراقي والقرآن الكريم التشريعات المالية في القرآن نموذجاً ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ص47، 48 .

### نماذج تؤكد اقتباس كارين من برنارد لويس:

إن كارين لم تقتبس من برنارد لويس إلا مرة واحدة قال فيها :

"في السنوات الأخيرة لجأ بعض المسلمين إلى أجزاء من القرآن تشير إلى القبائل اليهودية التي تمردت في المدينة ، وتجاهلوا الآيات الأكثر عددا بكثير والتي تتحدث بإيجابية عن اليهود وأنبيائهم العظام ، ويُعتبر هذا تطوراً جديداً كلية في تاريخ المائتين وألف عام من العلاقات الحسنة بين المسلمين واليهود "(1).

والحق أن القرآن الكريم لم يتكلم عن اليهود بإيجابية ، وإن كان قد تكلم بإيجابية عن أنبيائهم المذكورين في القرآن .

ولم يذكر القرآن بعض اليهود والنصارى بإيجابية إلا من قبيل الإنصاف وعدم تعميم الحكم على الجميع ، كما قال تعالى :

{وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل عمران : 75

وكما قال تعالى أيضا عنهم:

{لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} آل عمران : 113 .

إن كتابات برنارد لويس مليئة بالافتراءات على الإسلام .

وعلى ذلك فإن كتاباته غيرُ جديرة بأن يُحكم من خلالها على الرسول (ﷺ) .

هذا.. ولم تنقل كارين عن برنارد لويس سوى مرةٍ واحدة في كتابها (سيرة النبي محمد) ، كما أنها لم ترجع إليه في كتابها الصادر مؤخرًا ، وهو : (محمد نبي لزماننا) . فاقتباسها منه كان محدودًا للغاية .

---

(1)كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص310 .

### المطلب التاسع: كتابات ظفر الله خان (القادياني) وتقويمها .

ظفر الله خان : باكستاني قادياني . عمل لخدمة الاستعمار الإنكليزي كثيرًا ، وترجمته للقرآن محرفة يجب تحذير الناس من قراءتها :

#### التعريف بالقاديانية

القاديانية : حركة نشأت سنة 1900 م بتخطيط من الاستعمار الإنكليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنكليزية، ابتدعها الميرزا غلام أحمد القادياني (1248 - 1319 هـ- 1839-1908م) ، وسميت بالقاديانية نسبة إلى مدينة قاديان في البنجاب الهندية حيث ولد الميرزا أحمد الذي ادعى أنه المسيح المعهود، والمهدي الموعود في وقت واحد، وتأثر بالغرب غاية التأثر، وغلف دعوته بشعارات التجديد للإسلام والإصلاح والتقدم . بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار (من سنة1880إلى1888م) ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله (سنة1888م) ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود (سنة1891م) ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (سنة1900م)"(1) .

شذرات من عقائد القاديانية، وشرائعها :

"عقيدته في الله تعالى: (إن الله ذو طول و عرض وله أرجل وأيد ولا تُحصى وأيضاً له أعصاب وأوتار كالسلك البرقي ممتد في الجهات) و (إن الله بعد أن كشف لي الغطاء كان يمازحني مراراً)  
عقيدته في الأنبياء عامة: (أعطي كل الأنبياء حياة بمجيئي، وكل واحد من الرسل مستور تحت قميصي)  
عقيدته في القرآن الكريم: (القرآن كلمات الله وكلمات لساني) .  
عقيدته في الأحاديث النبوية: (الأحاديث التي تخالف إلهامي تستحق أن نلقيها مع الأوراق الرديئة في سلة المهملات) .

(1) محمد علي اللاهوري القادياني : حياة محمد ورسالته ، ترجمه إلى الإنجليزية: محمد يعقوب خان ، ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي ، ط2 ، دار العلم للملايين - بيروت ، 1390 هـ ، ص8 .

عقائده في عيسى وأمه عليهما السلام: (كان يشرب الخمر وكان عدو الصدق متكبراً أكالاً يدعي الألوهية مجتنباً العبادة والزهد غاية الاجتناب) . وقال: (كانت ثلاث من جداته لأبيرة - كذا - وثلاث من جداته لأمه بغايا وزانيات ...؟! )

عقيدته في الحج: (بعد ظهوري تحوّل مقام الحج إلى قاديان) .  
عقيدته في القيامة: (القيامة ليست آتية والتقدير ليس بشيء) .

عقيدته في الملائكة : (لا تنتزّل الملائكة ولا ملك الموت إلى الأرض أبداً، وما الملائكة إلا اسم لحرارة الروح) " (1) .

هذه هي عقائد القاديانية التي ينتمي إليها ظفر الله خان ، فكيف تُؤخذ منه معلومات عن سيرة نبينا محمد (ﷺ) !!

### نماذج تؤكد اقتباس كارين من ظفر الله خان:

ولم تنقل كارين عنه سوى مرة واحدة ، في فتح مكة حين قال : "وقررت هند زوجة أبى سفيان أن تدخل في الإسلام . وقالت لمحمد : يا رسول الله : ليس لك أن تؤاخذني اليوم بجريرة بعد الإسلام ، فنبسّم وقال : اذهبي فأنت من الطلقاء" (2).

- (1) السابق ، ص 11 .  
(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 362 .

### تقويم كتابات وترجمة ظفر الله خان:

والناظر في أعمال ظفر الله خان ، وترجمته لمعاني القرآن يجد أنها تنضح بأفكاره  
القاديانية المعادية للإسلام ، ومنها :  
1- تحريفه لآيات القرآن الكريم :

عمل ظفر الله خان على تحريف الآيات القرآنية وتقديم بعضها وتأخيرها على بعض،  
وأحيانا يذكر عدة آيات بدون فواصل بينها ؛ ليوهم القارئ أنها آية واحدة ليخدم  
فكره وعقيدته القاديانية .

"وكما هو معلوم لدى القارئ العزيز أن من أصول الفكر القادياني : الاعتقاد بأن  
غلام أحمد مرزا هو آخر الأنبياء بعد نبينا محمد (ﷺ) ؛ لذلك فقد حاول محمد ظفر  
خان التلاعب بالآيات في ترجمته حتى تخدم فكرته القاديانية ، وكمثال على ذلك فقد  
ترجم الآيات :

" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2) وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " [الجمعة :  
4-2] .

فقد دمج الآيتين 3 ، 4 معاً بطريقة خبيثة حتى تخدم فكره ومعتقده ، وترجمته لهذه  
الآيات يمكن أن تترجم إلى العربية كما يلي :

( هو الذي بعث في الأميين ، وسيبعث في آخرين لما يلحقوا بهم رسولا من أنفسهم  
يتلوا عليهم آياته ويطهرهم .... )

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العطف في [ وآخرين منهم ] يعود على الأميين كما قال ذلك الزمخشري : [ وآخرين ] مجرور عطف على الأميين ، يعني : أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد ، وسيلحقون بهم ، وهم الذين بعد الصحابة ( رضي الله عنهم ) . وقال مجاهد وغيره : [ وآخرين منهم ... ] هم الأعاجم وكل من صدق النبي ( ﷺ ) من غير العرب ، فعن أبي هريرة ( رضي الله عنه ) قال : كنا جلوسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزلت عليه [ وآخرين منهم ... ] قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً ، وفيها سلمان الفارسي فوضع النبي ( ﷺ ) يده على سلمان ، ثم قال : ( لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء ) . ومن هنا يتضح خطأ محمد ظفر خان الذي عطف ( وآخرين ) على ( بعث ) " (1) .

(1) د.فهد بن محمد المالك : مجلة البيان ، مقال بعنوان : نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم ( عدد 97 / صفحة 40 ) .

### خدمته للاستعمار الإنكليزي :

وقد اختاره الاستعمار وزيراً لخارجية باكستان المسلمة بعد أن صنعه الاستعمار على عينيه ورباه على يديه ؛ ليكون لهم عوناً وعينا على ما يجري في باكستان .

"لما انقسمت الهند ، وقامت الدولة المسلمة (باكستان) في عام (1947) محاطة بالمشكلات الصعبة التي وضعها فيها الاستعمار الإنكليزي ، وبخطة مدبرة انتقل مركز القاديانيين من (قاديان) في الهند إلى باكستان ، ليتابعوا مكيدتهم في الدولة المسلمة الناشئة ، وفرض على هذه الدولة الحديثة تولية الزعيم القادياني المشهور السير (ظفر الله خان) وزيراً للخارجية ، واحتج المسلمون على هذا الإجراء ، وأجابهم رئيس وزراء باكستان يومئذ (الخوجا ناظم الدين) بأنه لا يستطيع التخلي عنه ، لأن ذلك يحرم باكستان من المساعدات الأجنبية ، لا سيما المواد الغذائية التي كانت باكستان بأمر الحاجة إليها ، فدل ذلك على متابعة دعم القاديانيين من الدول المعادية للإسلام ، لاستكمال تنفيذ مخططات المكيدة ، وظلت الحكومات في باكستان تواجه الضغوط الخارجية لمنح القاديانيين ما يطلبون من تسهيلات وامتيازات وانتهز القاديانيون هذه الفرصة المواتية فوضعوا عدة مشاريع طبقوها بنجاح ملحوظ فعمقوا جذورهم في باكستان ، وانطلقوا من ذلك ينشرون دعايتهم في العالم بدعم مستمر من سادتهم " (1) .

أفبعد ذلك ، يصح أن تؤخذ منه سيرة رسول الله ( ﷺ ) بعد أن حاول تحريف القرآن ، وإثبات أن غلام أحمد مرزا هو آخر الأنبياء بعد نبينا محمد ( ﷺ ) !!

إن انتماء (ظفر الله خان) إلى القاديانية يجعل شهادته على النبي (ﷺ) مجروحة ؛ لأن فرقة القاديانية "عملت بما تستطيع من خدمة مأجورة من قبل المستعمرين الإنكليز ، لهدم العقائد والشرائع الإسلامية ، التي يخدم هدمها مصالح المستعمرين في بلاد المسلمين ، وكان لتأسيس هذه النحلة تحت ستار ديني هدفان رئيسان : الهدف الأول : تفريق وحدة المسلمين ، وتوهين قوتهم ، وهدم مبادئهم وعقائدهم . الهدف الثاني : تمكين الدولة البريطانية من بسط نفوذها على البلاد الإسلامية التي اغتصبتها ، لا سيما الهند التي نشأت هذه الطائفة فيها"(2). هذا .. ولم تقتبس من كارين سوى رواية واحدة ، وهى : إسلام هند بنت عتبة (زوج أبى سفيان) .

- (1)د. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ص284 .  
(1)عبد الرحمن بن حَبَنَكَة الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ص 282 .

### الخلاصة:

هكذا تتشابه أقوال هؤلاء المستشرقين الذين اعتمد (وات) على دراساتهم عن سيدنا محمد (ﷺ) ، فلا يكاد القارئ يجد فارقا ملحوظا بين أقوالهم وافتراءاتهم على الرسول (ﷺ) .

إن لأقوال المستشرقين السابقين انعكاساتٍ على من بعدهم ، وقد اتضح لى ذلك من دراستى المختصرة جداً للمصادر الاستشراقية التى اعتمد عليها وات فى دراسته للسيرة النبوية .

وإذا قارننا آراء وات بما فى هذه المصادر أدركنا مدى انعكاسها على فكر وات .

وإذا كان وات - وهو رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة أدنبرا - قد تأثر فكريا بسابقيه من المستشرقين ، فمن باب أولى أن يتأثر المثقفون الغربيون بأفكارهم ؛ وذلك بسبب عجزهم اللغوى الذى لا يُمْكِنهم من التعرف المباشر على الإسلام عبر نصوصه ومصادره الأصيلة ، فلا يبقى أمامهم إلا التعرفُ عليه من خلال الدراسات الاستشراقية ، والولوجُ إليه عبر البوابة الاستشراقية .

أضف إلى ذلك أن المستشرق عندما يتكلم فى موضوع فإنه "مأمون عند كل أوروبى، من أول طبقة الرهبان والساسة إلى آخر رجل من جماهير الناس ، مأمون على ما يقوله ، مُصدِّق فيما يقوله فى أمور لا سبيل لأحد منهم إلى معرفتها ؛ لأنها تتعلق بأقوامٍ : لسانئهم غيرُ لسانئهم ، ولا يقوم بها إلا دارس صابر ذو معرفة بهذا اللسان الغريب" (1).

ومن هنا تأتي خطورة الدراسات الاستشراقية التي تساهم في صياغة العقلية الغربية من ناحية فهمها للإسلام إيجاباً وسلباً .

ومن ثم ، فهذا خطأ وقع فيه مونتجمري وات ، وكارين ارمسترونج في دراستهما للسيرة النبوية ؛ إذ يجب عند دراستهم لسيرة نبي الإسلام أن يتعرفوا عليها من خلال مصادر المسلمين الذين هم أعرف بها منهم ، لا أن يتعرفوا عليها من خلال المصادر (أو المراجع) الغربية الاستشراقية التي هي أبعد ما تكون عن فهمها .

---

(1)الأستاذ . محمود محمد شاكر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الأعمال الكاملة ، 1997م ، ص 57 .

## الباب الثانى :

### قواعد منهج وات وكارين فى دراسة السيرة النبوية ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : قواعد منهج مونتجمري وات  
فى دراسة السيرة النبوية ، وتقويمها .

الفصل الثانى : قواعد منهج كارين أرمسترونج  
فى دراسة السيرة النبوية ، وتقويمها.

## الفصل الأول:

قواعد منهج مونجمرى وات فى دراسة  
السيرة النبوية وتقويمها، ويشتمل على عشرة  
مباحث :

- المبحث الأول : منهج التأثر وتقويمه .
- المبحث الثانى : منهج الشك وتقويمه .
- المبحث الثالث : منهج النفى وتقويمه .
- المبحث الرابع : منهج الافتراض وتقويمه .
- المبحث الخامس: منهج اعتماد الضعيف الشاذ وتقويمه .
- المبحث السادس: منهج التفسير المادى وتقويمه .
- المبحث السابع : منهج الإسقاط وتقويمه .
- المبحث الثامن : منهج التحريف وتقويمه .

## المبحث التاسع : منهج التناقض وتقويمه . المبحث العاشر: منهج تقديم المراجع الاستشراقية على المصادر الإسلامية .

### تعريف المنهج فى اللغة :

قال ابن فارس: النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

الأول: النهج الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج.

والآخر: الانقطاع وأتانا فلان ينهج إذا أتى مبهورا منقطع النفس... (1)

ولعل صلة المعنى بهذا الأصل واضحة وهو ما سبق ذكره من حيث بذل الداعية قصارى جهده فى إبلاغ الدعوة حتى ينقطع به النفس من شدة البلاغ، وتتفطر قدماه فيبقى مبهورا. من شدة السعي والمسارعة فى حضور مجالس القوم ونواديهم وأماكن تجمعاتهم كما كان حال رسل الله. والله أعلم.

والمَنْهَجُ والمنهاج: الطريق الواضح، وكذلك النَّهْجُ، قال تعالى: (لكلٍ جعلنا منكم شِرْعةً ومِنْهَاجًا ) (المائدة 48). وَأَنْهَجَ الطريقُ أي: استبانَ وصارَ نَهْجًا واضحًا بَيِّنًا، ويقال: فلان يَسْتَنْهَجُ سبيلَ فلان، أي: يسألُكَ مَسألَكَ (2).

فالمنهج: الطريق المستقيم الواضح فى الدين (3).

### تعريف المنهج فى الاصطلاح :

"هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة ، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين ، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين" (4) .

أو هو : "الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التى تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة " (5) .

فالمنهج إذن هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التى يسير عليها الباحث فى بحثه حتى يصل إلى نتيجة .

- 
- (1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج (ن هـ ج).
  - (2) الصحاح للجوهري ج346/1، المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس ورفاقه (957).
  - (3) أحكام القرآن للقرطبي ج211/6، روح المعاني للأوسى ج153/2.
  - (4) د. عبدالرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ، ط 3 ، وكالة المطبوعات - الكويت ، 1977م ، ص 4 .
  - (5) السابق ، ص 5 .

## مدخل:

لقد درس بعض المستشرقين وقائع السيرة النبوية ، وحلّوا نتائجها ، لكن دراستهم لها لم تقم على منهج علمى سليم يستمد مقوماته من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وإنما قامت على المناهج الغربية الحديثة التى تقدس المادية وترفعها ، وتزدرى الروحانية وتقمعها ، بحيث لا يجد القارئ فى كتاباتهم عن السيرة النبوية إلا تحليلات مادية بحتة ؛ ولذا كانت كتاباتهم جبراً على ورق .

"إن الصرح الذى شيّده المستشرقون فى سيرة الرسول (ﷺ) إنما هو صرح من الورق قد أقيم على شفا جرف هار ، والسبب فى ذلك واضح ؛ ذلك أن المستشرقين لم يتبعوا الخطة المثلى فيما ينبغى أن يعتمدوا عليه فى السيرة النبوية . إن كاتب السيرة النبوية يجب عليه أن يتجرد عن الشهوة والهوى والعصبية ، ويبدأ فى دراسة الموضوع نافضاً عن رأسه كل ما أوحته إليه الكنيسة من أباطيل عن الإسلام..... وإذا لم يفعل ذلك فإن ما سيكتبه سيكون - لا محالة - وهماً وباطلاً" (1).

فهل تجرد هؤلاء المستشرقون عن الهوى فى دراستهم للسيرة النبوية المحمدية؟؟  
إن الواقع يشهد بأن معظم دراساتهم لم تكن موضوعية ؛ ولذا لم تكن مثمرة .  
ويقدم أحد المستشرقين المسلمين ، وهو المستشرق : (أتين دينيه)\* نصيحة عامة للمستشرقين المتعصبين فيقول :

(1) أتين دينيه : محمد رسول الله ، ص47 (وهذا كلام الدكتور عبدالحليم محمود فى مقدمة هذا الكتاب).

(\* ولد (ألفونس أتين دينيه) فى باريس سنة 1861م ، وعاش - رحمه الله - فنانا بطبعه : كان مرهف الحس ، رقيق الشعور ، جياش العاطفة ، وكان صاحب طبيعة متدينة أيضا : كان كثير التفكير ، جم التأمل ، يسرح بخياله فى ملكوت السماوات والأرض ، يريد أن يخترق حجبته ، ويكشف عن مسائيره ، ويصل إلى الله ، كان فنانا يتملكه شعور دينى ، وكان دينيا يغمره ويسيطر عليه شعور فنى ، وامتزج فيه الفن بالدين فكان مثالا واضحا للإنسان الملهم . نشأ من أبوين مسيحيين ، وتلقن - بطبيعة الحال - العقيدة المسيحية نظريا ، ومارسها عمليا ، وذهب به أبواه - ككل مسيحي - إلى التعميد وإلى الكنيسة فشب وترعرع على عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران ، وعلى مر الزمن ، أخذت تستبين فيه طبيعته الفنية ، وأخذ يستولى عليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية ، فعمل جاهدا لإزالة الظلمة المتكاثفة فى دائرة اللانهاية . انظر : أتين دينه ، سليمان بن إبراهيم : محمد رسول الله . مقدمة الدكتور / عبدالحليم محمود (المرجع السابق ، ص7-9).

"إذا شاء المستشرقون أن تكون جهودهم مثمرة ، فليصرفوا عن إضاعتها فى محاربة المنقول الذى هو أسمى من أن يوازيه شئ ، إلى شرح هذا المنقول وإحيائه بدرس نفسية العرب درسا علميا غير سطحي" (1).

هذا ؛ وإن من هؤلاء المستشرقين الذين لم يلتزموا الحيادة فى المنهج العلمى ، المستشرق "مونتجرى وات" ، مع أنه هو الذى قطع عهدًا على نفسه فى أول كتاب له عن السيرة النبوية بالتزام المنهج العلمى المحايد حين قال :

"ولقد حاولت المحافظة على الحياد فى المسائل اللاهوتية (الدينية) التى يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام ، فمثلا لتجنب الجزم بما إذا كان القرآن كلام الله أم لا ، فقد تحاشيت استخدام التعبير (يقول الله) أو (يقول محمد) واستخدمت التعبير (يقول القرآن) ، ومع ذلك فاننى لا أتبنى المنظور المادى بحجة التزامى بالنزاهة التاريخية ، فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد" (2).

وحتى بعدما قال وات هذا الكلام - الذى يبدو موضوعيا - فإن القارئ يلاحظ أن هذا مجرد ادعاء . فإن وات لم ينسب القرآن إلى سيدنا محمد ، فلم يقل : (قال محمد) ، إلا أنه فى الوقت ذاته لم يقل : (قال الله تعالى) ؛ لأنه لا يؤمن - ابتداءً - بأن القرآن كلام الله .

أما كارين ، فقد كانت أحسنَ حالا منه ؛ لأنها لم تطعن في تعاليم الإسلام ، ولا في رسول الإسلام ، بل كانت في الغالب مدافعة عنهما ، كما سيلاحظ القارئ .

ومن هنا ، فإنه يسهل استخراج "قواعد منهج وات وكارين وتقويمها " من خلال كتاباتهما في السيرة النبوية ، وذلك في الصفحات القادمة .

---

(1)أتين دينيه : محمد رسول الله ، ص 57.

(2)مونتجرى وات : محمد في مكة،ص40.

يتسم منهج وات في دراسته للسيرة النبوية بعدة سمات (أو قواعد) ،  
منها :

1- التأثير .

2- الشك .

3- النفي .

4- الافتراض .

5- اعتماد الضعيف الشاذ.

6- التفسير المادى .

7- الإسقاط .

8- التحريف .

9- التناقض .

## 10- تقديم المصادر الاستشراقية على المصادر الإسلامية.

وسأضع هنا بعض القواعد المنهجية لمونتجرى وات دون أن أقارنها بالرؤية الإسلامية ، أو أتعبها بالرد تاركاً أمر تحليلها ونقدها للدراسة التفصيلية الموزعة على مباحث الباب الثالث الذى هو محل الرد على الشبهات المثارة .

والآن - بعون الله تعالى - أشرع فى تفصيل هذه القواعد .

### المبحث الأول : منهج التأثر وتقويمه .

#### تعريف التأثر فى اللغة :

"والأثرُ : مصدر قولك أثرتُ الحديثَ ، إذا ذكرته عن غيرك . ومنه قيل : حديثٌ مأثورٌ ، أي ينقله خَلَفٌ عن سلفٍ . والأثرُ بالتحريك: ما بقي من رسمِ الشيء . والتأثير: إبقاءِ الثرِ فى الشيء" (1) .

جاء فى المعجم الوسيط : "تأثر الشيء : ظهر فيه الأثر ، وتأثر بالشيء : تطبع فيه والشيء تتبع أثره" (2) .

وجاء فى تاج العروس : "والتأثيرُ : إبقاءُ الأثرِ فى الشيء" (3) .

فالكلمة فى مضمونها تعنى التقليد والاتباع والمشابهة ، كما أنها تعنى التوقف عن الإبداع .

## تعريف التأثر في الاصطلاح :

والتأثر في اصطلاح المستشرقين يعنى : "الأخذ بالنزعة التأثيرية ، وهى نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا ردّ كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية " (4).

ويرمى المستشرقون من وراء ذلك المنهج إلى تفرغ الإسلام من ذاتيته وإبداعه ، وكونه ديناً مقتبساً من الأديان السابقة .

- 
- (1) الجوهري : معجم الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط4 دار العلم للملايين - بيروت 1407 هـ - 1987م ( 574/2 — 576 )  
(2) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (5/1)  
(3) الزبيدي : تاج العروس (10 / 14).  
(4) د. حسن عزوزى : آليات المنهج الاستشراقى فى الدراسات الإسلامية ، ط مطبعة أنفو برانت ، الليدو - فاس - المغرب ، د. ت ، ص 26

إن السواد الأعظم من المستشرقين يردّ معطيات السيرة النبوية إلى أصول يهودية ونصرانية ؛ ذلك أن معظمهم إما نصارى "من طبقة رجال الدين ، أو من المتخرجين من كليات اللاهوت ، وإنهم إن تطرقوا إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام ، حاولوا جهد إمكانهم ردّها إلى أصل نصرانى ، وإما يهود يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامى وعربى إلى أصل يهودى ، وكلتا الطائفتين فى هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء" (1).

## وكتابات وات تزخم بمنهج التأثر ، وإلجم بعض الأمثلة :

1- فهو حين يتكلم عن تأثر النبى (ﷺ) بورقة يقول : "إن محمداً كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي ، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة..... فإن ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد ، وكان معروفاً بدراسته للأناجيل" (2).

2- كما يدعى (وات) أن السيدة خديجة رضى الله عنها قد تأثرت دينياً - هى الأخرى - بابن عمها ورقة بن نوفل ، فيقول :  
"ويكاد يكون من المؤكد أن خديجة قد تأثرت به" (3).

3- ويقول كذلك عن المسيحيين في مكة قبل الإسلام :  
"ويمكن أن يكون لأحدهم - ورقة بن نوفل - تأثير كبير على محمد"(4).

4- كما يحاول وات ردّ التوحيد الذي كان يدعو إليه سيدنا محمد (ﷺ) إلى أصل يهودي أو مسيحي فيقول : "منذ البداية كان محمد (ﷺ) يعتبر أن التوحيد الذي يؤمن به والذي يدعو إليه مماثلٌ للتوحيد اليهودي والمسيحي الذي كان في عصره"(5). ويقول كذلك : "إن محمدًا قبيل الهجرة وبعدها كان يميل لصياغة دينية على شكل الديانة اليهودية وتشجيع أتباعه في المدينة على الاحتفاظ بالطقوس اليهودية"(6).

- 
- (1) جواد على : تاريخ العرب في الإسلام - السيرة النبوية - ط ، دار الحدائق - بغداد - د.ت ، ص 10.  
(2) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص 121.  
(3) السابق : ص 101.  
(4) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 481.  
(5) المرجع السابق : نفس الصفحة ، وقد رددت كثيرا على هذه الشبهة في الباب الأول .  
(6) السابق : ص 305.

5- كما يقول : "وكانت فكرة (\*) الوحي والنبوة بالتأكيد ، أفكارا يهودية ومسيحية"(1).

6- ويقول : "ويبدو أن محمدا بعد أن أصبح من الممكن رحيله إلى المدينة أراد أن يصوغ الإسلام على مشاكلة أقدم الأديان"(2).

وكذلك ، فإنّ وات يردُّ "صلاة الجمعة إلى أصل عبري"(3).  
ويجعل سبب توجُّه النبي (ﷺ) إلى بيت المقدس للصلاة أن النبي (ﷺ) "كان يرغب في أن يجعل دينه في هذه الناحية على غرار دين اليهود"(4).

كما يجعل وات "سبب صوم يوم عاشوراء ، وفرض صلاة الظهر في الإسلام ؛ مجازاة للعادات اليهودية ، كما أن محمدا (ﷺ) حين بنى مسجد المدينة بناه على شكل كنيس(\*\*) اليهود"(5).

7- ويقول : "وربما استوحى محمد بعض الأفكار المتعلقة بروابط القرابة التي تحرم الزواج ، من الديانة اليهودية"(6).

وبذلك يجعل وات التشريع الإسلامى الخاص بالمحرمات من النسب ، مستمداً من اليهودية .

هكذا.. يلاحظ القارئ أن وات قد ردّ عقيدة التوحيد ، والعبادات الإسلامية ، والنبوة كلها ، بل ردّ محتوى الإسلام كله إلى أصول يهودية ونصرانية . وقد وزّع وات هذه الفكرة على صفحات كتابيه فى السيرة ، لكنه أفرد لها مبحثاً فى كتابه (محمد فى المدينة) بعنوان / "محاولات محمد للتفاهم مع اليهود"(7).

---

(\* من توجيهات الأستاذ الدكتور محمد شعيب (المنافش) أن الوحي ليس مجرد فكرة ، بل هو عقيدة .

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص169.

(2) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص302.

(3) السلبق : ص303.

(4) السابق : نفس الصفحة.

(\*\*) يسمى المعبد الذي تؤدي فيه صلاة اليهود بالكنيس : انظر : مصطلح يهودية فى ويكيبيديا على الإنترنت

(5) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص304 .

(6) السابق : ص432.

(7) السابق : ص302.

### تقويم منهج التأثر :

إن هذا المنهج - باختصار شديد - يُفرغ الإسلام من إبداعه وذاتيته ، ويردُّ معطياته إلى أصول يهودية ونصرانية ، وينفى ربانية المصدر القرآنى .

إن القرآن الكريم فى نظر كثير من المستشرقين مقتبس من أفكار يهودية ونصرانية تسربت إليه بشكل مّا من الأشكال ، والسبب فى تشبع المستشرقين بهذا المنهج " راجع إلى كون هذا المنهج قد طُبّق بصورة صارمة فى بيئتهم ؛ ذلك أن النهضة الأوروبية قد تأسست على الحضارة اليونانية التى تعتبر الميراث القديم للفكر الغربى ، وهكذا كلما أنشئ مذهب فكرى ودينى جديد إلا ووجد له نظير فى الحضارة اليونانية القديمة . ومن خلال هذا تمّ تطبيق هذا المنهج على كل معطيات التراث الإسلامى ، وذلك من غير اكترات بخصوصيات وأصالة التراث الإسلامى"(1).

هذا، ولقد عمل (وات) جاهدا من خلال كتاباته في السيرة النبوية - على إظهار هذا الجانب .

وقد أوردت - عند الكلام على منهج التأثر عند وات - كمية هائلة من أقواله واستنتاجاته التي يقول فيها بتأثر النبي (ﷺ) باليهود والنصارى في شعائرهم وشرائعهم ، بل وفي عقيدته أيضا ، كما قمت بالرد عليها في الباب الثالث الذي خصصته للرد على الشبهات .

إن مكنم الخطر في هذه الخبيصة ، أنها تفرغ الإسلام من ذاتيته وخصوصيته وتجعله عيالا على الأديان السابقة . وهذا مردود بقول الله تعالى:  
" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ.....المائدة : 48"

---

(1)د.حسن عزوزى : آليات المنهج الاستشراقى فى الدراسات الإسلامية ، ص 30 .

## المبحث الثانى : منهج الشك وتقويمه .

### تعريف الشك فى اللغة :

"الشُّكُّ نقيض اليقين وجمعه شُكُوكٌ وقد شَكَّكَتُ فى كذا وتَشَكَّكَتُ وشَكَّكَتُ فى الأمر يَشُكُّ شُكًّا وشَكَّكَه فيه غيره"(1).

وجاء فى المعجم الوسيط " شككه : أوقعه فى الشك ، تشكك : مطاوع شكك ، وفى كذا أو فى الأمر شك فيه"(2).

فالكلمة مبنية على الاضطراب والحيرة والتردد ، كما أنها لا تعنى البتة فى الأمر والعزم الأكيد عليه ؛ وهذا يدل على ضعف الرأى .

### تعريف الشك اصطلاحا :

"(الشك) حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم"(3).

ويُقصد بالشك عند وات ، الشك الديكارتي المفرط وهو :

" ذلك الشك الشامل الذي يمتد إلى كل شئ ، وهو شك نظري ومنهجي لا يصلح أن يُطبَّق في الحياة العملية "(4).

وهذا هو المعنى المقصود عند المستشرقين – وعلى رأسهم وات – فإن وات لا يشكك في الروايات تشكيكا منهجيا يبغي منه استخلاص الحق من بين ركام الباطل ، وإنما يشكك تشكيكاً مُرسلاً لمجرد أنها تخالف رؤيته الاستشراقية المسبقة .

---

(1) ابن منظور : لسان العرب (451/10)

(2) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (490/1)

(3) السابق (491/1) .

(4) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، سابق ، ص 103 .

ولستُ مبالغاً إن قلت : إن كتابي (وات) في السيرة النبوية ، وهما : (محمد في مكة ، ومحمد في المدينة) مبنيان – في الأساس – على الشك في مسلمات وبديهيات وأبجديات الإسلام .

وحتى لا يتحول كلامي إلى مجرد اتهامات ؛ أذكر بعض الأمثلة من كلام وات :

1- فحين تكلم وات عن الإرهاصات النبوية تشكك فيها بقوله : "قثمة جدال حول بعض هذه النقاط ، وعلى أية حال فهناك ايضاً حكايات كثيرة تصوره (يعنى سيدنا محمداً) على أنه كان شخصية ذات أبعاد غيبية في هذه المرحلة المبكرة من عمره . وهناك طائفة من المؤرخين الذين لا يؤمنون بالغيبيات يكادون يجزمون بعدم صحة هذه الروايات ؛ لأنها تشير إلى أمور من المنطقي أن نتوقع الإشارة إليها بعد أن أصبح نبيا ، وهو ما لا نجد إشارة إليه 0 لكن من المؤكد أن هذه الروايات تعبر عن شيء بالنسبة للمسلمين المؤمنين"(1).

2- كما يشكك وات في المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية – عموماً – فيقول :

"هناك شك في كثير مما ينسب إلى هذه المرحلة (مرحلة الإعداد) في الروايات التقليدية"(2).

3- ويشكك وات كذلك فى ظاهرة الوحي المحمدى فيقول :

"فهناك الكثير مما هو غير مؤكد حول الظروف المحيطة بنزول الوحي على محمد (ﷺ)" (3).

4- ويشكك فى أن النبي (ﷺ) كان يميز بين كلام الله (الوحي) ، وكلامه الذى ينتجه عقله الواعى ، بقوله : "فهذا أمر غير واضح تماما"(4).

5- ويشكك وات أيضا فى حماية المُطعم بن عدى لرسول الله (ﷺ) بعد رجوعه من الطائف إلى مكة فيقول : "ويمكننا أن نتصور أن ذلك تم وفقا لشروط"(5).

---

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص94.

(2) السابق : ص118.

(3) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص121.

(4) السابق : ص122.

(5) السابق : ص277.

6- كما يشكك فى أمر النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة ، فيقول :

"وثمة بعض الصعوبات الأخرى فيما يتعلق بتعيين الاثنى عشر نقيباً ؛ لأن المهام المنوطة بهم غير واضحة ، ويظن الباحثون الغربيون أن ما يتعلق بهؤلاء النقباء موضوع بعد ذلك لتشيبه محمد (ﷺ) بموسى وعيسى عليهما السلام (فكما كان لكل منهما نقيب فلم لا يكون لمحمد (ﷺ) نقيب)"(1).

7- ويقول شاكاً : "وكان يقال فى الإسلام : إن المهر كان ملك المرأة ، ولكن ذلك لم يطبق"(2).

والمأمل فى كلام (وات) السابق ، يجد أنه قد صدره بلفظ يفيد التمريض أو التشكيك، وهو لفظ : (يقال) ، وهذا اللفظ له مدلوله ، فهو "يوحى بأن وات غير مصدق أن يكون ذلك من شريعة الإسلام وأحكامه مع قراءته قطعاً للآية الكريمة فى سورة النساء (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً... آية رقم 4) ، ولكنه يغض بصره عن هذه الآية الكريمة - التى تأمر بكل وضوح وصراحة - بإعطاء النساء مهورهن . فمع ما استقر فى أعماق ثقافته من أن الإسلام يظلم المرأة ويمتهنها لا يقبل عقله أن يرى القرآن ينص على أن المهر حق المرأة"(3)

ولذا يواصل التعامى عن أى دليل فى هذا الحكم وينكره فيقول: "ولا يذكر القرآن المهر إلا بصورة عارضة عند ذكر الطلاق" (4).

8- وتارة يشكك وات فى نزاهة علماء الإسلام فيقول عن اعتقادهم بأمية الرسول (ﷺ):

"ويكاد يكون من المؤكد أن أهل الحديث المتأخرين قد تجنبوا المعنى الطبيعى لهذه الكلمات (ما أقرأ) ليعززوا الاعتقاد بأن محمداً (ﷺ) لم يكن يستطيع الكتابة ، وهذا الاعتقاد جزء من إثبات الطبيعة المعجزة للقرن" (5).

وكثيراً ما كان يستخدم وات ألفاظاً تدل على الشك وهى قوله : "ويبدو أنها" (6) ، وقوله : "وإذا افترضنا" (7) ، وقوله : "ومما يدعو للشك" (8).

---

(1) السابق : ص 287.

(2) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 433.

(3) د. عبدالعظيم الديب : المنهج فى كتابت الغربيين عن التاريخ الإسلامى ، سلسلة كتاب الأمة ، ط 1 ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، قطر ، 1411هـ ، ص 110.

(4) السابق : نفس الصفحة.

(5) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 113.

(6،7،8) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 13.

### تقويم منهج الشك :

وأشهر من قال بمنهج الشك فى المناهج هو "ديكارت" (\*).

" ومنهج ديكارت فى الفلسفة هو الحدس الذى يتناول المبادئ البسيطة ويستنبط من المبادئ ضقايا جديدة ، وهذا المنهج هو الذى يبين القواعد العملية التى يجب اتباعها لأحكام قيادة العقل فى إقامة العلم" (1).

"أراد ديكارت أن يقيم لنفسه مذهباً فى الفلسفة ، وأن يجعل لهذا المذهب منهجاً لا يقف فى البحث عند حقائق هذه الفلسفة فحسب ، بل يتجاوزها إلى حقائق العلوم جميعاً" (2).

ومن مبادئه " لا بد أن نشك، ومن الشك ننطلق إلى النظر، ومن النظر نصل إلى اليقين ، وقال العبارة المشهورة: (أنا أفكر إذاً أنا موجود) شك فى كل شيء حتى فى

نفسه ، فبدأ يقول: ما الدليل على أنني موجود؟ قَالَ: لأنني أفكر هل أنا موجود أو غير موجود، وما دمت أفكر هل أنا موجود أو غير موجود إذاً: أنا موجود"(3) .

ومن هنا ، فإن هذا المنهج لا يمكن أن يُفسَّر به الوحي الإلهي - على سبيل المثال - ؛ لأن تفسير الوحي الإلهي على أساسه يعنى الشك فيه ، والشك فيه كفر صريح .

---

(\*)رينيه ديكرت ولد في مدينة (( لاهاي )) التابعة لأقليم توران في فرنسا .. وكان ذلك في 31 آذار 1596م وأدخل المدرسة (( لافليش )) قال عنه اديكارت (( أنها خير مكان تعلم فيه الفيلسوف )) .. درس في هذه المدرسة الأدب والشعر واللغات القديمة وفي آخر ثلاث سنوات درس الفيلسوف بأنواعها وأقسامها المختلفة .. وما بين 1612م و1617م اكتشف الهندسة التحليلية .. وأما في عام 1618م التحق بالجيش الهولندي لتعليم فنون الحرب وبعد فترة وجيزة ليس بالطويلة تقريباً عام أو اقل أتجه لألمانيا منصرفاً إلى فكره وفلسفته منعزلاً في تفكير عميق وبعد حوالي سنتين أكتشف .. أو ابتكر ما يسمى (( قواعد العلم .. )) والذي يستحق الإعجاب ويرى الباحثون أنه اهتدى ووصل لأحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة .. وفي عام 1620م غادر ألمانيا .. وتنقل في أوروبا و عدة بلدان أخرى وتعرف على فلاسفة منهم .... كشاروف ... وغاندي ... إلا أن أفكارهم لم تلقى استحساناً لديه ... وكتاب ديكرت الرئيسي .. (( كتاب في المنهج )) والذي نال شهرة واسعة على صعيد فلاسفة العالم (انظر : رينيه ديكرت : مقال عن المنهج ، ترجمة : محمود محمد الخضيرى ، ط3 الهيئة العامة للكتاب 1985م ، ص78 بتصرف .

(1) السابق ، ص38 .

(2) السابق : ص48 .

(3) شرح العقيدة الطحاوية : سفر الحوالى ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ص 817 .

هذا .. ولقد تشكك وات فى كثير من أحداث السيرة النبوية . والعجيب أن تشككه ذلك كان شكاً مرسلًا لا دليل عليه فى كثير من الأحيان .

وعن مذهب الشك عند المستشرقين ، يقول الأستاذ أنور الجندى :

ومذهب الشك "من أخطر المذاهب التى اعتنقها المنهج الغربى....، ويعرف الجرجانى الشك بأنه : التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر ، وذلك هو (اللأدرية) ، وقيل : هو ما استوى فيه الطرفان ، وهذا المذهب ليس من مذاهب الإيجاب والثقة ، وهو من عوامل الهدم والتحطيم للشخصية الإنسانية وللحياة ، ولا ريب أن (اللأدرية) تحول دون التقدم والبناء والسعى إلى الكمال ، فهى ظاهرة من ظواهر التوقف والتخلف ، ولا بد للإنسان أن يختار موقفاً وأن يحسم أمره"(1).

ولقد سيطر الشك الديكرتى على كتابات معظم المستشرقين حتى صار سمة غالبية على أبحاثهم فتشككوا فى كل شئ ، فإن لم يجدوا موضعاً للشك أثاروا هم الشكوك .

"لقد غالى كثير من المستشرقين فى كتاباتهم فى السيرة النبوية ، وأجهدوا أنفسهم فى إثارة الشكوك ، وقد أثاروا الشكوك حتى فى اسم الرسول (ﷺ) ، ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى فى وجود النبي (ﷺ)"(2).

ومن العجيب أن وات كان قد هاجم القس لامانس بسبب نزعتة الشكية فى كثير من المواقف التى جعلته يكاد ينفى أحداث الفترة المكية .

يقول وات : "ولكن أكثر الدراسات تفصيلا هى تلك التى كتبها كيتانى (Catani) فى كتابه حوليات الاسلام (Annuli Dell Islam) ، وليس من الصعب تصحيح مبالغته فى الشك أحيانا. وقد انتهى هنرى لامانس (Henri Lammas) فى دراساته إلى أنه كاد يرفض تماما أحداث الفترة المكية . ولكن العلماء الذين جاءوا بعده يعتقدون بشكل عام أنه قد بالغ كثيرا فى تشككه ، وقد تعفينا ملاحظات تيودور نولدكه (Theodor Godlike) من الاستمرار فى مناقشة اراء لامانس شديدة التطرف"(3).

---

(1)أنور الجندى: أخطاء المنهج الغربى الوافد ، ط1 ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ، 1974م ، ص24، 25.

(2)جواد على : تاريخ العرب فى الإسلام ، سابق ، ص10.

(3)محمد فى مكة ، ص44 .

لقد وقع وات فى نفس الخطأ المنهجى الذى أخذه على القس لامانس . فلقد كاد وات ينفى كثيرا من أحداث السيرة النبوية . ليس فقط أحداث الفترة المكية كما هو الحال عند لامانس ، بل بعض أحداث الفترة المدنية أيضا .

إن وات لم يستطع الفكاك من أسار الفكر الغربى الذى غرس فى غالبية المستشرقين روح العداة لصاحب السيرة النبوية عليه الصلاة والسلام ، وراح يُثير دوامة من الشك فى معظم وقائع السيرة النبوية .

## المبحث الثالث : منهج النفي وتقويمه .

### تعريف النفي فى اللغة :

يقول ابن منظور : "نَفَى الشَّيْءُ يَنْفِي نَفْيًا تَنْحَى وَنَفَيْتُهُ .... وَأَنْتَفَى شَعْرُ الْإِنْسَانِ وَنَفَى إِذَا تَسَاقَطَ وَالسَّيْلُ يَنْفِي الْغُثَاءَ يَحْمِلُهُ وَيُدْفَعُهُ .... وَنَفَى الرَّجُلُ عَنِ الْأَرْضِ وَنَفَيْتُهُ عَنْهَا طَرَدْتَهُ فَأَنْتَفَى .... وَنَفَى الشَّيْءُ نَفْيًا جَحَدَهُ وَنَفَى ابْنَهُ جَحَدَهُ .... وَنَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ نَفْيًا وَنَفَيْنَا أَطَارَتَهُ وَالنَّفْيُ مَا نَفَيْتُهُ" (1).

وجاء فى المعجم الوسيط : " النفي: خلاف الإيجاب والإثبات " (2).

فالكلمة قائمة على معنى الإبعاد ، والرفض ، والجحود .

### النفي فى الاصطلاح :

"هو منهج يهدف إلى نفي الحقائق والوقائع التاريخية ، ويتم ذلك من خلال إثارة الشكوك ، والمبالغة فى النقد إلى حدِّ الإلغاء ، والنفي الكيفى لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الاستشرافية" (3).

فالمستشرق يلجأ إلى نفى الواقعة التي لا تتماشى مع أفكاره وآرائه عن الإسلام ، ثم يضع مكانها افتراضات تتوافق مع أفكاره ومعتقداته الفاسدة ، وهذا ما فعله وات :

1- فقد نفى وات بعض الوقائع الثابتة ، فنفى تعرُّض القلة المؤمنة للتعذيب في مكة ، وقال : "إن اضطهاد المسلمين كان من النوع المعتدل ولم يكن يتضمن أية أفعال تمنعها الأعراف منعاً حاداً.... لكننا لا نكاد نجد شيئاً يستحق أن نسميه اضطهاداً" (4).

2- كما نفى وات محاولة ائتمار المشركين بالرسول (ﷺ) في دار الندوة فقال : "لم تكن هناك محاولة تتسم بالتصميم على قتل محمد (ﷺ) ، وعلى هذا فالاتفاق الذي اتفق عليه زعماء قريش في هذا الاجتماع كان أقلَّ خطورة مما تؤكد المصادر ، ويقول : فالرواية عن الهجرة بشكل عام تتسم بوجود كثير من الزخارف المقحمة" (5).

3- كما ينفي وات وجود العباس (عم النبي) في بيعة العقبة بالرغم من مخالفة ذلك لكل الروايات ، فيقول : "وربما كانت الإشارة الى موقف العباس عم النبي إشارة يمكننا رفضها .... فان هذا قول غير صحيح" (6)

(1) ابن منظور : لسان العرب (15/ 336) .

(2) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (2/ 943).

(3) د. حسن عزوزى : آليات المنهج الاستشراقى فى الدراسات الإسلامية ، ص 45 .

(4) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 245 .

(5) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 292 .

(6) السابق ، ص ، 286.

### تقويم منهج النفى :

ومما يختص به منهج وات فى دراسة السيرة النبوية (منهج النفى) ، فقد نفى وات كثيراً من وقائع السيرة النبوية . وترجع خطورة هذا المنهج إلى أنه يقود فى النهاية "إلى إلغاء مساحات بكاملها من التاريخ . والذي يحمل الاستعداد لنفى الجزئيات قد يصل به الأمر إلى نفى الكليات إن لم يكن ثمة ضوابط منهجية تقول له : أين يجب عليه أن يقف ، وأين يمكن أن يمضى" (1).

وقد وقع وات – بسبب تبنيه منهج النفى – فى مخالفة بعض الروايات الصحيحة الموجودة فى كتب السيرة ، لا لعلة حديثية فيها وإنما لأنها – إن ثبتت – ستهدم فكرة مسبقة عنده .

وآفة هذا النفي المفرط لكثير من الروايات الإسلامية ، كما يقول المستشرق إميل درمنغم (\*):

"كانت النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة ، ولن تقوم سيرة النبي على النفي" (2) ، وهذه شهادة واحد من أبناء جلدتهم على خطأ مناهجهم .

(1)د. عماد الدين خليل :المستشرقون والسيرة ، ( 168/1 ) .

(\*إميل درمنغم : مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) وهو من ادق ما صنّفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و(محمد والسنة الإسلامية) (باريس 1955)، ونشر عدداً من الابحاث في المجالات الشهيرة مثل: (المجلة الافريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و(نشرة الدراسات العربية) . انظر موقع هدى القرآن من الشبكة الدولية (الإنترنت) .

(2)إميل درمنغم : حياة محمد ، ترجمة : محمد عادل زعيتير ، ط2 الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ، سلسلة ذاكرة الكتابة ، 2009م ، ص . ز .

## المبحث الرابع : منهج الافتراض وتقويمه .

### الافتراض في اللغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة " فرض: الفاء والراء والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تأثيرٍ في شيءٍ من حَزٍّ أو غيرِه. فالفَرَضُ: الحَزُّ في الشَّيءِ . يقال : فَرَضْتُ الخَشْبَةَ. والحَزُّ في سِيَةِ القوسِ فَرَضٌ، حيث يقع الوتر. والفَرَضُ : النَّقْبُ في الزَّندِ في الموضع الذي يُقَدِّحُ منه. والمَفْرَضُ: الحديدة التي يُحَزُّ بها . ومن الباب اشتقاق الفَرَضُ الذي أوجبه الله تعالى، وسمِّي بذلك لأنَّ له معالمَ وحدوداً . ومن الباب الفُرْضة ، وهي المَشْرَعَةُ في النَّهرِ وغيرِه، وسمَّيتُ بذلك تشبيهاً بالحَزِّ في الشَّيءِ، لأنَّها كالحَزِّ في طَرْفِ النَّهرِ وغيرِه. والفَرَضُ: التُّرسُ، وسمِّي بذلك لأنه يُفَرَضُ من جوانبه . ومن الباب ما يفرضه الحاكم من نفقةٍ لزوجَةٍ أو غيرها، وسمِّي بذلك لأنَّه شيءٌ معلومٌ يبيِّنُ كالأثر في الشَّيءِ(1) .

وجاء فى المعجم الوسيط : "الباحث اتخذ فرضا ليصل إلى حلّ مسألة"(2).

وإذا كان للكلمة أصل فى المحسوسات ، فإن لها كذلك أصلا فى المعنويات . فكما أن الفرض يترك أثرا فى المادة ، فإنه يترك أيضا أثرا فى العقل . فإن كان فرضا إيجابيا أدى إلى نتيجة إيجابية ، وإن كان فرضا سلبيا أدى إلى نتيجة سلبية .

ولا يمكن أن يقول أى عاقل بأن المنهج الافتراضى الذى يقوم به المستشرقون فى دراساتهم - يقوم على فروض موضوعية ؛ بغية الحصول على الحق المنشود بدليله.

### الافتراض فى الاصطلاح :

يُعرّف الافتراض عند المستشرقين بأنه : "افتراض ترتيبات جديدة يحكمها الهوى المجرّد للخروج بنتائج خطيرة ، واتخاذها مدخلا للطعن والتضارب "(3).

وخطأ هذا المنهج يكمن فى عدة أشياء ، منها :

أ- أن الافتراضات إن لم تكن صحيحة ؛ خرجت النتائج أيضا غير صحيحة .

ب - أنهم يأتون بهذه الافتراضات ليثيروا بها غبارا - بزعمهم - كثيفا حول الإسلام.

ج - أن هذه الافتراضات تأتي مُرسلة لا دليل عليها .

(1) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (389/4).

(2) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (2 / 683).

(3) د. حسن عزوزى : آليات المنهج الاستشراقى فى الدراسات الإسلامية ، ص30 ، 31.

### وهذه نماذج من افتراضات وات :

1- يفترض وات أن النبى (ﷺ) قد طلب من جعفر بن أبى طالب ومن معه من مهاجرى الحبشة الرجوع إلى المدينة ؛ وذلك لأن النبى (ﷺ) "أراد أن يدعم - على نحو خاص - وضعه بالحصول على تأييد المجموعة الصغيرة التى ما زالت فى الحبشة "(1).

2- ويقول عن النبى (ﷺ) مفترضا : "يمكننا أن نفترض أنه كان يدين بالتوحيد المبهم الذى كان عليه أغلب المنتورين من أهل مكة . ولكن لا بد أنه كان ، بالإضافة إلى ذلك يتطلع إلى نوع من الإصلاح فى مكة"(2).

3- ويرى أن "من الطبيعى أن نفترض أن محمداً (ﷺ) كان يتذكر الرؤية الأولى فى الأوقات التى كان يشعر فيها باليأس . وربما كان التفكير فيها يلمع فى عقله فى

اللحظات الحرجة ويعزوها الى قوة عليا ، ومهما كانت الحقائق حول هذه الذكريات فانها ليست فى أهمية التجربة الأصلية" (3).

4- ويقول ايضا : "ومن الأسهل أن نفترض أن محمداً كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي . والأفكار الاسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت الى حد كبير بأفكار ورقة" (4).

5- ويقول كذلك : " لكننا لا نعرف عن سودة الا قليلا ويمكننا أن نفترض أن علاقتها بمحمد صلى الله عليه وسلم كانت فى الأساس فى نطاق دورها كزوجة" (5).

6- كما يقول : "يمكننا أن نفترض أن توجيهات محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه كانت حثا وتشجيعا ونصحا وليست أوامر" (6)

ولقد أحصيت عدد المرات التى قال فيها وات جملة (ونفترض) فوجدته قالها فى كتابه (محمد فى مكة) فقط : إحدى وعشرين مرة . إن فى هذا دليلا على أن دراسته تلك قامت على الافتراض أبتداءً لا على اليقين .

---

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 236.

(السابق : ص 110 .

(3) السابق : ص 112.

(4) السابق : ص 121 .

(5) السابق : ص 272.

(6) السابق : ص 290 .

### تقويم منهج الافتراض :

كثيراً ما طرح وات فى دراسته للسيرة النبوية افتراضاتٍ بلا أدلة ولا مبررات لهذه الافتراضات .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : " إن وات الذى يعتمد أحيانا على إثارة الشك فى الواقعة التاريخية أو نفيها إذا اقتضى الأمر - يسعى بالاتجاه النقدى المبالغ فيه نفسه إلى ما يقابل هذا . ولا يقل عنه سوءاً افتراضٌ وقائع أو استنتاجات معينة قد لا تدعمها حقائق السيرة ووقائعها ، بل إنه قد يؤكد صدق رواية ضعيفة أو واقعة

مدخولة ليس لها ما يؤيدها في حالة عرضها على التيار العام المتوحد لتلك الحقائق والوقائع . إنه إذا كان في الحالة الأولى يشكك فيما هو أقرب إلى الصدق ، فإنه في الحالة الثانية يصدق ما هو أقرب إلى الكذب . والموقفان في حقيقة الأمر وجهان لعملة واحدة : هي عملة النقد الذي يتجاوز حد الإيجابي البناء إلى الهدم والنفي والتشكيك" (1).

إن وات كثيرًا ما أصدر أحكاما قامت على الافتراضات المحضة والمرسلة ، وبنى عليها مواقف من السيرة النبوية.

ومن المعلوم أن الدليل إذا تطرّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ولم يقوَ على الاحتمال .

فكيف الحال إذا أحاطت الاحتمالات بأدلة وات كلها من كل جانب ؟

إن إفراطه في منهج الافتراض واضحٌ جدا لدرجة أنه لم تكد تمرُّ رواية إسلامية من تحت يديه إلا ووضع لها فروضا تساير أفكاره المسبقة .

---

(1) د. عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة ، (59/1) .

## المبحث الخامس: منهج اعتماد الضعيف الشاذ وتقويمه

أما اعتماد وات على الضعيف الشاذ من الروايات ليؤكد هوى في نفسه فكثير ، وأشهر مثالين على ذلك :

1- اعتماده على الروايات الموضوعية ، وتبنيها لها في فرية الغرائيق .

2- وفي قصة زواج النبي (ﷺ) بزینب بنت جحش رضی الله عنها .

وسوف يأتي بالتفصيل ، الرد على هاتين الشبهتين في الباب الثالث إن شاء الله .

وعن إفراط المستشرقين فى اتباع هذا المنهج يقول الدكتور/ إبراهيم اللبان - يرحمه الله - :

"إنهم لا يترددون فى الاعتماد على الأحاديث الضعيفة ، وهم ينقبون فى طوايا كتب التاريخ والسير عن أخبار ضعيفة غير ثابتة يدعمون بها آرائهم . ولهم صبر لا ينفد فى استكشاف هذه المخبوءات ، واستغلال الضعيف من الدلالات . ومهما يكن من شئ فهم لا يستوعبون دراسة ما بأيديهم من المسائل ، وكثيراً ما يغفلون النصوص والأخبار التى تناقض ما يقررون"(5).

---

(5)د.إبراهيم اللبان :المستشرقون والإسلام، ملحق بمجلة الأزهر ( صفر 1390 هـ - إبريل 1970م) نقلا عن د.محمود زقروق :الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص82.

### تقويم منهج اعتماد الضعيف الشاذ :

لقد تبنى وات كثيرا من الآراء الضعيفة الشاذة ن وفى مقابل ذلك ردّ كثيرا من الآراء والروايات الصحيحة لمجرد أنها تخالف فكرة لديه .

واعتماد الضعيف الشاذ ليس مشكلة وات وحده ، بل هى مشكلة غالبية المستشرقين.

يقول الدكتور إبراهيم اللبان :

"إنهم لا يترددون فى الاعتماد على الأحاديث الضعيفة ، وهم ينقبون فى طوايا كتب التاريخ والسير عن أخبار ضعيفة غير ثابتة يدعمون بها آرائهم . ولهم صبر لا ينفد فى استكشاف هذه المخبوءات ، واستغلال الضعيف من الدلالات . ومهما يكن من

شئ فهم لا يستوعبون دراسة ما بأيديهم من المسائل ، وكثيرًا ما يغفلون النصوص والأخبار التي لاتناقض ما يقررون"(1).

إنهم يضعون الفكرة فى أذهانهم مسبقا ثم يتلمسون لها الأدلة من هنا وهناك وهناك سواء أكانت هذه الأدلة صحيحة أم ضعيفة ، المهم أن تؤيد ما يعتنقونه من أفكار ، وفى هذا يقول الدكتور جواد على منتقداً المستشرق كايثانى :

"كان ذا رأى وفكرة ، وضع رأيه وكوّنه فى السيرة قبل الشروع فى تدوينها فإذا شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ، ضعيفها وقويها وتمسك بها كلها ، ولا سيما ما يلائم رأيه ، ولا يبالي بالخبر الضعيف بل قوّاه وسنّده وعدّه حجة ، وبني حكمه عليه . ومن يدرى فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة والمعروفة عند العلماء ولكنه عفا عنها وغض نظره عن أقوال أولئك العلماء فيها ؛ لأنه صاحب فكرة يريد إثباتها بأية طريقة كانت "(2).

إن هذا المنهج العقيم فى الاستدلال ليس مأزق وات وحده ، بل هو سمة كثير من المستشرقين .

---

(1)د.إبراهيم اللبان: المستشرقون والإسلام ؛ نقلا عن د.محمود زقزوق :الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص82.  
(2)د.جواد على : تاريخ العرب فى الإسلام ، ص 118 .

## المبحث السادس: منهج التفسير المادى وتقويمه:

ومما يختص به منهج وات ، كثرة التحليلات المادية لوقائع السيرة النبوية حتى طفت على بحثه ، وطغت على فكره ، فلا تكاد تمر من تحت يده واقعة أو حادثة إلا فسّر لها تفسيرًا ماديًا ، وأهمل تماما الجانب العاطفى أو الروحانى ، والإعجازى للسيرة النبوية .

على أن " إحدى الملامح الأساسية التى تميز التفسير الإسلامى عن سائر التفاسير أنه يفرد للبعد الغيبى - ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا - مساحاتٍ واسعةً ، ويجعله أحدَ

الشروط الأساسية للإيمان ، بل أهمها على الإطلاق ؛ إذ بدونه لا يمكن أن تتحقق أية تجربة إيمانية" (1).

وهذا الخطأ المنهجي فى تفسير وقائع التاريخ – والسيرة بلا شك جزء من التاريخ – ليس من سمات منهج وات وحده ، ولم يكن فيه بدعا من المستشرقين ، بل سار عليه جُلُّ المستشرقين ، حتى صار أهم سمة من سمات الاستشراق العالمى .

يقول الأستاذ / أنور الجندى – يرحمه الله – : "وقد سيطر المذهب المادى على الفكر الغربى كله ، وأصبح أساسا للفكر الليبرالى والفكر الماركسى جميعا ، وأصبح التفسير المادى للتاريخ مفهوما شاملا معترفا به ، وأصبحت هناك معارضة شاملة للروحانية والمعنوية والمثالية ، وأصبح التفسير المادى للسلوك والحياة وللمجتمعات وللتاريخ هو الأساس" (2).

وهذا المنهج المادى ، وإن أمكن استخدامه فى تفسير الدراسات الغربية ، فإنه لا يمكن تفسير الظواهر الدينية ووقائع السيرة النبوية على ضوءه .

وتلك كانت – ولا زالت – آفة الاستشراق فى فهم التاريخ الإسلامى ؛ "ولهذا فإن تطبيق منهج المستشرقين فى فهم التاريخ يحول بين الباحث المتطلع إلى الحقيقة وبين هذه الحقيقة المنشودة ، ويجعل نتائج البحث مضطربة غامضة" (3).

---

(1) د. عماد الدين خليل : التفسير الإسلامى للتاريخ ، ط دار العلم للملايين – بيروت ، 1975م ، ص 132.

(2) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، جزء – عالم الإسلام المعاصر ، ط دار الأنصار ، القاهرة د.ت (436/3).

(3) المرجع السابق : جزء – التفسير والاستشراق والدعوات الهدامة (196/5).

### ومن الأمثلة على طغيان المنهج المادى على فكر وات ، ما يلى :

1- قوله : "وليس مما يدعو للدهشة إذن أن ينجذب بعض الرجال لرسالة الإسلام – فى المقام الأول – من خلال مضامينه السياسية والاقتصادية" (1).

ومما يدعو للدهشة أن المسلمين فى بداية دخولهم فى هذا الدين كانوا مستضعفين ماديا ومعنويا ، ومع ذلك نجد وات يفسر اعتناقهم للإسلام بأنه كان طمعا فى مزاياه الاقتصادية والسياسية فيقول :

2- كما فسّر وات هجرة المسلمين إلى الحبشة تفسيرًا اقتصاديًا فقال :

"إن هؤلاء المهاجرين إلى الحبشة قد ذهبوا إليها لينخرطوا في سلك التجارة ، أو لأنه (ﷺ) كان يأمل في تلقى مساعدات عسكرية من الأحباش ، أو كان يأمل أن يجعل من الحبشة قاعدة لمهاجمة تجارة أهل مكة كما فعل بعد ذلك بالنسبة للمدينة بعد أن هاجر إليها ، أو حاول أن يطور طريقا بديلا للتجارة من الجنوب إلى الدولة البيزنطية" (2).

3- ويقول كذلك : "إن الهجرة للحبشة كانت ذات أبعاد اقتصادية وسياسية" (3).

كما فسروا معارضة المشركين لرسول الله (ﷺ) حين عرض عليهم الإسلام تفسيراً مادياً ، فجعل سبب المعارضة "هو الخوف من أن مكة إذا دخلت الإسلام وتخلت عن الوثنية ، توقف البدو عن التردد على الكعبة كمعقل وثني ، وبالتالي تحطمت تجارة أهل مكة" (4).

4- ولم يكتفوا بتفسير وقائع الدعوة في العهد المكي تفسيراً مادياً ، بل أدخل الزواج النبوي في حزمة هذا التفسير العقيم فقال :

"ليس من المبالغة القول بأن جميع زيجات محمد كان لها هدف سياسى" (6).

---

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 193.

(2) السابق : ص 241.

(3) السابق : ص 242.

(4) السابق : ص 269.

(6) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 504.

5- ويقول : "فقد سعت جميع زيجات محمد لتسهيل بعض العلاقات السياسية" (1).

6- ويقول عن زواج النبى (ﷺ) بخديجة - رضى الله عنها - :

"إنها حملت إليه ثروتها ونفوذها اللذين فتحا أمام محمد أبواب السياسة المكية" (2).

7- ويختم كلامه عن زواج النبى (ﷺ) بقوله :

"لكنه لما كان زعيم الأمة ، فإن هناك أسبابا خاصة جعلته يُدخل الاعتبارات السياسية فى مشاريع الزواج" (3).

8- ويأتى وات على الغزوات فيفسرها تفسيراً اقتصادياً بحتاً ، فيرى أن هذه الغزوات كان لها دوافع اقتصادية وهى :

"المحافظة على مستوى المعيشة ، الحاجة لمصدر جديد للرزق ، الأسلاب التى كانت تؤخذ من غير المسلمين ، الطمع فى الغنيمة "(4).

9- ويقول عن الدافع الاقتصادى للغزوات : "شجعت غنيمة نخلة سياسة الغزوات ضد القوافل المكية"(5).

"إن المقاييس المادية والاقتصادية لتعجز عن تفسير : كيف يبكي العائدون من الغزوات لأنهم لم يستشهدوا ، ولا الذين لقوا آبائهم فى صفوف الكفار فقتلوهم ، ولا الذين هاجروا وتركوا أموالهم وأولادهم واستأنفوا حياتهم فى المدينة بدينار اقترضوه"(6)

وهناك الكثير من تفسيرات وات المادية الفجة التى تذهب بروح السيرة النبوية ، فيحس القارئ أنه يقرأ تاريخ مُصلح أو مجدد أو عبقرى من عباقرة البشر ، ومما يثير الدهشة أن وات قد قطع عهدا على نفسه منذ البداية بأنه لن يتبنى المنهج المادى فى دراسته للسيرة لكنه لم يوفِّ بما وعد به قائلا : "ومع ذلك فإننى لا أتبنى المنظور المادى بحجة التزامى بالنزاهة التاريخية ، فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد"(7).

وما أكثر الوعود التى أخلف فيها وات ، ولو وفِّى بما عاهد عليه القارئ لما خرج بحثه ممتلئا بالأخطاء المنهجية ، والافتراءات على سيد البرية محمد (ﷺ).

---

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص438.

(2) السابق : ص438.

(3) السابق : ص441.

(4) السابق : ص219 .

(5) السابق : ص16.

(6) أنور الجندى : فى سبيل إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، ط ، دار الاعتصام للطبع و النشر ، سلسلة فى دائرة الضوء ، دت ، ص13.

(7) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص40 .

### تقويم منهج التفسير المادى :

يقوم هذا المنهج على إنكار الغيب والمعجزات فى آن ، وإنكار الوحي والنبوة فى آن آخر ، ويفسّر الإسلام وسيرة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تفسيراً مادياً اقتصادياً ،

وذلك واضح جداً فى تفسير وات للغزوات والزواج النبوى على سبيل المثال لا الحصر .

"لقد تأثر المستشرقون أو معظمهم بهذه الموجة الإلحادية التى سادت أوروبا ؛ فطبّقوا المنهجية الوضعية على العلوم الإنسانية ، ومنها العلوم الإسلامية التى يلعب الوحي الدور الرئيسى فيها ، ومن ثم جاءت نتائج أبحاثهم فى الأعم خاطئة"(1).

وأفة هذا التفسير أنه "عند الحديث عن معارضة قريش للإسلام ذكر أن السبب فى ذلك هو خوف قريش على مركزها التجارى ، وهذا تحليل ماركسى ، فإن قريشا عرضت على الرسول (ﷺ) التنازل عن كل شئ له على أن يتوقف عن دعوته إلى توحيد الله ، ولكنه رفض ، ولقد كان الصراع صراع عقيدة ، ولم يكن الأمر اقتصاداً"(2).

وهذا الموقف الذى يصف به الأستاذ أنور الجندى منهج المستشرقين عامة ، هو عين ما يتصف به منهج وات ، كما سيأتى فى الباب الثالث (محل الرد على الشبهات).

ولقد أفرط وات فى استخدام التفسير المادى لوقائع السيرة ، بداية من أحداث العهد المكى كله بما فيه هجرة المسلمين إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة المنورة ، مروراً بزواج النبى (ﷺ) من أمهات المؤمنين ، انتهاءً بالغزوات ، فقد فسّر وات كل هذه الوقائع تفسيراً مادياً يغلب عليه الطابع الاقتصادى .

(1)د. محمود ماضى : الوحي القرآنى فى المنظور الاستشراقى ونقده ، ط1 دار الدعوة - الإسكندرية 1416هـ ، 1996م ، ص 32 .

(2) أنور الجندى : سموم الاستشراق والمستشرقين ، ط مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة د.ت ، ص 38.

## المبحث السابع : منهج الإسقاط:

إن مما يختص به منهج وات فى دراسته للسيرة النبوية - الإسقاط .

### الإسقاط فى اللغة :

يقول ابن منظور : "السَّقَطَةُ الوَقْعَةُ الشَّدِيدَةُ... وَمَسْقَطُ الشَّيْءِ وَمَسْقَطُهُ : موضع سُقُوطِهِ . وتساقط على الشيء أي ألقى نفسه عليه وأسقطه . وتساقط الشيء : تتابع سُقُوطُهُ" (1).

فالكلمة فيها معنى المغادرة ، وترك المكان الأصلي إلى مكان آخر . وإسقاط الحدث يعنى : الخروج به عن زمنه وبيئته وملابساته إلى ما يغير ذلك تماماً .

### الإسقاط فى الاصطلاح هو :

"إسقاط الواقع المعاصر المُعاش على الوقائع التاريخية الضاربة فى أعماق التاريخ فيفسرونها فى ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم" (2).

أى أنه يعنى - باختصار - "تصور الذات فى الحدث أو الواقعة التاريخية" (3).

ويعرفه الدكتور شوقى أبو خليل بأنه : "العملية النفسية التى نخلع بها تصوراتنا ورغائبنا وعواطفنا على الآخرين ، أو على موضوع من الموضوعات ، وهذا ما ينطبق على الكنيسة والاستشراق والتبشير" (4).

إن علماء المسلمين كانوا يتوقفون فى بعض المسائل التى لم يكونوا فيها آراءً - حتى يعرفوا ملابساتها - فى التفسير - مثلاً - يلزم معرفة سبب نزول الآية . وفى الحديث يلزم معرفة سبب وروده ؛ وذلك حتى تفهم الغاية العليا من النص .

أما المستشرقون ، فإنهم يُعالجون الأحداث الموهلة فى الماضوية بآراء وحلول هى أبعد ما تكون عن الحدث المراد تفسيره .

---

(1) ابن منظور : لسان العرب (316/7).

(2) د. عبدالعظيم الديب : المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامى ، ص 99 ، 100 .

(3) د. حسن عزوزى : آليات المنهج الاستشراقى فى الدراسات الإسلامية ، ص 37.

(4) د. شوقى أبو خليل : الإسقاط فى مناهج المستشرقين والمبشرين ، ط 1 دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ودار الفكر دمشق - سورية ، 1995م ، ص 15 .

ولقد استخدمت بعض المصطلحات المعاصرة وأسقطها على بعض الوقائع التاريخية ، كمصطلح (الصراع الطبقي) ، ومصطلح (تطور الأديان).

### 1- فيقول عن الصراع الطبقي :

"إن الإسلام لم يتلق دعمه من الطبقات الدنيا من قاع المجتمع وإنما من أوساط الناس تقريباً الذين أصبحوا على وعى بالتفاوت بينهم وبين أولئك المتربعين على القمة ، والذين بدأوا يشعرون أنهم كانوا معدمين ....، كان الإسلام حركة نضال بين الذين يملكون والذين امتلكوا منذ وقت قريب"(1).

إن وات كغالبية المستشرقين الذين "يحاولون أن يطبقوا نظرية (الصراع الطبقي) على نشأة الإسلام وظهوره ، وانتشاره ، ويعتسفون في ذلك كل الاعتساف ، ويحملون الأحداث مالا تحتمل بحال ، ويقسمون الصحابة إلى يمين ويسار ، ويديرون صراعا موهوما بينهما"(2).

ومن كلام وات في هذه القضية ، نلاحظ أنه يريد أن يُظهر الإسلام "كأنه ثورة الفقراء ضد الأغنياء فحسب ، والحق أن الإسلام ليس ثورة موقوتة ، ولكنه حركة(\*) شاملة من حيث الزمن ، ومن حيث المضامين لتغيير أشياء كثيرة : تغيير المجتمع ، والنفس ، والأخلاق ، والاقتصاد"(3).

## 2- أما عن فكرة تطور الأديان ، فيقول وات :

" لأن الباحثين المسلمين لا يعترفون بالفكرة الأوربية الحديثة عن التطور التدريجي، فانهم قد اعتبروا محمدا (ﷺ) كان على وعى كامل منذ البداية الأولى للدعوة بكل أبعاد عقيدة التوحيد.... والحقيقة أن التوحيد الذي كان يؤمن به محمد (ﷺ) كان في بدايته لا يختلف عن توحيد من هم أكثر تنورا في عصره أي أنه كان توحيداً غامضاً على نحو ما"(4).

فهو يرى - إذن - أن النبي (ﷺ) كان يدعو إلى توحيد غامض ، ولم يكتشف أنه على ضلال إلا بعد أعوام طويلة .

(1) مونتجرى وات : محمد في مكة ، ص 189.

(2) د. يوسف القرضاوى : تاريخنا المفترى عليه ، ص 283.

(\*) من توجيهات الأستاذ الدكتور / محمد شعيب (المنافس) أنه لا يليق أن يوصف الإسلام بأنه مجرد حركة.

(3) أنور الجندى : في سبيل إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، ص 9 .

(4) مونتجرى وات : محمد في مكة ، ص 124.

ثم هو يرى أن النبي (ﷺ) بدأ يفكر في عالمية دين الإسلام ، ويُقنع نفسه بذلك ، حين مات أبو طالب ، فأخذ يلتقى بالقبائل البدوية الأخرى لمَدِّ دعوة الإسلام ، فيقول :

"لقد كان محمد (ﷺ) يعتبر نفسه نبيا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش أو لقريش فقط ، ولم تكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنه فكر في مدّ رسالته للعرب كافة . وعلى أية حال ، فقد أدى تدهور أوضاع النبي (ﷺ) في مكة إلى بحثه عن آفاق جديدة خارج مكة ، فنحن نسمع خلال سنواته الثلاث الأخيرة في مكة عن لقاءاته مع القبائل البدوية وأهل الطائف ويثرب"(1).

3- كما يُسقط وات الواقع المعاصر على ذهاب النبي (ﷺ) إلى غار حراء متعبداً ، فيجعل سبب التردد على الغار هو الانتجاع والاستجمام في هواء الغار الطليق، وترطيب الجسم بعد المعاناة من حرّ مكة القيظ ، يقول وات :

"ربما كان ذلك وسيلة للهروب من حرارة مكة في موسم متعب لمن كانوا لا يستطيعون الذهاب إلى الطائف ، ويمكن أن يكون للتأثير اليهودي والمسيحي أو بعض التجارب الشخصية أو الحاجة والرغبة في العزلة"(2).

وهذا الكلام غير معقول ؛ لأنه كيف يكون الهواء طليقا في غار مغلق لا مُتَنفَس فيه إلا بابه ، وقد رددت على وات ونقلت ردود العلماء عليه في هذه الشبهة ، وذلك في الباب الثالث ، في مبحث (الوحي ومعجزة القرآن) (\*).

---

(1) محمد في مكة ، ص 274.

(2) السابق ، ص 109.

(\*) انظر التقيويم والرد على هذه الشبهة في ص 303 وما بعدها .

لقد أسقطت الرواية العقلية المعاصرة على أحداث السيرة النبوية ؛ فخرج بكميات هائلة من الاستنتاجات الخاطئة .

"ولا شك أن هذا التفسير الإسقاطي الفاسد لا يستند إلى أدنى دليل علمي أو منطقي عقلي ، فهو منهج يخضع لهوى المستشرق وأحكامه المسبقة مما تنتج عنه أحكام تعسفية وجائرة"(1).

إن وات قد أسقطت الواقع المعاصر على كثير من أحداث السيرة النبوية وفسرها على أساس من هذا الواقع ، مع أن العقل يقضى بأن الذى يدرس حدثا تاريخيا فى فترة تاريخية محددة يجب عليه أن ينظر إليه بمنظار عصره ، ويقيسه بمقياس زمانه الذى وقع فيه ؛ ومن ثم يأتى الحكم المناسب على الواقعة المراد دراستها .

أما أن يحكم المستشرقون ( ومنهم وات ) على حدث مضى عليه أربعة عشر قرنا أو يزيد بمقاييس العصر الحديث دون مراعاة للشخص الذى حدث له الحدث ، والزمان الذى وقع فيه الحدث ، ومصدر ذلك الحدث ، ودون مراعاة للجانب الإعجازى فى ذلك الحدث - فلن يكون هذا الحكم عادلا ؛ ولذا أثبت المنهج الإسقاطي الاستشراقي عجزه عن تفسير وقائع السيرة وأحداثها ، وذلك بسبب الهوة البعيدة بين بيئة وعصر المستشرق من ناحية ، وبين بيئة وعصر مادة الدراسة من ناحية أخرى .

ولذلك ؛ فإن المستشرق "لا يشعر بالتعاطف مع موضوعه الذى يدرسه ، أو حتى لا يكون فى الأقل محايدا فى التعامل معه .... إن الصلة العقلية والعاطفية بين الباحث وموضوعه تماثل فى الأقل تلك الصلة التى توجد بين القاضى العدل فى ساحة محكمة العدل وبين الخصوم"(2).

---

(\* ) لقد قمت بتقويم الشبهات الواردة فى هذا المبحث (الإسقاط) ، فى الباب الثالث (محل الرد على الشبهات) ولذا لم أقومها هنا خشية التكرار المذموم .

(1) د.حسن عزوزى :آليات المنهج الاستشراقي فى الدراسات الإسلامية ، ص38 .

(2) د. عبد اللطيف طيباوى : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ترجمة : د. قاسم السامرائى ، ط إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1411 هـ ، 1991 م ، ص61 ، 62 .

## المبحث الثامن : منهج التحريف وتقويمه:

## التحريف فى اللغة :

جاء فى لسان العرب : "حَرَفَ عن الشيء يَحْرِفُ حَرْفًا وَأَنْحَرَفَ وَتَحَرَّفَ وَأَحْرُورَفَ : عَدَلَ . وَإِذَا مَالَ الْإِنْسَانُ عَنْ شَيْءٍ يُقَالُ : تَحَرَّفَ وَأَنْحَرَفَ وَأَحْرُورَفَ ...، وَتَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ : تَغْيِيرُهُ . وَالتَّحْرِيفُ فِي الْقُرْآنِ وَالْكَلِمَةِ : تَغْيِيرُ الْحَرْفِ عَنْ مَعْنَاهُ وَالْكَلِمَةَ عَنْ مَعْنَاهَا" (1).

فالتحريف يعنى : العدول عن الحق والميل إلى الباطل . وتحريف الكلام يعنى : تزييفه ليوافق الأهواء وذلك كحذف كلمة من النص أو زيادتها أو تغييرها .

## التحريف فى الاصطلاح :

التحريف فى مناهج المستشرقين يعنى :

"تغيير الحقائق وإصاقها بالعقيدة أو الشريعة أو التاريخ الإسلامى" (2).

فهذا المنهج يقوم على التلفيق والتزوير وتغيير الحقائق ؛ للطن فى الإسلام ورسول الإسلام ، وإلقاء الشُّبُهَ عليها .

ولقد ثبت بالأدلة القاطعة أن وات قد حرَّف كثيرًا من الكلم عن مواضعه ، وبدل ، وقدم ، وأخر ؛ ليؤيد ما يتبناه من أفكار مسبقة .

يقول الدكتور/ محمد قطب : " ومن التواءات المستشرقين (العلمية) ، التى كثيرًا ما يلجأون إليها ، إساءة تأويل النصوص - عمدًا - لاستخراج دلالات لا يحتملها النص بحال ، أو إضافة كلمات أو حذف كلمات تجعل النص يودى معنى مزورًا لا يمت إلى الأصل بصلة ، كما أنهم يستغلون الروايات الضعيفة التى وردت فى المصادر الإسلامية دون تمحيص ، فيجعلونها هى الأصل ويهملون الروايات الأخرى وإن تواترت ، ثم يزعمون الأمانة العلمية ، والنقل عن المصادر الموثوقة" (3).

(1) ابن منظور : لسان العرب (41/9).

(2) طارق سرى : المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق فى التراث الإسلامى ، ط1 مكتبة الناظفة - القاهرة 2005م ، ص119 .

(3) محمد قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامى ، ص15.

وحتى لا يكون الأمر مجرد افتيات وتحامل على وات ، أورد أمثلة من كلامه :

1 - قوله : "ونعلم من الأخبار أن محمدًا دافع عن الشغار" (1).

فقد حرّف وات هذا الحديث ، حين أشار فى (الهامش) إلى أن الحديث مروى فى صحيح الإمام البخارى ، فى كتاب النكاح .

وبالرجوع إلى المصدر الذى أحال إليه وات ، وجدت أن الحديث موجود بلفظ :  
"نهى النبى (ﷺ) عن الشغار" (2).

والفرق شاسع بين الفعل (دافع) الوارد فى نص "وات" المحرّف ، والفعل (نهى) الوارد فى نص الحديث الصحيح .

## 2- تحريفه لحديث آخر ليوافق هوى فى نفسه :

وفى سبيل إثبات أن المرئى للرسول (ﷺ) فى الغار ، كان (الله) ولم يكن (جبريل) - وذلك لإثبات تناقض النبى مع القرآن فى قوله تعالى "لا تدركه الأبصار" - فقد حرّف وات وبدّل وأظهر عوار منهجه أمام الجميع ، فنقل عن الزهرى ، كما فى تاريخ الطبرى حديث بدء الوحي ومنه: ".....قال النبى صلى الله عليه وسلم : فنظرت عن يميني وعن شمالي ، وخلفي وقدامي ، فلم أر شيئاً ، فنظرت فوق رأسي ، فإذا هو جالسٌ على عرشٍ بين السماء والأرض، فخشيت منه" (3).

فذكر وات كلمة عرش معرفة بالألف واللام ؛ تلبيساً على القارئ بأنه عرش الرحمن كقول الله " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.طه : آية 5" ، وكقوله فى آيات كثيرة "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ".

وهذا المنهج سمة من سمات المستشرقين ، كما يقول الأستاذ أنور الجندى : "إن من أعمال المستشرقين (التزوير) ، وقد كشف الأستاذ/ محمد إبراهيم ، خبير الخطوط عن أنه فى سنة 1850م ، قام أحد المستشرقين الفرنسيين بتزوير أهم وثيقة تاريخية إسلامية تهتم العالم الإسلامى كله . ومضت الوثيقة المزيفة مكانها طوال هذه السنين دون أن يكتشف حقيقتها أحد . هذه الوثيقة هى كتاب النبى (ﷺ) إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر..... هذا الكتاب قد تبين للأستاذ / محمد إبراهيم الذى حصل على صورة منه من دار الآثار النبوية فى استانبول ، واستخدم خبرته فى الخط العربى ، وقراءة بعض الكتب التاريخية والإسلامية القديمة أنه خطاب مزيف ، وأنه فى ذلك العصر لم يكن تنقيط الحروف مستعملاً ، بل كانت مهملة ، ولم يستعمل إلا فى أواخر القرن الأول الهجرى" (4).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 433.

(2) صحيح البخارى : كتاب: النكاح ، باب : الشغار ، رقم (5112).

(3) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، سابق (2 / 303 ، 304).

(4) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، سابق (5 / 147) .

## تقويم منهج التحريف (\*) :

لقد مارس وات منهج التحريف مع بعض النصوص النبوية التي ذكرتها من قبل .

"إن وات - من حيث لا يشعر القارئ - أحيانا يمارس تزييفاً للسيرة قد لا يكون متعمداً . إنه يخفف من ألوانها العميقة المتميزة ، ويجرد جدلها أو حوارها في الداخل والخارج ، أى بين آراء المسلمين أنفسهم ، وبينم وبين الخصوم من أبعاده (الدرامية) التي تمنحه الفاعلية والحيوية والعمق" (1).

وإذا كان الدكتور عماد الدين خليل يتكلم كلاماً عامّاً ، ويذكر أن وات قد يلجأ إلى التزييف غير المتعمد ، فإننى - بما قدمت من أدلة على تحريفه لبعض النصوص - أؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه يتعمد التحريف والتزييف ، لا أنها تنتج عن سهو منه .

إن منهج التحريف والتزييف ليس سمة وات وحده . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى عن القس لامانس كنموذج :

"وأشع مافعله ، خصوصاً فى كتابه (فاطمة وبنات محمد) هو أنه كان يشير فى الهوامش إلى مراجع بصفحاتها . وقد راجعت معظم هذه الإشارات فى الكتب التى أحال إليها ، فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقاً فى هذه الكتب ، أو يفهم النص فهماً ملتويًا خبيثًا ، أو يستخرج إزاعات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية" (2).

إن تحريف المراجع والصفحات عن مواضعها لا يقل بشاعة عن تحريف الكلمة . ف كلا التحريفين يجمعهما الغش ، وسوء النية ، وخبث الطوية .

---

(\*ولقد رددت أيضا على الشبهات الواردة فى هذا المبحث فى الباب الثالث (الأخير) الذى هو محل الرد على الشبهات ، وقمت بتقويمها هناك .

(1)د. عماد الدين خليل :المستشرقون والسيرة ، ص165.

(2)د. عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ص504 .

## المبحث التاسع : منهج التناقض وتقويمه (\*) :

### التناقض في اللغة :

يقول ابن فارس: " نقض : النون والقاف والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على نكثٍ شيءٍ" (1).

وجاء في القاموس المحيط: " والمُنَاقِضَةُ في القَوْلِ: أن يَتَكَلَّمَ بما يَتَنَاقِضُ مَعْنَاهُ، أي: يَتَخَالَفُ." (2)

وفي المعجم الوسيط: " تناقض الشيء : انتقض ، والقولان تخالفا وتعارضاً والشاعران قال كل منهما قصيدة ينقض بها قصيدة الآخر ويعارضها .... ( التناقض ) يقال في كلامه تناقض بعضه يقتضي إبطال بعض و( في المنطق ) النسبة بين المتناقضين" (3).

"النَّقْضُ: نَقَضَ البِنَاءَ وَالحَبْلَ وَالعَهْدَ. وَالنَّقَاضَةُ: مَا نُقِضَ مِنْ حَبْلِ الشَّعْرِ. وَالمُنَاقِضَةُ في القَوْلِ: أن يَتَكَلَّمَ بما يَتَنَاقِضُ مَعْنَاهُ" (4).

يقول ابن منظور: " النَّقْضُ إِفْسَادُ مَا أُبْرِمَتْ مِنْ عَقْدٍ أَوْ بِنَاءٍ " (5).

فالكلمة تدور حول معنى الهدم والاضطراب ، والخلل ، والضعف ، وعدم الثبات على الموقف .

### التناقض اصطلاحاً:

التناقض : هو اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب ، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداها وكذب الأخرى ، كقولنا : زيد إنسان ، زيد ليس بإنسان" (6).

والمراد بالتناقض في مناهج المستشرقين : أن يُثَبِّت المستشرق الفكرة في بحثه ثم ما يلبث أن ينفىها في نفس البحث ؛ وذلك راجع إلى هشاشة علمه ، وعدم يقينه بما يكتب .

---

(\*) كل هذه الشبهات مردود عليها في الباب الثالث أيضا ؛ مما يجعل إعادته هنا من باب التكرار المجرد .

(1) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (5 / 378).

(2) الفيروز آبادي : القاموس المحيط (1 / 656).

(3) المعجم الوسيط (2 / 947).

(4) الجوهري : معجم الصحاح (3 / 1110) .

(5) ابن منظور : لسان العرب (7 / 242) .

(6) الجرجاني : التعريفات (1 / 68).

وكثيراً ما ناقض وات نفسه دون أن يدري ، وهذا خطأ فادح في حق باحث مثل "وات" يدعى أنه باحث موضوعي .

**1 -** فبينما يرى وات أن الإسلام كان حركة صراع "بين الذين أصبحوا على وعى بالتفاوت بينهم وبين أولئك المتربعين على القمة ، والذين بدأوا يشعرون أنهم كانوا معدمين .... ، وأن الإسلام كان حركة نضال بين الذين يملكون والذين امتلكوا منذ وقت قريب"(1).

بينما يرى وات ذلك نجده يعارض هذا القول في مكان آخر ، فيقول :

"إن الإسلام كان حركة شباب من أسر ذوات حيثية (مكانة) ، ويواصل قائلًا : ويمكن اعتبار خالد بن سعيد خير ممثل لهذه الطبقة (الفئة) ، لكن هناك عديدون غيره . إنهم شباب من أسر ذوات نفوذ من عشائر قوية ، وكانوا أقرباء للمستحويين على السلطة في مكة الذين تزعموا المعارضة ضد محمد (ﷺ) . والجدير بالذكر أنه في غزوة بدر كان هناك أمثلة على أخ وأخيه ، وأب وابنه ، وعم وابن أخيه ، كان أحدهما يحارب الآخر، إذ كان أحدهما إلى جانب المسلمين والآخر إلى جانب المشركين"(2).

**2 -** ويناقض وات نفسه مرة أخرى حين يدعى مرّة أن الأنصار قد شاركوا في غزوة بدر ، فيقول :

"وتجمع المصادر على أن معركة بدر ، كانت الأولى التي يشترك فيها الأنصار"(3).

ومرّة أخرى يدعى أن بيعة العقبة (بيعة الحرب) التي بايع فيها الأنصار رسول الله (ﷺ) لم تتحدث إلا عن العمل الدفاعي فيقول :

"وبيعة الحرب لا تتحدث إلا عن العمل الدفاعي ، ولا تتحدث عن عمليات هجومية"(4). فكيف يخرجون مع النبي للحرب ولم يعاهدوه إلا على الدفاع فقط !!

**3 -** كما يناقض نفسه عند الحديث عن دستور دولة المدينة ، فتارة يصححها وتارة أخرى يشكك في صحتها ، فهو يقول مصححاً لها :

"أن أسلوب الوثيقة قديم ، وبعض تعابيرها ، كاستعمال كلمة (المؤمنين) – للدلالة على المسلمين – يرجع إلى الفترة الأولى المدنية"(5).

(1) مونتجمري وات ي: محمد في مكة ، ص 189.

(2) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص 187.

(3) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 6.

(4) السابق : ص 351.

(5) السابق : ص 342.

ثم ما يلبث أن يناقض وات نفسه فى هذه الفكرة مرة أخرى قائلاً : "احتفظ ابن إسحاق بوثيقة قديمة تسمى - عادة - دستور المدينة ، وهو بعد أن يقدم لها ببضع كلمات ، لا يذكر شيئاً عن الطريقة التى وصلت بها الوثيقة إليه ، ولا متى ، وكيف طبق هذا الدستور. أما وضع الوثيقة فى مطلع حديثه عن الفترة المدنية فليس له من سبب سوى التسلسل المنطقى" (1).

ويظهر التناقض أيضاً فى مسألة زواج النبى (ﷺ) بزَيْنَب بنت جحش - رضى الله عنها - فتارة يقول :

إن السبب فى هذا الزواج هو أن النبى (ﷺ) رآها عارية فيقول :  
"وقد ذهب محمد فيما بعد حوالى السنة الرابعة للهجرة إلى بيت زيد للتحدث إليه وكان زيد غائباً فشاهد زينب وهى عارية فأحبها كما - يقولون - لتوّه فمضى وهو يقول لنفسه [سبحان مقلب القلوب] . أخبرت زينبُ زيداً بزيارة محمد ورفضه الدخول وما قاله . فتوجّه زيد رأساً إلى محمد وعرض عليه أن يطلق زينب فقال له محمد بأن يحفظ امرأته . ولكن الحياة أصبحت فيما بعد مع زينب لا تطاق فطلقها زيد. وبعد مرور العدة تم زواجها من محمد وقد نزل الوحي بتبرير هذا الزواج" (2).  
وتارة أخرى يقول :

"لنا الحق إذن فى القول بأن محمداً فى قصة زينب بنت جحش لم يذهب ضحية حب عنيف" (3)

ويقول : "وبالرغم من هذه القصص العاطفية ، من البعيد أن يكون محمد قد أسر بمفاتيح زينب الجسدية" (4)

ويقول أيضاً : "لم يكن إذن فى حياة محمد الجنسية على العموم ما يحمل معاصريه على الحكم بأنه لا يتفق مع نبوته ، ويمضى.....، فإنه من الأكيد أنه كان يسيطر على عواطفه الجنسية أمام الجنس اللطيف" (5) . هكذا نجد تضارباً فى أقوال وات .

إن الباحث الحق يجب أن لا تتناقض أفكاره ، وذلك من بداية بحثه إلى نهايته ، وأن لا تهدم فكرةً عنده فكرةً أخرى سبق أن بناها ، وإلا خرج بحثه متناقضاً . كما يدل التناقض فى البحث على عدم فهم الباحث لطبيعة موضوعه والهدف منه . إن التناقضات التى وقع فيها وات تدل دلالة قاطعة على عدم فهمه لطبيعة شخصية سيدنا محمد (ﷺ) .

وقد لاحظت أن هذه التناقضات فى المسائل التى وقع فيها وات - كانت تأتى بعد صفحة أو صفحتين من إثباته لهذه المسائل ذاتها .

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 337.

(2) مونتجمرى وات: محمد فى المدينة ، ص 502، 503 .

(3) محمد فى المدينة ، ص 504

(4) السابق ، ص 505

(5) السابق ، ص 506

## المبحث العاشر: منهج تقديم المراجع الاستشراقية على المصادر الإسلامية وتقويمه(\*)

لقد اعتمد وات في كتاباته عن الرسول (ﷺ) على مصادر أساتذته وإخوانه من المستشرقين ، بل كان يقدم في كثير من الأحيان آرائهم على آراء علماء الإسلام الذين يعرفون عن محمد (ﷺ) أكثر مما يعرف هؤلاء المستشرقون .

إن العقل يقول : إنه ليس من الإنصاف أن يُحكم على إنسان من خلال رأى خصمه فيه ، وسوف أقدم الآن أمثلة على إفراط وات في استخدام المصادر الاستشراقية ، وإهماله المصادر الإسلامية في قضايا السيرة الكبرى ، كالوحي مثلا .

**1- فمثلا ،** يذكر وات آية سورة النجم "ما كذب الفؤاد ما رأى . رقم (11)" ، وينقل عن المستشرق (ريتشارد بل) (\*) في ترجمته للقرآن قوله في هذه الآية : "ربما أضيفت فيما بعد بتطور آخر في هذه النظرية ، بمعنى أنه بينما أدركت العينان العلامة أو الرمز ، أدرك القلب الشيء المرموز" (1). فمن المعروف أن هذه الآية من سورة النجم ، قد نزلت بمكة ، ولم تنزل في فترة لاحقة ( في المدينة ) ، كما يشير إلى ذلك (وات ، وريتشارد بل). ومن المعروف كذلك أن آية "الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ.." من سورة النجم (الاية 32) هي التي نزلت بالمدينة ، ولا يوجد في التفاسير ما يشير الى أن الاية 11 ، وهي قول الله عز وجل: "ما كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" قد نزلت في وقت لاحق كما يدعى ذلك وات ، وريتشارد بل .

**2 -** وحين تكلم وات عن تحنث النبي (ﷺ) في غار حراء للتعبد ، قال عن معنى التحنث ، إنه يعنى : "فعل ما يخرج به من الخطيئة أو الجريمة" (2). ثم يقول في هامش نفس الصفحة : "وهذا يناقض رأى كيتانى (\*\*)" (3). وهذا التعريف للحنث ، والذي ذكره وات موافق لما ذكره ابن منظور في تعريف التحنث ، يقول ابن منظور : "يتحنث ، أى يفعل فعلا يخرج به من الحنث ، وهو الإثم والحرَج" (4).

(\*) سبق تعريفه في الباب الأول.

(1) مونتجمرى وات : محمد في مكة ، ص108.

(2) السابق : ص109.

(\*\*) سبقت ترجمته في الباب الأول.

(3) مونتجمرى وات : محمد في مكة ، ص109.

(4) ابن منظور : لسان العرب (138/2).

لكن وات يقدم تعريف (كيتانى) للتحنث ، على تعريف ابن منظور له ، فهل كيتانى أعلم بلغة العرب من ابن منظور ؟

كما اعتمد وات تعريف المستشرق (هيرشفيلد) (\*) للتحنث ، فقال :  
"وربما كان أفضل الآراء هو ما ذكره هيرشفيلد ، أنها مشتقة من الكلمة العبرية (تحنوت) أو (تحنوٓث) والتي تعنى ، التعبد لله " (1).

ونقل عن (ريتشارد بل) قوله :

"وأما كلمة (قرآن) ، فهي الكلمة السريانية (كريانا) التى تعنى (القراءة) أو (درس من الكتاب المقدس)" (2).

ويعارض وات حديث البخارى الذى فيه أن ورقة بن نوفل بعد لقائه مع النبى (ﷺ) "لم ينشب أن توفى" (3) ، ويقدم عليه رأى (كيتانى) الذى يقول :  
"فبعض الروايات تجعل موت ورقة بعد بعثة محمد (ﷺ) بعامين أو ثلاثة ، وأخرى تزيدها إلى أربعة" (4).

كما ينقل وات عن (كيتانى) رفضه للرواية التى تتحدث عن إرسال الرسول (ﷺ) الكتب والرسائل للملوك والأمراء ، فيشير فى الهامش إلى قول كيتانى :  
"لا يمكن قبول هذه القصة كما هى" (5).

إننا إذا قارنا كلام بعض المستشرقين ببعضه ؛ أدركنا مدى انعكاس أفكارهم على بعضهم البعض ، وخصوصاً على المستشرقين الذين لا يتمكنون – بسبب عجزهم اللغوى – من التعرف المباشر على الإسلام من خلال نصوصه ومصادره الأصيلة ، فلا يبقى أمامهم سوى التعرف عليه من خلال الكتابات الاستشراقية ، والولوج إليه عبر بؤابة الاستشراق .

وهنا مكنم الخطر ، فإن الفكرة السيئة عن الإسلام تظل أصلاً لما بعدها .  
ومن هنا ؛ فإن الأخطاء تظل تكرر ما دام اللاحق منهم ينقل عن السابق دون تمحيص أو محاولة للتحقق من صحة ما فيها .

---

(\*) هيرشفيلد (1854-1934م) ، باحث يهودى فى غاية التعصب ضد الإسلام ، ولد فى تورن (إقليم بروسيا ، فى شمالى ألمانيا) ، وحصل على الدكتوراه الأولى من جامعة اشترا سبورج سنة 1878م ، ومن إنتاجه : كتب "العناصر اليهودية فى القرآن ، إسهامات فى إيضاح القرآن ، أبحاث جديدة فى تأليف وتفسير القرآن " انظر: د. عبدالرحمن بدوى: موسوعة المستشرقين ، ص 609 .

(1) موننجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 109.

(2) السابق : ص 113.

(3) صحيح البخارى : باب بدء الوحي ، رقم (3).

(4) موننجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 120.

## الفصل الثانى :

قواعد منهج كارين أرمسترونج فى دراسة  
السيرة النبوية وتقويمها، ويشتمل على سبعة  
مباحث :

- المبحث الأول : منهج الاستشهاد بالقرآن الكريم وتقويمه .
- المبحث الثانى : منهج الاستشهاد بالسنة النبوية وتقويمه .
- المبحث الثالث : منهج المقارنة وتقويمه .
- المبحث الرابع : منهج التظاهر بالموضوعية وتقويمه .
- المبحث الخامس : منهج النزعة العقلية وتقويمه .
- المبحث السادس : منهج سوء التأويل وتقويمه .
- المبحث السابع : منهج الإسقاط وتقويمه .

## مدخل ..

يختلف منهج كارين (فى الظاهر) عن منهج وات ، فقد أوهمت القارئ بأنها تكتب عن الإسلام بموضوعية وإنصاف ، واستغلت كارين بعض الظروف العالمية المعادية للإسلام ، كظهور رواية (آيات شيطانية) للكاتب (سلمان رشدي) (\*) ، وحادث الحادى عشر من سبتمبر الذى حدث فى أمريكا ، وبعد ان أتهم الإسلام بالإرهاب .

فاستغلت كارين الفرصة وأخرجت كتابيها فى السيرة ، وهما (سيرة النبى محمد) ، (محمد نبى لزماننا) .

وفى البداية تعلن كارين منهجها فى دراستها لشخص النبى (ﷺ) وسيرته ، وأن منهجها - حسب كلامها - لن يكون مبنيًا على الشك ، فنجدها تعيب على المنهج الشكى الذى اتبعه المستشرق (مكسيم رودنسون) (\*\*\*) فى كتابه (محمد) ، فتقول :

"ولقد تعلمت كثيرًا من كتابه (محمد)، ولكنه يكتب من وجهة نظر المتشكك والعلمانى ، ولما كان يركز فى كتابه على الجوانب السياسية والحربية فى حياة النبى ، فإنه لا يعيننا حقا على تفهم الرؤية الروحية للنبى محمد (ﷺ) . أما المنهج الذى اتبعته ، فهو يختلف بعض الشيء ، وكانت نقطة انطلاقى هى أننا نعرف عن مؤسس أى دين من الأديان الرئيسية الأخرى ، وأن دراسة حياته يمكن أن تهينا إدراكاً عميقاً ومهما لطبيعة التجربة الدينية" (1).

لكن كارين قد قامت بالتشكيك فى كثير من أحداث ووقائع السيرة النبوية ، ولم تلتزم بما قالته سابقا فناقضت بذلك نفسها .

وأضيف هنا : أن رجوع كارين إلى المصادر واقتباسها منها كان بالمعنى لا بالنص

وسأضع هنا بعض القواعد المنهجية لكارين أرمسترونج دون أن أقرنها بالرؤية الإسلامية ، أو أتعبها بالرد تاركاً أمر تحليلها ونقدها للدراسة التفصيلية فى (الباب الثالث) الذى هو محل الرد والتحليل والتقويم .

### وهاهى بعض قواعد منهج كارين فى دراستها للسيرة النبوية :

---

(\*) سلمان رشدي ، ولد سنة ، (1947 م) ، بريطاني الجنسية، مسلم بالولادة من مسلمي الهند، صاحب كتاب (آيات شيطانية) ، عدد صفحات الكتاب خمسمائة وخمسون ويحتوي هذا الكتاب الشيطاني على هجوم سافر على الإسلام ونبى الإسلام . انظر : سيد حسين العفاني : أعلام وأقزام فى ميزان الإسلام ، (2 / 76).

(\*\*) مكسيم رودنسون : سبق التعريف به في الباب الأول.

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 24.

## المبحث الأول : منهج الاستشهاد بالقرآن الكريم، وتقويمه

لقد قررت كارين في بداية كتابها (محمد نبي لزماننا) ، أن ذلك سيكون منهجها ،  
فقالت :

"مصدرنا الرئيسي للمعلومات ، هو القرآن الذي قرأه (محمد) على العرب "(1).

لقد أكثرت كارين من الاستشهاد بالآيات القرآنية في بحثها ، وذلك في المواضع  
التالية :

فحينما أرادت أن تصور أول لقاء بين النبي (ﷺ) والملك (جبريل) ، استشهدت  
بصدر سورة العلق " اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اَقْرَأْ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ...سورة العلق 1- 5 " (2).

وحين ذكرت لقاء جبريل عليه السلام برسول الله (ﷺ) ، ذكرت معه قول الله تعالى: "   
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ  
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . سورة النجم : 5- 9 " (3).

وفي موامرة المشركين برسول الله (ﷺ) في دار الندوة ، ذكرت قول الله :  
" وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ  
وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ . سورة الأنفال : 30 " (4).

وفي الهجرة ، ذكرت قول الله : " إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...التوبة : 40".  
وفي تحويل القبلة ، قول الله تعالى : " قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ  
قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ  
شَطْرَهُ.... البقرة : 144 " (5).

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 23.

(2) السابق : ص 44.

(3) السابق : ص 45.

(4) السابق : ص 99.

(5) السابق : ص 104.

وفى مشروعية القتال ، ذكرت قوله تعالى :

" أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الحج : 39 ، 40 " (1).

وفى سرية نخلة ذكرت قول الله : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِنكُمْ عَلَيْهِ عَاقِبَةٌ لَّخَالِدِينَ فِيهَا خَالِدُونَ . سورة البقرة : 2178 " (2).

وفى حادث الإفك ، ذكرت قول الله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ . لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّينَ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ . وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ . سورة النور : 11-19 " (3).

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا: ص 119.

(2) السابق : ص 121.

(3) السابق : ص 160.

## المبحث الثاني : منهج الاستشهاد بالسنة النبوية، وتقويمه.

وأما بالنسبة لاستشهاد كارين بالسنة النبوية ، فمن ذلك ما ذكرته عن بدء نزول الوحي على رسول الله (ﷺ) ، فقد ذكرت حديث البخارى كاملا :

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ جِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ جِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: أَقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَعَطَنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } [العلق: 2] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجِفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلَ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، أَسْمَعُ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أُخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرَجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي، وَإِنْ يَدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ، وَفُتِرَ الْوَحْيُ. (1).

وعن اضطهاد قريش للرسول (ﷺ) تذكر (2) حديث : " ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب" (3).

وعن بيعة العقبة ، ذكرت (4):

" كُنْتُ فِيْمَنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَّ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرُهُ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ فَإِنْ وَقَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ " (5).

وهناك أمثلة أخرى ، ويكفي ما قد ذكرته .

(1) صحيح البخارى : باب ، بدء الوحي ، رقم (3).

(2) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص83.

(3) سيرة بن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، ط2 مطبعة مصطفى البابي الحلبي،

1375 هـ - 1955 م (416/1).

(4) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص94 ، 95.  
(5) مسند أحمد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون ، ط1 مؤسسة الرسالة ، 1421 هـ - 2001 م  
(37 / 415) رقم (22754).

### تقويم منهج الاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية :

إن القارئ لكتابى كارين فى السيرة النبوية يجد قدرًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم ،  
والأحاديث النبوية التى وضعتها كارين فى موضعها فى الغالب الأعم .  
فهى تقول عن القرآن والسنة :

" تُكوّن الأحاديث مع القرآن أصول الشريعة الإسلامية . كما أصبحت أيضا أساسا  
للحياة اليومية والروحية لكل مسلم . فقد علمت السنة النبوية المسلمين محاكاة  
أسلوب محمد فى الكلام والأكل والاعتسال والعبادة لدرجة يُعيدون معها إنتاج حياة  
النبي على الأرض فى أدق تفاصيل حياتهم اليومية بأسلوب واقعى ؛ أى أنهم وعلى  
مستوى رمزى : يَحْيُونَهُ مرة أخرى " (1).

وهناك أمر مهم لابد من ذكره هنا ، وهو أن استشهاد كارين بآيات القرآن الكريم  
والسنة النبوية ليس دليلا على حسن مسلكها ، وصدق نيتها ، فهى تتخذ من  
النصوص ما يخدم أهدافها .

كما لا يعنى استشهادها بالقرآن أنها توافقه فى المعتقد والتعاليم ، لكنها تستخدم  
أسلوب البناء والهدم ، فهى تظهر للقارئ عاطفتها نحو الإسلام باستخدامها لآيات  
القرآن ، ثم ما تلبث أن تعارض القرآن نفسه .

فقد نفت عالمية الإسلام ، فى حين أن القرآن نفسه يقول :

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ  
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} الأعراف : 158.

ويقول تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} الأنبياء 107 .

فهى تبني مرة ، وتهدم ما قد بنته ، وهو ما يُعرف بمنهج البناء والهدم عند كثير  
من المستشرقين . إذ كيف يمكن أن تستشهد بآيات القرآن ثم تخالفه فى كثير !!

وكيف تتظاهر باقتناعها بالسنة النبوية ، وهى تخالف مضمونها فى قوله (ﷺ) :  
"وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً" (2).

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص388 .

(2) صحيح البخارى (1 / 95) رقم : 438 .

## المبحث الثالث : منهج المقارنة ، وتقويمه

### المقارنة فى اللغة :

جاء فى معجم مقاييس اللغة : أن أصل الكلمة " يدلُّ على جَمعِ شيءٍ إلى شيءٍ " (1). ويقول ابن منظور : "قَارَنَ الشيءُ الشيءَ مُقَارَنَةً وَقِرَانًا أَقْتَرَنَ بِهِ وَصَاحَبَهُ وَأَقْتَرَنَ الشَّيْءُ بغيره وَقَارَنَتْهُ قِرَانًا صَاحَبَتْهُ وَمِنْهُ قِرَانُ الكوكبِ وَقَرْنَتْ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ وصلته والقَرِينُ المصَاحِبُ... والقَرْنُ الحبلُ يُقَرَّنُ به البعيران... والقَرْنُ التقاء طرفي الحاجبين" (2).  
فالملاحظ من تحليل الكلمة أنها تعنى الازدواجية والتعددية .

### المقارنة فى الاصطلاح :

"قارن الشيء بالشيء وازنه به ، وقارن بين الشيئين أو الأشياء : وازن بينها فهو مقارن ، ويقال الأدب المقارن أو التشريع المقارن " (3).  
وهذا اشتقاق مُحدَث ، ما كان العرب يستخدمونه للمقارنة بين شيئين ؛ بمعنى : استخراج مواضع التشابه والاختلاف بينهما كما هو مُصطَلَحُ عليه الآن فى الدراسات المقارنة .

لقد عقدت كارين كثيرًا من المقارنات بين محتوى القرآن الكريم ، ومحتوى الأناجيل فى بعض النقاط ، كما عقدت مقارناتٍ بين سيدنا محمد ، وسيدنا عيسى – عليهما السلام – وهذه أمثلة من المقارنات التى فى كتابات كارين عن السيرة النبوية :

(1) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (5/ 62).

(2) ابن منظور : لسان العرب (13/ 331).

(3) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (2/ 730).

1- تقول عن حياة سيدنا محمد (ﷺ) المبكرة : " فقد أضاف الموروث الإسلامي بعض التفاصيل - والتي قد يكون منها المتخيل - إلى تلك الحقائق العارية , وبالمثل نجد أن أناجيل متى ولوقا قد أضافت بعض القصص الأسطورية عن ميلاد المسيح وطفولته , والتي هي روايات متخيلة للحقائق اللاهوتية..... ومثل تلك القصص أضفت على كل من محمد وعيسى صفات الأبطال بالمعنى الكلاسيكي (\*) للفظ"(1).

وكارين بذلك تريد أن تبرز أوجه الشبه بين حياة محمد وعيسى - عليهما السلام - وتجعل لعيسى عليه السلام إرهاصاتٍ كما أن لسيدنا محمد (ﷺ) إرهاصاتٍ ، وتشير كارين إلى إنجيلي (متى ، ولوقا) .

وباستقراء هذين الإنجيلين ، وجدت فيهما ما يشير إلى ذلك ، ففي إنجيل متى :

"1وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدَّ جَاءُوا إِلَى أورشليمَ 2قائلينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». 3فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أورشليمَ مَعَهُ. 4فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةَ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» 5فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لِأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: 6وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ، أَرْضَ يَهُودَا لَسْتَ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودَا، لِأَنَّ مِنْكَ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَزْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ». حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النُّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. 8ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمِ، وَقَالَ: «ادْهَبُوا وَأَفْحِصُوا بِالتَّحْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَحْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ». 9فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النُّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقَ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. 10فَلَمَّا رَأَوْا النُّجْمَ فَرَحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. 11وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرِيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلَبَانًا وَمُرًّا"(2).

(\*)لفظ كلاسيكية هو مفردة يونانية وتعني ( الطراز الأول ) أو الممتاز أو المثل النموذجي. انظر : مجلة الجيل الواعد ، مقال بتاريخ 17 / 7 / 2007م (شبكة الإنترنت) ، وهي بمعنى: "التزام أصول مقررة في الأدب والفن " انظر : المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية ، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة 1403 هـ ، 1983م ، ص153 .  
(1)كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص113.

(2) الكتاب المقدس : إنجيل متى إصحاح (2) ، فقرات (11-1)، ط1، دار الكتاب المقدس - مصر ، 2005م.

وجاء في إنجيل لوقا :

"7فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبُكَرَ وَقَمَطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمَدْوِدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، 9وَإِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. 10فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكُ: «لَا تَخَافُوا! فَهَذَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: 11أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. 12وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مَقْمَطًا مُضْجَعًا فِي مَدْوِدَ». 13وَوَظَهَرَ بَعْتَةً مَعَ الْمَلَائِكِ جُمُهورٌ مِنْ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: 14«الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ» (1).

لكن الفارق بين إرهابات سيدنا محمد ، وسيدنا عيسى – عليهما السلام – أن إرهابات سيدنا محمد قد ثبتت بأدلة صحيحة ، أما إرهابات سيدنا عيسى فقد ثبتت - فقط - من خلال أناجيل عدت عليها العوادي ، وطالتها يد التحريف .

**2- كما تقيم كارين مقارنة أخرى شبيهة بهذه المقارنة ، حين تتعرض لقصة شق صدره (ﷺ) أيام كان مسترضعا في بادية بنى سعد، فتقول :**  
"ولتلك القصة مثيلاتها في أقصوصات الحضارات الأخرى التي تصف شعائر الإعداد وهي ترمز إلى النقاء الضروري للشباب المعد لكي يتلقى تجربة سماوية دون تلويث الرسالة المقدسة"(2).

**3- وتطبق كارين نفس المقارنة حين تتعرض لقصة بحيرا الراهب ، فتقارنها بالقصة الإنجيلية قائلة :**

"ومن الملاحظ أن هذه القصة الإسلامية توازي القصة الإنجيلية عن الطفل عيسى الذي كان مفقودًا في المعبد"(3).

وقد رجعتُ إلى الأناجيل المتداولة ، فوجدت في إنجيل لوقا ما تشير إليه كارين ، ويقينى أن كارين قد رجعت إلى هذا النص ، وهو :

- (1) الكتاب المقدس : إنجيل متى ، إصحاح (2) ، فقرات ( 7 – 14 )  
(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ص120.  
(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ص121 .

".... وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح , ولما كانت له اثنتا عشرة سنة سعدوا إلى أورشليم كعادة العبيد وبعدهما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع في أورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما وإذ ظناه بين الرفقة ذهابا مسيرة يوم , وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف , ولمّا لم يجدها رجعا إلى أورشليم يطلبانه , وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعون ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته , فلما أبصره اندهشا..... وكانت أمّه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها , وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (1) .

#### 4- كما تقارن كارين بين سيدنا داوود ، وسيدنا محمد – عليهما السلام – في مسألة تعدد أزواجهما ، فتقول :

"ولا يجد الكتاب المقدس غضاضة على الإطلاق في الحديث عن الإنجازات الجنسية للملك داوود أو الزوجات اللاتي لا يُحصى عددهن للملك سليمان , ويعتبر عدد زوجات النبي محمد بالقياس إلى زوجاتهما (داوود وسليمان) ضئيلا إلى درجة كبيرة" (2).

#### 5- وتقارن كذلك بين سيدنا محمد وسيدنا عيسى – عليهما السلام – حتى في الابتسامه ، فتقول :

"لم نقرأ أبداً أن المسيح قد ضحك ، لكننا كثيراً ما نجد محمداً يبتسم ويداعب المقربين منه" (3).

وتقول : "فسوف نرى أن التجربة الدينية (\*) التي خاضها محمد ، تتشابه تشابها كبيرا مع تجارب أنبياء بنى إسرائيل ، ومع تجربة القديسة تريزا (\*\*)" (4).

ومما سبق يتضح أن كارين قد اعتمدت المنهج المقارن بين كل ما هو إسلامي وما هو مسيحي ، وبين محمد (ﷺ) وغيره من أنبياء بنى إسرائيل (عليهم السلام) ، وذلك راجع إلى اعتقادها بأن الإسلام واليهودية والمسيحية ديانات توحيدية ، فقد قالت :

"إن الأنبياء والرسل في جميع الأديان الكبرى يتميزون بأن رؤاهم للحقيقة المتعالية القصوى تتشابه فيما بينها تشابها كبيرا" (5).

(1) انظر: الكتاب المقدس : العهد الجديد, إنجيل لوقا, إصحاح(2) , فقرات (41 - 52) .  
(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد , ص219 , وللوقوف على هذه النصوص في الكتاب المقدس ، انظر سفر التكوين , فقرات (20 ، 21 ، 25 ، 35), وسفر الخروج, فقرة(1،2),سفر الملوك الأول,فقرة(11).  
(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص81.

(\*)الوحي ليس مجرد تجربة دينية ، وإنما هو عقيدة إلهية .  
(\*\*)القديسة تريزا : اسمها الأصلي (مارى فرانسوا - تريزا مارتين ) ، ولدت في (الينسون - فرنسا) ، 2/ يناير 1873م ، توفيت سنة 1897م ، لقبّت بـ (وردة المسيح الصغيرة) فى المسيحية ، وهى راهبة كرملية

فرنساوية، من أشهر قديسات الكنيسة الكاثوليكية ، دخلت الدير وعمرها خمسة عشر عاما ، تميزت رهبتها بالطهارة الفائقة والوداعة. (انظر : ويكيبيديا - الموسوعة الحرة ، على الإنترنت).  
(4) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 24.  
(5) السابق ، ص 23.

### تقويم منهج المقارنة

ينبغي على الباحث المسلم أن يقف حذراً أمام منهج المقارنة - بصفة عامة - عند بعض المستشرقين ؛ أقصد المقارنة بين ما هو إسلامي وبين ما هو غير إسلامي ( يهودي أو نصراني ) .

فهى (كارين) مثلا شبّهت الوحي الإلهي الذي أنزل على سيدنا محمد (ﷺ) بما كان يحدث للقديسة تريزا .

وكانها تريد أن تقول : إن سيدنا محمدا (ﷺ) كان راهبا كالقديسة تريزا . والحق أن النبي (ﷺ) ما كان راهبا ولا عرف الرهبانية يوماً .

ولو كان النبي (ﷺ) راهبا لاكتشف أنه نبي يوم أن نزل عليه الوحي فى غار حراء ، لكنه ذهب إلى من يفقه حقيقة الأمر وهو ورقة بن نوفل ، فأخبره بأنه نبي هذه الأمة.

فالنبي يقول : "لا رهبانية فى الإسلام" (1) .

ويقول تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ {البقرة 143}

ويقول أيضا : "وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ { القصص:

"77 .

ويقول النبي نافيا عن نفسه الرهبانية المبتدعة :

جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسَبُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْفَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْفُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (2) .

(1)البغوى : شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش ، ط2 المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - 1403هـ - 1983م ، (371/2) .

## المبحث الرابع : منهج التظاهر بالموضوعية ، وتقويمه .

الموضوعية "نسبة إلى الموضوع ، وهو ما تتساوى علاقته بجميع المشاهدين برغم اختلاف الزوايا التي يشاهدون منها ، ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائلها ، بعيدة عن التأثير بأهوائهم وميولهم ومصالحهم فتتحقق فى البحث العلمى ، الموضوعية والنزاهة" (1).

والموضوعية هى : "قصد الوصول إلى المعرفة المجردة الصادقة المستقلة عن الغرض الذاتى" (2).

وقد تظاهرت كارين وهى تكتب عن سيرة الرسول (ﷺ) باموضوعية ، حتى أَيْخِيلُ للقارئ العادى (المبتدئ) أنها مستشرقة مسلمة ، والواقع أنها لم تعلن إسلامها حتى الآن مما يدل على عدم إنصافها ، وكل ما يُعرف عنها أنها تركت المسيحية ، وهذا ما قالته عن نفسها :

"ولم أعد الآن من المؤمنين بالمسيحية ، أو الممارسين لشعائرها ، بل ولا أنتمى رسمياً لأى دين آخر ، ولكننى عكفت على مراجعة أفكارى عن الإسلام ، وفى الوقت نفسه وجدتنى أعيد النظر فى معنى التجربة الدينية نفسها" (3).

وليس معنى ذلك أنها كانت موضوعية وموافقة للرؤية الإسلامية فى كل ما كتبت لكنها — على أية حال — كانت موافقة لها فى القضايا الكبرى التى اعتاد جُلُّ المستشرقين الطعن فيها . والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها :

### 1- قولها بأمية النبى (ﷺ) :

وقد وافقت كارين فى ذلك ما يعتقد المسلمون ، وما جاءت به النصوص القرآنية ، والنبوية ، وخالفت المستشرقين الذين نفوا الأمية عنه (ﷺ) فقالت :

"إنه من حماقة أن نتحدى التفسير الموروث للمسلمين للفظ "أمى" . كما أنه لا يوجد فى المصادر الأولى أى ذكر عن مقدرته على الكتابة والقراءة . وحينما كان يحتاج لإرسال خطاب يمليه على أشخاص مثل علىّ الذى كان مُلماً بالقراءة والكتابة. ولو كان صحيحاً أن محمداً قد أخفى مقدرته على الكتابة والقراءة طيلة حياته لكانت تلك خدعة كبرى . وخلافاً لكون ذلك منافياً لطبيعته ، فإنه من الصعب جداً الإبقاء على مثل تلك الخدعة إذا نحن أخذنا فى الاعتبار حميمية الصلة بين محمد وقومه" (4)

- (1) المعجم الفلسفى : مجمع اللغة العربية ، ص197.  
(2) لويس جوتشلك : كيف نفهم التاريخ ، ترجمة : د. عائدة سليمان عارف ، د. أحمد مصطفى أبو حاكمة ، ط ، دار الكاتب العربى - بيروت ، دبت ، ص57.  
(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد ، ص23.  
(4) السابق ، ص136.

### وتقول كذلك عن أمية النبى (ﷺ):

وقالت : " إن التأويل الشائع للفظ أمى هو تأويل مبكر جدًا وهو أيضا من الأهمية بمكان لدى المسلمين , فإن له نفس أهمية الميلاد العذرى فى المسيحية والتي تؤكد على النقاء اللازم للرجل أو المرأة كى يأتى بكلمة إلى الناس ؛ لأن التنزيل لا يجب أن يشوبه أو تتدخل فيه إضافة إنسانية خالصة"(1).

وتقول : "وكان محمد يُعَيِّر الشطر الثانى من قول أصحابه : لا عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الأَخْرَةِ ... اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَةَ ويقول: لا عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الأَخْرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ , وهو التعديل الذى يبتعد بالكلام عن الوزن والقافية , مما يبين أن محمداً كان أمياً , فلم يكن شاعراً بالفطرة"(2).

وكارين بذلك توافق النصوص القرآنية والنبوية التى تقول بأميته (ﷺ) واستدللت على ذلك بأن النبى (ﷺ) ما كان يحسن قول الشعر ونظمه ، وإن كان (ﷺ) يتمثل به أحياناً وينسبه إلى غيره ، وحتى حينما كان يتمثل به كان يكسر البيت من الشعر ويُقَدِّم فيه أو يؤخر . وهذه شهادة حقة ، لكنها لا تجعلنا نفتنح بفكر كارين (بصفة عامة) عن الإسلام

### 2 - قولها ببراءة السيدة عائشة من الإفك :

تقول كارين ؛ تعليقا على حادث الإفك :

"لقد أظهرت الحادثة كيف كان محمد سهل المنال ، فهل كان (النبى) - كما يزعم ابنُ أبى - ناراً مستهلكة؟"(3).

لكنها فى حقيقة الأمر تريد أن تقول إن أصحاب النبى (ﷺ) لم يكونوا يوقرونه ، ولم تكن له هيبة فى أعينهم .

وتقول أيضا عن هذا الحادث :

"ثم خرج محمد إلى الحشد الذى كان قد تجمع ، وتلا الآيات التى برأت عائشة ، وأدانت الأفك على أنه افتراء واضح"(4).

- 
- (1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص136.  
(2) السابق ، ص233.  
(3) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص161.  
(4) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص300.

### 3 - زواج النبي (ﷺ) بالسيدة زينب بنت جحش:

لقد تظاهرت كارين بالرد على المستشرقين المتعصبين فى قضية زواج النبي بالسيدة زينب بنت جحش ، ودلت على كذب هذه الفرية قائلة :

"فلو أن النبي (ﷺ) ابتغى زينب لجاذبيتها الجنسية لتزوجها قبل ذلك بسنوات عديدة" (1).

وهذه القضية يعتبرها السواد الأعظم من المستشرقين مرتعا خصبا لاتهام النبي (ﷺ) بالشهوانية ، إلا أننا نجد كارين قد دافعت عن النبي (ﷺ) واتهمت الغرب بالحقد عليه (ﷺ) . وقد ذكرت أقوالها كاملة فى هذه المسألة فى مبحث (زواج النبي (ﷺ) وأزواجه ) فى الباب الثالث (\*).

لكننى أقول : إن هذا من مناهج كارين فى الكتابة عن السيرة النبوية ، فهى تبنى وتهدم ، فترضى العواطف أولا ثم تشن الهجوم بعدها .

---

(1)كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص293.

## 5 - الهجرة إلى الحبشة :

و حين تعرضت كارين للحديث عن هجرة المسلمين إلى الحبشة قالت :

" قرّر محمد البحث عن موطن آمن للمسلمين الذين كانوا يتعرضون لأسوأ أنواع العذاب ، وطلب من نجاشي الحبشة المسيحي أن يُلجأ المسلمين هناك" (2).

و كارين بذلك لم تفسّر الهجرة تفسيرًا ماركسيًا (اقتصاديًا) الغرض منه تصوير المسلمين المهاجرين إلى الحبشة على أنهم كانوا طلاب دنيا - كما فسر لها بذلك وات - على النحو الذي سأوضحه في الباب الثالث - إن شاء الله - بل جعلت السبب في تلك الهجرة هو الاضطهاد الذي صبّ على رؤوس المسلمين بمكة صبا .

6- كما تجلت موضوعية كارين حين دافعت عن رسول الله (ﷺ) بضراوة في مسألة تعدد أزواجه ، والتي يتهمه الغرب من خلالها بأنه شهواني ، فأصابته حين قالت :

"وقد أثار موضوع زوجات النبي تأملات كثيرة في الغرب تتسم بالبذاءة والصفاقية وبكثير من مشاعر الحسد التي فشل الكتاب في إخفائها على نحو ما بيّنت من أن محمدا كثيرا ما اتهم بالميل إلى الشهوة الجسدية" (3).

كما قالت : "هذه الزيجات لم تنشأ عن علاقات حب رومانسية أو جنسية ، لكن كانت تتم سعيا وراء نتائجها العلمية" (4).

وقد ذكرت موقفها من تعدد أزواج النبي (ﷺ) في الباب الثالث في مبحث / زواج النبي (ﷺ) وأزواجه (\*).

وهناك الكثير من الأمثلة التي تظهر من خلالها موضوعية كارين ، لكنني أكتفي بذكر ما أوردت ما دامت تفي بالغرض .

- (2) السابق : ص 185.  
(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 94.  
(4) السابق : نفس الصفحة .  
(\* ) انظر ، ص 283 .

### تقويم منهج التظاهر بالموضوعية :

إن السواد الأعظم من المستشرقين يفتقر إلى الموضوعية في كتاباته ، ويعزُّ أن نجد مستشرقاً يكتب عن الإسلام بموضوعية وحيادية .

ومن تظاهرها بالموضوعية ، قولها عن الغرب في موقفه من الإسلام ورسوله :

"إننا في الغرب بحاجة إلى أن نخلص أنفسنا من بعض أحقادنا القديمة . ولعل شخص محمد يكون مناسباً للبدء ، فقد كان رجلاً متدفق المشاعر ذا شخصية مركبة ، وقد أتى ببعض الأفعال التي نجد صعوبة في تقبلها ، لكنه كان ذا عبقرية تستعصي على الإدراك ، وقد أسس ديناً وموروثاً حضارياً لم يكن السيف دعامة برغم الأسطورة الغربية " (1).

فكما يظهر للقارئ : إنها تتظاهر بالتعاطف مع الإسلام ورسول الإسلام محمد (ﷺ) ، ثم تطعن فيه من طرف خفي بعد ذلك .

كوصفها هنا للرسول (ﷺ) بالعبقرية ، وهو وصف مادي لا نقبل أن يوصف به النبي (ﷺ) ؛ لأن العبقرية قد يوصف بها ناس كثيرون . أما النبوة فهي هبة من الله تعالى لبعض خلقه .

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 94.

## المبحث الخامس : منهج النزعة العقلية، وتقويمه.

سبق أن قمت بتعريف العقل لغة واصطلاحاً في (المفردات المناظرة ذات الصلة بموضوع بحثي) ، والعقل هو : المنسوب إلى العقل .

والمذهب العقلي هو : "القول بأن كل ما هو موجود فهو مردود إلى مبادئ عقلية" (1).

"والعقلانية تطلق على القول بأن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجح معقول" (2).

وهذه النزعة العقلية قلما يسلم منها مستشرق ، والغريب أن من علماء الإسلام أنفسهم ، من تطغى عليه هذه النزعة التي يعلو فيها العقل - أحيانا - على النقل . وأنا لا أعفى كارين من خطأ الإفراط في استخدام هذه النزعة ، لكن تحررها من الكنيسة والدين المسيحي ، جعلها تحاول إعادة استخدام عقلها من جديد ، بعدما قمعت الكنيسة وعطلت وظيفته الأساسية ، وهو التفكير .

"لأن الإيمان في النصرانية ، قائم على الوجدان لا على البرهان ، وعلى التسليم لا على التفكير ، ولهذا شاع عندهم قولهم : آمن ثم اعلم ، اعتقد وأنت أعمى ، أغمض عينيك ثم اتبعني" (3).

**تقول كارين :** "كانت زيجات محمد - عادة - لهدف سياسي ؛ رغبة في تأسيس نوع مختلف من العشيرة مستندا على العقيدة بدلا من القرابة" (4) (\*).

وقد استخدمت كارين العقل في تحديد عمر السيدة خديجة - رضى الله عنها - فلم توافق على الرواية القائلة بأنها كانت في الأربعين من عمرها ، يوم أن تزوجها رسول الله (ﷺ) وإنما كانت أصغر من ذلك ؛ لأنها أنجبت له ستة أبناء على الأقل فنقول : "وبما أنها حملت في ستة أطفال من محمد على الأقل ، فمن المحتمل أنها كانت أصغر من ذلك ، وعلى أية حال ، فقد كانت تكبره بدرجة ملحوظة" (5) (\*\*). وهذا اجتهاد لا ينكر على كارين ؛ لأنه ليس هناك دليل قطعي يقطع بصحة قولها أو بطلانه .

- (1)د. عبد الله الشاذلي : مناهج البحث عند المستشرقين من الانفعالية إلى العقلية .. دراسة معرفية نقدية ، ط مكتبة الأزهر الحديثة ، دبت ، ص152 .
- (2)د. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ط ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ، 1982م (90/2).
- (3)أنور الجندی : التيارات الوافدة ، سلسلة رسائل إلى الشباب المسلم ، ط1 ، دار الصحوة ، القاهرة 1414هـ ، 1994م ، ص36، 37.
- (4)ديوسف القرضاوى : البابا والإسلام ، ط1 ، مكتبة وهبة ، 2007م ، ص16.
- (\* سيأتي الرد على هذه الشبهة تفصيلا في الباب الثالث ، في مبحث : زواج النبي وأزواجه.
- (3)كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص 94.
- (5)كارين أرمسترونج :سيرة النبي محمد ، ص125.

### تقويم منهج النزعة العقلية :

يقول الأستاذ / أنور الجندی :

"إن العقل وحده لا يستطيع أن يستبين النافع والضار من الأفعال والأقوال والعقائد إلا بهدى من وحى ، ولكن إذا عرف ، فهم وصدق ؛ فالعقل خادم للحقيقة ، ولا يمكن للعقل بدون توجيه صادق أن يصل إلى الحقيقة .... ؛ ومن هنا فإن فكرة (العقلانية) فى الإسلام ، عليها تحفظات ؛ لأن الإسلام يجمع بين العقلانية والوحدانية معا ، ولا يقرُّ استعلاء عنصر على عنصر" (1).

إن العقل ليس قادراً على تفسير جميع الظواهر ، وكما قيل : إن للعقل حداً ينتهى إليه كما أن للبصر حداً ينتهى إليه .

والنزعة العقلية متى كان لها مبررٌ ولم تصادم عقيدة أو حكماً شرعياً ، فهي مقبولة.

ومما يعيب منهج كارين أنها نزعته إلى العقلانية فى العقائد والثوابت التالية :

- فى عالمية دين الإسلام ، فقالت بإقليميته .

- وفى زواج النبي (ﷺ) ، فقالت بأن زواجه (ﷺ) فى كل مرة كان لأهداف سياسية.

- فى الوحي الإلهي ، فقالت بفرية الغرائيق .... وفى غيرها من ثوابت الإسلام .

(1) أنور الجندى : التيارات الوافدة ، ص36، 37 .

## المبحث السادس : منهج سوء التأويل ، وتقويمه.

يقع كثير من المستشرقين فى هذا الخطأ المنهجي ؛ لأنه ليس عندهم من العلم ما يؤهلهم لخوض غمار علم التفسير ، أو سبر غور النصوص النبوية . أضف إلى ذلك عدم إلمامهم باللغة العربية ؛ نحوا ، وصرفا ، وبلاغة ، وفقهاً .

تقول كارين عن النبي (ﷺ) :

"فَقَدَّ رَغْبَتَهُ فِي الْحَيَاةِ ، وَانْدَفَعَ خَارِجًا مِنَ الْكَهْفِ وَبَدَأَ يَتَسَلَّقُ إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ لِيَلْقَى نَفْسَهُ إِلَى حَتْفِهِ مِنْ أَعْلَاهُ" (1).

وَمُسْتَنَدُ كَارِينِ فِي هَذَا التَّأْوِيلِ الْخَاطِئِ ، هُوَ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ الَّذِي أوردَهُ فِي صَحِيحِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْبَلَاغَاتِ لَا عَلَى أَنَّهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ .

وَسَوْفَ يَأْتِي الرَّدُّ عَلَى كَارِينِ فِي هَذِهِ الشَّبَهَةِ بِالتَّفْصِيلِ فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى - فِي مَبْحَثِ (الْوَحْيِ وَمَعْجَزَةِ الْقُرْآنِ) .

ولو كانت كارين تعرف ما هى البلاغات فى علم مصطلح الحديث ، ما تسرَّعت فى تأويل هذا الحديث بهذه الصورة الخاطئة ، بأن النبي (ﷺ) أراد الانتحار.

## عالمية الإسلام:

لم تفهم كارين الآيات التى تقول بعالمية الإسلام ؛ مما دفعها إلى القول بإقليميته . ولو دققت كارين النظر فى آيات العالمية التى وردت فى القرآن ، لوجدت أنها آيات مكية ، أى أن عالمية دين الإسلام لم تأت نتيجة ظروف معينة ، وإنما كُتِبَ لهذا الدين أن يكون عالميا من مهده وبداية عهده .

لكنها تقول عن عالمية الإسلام : " لا نملك الدليل على أن محمداً كان يرى أن الإسلام دين عالمي ، وأنه سوف يُلغى ما أنزل على أهل الكتاب . كان الإسلام حتى تلك الفترة ديناً لأبناء إسماعيل ، مثلما كانت اليهودية ديناً لأبناء يعقوب . واستمر

المسلمون إلى ما بعد وفاة نبيهم بنحو مائة عام يعتبرون أن الإسلام دين مُنزل على العرب وحسب "(2).

وأرى أن الذى أوقع كارين فى هذا التأويل السيئ ، أنها لم تكلف نفسها الرجوع إلى المصادر التى من شأنها معرفة المكيّ من المدنيّ ، كما أنها لم ترجع إلى أيّ تفسير من التفاسير لتقف على معنى آيات (عالمية الإسلام) . وقد رددتُ على إنكارها لعالمية الإسلام فى الباب الثالث (\*) بما يُغنى عن الردّ هنا مرة أخرى .

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 129.

(2) السابق : ص 314.

(\*) انظر ، ص 511 وما بعدها .

### تقويم منهج سوء التأويل :

ومهما كان علم المستشرق وإمامه ببعض العلوم ، فإن وقوعه فى الخطأ وتورطه فى التأويل الفاسدة واردة جدًا بحكم ضعفه فى اللغة العربية ، وعدم إمامه بالإسلام ؛ عقيدة وشريعة وأخلاقا ، وبحكم حقه على الإسلام بوصفه مخالفا له ديانةً .

يقول الدكتور / مراد هوفمان (\*) - يرحمه الله - :

"إن العالم الغربى لم يحفل بمعرفة كنه الإسلام طيلة عدة قرون ، لا من الناحية الدينية ، ولا من الناحية الحضارية"(1).

وعدم المعرفة الشاملة للغرب بالإسلام يؤدى حتما إلى الجهل بروحه ولُبه وعدم الفهم عنه ، وهذا - فى الغالب - سبب الأخطاء الاستشراقية الجامعة .

"وإذا لمسنا العذر لمستشرقى القرون الوسطى حيث تملكهم الخوف ، وأعماهم الجهل ، وأعوزتهم حيلة المعرفة ؛ فإنه لا عذر للمستشرقين الذين ملأوا العصور الحديثة ، وتحت أيديهم كم هائل من المخطوطات الإسلامية ، فلماذا لا يبحثون بجدية ونصفة ليستخرجوا الحقائق التى تزيل اللبس والتزوير السابق ، إن الجهل ما زال ساريًا حتى القرن العشرين"(2).

وقد وقعت كارين - بعض الشئ - فى هذا الخطأ بسبب جهلها بالإسلام ، وجهلها بلغة القرآن ، وعدم موضوعيتها ، وقلة علمها ، وحقدتها على الإسلام ؛ بوصفها من الوسط الاستشراقى .

(\*) ولد سنة 1931 في أشافنبورغ : بلدة كبيرة في شمال غرب بافاريا تابعة إدارياً لمنطقة فرنكونيا السفلى بألمانيا ، دبلوماسي ومؤلف ألماني مسلم بارز ، وهو كاثوليكي المولد تحول إلى الإسلام عام 1980. عمل كخبير في مجال الدفاع النووي في وزارة الخارجية الألمانية وكان إسلامه موضع جدل بسبب منصبه الرفيع في الحكومة الألمانية. عمل كمدير لقسم المعلومات في حلف الناتو في بروكسل من عام 1983 حتى 1987 ثم سفيراً لألمانيا في الجزائر من 1987 حتى 1990 ثم سفيراً في المغرب من 1990 حتى 1994 ، يذكر د. هوفمان أنّ من أسباب تحوله إلى الإسلام : ما شاهده في حرب الاستقلال الجزائرية، وولعه بالفن الإسلامي إضافة إلى التناقضات الكثيرة التي تواجهه في العقيدة المسيحية البولسية . (انظر : ويكيبيديا . الموسوعة الحرة على شبكة الإنترنت ).

(1) مراد هوفمان : الإسلام كبديل ، ترجمة : غريب محمد غريب ، ط2 مكتبة العبيكان - الرياض 1418هـ ، 1997م ، ص 211 .

(3)د. عبدالله الشاذلي : مناهج البحث عند المستشرقين من الانفعالية إلى العقلية ، ص 69 .

**2- وفقد وقعت كارين في خطأ (سوء التأويل) حين أولت كلمة (ضالاً) التي وردت في قول الله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. الضحى : آية 6 " ، بأنه الضلال الذي كان عليه مشركوا مكة ، فقالت :**

"وكثيراً ما كان محمد يصرُّ على أنه رجلٌ مثلُ كلِّ الرجال ، وهذا أمرٌ أكَّده القرآن في هذه الآية ، والتي تنص على أنه كان ضالاً حينما أوحى إليه الله"(1).

قال أبو حيان : "لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى ؛ لأن الأنبياء معصومون من ذلك " (2)

والتأويل الصحيح لهذه الآية ، كما يقول الإمام القرطبي - يرحمه الله - :

"ضالاً : أى لم تكن تدري القرآن والشرائع ، فهذاك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام"(3).

**2 - وحين تتحدث كارين عن رجوع النبي (ﷺ) من الطائف إلى مكة ، تقول :**

"وعندما بدأ محمد (ﷺ) رحلة العودة إلى مكة ، شعُر بالارتياح ، وتوقف للصلاة في الواحة الصغيرة (نخلة) ، حيث سمعته مجموعة من الجن . وكلمة (جنّ) لا تشير دائماً إلى العفاريت غريبة الأطوار في بلاد العرب ، بل يمكن أن تشير أيضاً إلى (غرباء) ، أى ناس لم تسبق رؤيتهم . يشير القرآن إلى أن المسافرين الذين كمنوا بعيداً عن الأنظار في نخلة ليستمعوا إلى تلاوة محمد للقرآن ، وربما كانوا يهوداً انبهروا بجمال ونظم القرآن العربى ، حتى أنهم عندما رجعوا لبلادهم أخبروا أهلهم أنهم سمعوا وحياً أنزل من أعلى ، بعد موسى"(4).

وسوء التأويل ، واضح تماماً فى هذا النموذج القرآنى الذى أوردته كارين ، فقد جعلت الجن بمعنى : الرجال الغرباء ، وهذا القول لم يسبق أن قال به واحد من المفسرين ، ولا يوجد فى أى معجم من معاجم اللغة .

- 
- (1) كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد ، ص114.
  - (2) محمد على الصابونى : صفة التفسير ، ط10 ، دار الصابونى ، د.ت (554/3).
  - (3) شمس الدين القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط2 ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، 1384 هـ - 1996 م (96 /20).
  - (4) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص85.

إن الآيات التى وردت فى ذلك صريحة فى أنهم كانوا من الجن ، ولم يكونوا مجرد رجال ، يقول الله تعالى :

"وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "

[الأحقاف : 29 - 32].

وهذا - من غير شك - سوء تأويل من كارين لمعنى الجن .

ويورد الأستاذ / العقاد - يرحمه الله - عن أحد المستشرقين ، سوء تأويله لقول الله تعالى : " وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . سورة الزمر : آية 75 " ، وأنه أول كلمة (حافين) على أنها تعنى :

"بدون أحزية ؛ ذلك أنهم على غير علم دقيق باللغة العربية ، وليس هذا غريباً ، فهم لا يفهمون أدب أمتهم ، ولا يجيدون معرفة هذا الأدب فى لغتهم ...وكما يخطئون فى تفسير الكلمات والآيات ، يخطئون فى تفسير كثير من الروايات"(1).

**3- وقد وقعت كارين مرة أخرى فى هذا التأويل السئ ، حين تعرضت لبداية الوحي وانقطاعه فقالت عن النبى (ﷺ) :**

"إنه لم يعد يريد الحياة ، وفي غمرة اليأس ، خرج مسرعاً من الكهف ، ليرتقى قمة يلقي بنفسه منها للموت"(2).

- 
- (1)عباس محمود العقاد : الإسلام دعوة عالمية ، ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999م ، ص173، 174 .  
(2)كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص45.

## المبحث السابع : منهج الإسقاط ، وتقويمه .

وقد أسقطت كارين بعض المصطلحات المعاصرة على بعض الوقائع التاريخية ، ومن هذه المصطلحات :

### 1- مصطلح الحزبية (\*):

تقول كارين : "ظهر الشقاق الداخلي بمجرد دخول أم سلمة ، المرأة المتميزة ، بيت النبوة . استاءت عائشة بشدة ، ونما الصدع بين نساء النبي (ﷺ) والذي انعكس على الأمة . مثلت أم سلمة الطبقة العليا من المهاجرين ، بينما كانت كل من عائشة وحفصة أقرب للطبقة الشعبية واتخذت كل زوجة للنبي أحد الجانبين المتنافسين ، وعادةً ما اعتمدت ام سلمة على دعم أهل البيت"(1).

ولعل كارين رجعت إلى هذا الحديث الذي قد يُوهم ظاهره ذلك ، وهو :

ما رواه الإمام البخارى فى صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: "أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كنّ حزبين، فحزب فيه عائشة وحقصة وصبية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم"(2).

فقد فهمت كارين من هذا الحديث أن نساء الرسول (ﷺ) كنّ حزبين سياسيين يضم كلُّ حزب مجموعة من نسائه ، وأن هذين الحزبين قد أثرا سلباً على الأمة فيما بعد لدرجة أن فرقة الشيعة جاءت وليدة هذه الحزبية .

ثم تقول فى موضع آخر عن زواج النبي (ﷺ) بزَيْنَب بنت جحش:

"أخذ محمد زوجة جديدة ازداد بها عدد تلك المجموعة الأرستقراطية التي تحالفت معها" (3).

ومن الملاحظ أن كارين قد أسقطت مصطلح الحزبية السياسية - وهو مصطلح معاصر - على الخلافات الأسرية التي وقعت بين أزواج النبي (ﷺ) ، والذي يفهم من الحديث أنها كانت حزبية نسائية بين بعض الزوجات في بيت واحد ، وهذا شئ من الطبيعي أن يحدث في بيت يضم بين جدرانها تسع ضرائر أو يزيد ، وقد رتبت كارين خلافات الأمة اللاحقة على هذه الخلافات الأسرية .

وقد رددت على هذه الشبهة في الباب الثالث / مبحث ( زواج النبي (ﷺ) وأزواجه).

(\* ) لقد قمت بتقويم هذه الشبهة والرد عليها في الباب الثالث (الأخير) في مبحث / زواج النبي وأزواجه .

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 140.

(2) صحيح البخاري : كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض ، رقم 2581.

(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 292.

## 2 - مصطلح العبقرية:

ومن إسقاطات كارين للمصطلحات المعاصرة على التاريخ ، وصفها للنبي (ﷺ) بأنه (عبقرى) فتقول :

"فنحن إن استطعنا النظر إلى محمد كما ننظر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى ، فمن المؤكد أننا سنراه أحدَ أعظم العباقرَة الذين عرفهم التاريخ ، فلأن يأتي محمداً براءة أدبية ويؤسس ديانة عظمى وقوة عالمية جديدة ، فتلك إنجازات غير عادية" (1).

وقد أوضحت بالتفصيل ، موقف علماء الإسلام من وصف النبي (ﷺ) بالعبقرية ، في الباب الثالث ، في مبحث : كتابات وات وكارين عن أخلاق الرسول (ﷺ) (\*).

## خلاصة منهج كارين:

لقد أرادت كارين كغيرها من المستشرقين إخضاع السيرة النبوية لمناهج البحث الغربية المادية التي لا مكان فيها للروح ؛ ولذا اعترى الخلل دراساتهم عن الإسلام ورسوله محمد (ﷺ) .

ويخرج الدكتور عماد الدين خليل بنتيجة من دراسة مناهج المستشرقين ، وهي :

"أنه ليس بمقدور أى مستشرق على الإطلاق ، مهما كان من اتساع ثقافته ، واعتدال دوافعه ، وحياديته ، ونزوعه الموضوعى ، إلا أن يَطرَح تحليلاً للسيرة لا بد أن يرتطم هنا أو هناك بوقائعها وبداهتها ومسلّماتها ، ويخالف بعضاً من حقائقها الأساسية ، ويمارس - متعمداً أو غير متعمد - تزييفاً لروحها ، وتمزيقاً لنسيجها العام" (2).

وعلى هذا ؛ فإن المناهج الغربية المادية غير قادرة على تفسير كثير من وقائع السيرة النبوية ، وتفسّرها على أنها مجرد وقائع تاريخية صالحة للنقد والتحليل البشرى ، ونسوا أو تناسوا الجانب الروحى الذى لا يمكن أن تُفسّر بعض الوقائع إلا به .

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد , ص 81.

(\* ) انظر ، ص 245 وما بعدها .

(2) د. عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية ، (1/ 193 ) .

## الباب الثالث :

قضايا السيرة النبوية فى فكر وات وكارين ويشتمل على فصلين :

### الفصل الأول :

سيرة النبى (ﷺ) الذاتية عند فى فكر وكارين ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : كتابات وات وكارين عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : كتابات وات عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة .

المطلب الثانى : كتابات كارين عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة .

المبحث الثانى : كتابات وات وكارين عن أخلاق الرسول (ﷺ) ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : كتابات وات عن أخلاق الرسول (ﷺ) .

المطلب الثانى : كتابات كارين عن اخلاق الرسول (ﷺ) .

## الفصل الثانى :

قضايا السيرة النبوية فى فكر كل منهما ( رؤية تقويمية )  
ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : زواج الرسول (ﷺ)، وأزواجه.

المبحث الثانى : الوحي ومعجزة القرآن .

المبحث الثالث : دعوة الرسول فى مكة .

المبحث الرابع : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة .

المبحث الخامس : الجهاد والغزوات .

## الفصل الأول :

سيرة النبى (ﷺ) الذاتية فى فكر وات  
وكارين ويشتمل على مبحثين :

### المبحث الأول :

كتابات وات وكارين عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة ، ويشتمل على  
مطلبين :

المطلب الأول : كتابات وات عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة.

المطلب الثانى : كتابات كارين عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة .

## المبحث الثانى :

كتابات وات وكارين عن أخلاق الرسول (ﷺ) ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : كتابات وات عن أخلاق الرسول (ﷺ).

المطلب الثانى : كتابات كارين عن اخلاق الرسول (ﷺ) .

## المطلب الأول :

# كتابات وات عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة.



## الإرهاصات النبوية

لقد تحدثت وات عن إرهاصات سيدنا محمد (ﷺ) التي مهدت لبعثته وأعلن رفضه لها ،  
فما ذا تعنى الإرهاصات أولاً ؟

### الإرهاص فى اللغة :

أصل الرَّهْص أن يُصِيبَ باطنَ حافرِ الدابةِ شيءٌ يُوهِنُه أو يُنزلُ فيه الماءَ من  
الإعياءِ (1) ، وقيل : وأصل الرَّهْصُ شدَّةُ العَصْرِ (2) ، ويقال: رهص رهصاً :  
أخذه أخذاً شديداً ، ورهص الصيد : أوهنه والدابة ، والحجر حركهما ، والشئ  
عصره شديداً ، وفلانا فى الأمر لامة واستعجله (3).

ويلاحظ من التعريف اللغوى أن الكلمة مبنية على القوة والأخذ بشدة والتعب  
والإعياء ، وهذا يناسب عظم ما تعرّض له النبى (ﷺ) من شدايد ، وما رأى من  
غرائب ، وما ظهر على يده من خوارق العادات .

## الإرهاص شرعاً :

إحداث أمر خارق للعادة ، دالّ على بعثة نبي قبل بعثته (4) .

وهذا الأمر يكون تأسيساً للنبوة ، وتقدمة لها.

---

(1) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر (674/2).

(2) ابن منظور : لسان العرب (43/7).

(3) إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، المعجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، ط دار الدعوة (377/1).

(4) الجرجاني : التعريفات (16/1).

لقد ظهرت جملة من الإرهاصات التي تؤيد سيدنا محمداً (ﷺ) منها ما ظهر يوم مولده ، ومنها ما ظهر بعد مولده إلى ما قبل البعثة ، وكانت هذه الإرهاصات - ولا تزال - غصّة في حلوق كثير من المستشرقين ، وشوكة في ظهورهم ؛ لأنها تؤكد على أنه (ﷺ) ليس بشراً عادياً وإنما هو بشر رسول ، ولقد جهر النبي (ﷺ) بهذه الحقيقة وأعلنها مدوية حين قال : "سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا" . سورة الإسراء : 93 .

" والمطالع لسيرة محمد بن عبدالله يرى من طبيعة حياته الخاصة صلابة المعين الذي صيغ منه بدنه صياغة أعجزت العمالقة ، وأمكنت صاحبه من أن يحمل أعباء الحياة ومشاق الجهاد ، ولأواء العيش ، وهو منتصب مقدام " (1) .

وقد أشار المستشرق مونتجمري وات إلى بعض هذه الإرهاصات في كتاباته عن النبي (ﷺ) وسيرته ، كرواية شق صدره (ﷺ) حين كان مسترضعاً في بادية بني سعد بن بكر (2) ، وكذلك ما رآته أمّ النبي (ﷺ) من النور الذي خرج منها ساعة وضعته فأضاءت منه قصور الشام (3) ، كما تعرض لقصة بحيرا الراهب أثناء لقائه مع النبي (ﷺ) (4).

تُرى!! هل سيتقبل " وات " هذه الروايات التي تتحدث عن إرهاصات النبوة ؟ إنه بمجرد ذكره لهذه الإرهاصات يُعلق عليها تعليقاً عاماً ويعطيها حكم الروايات الخيالية ، فيقول :

" تلك هي الحقائق الأساسية عن محمد (ﷺ) (\*) قبل زواجه وذلك من وجهة نظر المؤرخين الذين يركزون على الحقائق الموضوعية , ومع ذلك فثمة جدال حول بعض هذه النقاط , وعلى أية حال فهناك أيضا حكايات كثيرة تصوره على أنه كان شخصية ذات أبعاد غيبية في هذه المرحلة المبكرة من عمره . وهناك طائفة من المؤرخين الذين لا يؤمنون بالغيبيات يكادون يجزمون بعدم صحة هذه الروايات؛ لأنها تشير إلى أمور من المنطقي أن نتوقع الإشارة إليها بعد أن أصبح نبيا , وهو ما لا نجد إشارة إليه 0 لكن من المؤكد أن هذه الروايات تعبر عن شيء بالنسبة للمسلمين المؤمنين , وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم ومناسبة لأصالة حياة نبيهم , وربما كانت تعبيرًا عمّا كان يمكن أن يراه كل ذي عينين إن كان حاضرا وقت حدوثها " (5).

- (1) محمد الغزالي : فقه السيرة بتعليق الألباني , ط 8- دار الريان للتراث 1407هـ -1987م , ص45.
- (2) صحيح مسلم , تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي , ط دار إحياء التراث العربي - بيروت , ط 137هـ , 1955م كتاب الإيمان , باب الإسراء برسول الله (ﷺ) إلى السماوات وفرض الصلوات , حديث رقم 162.
- (3) مسند الإمام أحمد (395/28), رقم (17163) , وقال الشيخ الأرنؤوط : صحيح لغيره .
- (4) سيرة ابن هشام (180/1).
- (\*) هذه الجملة على مدار البحث من كلام المترجمين لا من كلام وات .
- (5) مونتجمري وات : محمد في مكة , ص 94, 93 .

ونستخلص من كلام وات السابق أنه يشكك في بعض ما جاءت به كتب السنة والسير بشأن هذه الإرهاصات الوارد ذكرها سابقا , ولا يشفع لهذه الإرهاصات عنده ورودها في أصح وأشهر كتب السنة والسير كصحيح الإمام مسلم , وسيرة ابن إسحاق , والعجيب أنه اعتمد هذه الكتب كمصادر ومراجع أساسية في أبحاثه عن السيرة عن النبوية .

والسؤال هنا : هل يصح في البحث العلمي اعتماد مصادر للبحث ثم التشكيك بما فيها أو بعضه ؟؟ إن أصول البحث تأبى ذلك .

كما نستخلص كذلك من كلامه : أن هذه الروايات مجرد ردود أفعال عاطفية من قبل بعض المسلمين لتعظيم قدر النبي (ﷺ) في أعين الناس , وأن هذه الإرهاصات لو وقعت بالفعل لذكرها سيدنا محمد (ﷺ) لأصحابه بعد أن أصبح نبيا ؛ إذ هي أشياء تستحق الذكر لغرابتها , وهذا - في اعتقاده - لم يحدث حيث قال : " وهذا ما لا نجد إشارة إليه بعد أن أصبح نبيا" (1) .

ولا يكفني الردُّ على وات إلا أن أنقل بعض ما جاء في كتب السنة والسير مما حدّث به النبي (ﷺ) عن نفسه أو حدث به أصحابه عن بعض الإرهاصات التي حدثت له قبل مبعثه (ﷺ) , وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر منها :

**1- قوله (ﷺ) عن جابر بن عبد الله قال :** " لما بُنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعباس ينقلان الحجارة فقال عباس للنبي صلى الله عليه وسلم :

اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة . فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: إزارى إزارى . فشده عليه إزاره"(2)

2- قوله (ﷺ): " إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن"(3)

3- قوله (ﷺ): " عن عليّ بن ابي طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما يهيم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عزوجل منها ، قلت ليلة لفتىّ كان معى من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها : أبصر لى غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال : نعم فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناءً وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان تزوج فلانة - لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش - فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما =

(1) مونتجرى وات:محمد فى مكة ص94 .

(2) صحيح البخارى، كتاب بدء الوحي، باب بنيان الكعبة ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1،

دارطوق النجاة 1422 هـ ، رقم ( 38299 ) ، ومسلم كتاب الحيض ، باب: الاعتناء بحفظ العورة برقم (340).

(3) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه و سلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، رقم (2277).

أيقظني إلا مسُّ الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال ما فعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك فسمعت مثل ذلك فليل لي مثل ما قيل لي فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال لي ما فعلت فقلت ما فعلت شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بغيرهما بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله عزوجل بنبوته"(1).

إن وات لم يكن موفّقاً حين قال - رجما بالغيب - : " وهو مالا نجد إشارة إليه بعد أن أصبح نبياً"

"والأقرب إلى الصواب أن رفض وات لهذه الإرهاصات سببه وجود قصة بحيرا بينها إذ أنها اعتراف مسيحي بنبوته (ﷺ)"(2) . على لسان واحد من علمائهم .

ثم إن القرآن ليس كتاباً تاريخياً هُمّه سردُ السيرة الذاتية لمحمد (ﷺ) وكذلك السنة ليس من شأنها أن تقص على الناس كل تفاصيل صباه (ﷺ) .

"ومن غير المعقول أن يتتبع القرآن تفاصيل الحياة النبوية من الميلاد إلى الوفاة لحظة بلحظة ؛ إذ أن هذا يعنى أن ينصرف القرآن من إشكالية الدعوة مفاهيمٍ ومسارًا إلى إشكالية شخصية تدور حول حياة النبي (ﷺ) ، كما أن النبي ليس هدفاً

و غاية إنما هو وسيلة لتبليغ الدعوة ، فلا غرور في أن يُسهب القرآن في الحديث عن الغاية والهدف ، ومعطياً الملامح العامة للوسيلة " (3)

ولتأكيد هذا المبدأ يحسن أن أنتزع اعترافاً من كارين أرمسترونج لأردّ به على ما جاء على لسان وات فتقول :

"لم يشمل القرآن بالطبع رواية عن حياة محمد" (4)

وتقول في موضع آخر : "والقرآن - بالطبع - ليس سرداً لحياة محمد ، فإنه كشفٌ عن الخلق أكثر من كونه كشفاً عن رسوله" (5)

- 
- (1) محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، ط مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان 1406هـ - 1986 م (65/1، 66) ، وانظر هامش سيرة ابن هشام (198/1) ، وصححه ابراهيم العلي: صحيح السيرة النبوية ، ط1، دارالنفائس ، 1415هـ ، 1995م : (42،43).
- (2) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص61.
- (3) المرجع السابق: ص63،62.
- (4) كارين أرمسترونج: محمد نبي لزماننا ، ص23.
- (5) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ص76 .

### قصة بحيرا الراهب ، وحادث شق صدره (صلى الله عليه وسلم)

من الملاحظ أن وات قد تكلم عن إرهابيتين فقط ، وهما :

#### (1) قصة بحيرا الراهب (2) حادث شق صدره (ﷺ)

#### أولاً: قصة بحيرا الراهب

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَجْمَعَ الْمَسِيرَ صَبَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَرَقَّ لَهُ (أَبُو طَالِبٍ) وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَخْرَجَنِي بِهِ مَعِيَ ، وَلَا يَفَارِقُنِي ، وَلَا أَفَارِقُهُ أَبَدًا ، أَوْ كَمَا قَالَ . فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصِرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، يُقَالُ لَهُ بِحِيرَى فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ مِنْذُ قَطْرَ رَاهِبٍ إِلَيْهِ يَصِيرُ عَلْمُهُمْ عَنْ كِتَابِ فِيهَا فِيمَا يَزْعُمُونَ يَنُورُ ثَوْنَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ . فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَمْرُونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَعْزِضُ لَهُمْ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامَ . فَلَمَّا نَزَلُوا بِهِ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَذَلِكَ فِيمَا يَزْعُمُونَ عَنْ شَيْءٍ رَأَاهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرَّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا ، وَغَمَامَةٌ تَظَلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ . قَالَ ثُمَّ أَقْبَلُوا فَنَزَلُوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ . فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتْ الشَّجَرَةَ ، وَتَهَصَّرَتْ (\*) أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَهَا . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بِحِيرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلَّكُمْ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ وَعَبْدُكُمْ وَحُرِّكُمْ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاللَّهِ يَا بِحِيرَى إِنَّ



وهو على أية حال لم يقطع بضعفها فقد قال بعدها : "وقد تكون هذه القصة صحيحة فإن البشارة بعد عيسى عليه السلام موجودة في الكتاب المقدس عند النصارى" (4).

لكننا نرى مُحدِّثًا كالألباني – يرحمه الله – يقول : "بل هي صحيحة ، فقد أخرجها الترمذى (296/4) من حديث أبي موسى الأشعري وقال هذا حديث حسن . قلت (الألباني) : وإسناده صحيح" (5)

"وللرجل من رسوخ قدمه في السنة ما يعطيه هذا الحق" (6) ويظهر أن سبب الخلاف حول هذه الرواية ما جاء في آخرها من أن أبا بكر أرسل بلال بن رباح مع النبي (ﷺ) (7).

- 
- (1) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى (180/1)، وانظر : السيرة النبوية لابن هشام (180/1).
  - (2) محمد الغزالي : فقه السيرة ص65.
  - (3)، (4) المرجع السابق : ص 66 .
  - (5) انظر هامش فقه السيرة للغزالي ص66.
  - (6) محمد الغزالي : فقه السيرة ص110.
  - (7) انظر هذه الرواية عند ، محمد بن عبد الله بن يحيى ابن سيد الناس : عيون الاثر (64/1).

ويعلق ابن سيد الناس على ما جاء في آخر هذه الرواية فيقول :

"وفى متنه نكارة ، وهى إرسال أبي بكر بلالا مع النبي (ﷺ) ، وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين فإن النبي (ﷺ) أسنُّ من أبي بكر بأزيدَ من عامين وكانت للنبي (ﷺ) تسعة أعوام على ما قاله محمد بن جرير الطبرى وغيره ، أو اثنا عشر على ما قاله آخرون ، وأيضا فإن بلالا لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما" (2)

ومعنى هذا أن سند هذه الرواية صحيح ، وكذلك متنها – إلا هذه الزيادة – وهى إرسال أبي بكر بلالا مع النبي (ﷺ) فهى زيادة مدرجة فى هذه الرواية .

ونهاية القول "أن علماء الحديث متتابعون على تصحيح هذا الحديث مع بيان أكثرهم لنكارة الجملة المذكورة ." (3)

وبعدُ ، فهذه قصة بحيرا من المنظور الإسلامى ، وقد ثبتت صحتها عند المحققين من أهل الحديث . وهى وإن ضعفتها القليل من علماء الإسلام إلا أن تضعيفهم لها لم

يكن على أساس من الهوى - كما قد يفعل بعض المستشرقين - وإنما كان على أساس علمي , واستناداً إلى أقوال بعض أهل العلم في هذه الرواية .

والمهم في هذا كله أنه " ليس في شيء من تلك الروايات أنه (ﷺ) قد سمع من بحيرا الراهب شيئاً من عقيدته أو دينه" (4) .

لكن وات حين رفض أو تشكك في وقوع بعض هذه الإرهاصات فإن رفضه لها لم يكن على أساس من تحقيق هذه الروايات ورجوعه إلى كلام العلماء المتخصصين حول رجال هذه الروايات تعديلاً وتجريحا ، وحول متونها تصحيحاً وتضعيفاً ، بل كان رفضه لها بزعم أنها من نسج خيال المسلمين ؛ ابتدعوها تعاطفاً مع نبيهم ولتصويره على أنه كان شخصية متفردة غيبية لا تخضع لنواميس البشر.

وينظر وات إلى رواية بحيرا وغيرها من الروايات التي تتحدث عن الإرهاصات النبوية على أنها ضرب من ضروب الخيال ، ولا يعترف إلا بما جاء في سورة الضحى من اليتيم ، والضلال والفقر ، فيقول :

---

(1),(2) ابن سيد الناس : عيون الأثر (64/1) .

(3) محمد ناصر الدين الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة النبوية في الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه "فقه السيرة" ط - دار الأرقم , ص71، وأصل هذا الكتاب بحث نشرته مجلة التمدن الإسلامي بدمشق , وقد حقق هذه الرواية كذلك واثبت صحتها كل من: إبراهيم العلي في كتابه: صحيح السيرة النبوية ، ص43، 44, وانظر السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمرى ، ص106-109 .

(4) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ط الزهراء للإعلام العربي، 1408هـ، 1988م القاهرة ص49.

"وأفضل ما يمكننا عمله أن نستدل على فترة إعداده مما حدث فيما بعد ، فهناك مثلاً آيات في سورة الضحى يبدو أنها تشير إلى تجارب محمد الأولى :

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ. [الضحى: 5 - 7] " (1)

وهذا الوصف "لا يفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد أو على غير السبيل القويم قبل الخلق العظيم - حاشا لله - إن ذلك لهو الإفك المبين ، وإنما هي الحيرة تلم بقلوب أهل الإخلاص فيما يرجون للناس من الخلاص وطلب السبيل إلى ما هدوا إليه من إنقاذ الهالكين وإرشاد الضالين وقد هدى الله نبيه" (2).

"ويبدو أن إنكار وات لقصة بحيرا يرجع في الأساس إلى مضامين دينية ؛ إذ أنه اعترف مسيحي بنبوّة سيدنا محمد (ﷺ) على يد واحد من علمائهم" (3) .

وهذا الاعتراف ضربة في مقتل وات.

- 
- (1) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص110.  
(2) الإمام محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ط دار الكتاب العربي ، 1966 ، ص71، وانظر أيضا : محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ، ص77.  
(3) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص61.

### **ثانيا - شق صدره (صلى الله عليه وسلم):**

قد سبق أن أعلن وات موقفه العام من الإرهاسات ، بما فيها (شق الصدر) ، فقال:  
" فتمة جدال حول بعض هذه النقاط "(1).

ومن ثم ، فموقفه من هذه الإرهاسة هو الرفض كما فعل مع قصة (بحيرا الراهب).

إن شق صدره (ﷺ) ثابت بالسنة الصحيحة ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم

أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْعِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْغِي ظَنْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُبِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَفِعُ اللَّوْنِ قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَنْتَ ذَلِكَ الْمُحِيطِ فِي صَدْرِهِ (2).

لكن (وات) لم يتعرض لهذه الإرهاصة من خلال هذه الرواية ، وإنما تعرض لها من خلال رواية ابن إسحاق ، وهى : " .....قَالَتْ حَلِيمَةُ فَرَجَعْنَا بِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ بَعْدَ مَقْدِمِنَا بِهِ بِأَشْهُرٍ مَعَ أَخِيهِ لَفِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بَيْوتِنَا ، إِذْ أَنَا أُخُوهُ يَشْتَدُّ ، فَقَالَ لِي وَلَا بِيهِ ذَلِكَ أَحِي الْقُرَشِيِّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ فَهُمَا يَسُوطَانِهِ قَالَتْ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَحْوَهُ فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا مُنْتَفِعًا وَجْهَهُ . قَالَتْ فَالْتَرَمْتُهُ وَالتَّرَمَهُ أَبُوهُ فَلَقْنَا لَهُ مَا لَكَ يَا بُنَيَّ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي ، فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيْئًا لَا أُدْرِي مَا هُوَ . قَالَتْ فَرَجَعْنَا بِهِ إِلَى خِيَانِنَا . قَالَتْ وَقَالَ لِي أَبُوهُ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعُلَامُ قَدْ أُصِيبَ فَالْحِقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ قَالَتْ فَاحْتَمَلْنَاهُ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَيَّ أُمِّهِ فَقَالَتْ مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظَنْرُ وَقَدْ كُنْتَ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مُكْتَبِهِ عِنْدَكَ ؟ قَالَتْ فَقُلْتُ : قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِابْنِي وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ وَتَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ فَادَّيْتَهُ إِلَيْكَ كَمَا تُحِبِّينَ قَالَتْ مَا هَذَا شَأْنُكَ ، فَاصْدُقِينِي خَبْرَكَ . قَالَتْ فَلَمْ تَدْعُنِي حَتَّى أَخْبَرْتُنِي . قَالَتْ أَفْتَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ ؟ قَالَتْ قُلْتُ نَعَمْ قَالَتْ كَلَّا ، وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ وَإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأْنًا... " (3)

"وهذا خبر مستفيض فى كتب السيرة قديمها وحديثها ، وإذا كان خبر حليلة الطويل المشتهر حول رضاعه (ﷺ) لم يحظ بتصحيح المحدثين لعلل إسناده ، فإن رضاعه فى بنى سعد من قبل حليلة السعدية ثابت من طرق أخرى" (4) وحتى خبر حليلة - الطويل - حول رضاعه (ﷺ) قد صححه أحد المحققين فقال : "ولكثير من مقاطع الحديث شواهد تقويها ؛ ولذلك فالحديث حسن لشواهد" (5)

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 94.

(2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله (ﷺ) ، برقم (162) .

(3) ابن هشام : السيرة النبوية (1/165) .

(4) أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ص 102 ، 103 بتصرف يسير .

(5) ابراهيم العلى : صحيح السيرة النبوية ، سابق ، ص 40.

وللحديث شواهد فى السلسلة الصحيحة ترفعه إلى درجة الحسن (1) . وهذا الشق كان حقيقة ؛ لأن من علماء المسلمين المعاصرين من قال بأن الشق كان مجازياً .

يقول الشيخ محمد الغزالى - يرحمه الله - : " ولو كان الشر أفرز غدة فى الجسم ينحسم بانحسامها أو لو كان الخير مادة يُزود بها القلب كما تزود الطائرة بالوقود فتستطيع السمو والتحليق ، لقلنا إن ظواهر الآثار مقصوده ولكن أمر الخير والشر أبعد من ذلك ، بل البديهي أنه بالناحية الروحية فى الإنسان ألصق" (2) .

" ومقالة الشيخ هذه تدل على أنه لا يعلم ما وصل إليه العلم من العلاقة بين السلوك والأحوال النفسية ، وبين الأعضاء . فالأمراض العقلية تعالج بالصدمة الكهربائية ، والمخ يعالج أحيانا بالجراحة . والشهوة الجنسية تعالج بالعقاقير أو بالجراحة كيما يمسى الرجل حصوراً أو شبقاً" (3) .

وعندنا في السنة الصحيحة حديث يحسم الخلاف فيما إذا كان الشق حقيقة أم مجازاً يقول أنس بن مالك في آخره : "وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره (ﷺ)" (4) ولا يخفى أن أنسا كان قريباً من رسول الله (ﷺ) بوصفه خادمه ؛ ولذا لاحظ أثر ذلك المخيط . ويظهر لي أن الشق الذي جاء ذكره في السنة بخلاف الشرح الذي ورد ذكره في القرآن في سورة الشرح ، فالشق الذي ورد ذكره في السنة بمعنى : فلق الصدر واستخراج ما فيه . أما الشرح الذي ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك ، فليس معناه الشق الحقيقي بمعنى الفلق ؛ وإنما معناه : " التوسعة والبسط. وعظم الصدر من الجسم كان عند العرب دليل القوة ، وكثيراً ما يفتخر مفتخرهم بعظم صدره، ولهم الحق لأنه يعطى الأحشاء فسحة للنمو مع الراحة . والقوى قاهر لما ينتابه فهو في مسرّة وحضور رأى دائماً لا يضيق ذرعه بأمر ؛ ولذلك كنوا بشرح الصدر عن المسرّة وانبساط النفس إلى الفعل والقول" (5) .

ومن خلال كلام الإمام محمد عبده السابق ندرِك أن الله عز وجل بشق صدر رسوله (ﷺ) وشرحه قد جمع له الكمالين ، الجسدي (بالشق) ، والنفسي بالشرح، فلا تنافي بين الشق والشرح ؛ لأن الشق ورد ذكره في السنة، والشرح ورد ذكره في القرآن . وعلى ذلك فقد شق صدر رسول الله حقيقة ، وشرح معنويًا .

ومن خلال ما سبق كذلك يتضح أن دليل شق الصدر هو السنة وليس القرآن. فقول الله تعالى: "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ...الأنعام:آية125" ، ليس معنى الشرح هنا أن من يرد الله هدايته يفلق صدره . وقوله تعالى على لسان موسى: " قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي " (طه : آية 25) . ليس معناه أن موسى عليه السلام يطلب من الله أن يشق له صدره ويفلقه . بل يطلب منه أن يوسعه بالحلم والصبر.

(1)الألباني : السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعرفة بالرياض، (715/1) برقم(373) .

(2)محمد الغزالي : فقه السيرة ص62 .

(3)السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة : محمد عبد العظيم على ، نقد و تحقيق : عبدالمعال الجبري ، ط1 دار الدعوة بالأسكندرية 1414هـ ، 1994م ، وأصل الكتاب دراسة تمهيدية مضافة إلى ترجمة باللغة الفرنسية للقرآن الكريم للمستشرق الفرنسي(م.سفاري).

(4) رواه مسلم ، وقد سبق تخريجه .

(5) الإمام محمد عبده : تفسير جزء عم، ط3 مطبعة مصر، 1341هـ ، ص114.

### أمية الرسول (ﷺ) في فكر مونتجمري وات

إن مسألة أمية النبي (ﷺ) كانت – ولا تزال – مثار جدل وتشكيك عند جمهور المستشرقين ، حتى إننا – نحن المسلمين – لا نكاد نقرأ لواحد منهم إلا وقد كتب عن أميته (ﷺ) . ومن الملاحظ أن جمهورهم على رفض فكرة أميته (ﷺ) ؛ إذ كيف يمكن لتاجر ناجح كمحمد (ﷺ) أن يثبت كفاءته في التجارة إلا إذا كان قارئاً كاتباً . وما درى هؤلاء أن النجاح في التجارة مسألة تتأتى بالدربة والممارسة ولا علاقة لها بالقراءة ولا الكتابة ، والواقع يشهد بأن هناك تجاراً كثيرين في عصرنا حققوا نجاحاً مبهرًا مع كونهم أميين .

وأغلب الظن أنهم على غير قناعة بما يقولون ، وإنما يرددون هذا الكلام دائماً لتأكيد زعمهم بأن القرآن من تأليف سيدنا محمد (ﷺ) ؛ إذ كيف يمكن لرجل أن يأتي بهذا الكتاب المعجز ( القرآن الكريم ) إلا إذا كان رجلاً مثقفاً أوتى حظاً وافراً من فنّي القراءة والكتابة .

"ولأنه إذا انقضت عُرى الأمية عند النبي الكريم ، كان بإمكانهم – على قصور ظنهم وخبثه – نقض نبوته ، ونسبة كل ما جاء به إلى عبقرية بشرية عجيبة ، وقدرة فكرية هائلة" (1) .

ولا يعنى هذا بالضرورة ما قد يُتبادر إلى الذهن من أنهم مجمعون على إثبات علمه بالقراءة والكتابة . بل لقد ذهب قسم منهم إلى تبني النظرة الإسلامية في الموضوع ، والمتمثلة في تأكيد أميته (2) .

يقول ول ديورانت (\*) في قصة الحضارة :

" ولكن يبدو أن أحداً لم يعن بتعليمه القراءة والكتابة ، ولم تكن لهذه الميزة قيمة عند العرب في ذلك الوقت ، ولهذا لم يكن في قبيلة قريش كلها إلا سبعة عشر رجلاً يقرؤون ويكتبون ، ولم يعرف عن محمد أنه كتب شيئاً بنفسه ، وكان بعد الرسالة يستخدم كاتباً خاصاً ولكن هذا لم يَحُلْ بينه وبين المجيء بأشهر وأبلغ كتاب في اللغة العربية ، أو على تعرفه لشئون الناس تعرفاً قلماً يصل إليه أرقى الناس تعليماً " (3)

(1) على شواخ إسحاق: ماذا حول أمية الرسول (ﷺ)، ط1 دار السلام - بيروت، 1398هـ، 1978م، ص11.

(2) دلخضر شايب: نبوة محمد (ﷺ) في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص389-390.

(\*) ول وايرل ديورانت : ولد في (نورث آدمز) الأمريكية سنة 1885م ، وتلقى تعليمه في مدارس منطقته، وتتبع هذه المدارس، الكنيسة الكاثوليكية، كما انتسب إلى كلية القديس بطرس (اليسوعية) في مدينة جيرسي ، م انتسب إلى جامعة (كولمبيا) في نيويورك، وبعد تخرجه امتهن الصحافة مهنة له ،ومن أعظم مؤلفاته كتاب(قصة الفلسفة)، كتاب (قصة الحضارة)، ثم استقر بعد رحلاته الطويلة في مسقط رأسه متفرغاً للكتابة. (انظر فهرس قصة الحضارة ،إعداد : محمد عبدالرحيم، ط1، دار الجيل – بيروت – لبنان، 1412هـ، 1992م المجلد الأول، ص21، 22).

(3) ول وايرل ديورانت : قصة الحضارة – ترجمة: محمد بدران – ط1، دار الجيل – بيروت – لبنان، 1412هـ، 1992م، الجزء (13) ، ص22، 21.

ومن الذين يقولون بعلم النبي (ﷺ) بالقراءة والكتابة وأنه لم يكن أمياً المستشرق (مونتجمري وات ) ، فقد تعرض لحديث نزول الوحي في غار حراء لأول مرة عليه (ﷺ) معتمداً على رواية ابن إسحاق، ومفرقاً بين قول النبي (ﷺ) لجبريل ( عليه السلام ) ( ما أقرأ ) ، وقوله ( ماذا أقرأ ؟ ) وذلك رداً على الملك حين قال له ( اقرأ ) فهو يرى أن ( ما ) في قوله ( ما أقرأ ) استفهامية وليست نافية ، بدليل قوله (ﷺ) في المرة الثالثة والرابعة ( ماذا أقرأ ؟ ) ، وها هي الرواية :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِمَطِّ مِنْ دِيْبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ قُلْتُ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ فَعَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ قُلْتُ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ فَعَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ

قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَعَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ أَقْرَأُ قَالَ فَقُلْتُ : مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا أَفْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي" (1).

يقول وات : " ولا يعنى التعبير الأخير ( ماذا أقرأ؟ ) إلا " ماذا سأقرأ؟ " وهذا المعنى أيضا هو المعنى الأكثر ملائمة للتعبير " ما أقرأ " (2).

ثم يرمى " وات " علماء الحديث المتأخرين بتهمة شنيعة حين يقول : " ويكاد يكون من المؤكد أن أهل الحديث المتأخرين قد تجنبوا المعنى الطبيعي لهذه الكلمات ليعززوا الاعتقاد بأن محمدا (ﷺ) لم يكن يستطيع الكتابة , وهذا الاعتقاد جزء من إثبات الطبيعة المعجزة للقرآن " (3) .

أما بالنسبة لرواية بدء الوحي التي استدلت بها المستشرق ( وات ) فإنها لا تدل على ما ذهب إليه , بل إنها من الأدلة القوية على أميته (ﷺ) 0 لقد جعل ( وات ) قول النبي - كما جاء عن ابن إسحاق - للملك الذي كان يطلب منه القراءة ( ما أقرأ ) استفهاما عن المقروء لا نفيا للقراءة . " وقد استدلت على فهمه بقوله (ﷺ) بعدها ( ماذا أقرأ؟ ) التي دلت عنده على عدم أميته , بدليل استفهامه عن المقروء (4) .

ولو أن وات قرأ رواية الشيخين ( البخارى ومسلم ) لوجد فيهما قوله (ﷺ) رداً على الملك ( ما أنا بقارىء ) بدلا من ( ما أقرأ ) و ( ماذا أقرأ؟ ) وهاتان الروايتان تدلان صراحة وبلا أية موارد على أميته (ﷺ) .

يقول ابن كثير - يرحمه الله - : " فالصحيح أن قوله ( ما أنا بقارىء ) أى لست ممن يحسن القراءة . وممن رجحه النووى , ومن قبله الشيخ أبو شامة . ومن قال : إنها استفهامية , فقوله بعيد ؛ لأن الباء لا تزداد فى الإثبات , ويؤيد الأول - كون ما نافية لا استفهامية - رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : " ..... فقال رسول الله (ﷺ) وهو خائف يرعد : ما قرأت كتابا قط , ولا أحسنه , وما أكتب , وما أقرأ , فأحذه جبريل , فغته غتا شديدا , ثم تركه , فقال له : أقرأ فقال محمد (ﷺ) : ما أرى شيئا أقرأه , وما أقرأ , وما أكتب " (5) .

(1) سيرة ابن هشام : (235/1) .

(2) مونتجرى وات : محمد فى مكة ص113.

(3) نفس المرجع , ونفس الصفحة .

(4) لخضر شايب : نبوة محمد (ﷺ) فى الفكر الاستشراقى المعاصر ص399،400 .

(5) ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط1 دار إحياء التراث العربى ، 1408 هـ - 1988 م (11/3).

يقول د/ عماد الدين خليل عن رواية ابن اسحاق: "واضحٌ من الرواية إذن أن المقصود قراءة شئ مكتوب ، فيكون معنى (ما أقرأ) : (لا أعرف القراءة)... فالرسول (ﷺ) بحسب هذه الرواية قال للملك أولاً بأنه لا يعرف القراءة ، فلما غته قال له : ماذا تريدنى أن أقرأ؟ فالقراءة هنا تعنى قراءة شئ مكتوب ، ولا تعنى التلاوة (الترديد خلف المقرئ) ، ويؤيد ذلك ، الرواية السابقة (ما أنا بقارئ) ؛ إذ لا يمكن أن يكون معناها : أنا لا أعرف القراءة بمعنى تلاوة شئ غير مكتوب؛ لأنه وكل إنسان ليس فى لسانه عاهة يعرف ذلك ، فإذا قيل للإنسان الذى يعرف القراءة بمعنى التلاوة : ( اتل ) فإنه لا يقول : أنا لا أعرف القراءة ، وإنما يقول :

ماذا اتلوا ؟ فيكون السؤال هنا سؤال استفهاما عن الشيء المراد تلاوته , ولا يكون نفيًا للمقدرة على التلاوة (1).

ثم إن الرواية التي استدلت بها وات دليلٌ عليه لا له ؛ لأن فيها أن النبي (ﷺ) لم يقل (ماذا أقرأ؟) إلا لخوفه من أن يعود جبريلُ إلى خنقه مرة أخرى , ونص الرواية : " ما أقول ذلك إلا افتدَاءً منه أن يعود لى بمثل ما صنع بي" (2).

"ويبدو أن وات الذي يعزو نبوة النبي (ﷺ) إلى التخيل الخلاق واللاوعي الجمعي(\*) يريد لنظريته أن تتكامل وتتماسك بحيث ينفي أمية الرسول (ﷺ) لأنه لا يمكن لأمة إنتاج مثل هذا العمل الضخم الذي يحتاج لشخصية متعلمة ومتففة" (3).

لقد أراد وات أن يُلَبِّسَ على القارئ من خلال رواية ابن إسحاق في حين لم يتعرض لرواية البخاري التي تصرح بعدم قدرة النبي على القراءة لأنها تبطل زعمه .

ولقد أكد الأستاذ إبراهيم الإبياري على أمية الرسول (ﷺ) بالأدلة الآتية :

- 1- لقد اتخذ النبي كُتَّابًا للوحى , ولو كان كاتبًا ما احتاج اليهم .
- 2- في غزوة أحد أرسل العباسُ بن عبدالمطلب خطابًا مع رجل من بني غفار فاستقدم النبي أبى بن كعب ، ولو كان قارئًا ما ورَّط نفسه في استدعاء أبى بن كعب ليقرأ له سرًّا خطيرًا .

3- وفي عام الوفود , جاء وفد تقيف ليبايعوا النبي (ﷺ) وسألوه أن يكتب لهم كتابًا فيه شروط تريحهم , فقال النبي (ﷺ): اكتبوا ما بدالكم ثم ائتوني به , فذهبوا إلى عليّ يسألونه أن يكتب لهم كتابًا يعرضونه على النبي (ﷺ) وطلبوا منه أن يذكر فيه إباحة الربا والزنا لهم فأبى عليٌّ أن يكتب ذلك , فذهبوا إلى خالد بن سعيد بن العاص كي يكتب لهم فكتب ما أملاه عليه تاركًا للنبي (ﷺ)التصرف ثم ذهبوا بالكتاب إلى رسول الله (ﷺ) وقرأ القارئ عليه الكتاب فلما انتهى إلى الربا قال (ﷺ):ضع يدى عليها فوضع يده, فقال:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . البقرة : 278" ثم محاها وأمر بالكتاب أن يُنسخ بعدما شطب(4)

(1)د.عماد الدين خليل : المستشرقون والسيره النبوية , ص223، 224.

(2) ابن هشام : (235/1).

(\*)وسياتى تفصيل هذه النظرية والرد عليها في ص 301 وما بعدها .

(3)عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة النبوية ، ص64 .

(4) إبراهيم الابياري : تاريخ القرآن، ط3- دار الكتاب المصرى(القاهرة)، دار الكتاب اللبنانى بيروت 1411هـ، 1991م، ص63-65.

لكن وات يكشف لنا عن دافعه الحقيقى فى عدم الأخذ بالمعنى الذى ذكره العلماء المسلمون (وهو القول بأمية النبي ﷺ) حين يقول :

" إن الإسلام التقليدى(\*) يقول بأن محمدا لم يكن يقرأ ولا يكتب ، ولكن هذا الزعم مما يرتاب فيه الباحث الغربى الحديث ؛ لأنه يقال لتأكيد الاعتقاد بأن إخراج القرآن كان معجزا , وبالعكس لقد كان كثير من المسلمين يقرؤون ويكتبون , ولذلك يُفترض أن تاجرا ناجحا كمحمد لا بد أن يكون قد عرف شيئا من هذه الفنون" (1) .

وهذا كلام واحد من أساطين علم التفسير حول أميته (ﷺ) , يقول : " فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمداً (ﷺ) لم يكن يعاني شيئاً من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره " (2).

إن أفة المستشرقين أنهم حين يتحدثون عن حياة نبينا محمد (ﷺ) فإنهم يقيسونها بمقاييس العصر الحديث ؛ فيقررون أنه (ﷺ) كان قارئاً كاتباً لمجرد أنه كان تاجراً قياساً على تجار العصر الحديث . ويأتى هذا التفسير الخاطئ من وات نتيجة إسقاطه للواقع على الأحداث التاريخية . وقمة الإعجاز ، أن يأتى النبى بالرغم من كونه أمياً بأبلغ كتاب (من عند الله) وينطق بأفصح كلام .

" ولا شك أن معارضية كانوا يعرفون فيه هذه الأمية جيداً لأنهم عندما أرادوا تحليل المصدر الذى تلقى عنه أساطير العصور القديمة لم يجروا أن يقولوا (كتبها) وإنما قالوا: (اكتبها) أى كتبها له غيره " وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُملى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " [ الفرقان: 5 ] وهما عبارتان مختلفتان تمام الاختلاف إلا أنه التبس معناهما على بعض المستشرقين " (3) .

أضف إلى ذلك أن التاريخ فى فترة ما قبل الإسلام وما بعده - لم يقل أبداً بأن أحداً جاء النبى (ﷺ) ليكتب له كتاباً ، أو عقوداً لبيع أو شراء أو إجارة ، وغاية الأمر أنه (ﷺ) كان يشهد عليها فقط .

وقد سبق أن نقلت شهادة واحد من كبار المستشرقين وهو (ول ديورانت ) ، والآن أضع بين يدي القارئ شهادة مستشرق آخر وهو يقول عن النبى (ﷺ) :

" إنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً .... ويظهر لى أن الحقيقة هى أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة ، كل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها " (4) .

---

(\*) الإسلام ليس ديناً تقليدياً ، وإنما الإسلام دين واحد وكيان واحد لا يتغير . من توجيهات الأستاذ الدكتور المناقش .  
(1) هذا الكلام مترجم من كتاب لمونتجمرى وات بعنوان: Muhammad prophet and states man (محمد نبيا , ورجل دولة ) نقلا عن بحث د: عماد الدين خليل فى كتاب مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية ، ص224 .

(2) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (94/6) .  
(3) د. محمد عبدالله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، عرض تاريخى وتحليل مقارن . ترجمة : محمد عبدالعظيم على - ط دار القلم - الكويت ، 1394 هـ ، 1974 م - ص140، 141 ، وهذا البحث هو موضوع الرسالة الفرعية من رسالتى الدكتوراة اللتين تقدم بهما الدكتور دراز باللغة الفرنسية إلى جامعة باريس بالسوربون ونال بهما درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى فى صيف عام 1947م ذ11 . ( انظر مقدمة المترجم ص7 ) .

(4) توماس كارليل : الأبطال . ترجمة محمد السباعى - ط مكتبة مصر ، د.ت- ص62 ، وانظر كذلك : توماس كارليل : محمد المثل الكامل ، عريب: محمد السباعى، ط مكتبة الآداب، القاهرة 1413 هـ، 1993 م، ص24.  
**ويقول درمنغم (\*):** " لكن أبا طالب حين كفل محمداً (ﷺ) لم يكن غنياً فلم يوفق لتعليم محمد مع أنه كان تاجراً وكانت الرفادة له ، فظلَّ محمد لذلك أمياً لا يقرأ ولا يكتب مدة حياته على ما يُحتمل " (1).

إن شهادة (توماس كارليل ، درمنغم) شهادتان غريبتان منصفتان تردان على وات شبهته التى ادعى فيها أن النبى (ﷺ) لم يكن أمياً (والفضل ما شهدت به الأعداء) .

لكن هناك بعض الأحاديث الصحيحة التي قد يُفهم منها ويُوهم ظاهراً معرفة النبي (ﷺ) بالقراءة والكتابة ، منها :

1- فى صلح الحديبية "... فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ...." (2).

2- قوله (ﷺ) فى مرض موته : "أَتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا" (3).

### كيف نفهم هذه النصوص فهما صحيحاً ؟

إن اللغة العربية لغة المجازات والكنائيات ، وهذه الأحاديث من هذا الباب ، فهى من المجاز العقلى الذى يُسند فيه الشئ إلى سببه ، كقول القائل :

( بنى الأمير المدينة ، وكقوله : بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط ) .  
ومن ذلك قول المتنبي:

ويمشى به العكاز فى الدّير تائباً وقد كان يأتى مشى أشقرَ أجرداً (4)

"فإن العكاز لا يمشى ، والأمير لا يبنى ، وإنما يمشى صاحب العكاز ويبنى عمال الأمير، لكنه لما كان العكاز سبباً فى المشى ، والأمير سبباً فى البناء ، أسند الفعل إلى كل منهما" (5).

"وهذا الضرب من المجاز - على حدته - كنز من كنوز البلاغة ، وذخر يعمد إليه الكاتب البليغ ، والشاعر المُفلق (6) ، والخطيب المصقع" (7)(8) .

(\*إميل درمنجم: مستشرق فرنسى، مدير مكتبة الجزائر، ومن مؤلفاته: حياة محمد، قصص القبيلة، محمد والسنة الإسلامية، سيرة الأولياء المسلمين . (انظر، نجيب العقيقى: موسوعة المستشرقين، (384/1).

(1) إميل درمنجم: حياة محمد، ص31.

(2) صحيح البخارى: كتاب: الصلح، باب: كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسب إلى قبيلته أو نسبه، رقم 2699.

(3) صحيح البخارى: كتاب: الجهاد والسير، باب: هل يُسْتَنْفَعُ إِلَى أَهْلِ الدِّمَةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ؟ رقم 3053.

(4) انظر: ديوان المتنبي، ط، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ، 1983م، ص371.

(5) على الجارم ، ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ط دار المعارف - مصر ، ص116.

(6، 7) المفلق هو المُجيد الذى يأتى بالأعاجيب، والمصقع هو البليغ (انظر لسان العرب (309/10)، (201/8)

(8) الإمام: جلال الدين القزوينى الخطيب : التلخيص فى علوم البلاغة ، بشرح الأستاذ: عبدالرحمن البرقوقى، ط1، دار الفكر العربى - بيروت ، ص46.

وثمة دليل على أن الكاتب فى صلح الحديبية لم يكن رسول الله (ﷺ) ، ففى الحديث :

«وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي ، أَكْتُبُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» (1)

ولذا قال الحافظ ابن حجر: "والحق أن معنى قوله فكتب : أى أمر علياً أن يكتب" (2).

ويغد الدكتور/ يوسف القرضاوى هذه الشبهة فيقول :

" وقد توهم بعض العلماء أن النبي عليه السلام في آخر حياته عرف الكتابة ، بدليل أنه محاسمه - عليه الصلاة والسلام - من وثيقة صلح الحديبية حين رفض علي رضي الله عنه أن يمحوها. ولا يُستبعد من فعله عليه الصلاة والسلام أنه يعرف صورة اسمه وصفته (محمد رسول الله) ويمحو الكلمة التي بعد الاسم ، أو يكون معنى (محاها) أنه أمر بمحوها ، كما يقال : كتب السلطان لفلان بكذا ، أي أمر به ، وكما نقول : بنى أبو جعفر المنصور مدينة بغداد . والمراد : أمر ببنائها. وممن ذهب إلى أنه عليه السلام عرف الكتابة في أواخر حياته : أبو الوليد الباجي أحد أعلام المالكية المغربية ، وشارح (الموطأ) ولما قال ذلك طعن فيه ورُمي بالزندقة ، وسُبَّ على المنابر، وقد دافع عن نفسه بالمناظرة ، والكتابة إلى علماء الأطراف وجُلُّ ما اعتمد عليه الباجي ومن وافقه أو وافقهم : حديث البخاري ومسلم في صلح الحديبية ، وفيه: فأخذ رسول الله الكتاب، وليس يُحسن يكتب ، فكتب:(هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله .. الخ . والحديث يعلن صراحة أنه ( ليس يُحسن يكتب). وأما كتابته : هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله بدلا مما كان كتبه علي : محمد رسول الله . فلا يدل على أكثر من معرفته ببعض الكلمات مثل (محمد بن عبد الله ) ولكن هذه المعرفة محدودة لا تنقله من أمي إلى كاتب.

قال البوصيري :

كفكك بالعلم في الأمي معجزة \*\*\* في الجاهلية والتأديب في اليتيم (3).  
وقد دلت على أميته النصوص المتوافرة منها " فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ....." [الأعراف : 158 ] وقوله تعالى " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ... " [ الجمعة : 2 ] . والأمي في هذه الآيات له معنيان . الأول : من لا يقرأ ولا يكتب ، والثاني : من ليس له كتاب ديني مثل التوراة والإنجيل ، وهذا المعنى الثاني محتمل في هذه الآيات ، ولكن يرجح المعنى الأول آية كريمة وحديث شريف فأما الآية فهي " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لِزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ " [ العنكبوت : 48 ] .  
وأما الحديث فهو ما رواه الشيخان عن ابن عمر أنه (ﷺ) قال : (إنا أمة لا نكتب ولا نحسب) (4).

(1) صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، رقم 2731.

(2) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط دار المعرفة - بيروت، 1379هـ (504/7).

(3) الإمام البوصيري : البردة - ط مكتبة الآداب، ديت - القاهرة ص 11 .

(4) صحيح البخاري : كتاب : الصوم، باب قول النبي (ﷺ) : لا نكتب ولا نحسب ، رقم [ 1913 ] .

فلا ريب بعد هذا كله أن النبي (ﷺ) كان أمياً من بداية حياته إلى نهاية العهد المكي، والصحيح أنه ظل أمياً إلى نهاية حياته ، فعاش ومات أمياً ، والأمية معجزة بالنسبة إليه ، وصفة نقص بالنسبة لنا " (1).

فربما تعلم النبي (ﷺ) أن يكتب اسمه فقط ، وهذا لا ينافي كونه أمياً . ومثل ذلك شائع في عصرنا فقد يوجد رجل أمي ، لكنه تعلم أن يكتب اسمه ويقراه دون سواه .

تلك هي شهادة التاريخ الذي لا يكذب ، وشهادة علماء المسلمين ، وشهادة بعض المستشرقين المنصفين ، وشهادة الواقع ، وقبل ذلك: شهادة القرآن ، وشهادة السنة على أميته (ﷺ). وتتضافر هذه الشهادات كلها لتجعل أمية النبي (ﷺ) بدهية من بدهيات الإسلام .

ويتضح مما سبق أن " وات " أراد من وراء إنكار أميته (ﷺ) التأكيد على فكرته التي يتبناها هو وكثير من إخوانه المستشرقين بأن سيدنا محمداً (ﷺ) قد قرأ التوراة والإنجيل وتأثر بما فيهما فكان القرآن نتاج هذه القراءة ووليد هذا التأثر .

---

(1) د. يوسف القرضاوى: من هدى الإسلام – فتاوى معاصرة ، الجزء الثالث، ط1 ، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت ، ودار القلم للنشر والتوزيع بالقاهرة، 1421م، 2001هـ، ص115 – 119 بتصرف .

## المطلب الثاني :

كتابات كارين عن الرسول (ﷺ) قبل  
البعثة .

وقد أشارت (كارين أرمسترونج) إلى بعض هذه الإرهاصات في كتابيها عن النبي (ﷺ) وسيرته ، كما وردت في بعض كتب السيرة .

وقد أعطت كارين هذه الروايات حكم الروايات الخيالية التي اختلقها المسلمون لتعظيم قدر النبي محمد (ﷺ) فقالت :

"أما القصص التي تروى عن المعجزات المتعلقة بحمل أمه به ، وبطفولته فهي غير ممثلة لبقية حياته ؛ وعلى ذلك فبالإمكان النظر إلى بعضها على أنها ردود أفعال تخيلية من قبل بعض الناس لطبيعة نبوته ، كما أنها تأكيد ليقين المسلمين أنه هو من تاقت إليه الأمم وترقب الجميع من اليهود والمسيحيين مقدمه"(1).

ومن الملاحظ أيضا أن (كارين) قد أطالت النفس في إرهاصتين وركزت عليهما دون غيرهما وهما:

- (1) قصة بحيرا الراهب
- (2) حادث شق صدره (ﷺ).

## 1- قصة بحيرا الراهب

إن كارين أرمسترونج حين تتعرض لقصة بحيرا الراهب تقول :

"ومن الملاحظ أن هذه القصة الإسلامية توازي القصة الإنجيلية عن الطفل عيسى الذي كان مفقودا في المعبد"(2)  
ولعل كارين بذلك تريد أن تثبت أن قصة بحيرا من الإسرائيليات الدخيلة على السيرة النبوية لمجرد تشابهها مع قصة إنجيلية ، وقد سبق أن نقلتُ كلام أهل العلم على صحتها .

(1)كارين أرمسترونج:سيرة النبي محمد ، ص114.

(2)السابق ، ص121 .

وبالبحث في الأناجيل المتداولة وجدت أن القصة الإنجيلية التي تشير إليها كارين وردت في إنجيل لوقا ونصها :

".... 41وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. 42وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. 43وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الْأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. 44وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ

الرُّفْقَةَ، ذَهَبًا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الْأَقْرَبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. 45 وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. 46 وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ، جَالِسًا فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. 47 وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهْتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوَبَتِهِ. 48 فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذِّبِينَ!» 49 فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي؟». 50 فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَ لَهُمَا. 51 ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعًا لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. 52 وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ. (1)

وإذا عقدنا مقارنة مختصرة بين القصتين (قصة بحيرا والقصة الإنجيلية) فلن نجد بينهما تشابها يذكر , وإليك مواضع الاتفاق والاختلاف بين القصتين:

### أولاً- مواضع الاتفاق:

1- **في القصة الإنجيلية:** أن عمر الصبي عيسى كان اثنتي عشرة سنة , وكذلك المشهور أن عمر سيدنا محمد (ﷺ) أيام سفره إلى الشام كان اثنتي عشرة سنة , وهذا لا يعنى أن هذا هو القول الأوحى في المسألة , فقد نقل ابن سيد الناس : "عن أبي الحسن الماوردي أنه كان ابن تسع سنين ونقل عن ابن سعد بسنده أنه كان ابن اثنتي عشرة سنة , وقيل إنه كان ابن عشر سنين وهذا يعنى أن تحديد سن النبي (ﷺ) في هذه الرحلة موضع خلاف" (2)

2- **في القصة الإنجيلية :** وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (3) .

أما في السيرة النبوية : "فشب رسول الله والله يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية" (4) .

### ثانياً - مواضع الاختلاف:

1- **في القصة الإنجيلية :** أن الطفل عيسى كان يذهب به أبواه كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح . بينما لم تذكر السيرة النبوية أن عمه أبا طالب كان يذهب به كل سنة إلى الشام.

(1) الكتاب المقدس: العهد الجديد, إنجيل لوقا, إصحاح(2), فقرات(41 - 52).

(2) ابن سيد الناس: عيون الأثر(61/1), وانظر: السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمرى ص106.

(3) إنجيل لوقا, إصحاح(2), فقرات(41 - 52).

(4) ابن هشام: السيرة النبوية, (183/1).

2- **في القصة الإنجيلية :** أن الطفل عيسى فقد من أبيه وأمه في أورشليم ثم وجدوه بعد ثلاثة أيام . بينما في السيرة النبوية لم يثبت أن سيدنا محمداً (ﷺ) فقد من عمه أبا طالب في هذه الرحلة .

**3- فى القصة الإنجيلية:** أن عيسى كان له أبوان هما: مريم ويوسف النجار. **بينما فى السيرة النبوية** قال بحيرا الراهب لأبى طالب : هذا الغلام ليس ابنك وما ينبغى أن يكون أبوه حيا.

**4- فى القصة الإنجيلية:** كان الطفل عيسى جالساً فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . **بينما فى السيرة النبوية** حذر الراهب بحيرا عمّه أبا طالب من أن يعلم اليهودُ بخبره .

**من هنا نعلم :** أنه ليس هناك تشابه أو مضاهاة تذكر بين القصتين ، ولئن سلمنا أن هناك مضاهاةً " فما تضر المضاهاة بعد الثبوت ، أفلا ترى أن ما يذكره الإنجيليون يضاهاى ما هو ثابت فى القرآن الكريم من طلب فرعون لموسى فى قتله الأنبياء ؟ أفرد هذا للمشابهة المذكورة اللهم : لا" (1) .

وهذا لا ينفى أنه قد تتشابه فترات الإعداد فى حياة بعض الأنبياء من حيث وقوع الغرائب وخوارق العادات على أيديهم لتُثبِتَ الأنظار ، وتحوّل الأفتدة إليهم ؛ وذلك راجعٌ إلى أنهم جميعاً خرجوا من مشكاة واحدة .

### حادث شق صدر النبي (ﷺ)

وفى تعليق كارين على حادث شق الصدر تقول :

"ولتلك القصة مثيلاتها فى أقصوصات الحضارات الأخرى التى تصف شعائر الإعداد وهى ترمز إلى النقاء الضرورى للشاب المُعد لكى يتلقى تجربة سماوية دون تلويث الرسالة المقدسة" (2) .

وتوضح كارين موقفها أكثر من ذلك فتقول: " فقد أضاف الموروث الإسلامى بعض التفاصيل - التى قد يكون منها المتخيّل - إلى تلك الحقائق العارِية , وبالمثل نجد أن أناجيل متى ولوقا قد أضافت بعض القصص الأسطورية عن ميلاد المسيح وطفولته , والتى هى روايات متخيلة للحقائق اللاهوتية..... ومثل تلك القصص أضفت على كل من محمد وعيسى صفات الأبطال بالمعنى الكلاسيكى (\*) للفظ" (3).

(1) انظر تعليق الألبانى على فقه السيرة للغزالي , هامش ص66

(2) كارين ارسترونج: سيرة النبي محمد ص120. وقد أنكرت قبل ذلك كثيرا كون الوحي تجربة سماوية ، بل هو عقيدة

(3) نفس المرجع ، ص113.

(\*) الكلاسيكية : التزام أصول مقررة فى الأدب والفن ، انظر: مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفى ، ص153.

إن كارين تعنى أن أصحاب سيدنا محمد (ﷺ) قد أضافوا هذه الإرهاصات إلى سيرته ؛ بغرض رفع قدره ، وتخليد ذكراه ، ولفت الأنظار إليه .. تماماً كما فعل أصحاب عيسى (ﷺ) معه .

والحق أن إرهابات سيدنا محمد (ﷺ) ثابتة بالسند الموصول ، ومن طريق الرواة الثقات ، لكن إرهابات المسيح (عليه السلام) - كما وردت في الأناجيل - لا سند صحيحاً يعضدها ، ولا رواية صادقين قد تناقلوها ، ولا يُقبل منها إلا ما وافق نقلاً صحيحاً عندنا (أعنى : في القرآن أو السنة النبوية) .

وكارين أرمسترونج بذلك تجعل هذه الرواية من أساطير الأولين ، وتحولها من حقيقة إلى مجرد رمز للنقاء الروحي ، وتضفى عليها صفة الخيالية . والواقع أن شق صدره (ﷺ) لم يكن خيالاً وإنما كان حقيقة ، الحكمة منه :

" إعلان أمر الرسول (ﷺ) وتهيؤه للعصمة والوحى منذ صغره بوسائل مادية ؛ ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته . إنها إذن عملية تطهير معنوي ولكنها اتخذت هذا الشكل المادى الحسى ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهى بين أسماع الناس وأبصارهم ، وأياً كانت الحكمة فلا ينبغي - وقد ثبت الخبر ثبوتاً صحيحاً - محاولة البحث عن مخارج لنخرج منها بهذا الحديث عن ظاهره وحقيقته إلى التأويل المموجة البعيدة المتكلفة " (1) .

وتعلق كارين على هذه الروايات التى تتكلم عن إرهابات النبوة فلا تعترف إلا بما جاء فى سورة الضحى ، فتقول: "ولا نعرف عن حياة محمد المبكرة سوى النذر القليل ، ويمدنا القرآن بأكثر الأوصاف ثقة عن حالة النبي (ﷺ) قبل تلقيه عبء الرسالة فى سن الأربعين ، يأتى ذلك فى سورة الضحى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى [ الضحى:5-7] (2)

وتتمسك كارين بالتفسير الخاطئ لكلمة (ضالاً) فتقول: " وكثيراً ما كان محمد يُصِرُّ على أنه رجلٌ مثل كلِّ الرجال . وهذا أمر أكده القرآن فى الآية السابقة المستشهد بها والتى تنص على أنه كان (ضالاً) حين أوحى الله إليه" (3).

لكن الضلال هنا معناه : أن النبي (ﷺ) كان يبحث عن الدين الحق قبل أن يُبعث، حتى يعبد الله حق عبادته ، وهذا المعنى يُجسِّده قول الله: " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَنْهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى:52].

وليس معنى الضلال هنا - قطعاً - أنه (ﷺ) كان يستبجح لنفسه ما كان يفعله أقرانه فى الجاهلية ، من سُكر ومقامرة وعريضة ، وغير ذلك من الفواحش .. كلاً ؛ لأنهم لو علموا منه ذلك لعارضوه حين نهاهم عنها بعد أن صار نبياً ، ولقالوا له :

(1) محمد سعيد رمضان البوطى : فقه السيرة ، ط1 دار السلام بالقاهرة 1414 هـ ، 1994م ص113.

(2) كارين ارمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص113.

(3) نفس المرجع ، ص 114.

كيف تنهانا عن شيء كنت تأتيه؟ ولأنه على هذا التفسير الخاطئ، يكون يعقوب عليه السلام فحاشاً - وحاشاه - في قول الله تعالى: "قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ . سورة يوسف : 95 ."

بينما الآية تعنى كما قال ابن عباس: "لفي خطئك القديم"(1).

وعلى هذا التفسير الخاطئ أيضاً، يكون موسى عليه السلام ضالاً، في قول الله تعالى: "قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . الشعراء : 20 . بينما الصحيح : "قبل أن يوحى إليّ وينعم الله عليّ بالرسالة والنبوة"(2).

فالضلال هنا، بمعنى الخطأ ( على حد تعبير ابن عباس ) ، وعدم العلم بالشئ .

وقد بينت صحة هذه الروايات (التي تتكلم عن الإرهاصات) ، وإمكانية حدوثها حين عرضت لرأى وات في هذه المسألة، ورددت على منكريها والطاعنين فيها (\*) ؛ مما يجعل إعادة الرد هنا من قبيل التكرار المذموم .

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (4 / 409) .

(2) السابق : (6 / 137) .

(\*) انظر ، ص 182 وما بعدها .

**أمية الرسول (ﷺ) في فكر كارين أرمسترونج :**

إن أمية النبي (ﷺ) من أعظم الأدلة على صدق نبوته ورسالته ، فبالرغم من كونه (ﷺ) أمياً إلا أنه خرَّج أعظم جيل عرفته البشرية ، وقد كان العلم من ركائز رسالته فقال النبي (ﷺ) :

"إن الله لم يبعثني معتياً ولا متعنناً ولكن بعثني معلماً ميسراً"(1).

وتقف كارين أرمسترونج موقفاً مخالفاً لمعظم المستشرقين في مسألة أمية النبي (ﷺ)، فتقول :

"وكثيراً ما يُدعى محمد في القرآن النبي الأمي ، أي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ويؤكد الاعتقاد في أميته على الطبيعة الإعجازية للتنزيل"(2). وتشير كارين إلى رأي وات السابق فتقول :

" إن بعض الدارسين الغربيين المحدثين يذهبون إلى أن لقب أمي لا يجب أن يفسر على أنه جهل بالقراءة والكتابة ؛ إذ أن النبي كتاجر قد يكون ألمَّ بمبادئ الكتابة"(3).

ومن خلال كلام كارين ، فإنها تستند إلى المصادر الإسلامية التي تنفي أي ذكر لقدرة النبي (ﷺ) على القراءة والكتابة ، وتدلل على ذلك بأنه (ﷺ) كان له كُتَّاب من أصحابه كعلي بن أبي طالب .

بل وترد على أصحاب هذا الرأي فتقول :

"إنه من حماقة أن نتحدى التفسير الموروث للمسلمين للفظ (أمي) . كما أنه لا يوجد في المصادر الأولى أي ذكر عن قدرته على الكتابة والقراءة . وحينما كان يحتاج لإرسال خطاب كان يُمليه على أشخاص مثل علي الذي كان مُلمّاً بالقراءة والكتابة . ولو كان صحيحاً أن محمداً قد أخفى مقدرته على الكتابة والقراءة طيلة حياته لكانت تلك خدعة كبرى . وخلافاً لكون ذلك منافياً لطبيعته ، فإنه من الصعب جداً الإبقاء على مثل تلك الخدعة إذا نحن أخذنا في الاعتبار حميمية الصلة بين محمد وقومه"(4).

وتقول مؤكدة هذه الحقيقة : " إن التأويل الشائع للفظ ( أمي ) هو تأويل مبكرٌ جداً وهو أيضاً من الأهمية بمكان لدى المسلمين ، فإن له نفس أهمية الميلاد العذري في المسيحية والتي تؤكد على النقاء اللازم للرجل أو المرأة كي يأتي بكلمة إلى الناس ، لأن التنزيل لا يجب أن يشوبه أو تتدخل فيه إضافة إنسانية خالصة"(5).

(1) صحيح مسلم ، كتاب: الطلاق ، باب : بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنية ، رقم 1478 .

(2) المرجع السابق : ص 135 .

(3) السابق: ص 135 ، 136 .

(4) سيرة نبي محمد : كارين أرمسترونج ص 136 .

(5) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

**وتؤكد كارين هذا المعنى فتقول :**

" وكان محمد يغير الشطر الثاني من قول أصحابه : لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ ...  
اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ وَيَقُول : لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وهو التعديل الذى يبتعد بالكلام عن الوزن والقافية ، مما يبين  
أن محمداً كان أمياً ، فلم يكن شاعراً بالفطرة " (1).

إن كارين توافق الروايات الإسلامية فى هذا الشأن ، فإن النبى (ﷺ) " على كونه  
أفصح العرب إجماعاً ، لم يكن يُنشد بيتاً تاماً على وزنه ، إنما كان ينشد الصِّدْرُ أو  
العَجْزُ فحسب ، فإن ألقى البيت كاملاً لم يُصحِّح وزنه بحال من الأحوال ، وأخرجه  
عن الشعر فلا يلتئم على لسانه " (2).

وهذا مما أراه الله لنبيه (ﷺ) أن لا يَبْنَعُ فى صناعة الشعر؛ حتى لا تحوم حوله  
شبهة بأن القرآن الكريم من كلامه (ﷺ) ، ولهذا نفى القرآن عنه تعلم الشعر فقال :

{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} يس : 69 .

ويظهر لى من خلال كتابات "كارين" حول هذه القضية أنها تقول بأمية النبى (ﷺ)  
لكن هذا أسلوب من أساليب البناء والهدم عندها ، فهى تقول بأمية النبى (ﷺ) من  
ناحية ، ومن ناحية أخرى تطعن فى عقيدة الوحي الإلهي وغيرها .

ومن ثم فإن قولها بأمية النبى (ﷺ) لن يغير من موقفنا - نحن المسلمين - نحوها.

(1) سيرة النبى محمد : كارين أرمسترونج ، ص 233.

(2) مصطفى صادق الرافعى : إجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مراجعة أ : نجوى عباس ، ط1 مؤسسة المختار  
- القاهرة ، ص 239 .

الادعاء بتأثر النبى (ﷺ) بورقة بن نوفل فى فكر كارين:

مرّ بنا أن وات يقول بتأثر النبي (ﷺ) بورقة بن نوفل وأن ورقة كان وراء تعليم النبي ما يعلم من أمر الأديان السابقة . أما كارين أرمسترونج ، فإنها لا تتكلم عن تأثر النبي (ﷺ) بورقة بن نوفل فحسب ؛ بل بالجالية الكتابية في مكة والتي على رأسها الحنفاء الثلاثة وهم : (عبيدالله بن جحش\*) ، زيد بن عمرو بن نفيل (\*\*)، ورقة بن نوفل (\*\*\*) .

## النقد والتأصيل

إن كارين قد وقعت في نفس الخطأ ، وبخاصة تأكيدها على أن النبي (ﷺ) كان على صلة بالأحناف ودخل دوائرهم وشاركهم تطلعهم للنبوة ؛ ولعل السبب في هذا الخطأ هو : اعتمادها على رأى مونجمرى وات في هذه النقطة ، فقد سبق أن أعلنت في أول كتابها أن "من مصادرها في هذا البحث : مؤلفات مونجمرى وات" (1) .

تقول كارين أرمسترونج :  
"ونحن نعلم أن محمداً كان على صلة بهؤلاء الثلاثة ..... ويبدو أن محمداً (ﷺ) دخل دوائر الأحناف ، وشارك زيدياً تطلعه للهداية الربانية" (2).

وبذلك تكون كارين قد افترت على النبي (ﷺ) في هذا الأمر .  
والحق أن النبي (ﷺ) ما كان يعرف عن هؤلاء الأحناف إلا أسماءهم ، ولم يكن قد جلس إلى واحد منهم مجلس المتعلم ، اللهم إلا يوم أن ذهبت به خديجة زوجته إلى ابن عمها ورقة لتطمئن عليه (ﷺ) بوصف ورقة من المتعمقين في دراسة الأديان القديمة . ثم إنه (ﷺ) لم يكن يتطلع إلى النبوة كما كان يتطلع إليها هؤلاء الحنفاء ، - كما تدعى كارين - ، فقد قال عنه ربه سبحانه وتعالى : {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ} القصص : 86 .

(\*) عبد الله بن جحش بن رباب براء بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمة ، تزوج رملة بنت أبي سفيان وأسلم ثم هاجر إلى الحبشة فولدت له حبيبة ، فيها كانت تكنى ، ثم تنصر زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة ، وارتد عن الإسلام ففارقها . (انظر: بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط دار الجيل ، بيروت ، هـ- 1412 - 1992م (651/7) .

(\*\*) زيد بن عمرو بن نفيل أبو سعيد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وسئل عنه فقال: " يبعث يوم القيامة أمة وحده "، وكان يتأله في الجاهلية، ويوحد الله تعالى، ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل ، كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: شاة خلقها الله عز وجل، وأنزل لها من السماء ماء، وأنبت لها الأرض، ثم تدبونها على غير اسم الله إنكاراً لذكر الله وإعظاماً له . (انظر: أبونعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر- الرياض، ط1 1419 هـ - 1998 م (3/ 1133).

(\*\*\*) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي ، من قريش ، حكيم جاهلي ، اعتزل الاوثان قبل الاسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الاديان . وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء. وفي المؤرخين من يعده في الصحابة. (انظر: خير الدين بن محمود الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين ، ط15، 2002م (8/ 114، 115) .

(1) انظر ، كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 23.

(2) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 43 .

يحاول مونتجمري وات بكل ما أوتى من قوة أن يثبت أن سيدنا محمداً (ﷺ) قد اتصل قبل البعثة بورقة بن نوفل ، فنحى من أجل ذلك كل منحنى ، وسلك فى ذلك كل طريق فكان كحاطب ليل ينقل ما يصح وما لا يصح .

**يقول وات :** "ومن الأسهل أن نفترض أن محمداً كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي . والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة كعلاقة الوحي الذى نزل على محمد (ﷺ) بالوحي الذى نزل على موسى وعيسى عليهما السلام" (1) ويستأنف وات كلامه عن تأثر النبى (ﷺ) بورقة فيقول : " فإن ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد وكان معروفا بدراسته للأناجيل" (2) ثم يدعى وات أن سيدنا محمداً (ﷺ) قد هيا نفسه ليتقمص شخصية النبى ويلبس لبوس النبوة ؛ سيما بعد أن قال له ورقة بن نوفل : بأنه الناموس الذى نزل على موسى وأنه - يعنى سيدنا محمداً - " لا بد أن يكون مؤسساً أو مشرعاً لأمة أو لجماعة ، وإذا كان محمد فى مرحلة تردد - وهذا ما يبدو معقولاً - فإن هذا التشجيع الذى لاقاه لا بد أن يكون ذا أهمية عظمى فى تطوره الداخلى" (3).

وعلى طريقة وات فى محاولة إثبات أستاذية ورقة - النصرانى - لمحمد (ﷺ) - النبى - والتأكيد عليها فإنه يقول تعليقا على آيات سورة اقرأ : " فهذه الآيات القرآنية كانت تذكّر محمداً عند قراءتها بما هو مدين لورقة بن نوفل به" (4) . ومن الواجب أن أضع بين يدي القارئ أصح رواية تتحدث عن لقاء سيدنا محمد (ﷺ) بورقة بن نوفل (رضى الله عنه ) كما فى الصحيحين - واللفظ للبخارى عن عائشة (رضى الله عنها) قالت :

فَانْطَلَقْتُ بِهِ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُخْرَجِي هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَئِذٍ يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوفِّيَ" (5).

(1) مونتجمري وات : محمد فى مكة ، ص 121.

(2) نفس المصدر ، ونفس الصفحة.

(3) المصدر السابق : ص 120.

(4) المصدر السابق : ص 121.

(5) صحيح البخارى ، كتاب تفسير القرآن ، باب ما ودعك ربك وما قلى ، رقم 4953.

وهذه الدعوى باطلة من عدة وجوه وهى :

- 1- لم يُنقل أن النبي (ﷺ) رأى ورقة قبل ذلك (1).
- 2- وقد استقصى المحدثون والمؤرخون كل ما عُرف عن ورقة مما صح سنده ومما لم يصح له سند ، كدأبهم فى كل ما له علاقة بالنبي (ﷺ) والإسلام ، فلم يذكر أحد منهم أنه عُرف عنه دعوة إلى النصرانية أو كتابة فيها (2) .
- 3- إن موقف ورقة فى تلك الحادثة يؤكد أنه لا يمكن أن يكون معلماً لرسول الله (ﷺ) فى يوم من الأيام ، فقد كان موقفه موقف المستفسر المستطلع لما حصل مع رسول الله فى غار حراء ، فلما أخبره كان موقفه التبشير والتصديق والإيمان بنبوته المتطلع للتضحية والمناصرة ؛ فلو كان ورقة هو مصدر العلم لرسول الله (ﷺ) لم يقف منه موقف التابع المؤيد المناصر(3) .

قول عائشة فيما روت عن رسول الله (ﷺ) : " ثم لم ينشب - يلبث - ورقة أن توفى " : أى أن ورقة قد مات بعد هذه المقابلة بوقت قصير ، فمتى تعلم منه النبي (ﷺ) ؟ لكن وات يريد من ذلك كله أن يجعل المسيحية أصل الإسلام ؛ عنها أخذ وبها تأثر وعلى نصوصها اعتمد .

ولم يقف وات عند حد اتهام النبي (ﷺ) بأنه تأثر بورقة بل أدخل السيدة خديجة (رضى الله عنها) زوج النبي (ﷺ) فى قصص الاتهام فقال :

"ويكاد يكون من المؤكد أن خديجة قد تأثرت به " (4).

"ومن سوء حظ وات أن ابن سعد نفي اي اتصال لخديجة بابن عمها ورقة ، وكأنه يتنبأ بأن هذا الاتصال سيكون مثار شكوك المستشرقين فيما بعد ، فيذكر ابن سعد "ثم انطلقت إلي ورقة بن نوفل ، وهي أول مرة أنته ، فأخبرته ما أخبرها به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" (5) . أى أن خديجة (رضى الله عنها) ذهبت إلي ورقة حين نزول الملك بأمر النبوة ، ولم تذهب إليه قبل ذلك . ثم إن المصادر لا تتحدث عن اهتمام المرأة المكية بالدين قبل الإسلام (6).

إن هناك نفرًا من المستشرقين يزعمون أن النبي (ﷺ) أخذ عن ورقة بن نوفل وتعلم على يديه ؛ ومن ثم أخذ عن المسيحية وتعلم من كتبها ؛ لأن ورقة - كما هو معلوم- كان قد تنصر فى الجاهلية ، وهم بذلك يريدون تفريغ الإسلام من ذاتيته ، واعتباره منبثقا من النصرانية ، ومن هؤلاء مستشرقنا مونتجمرى وات.

على أن المصادر الإسلامية لا تنفى هذا اللقاء الذى جمع سيدنا محمدا (ﷺ) بورقة بن نوفل ، لكنها تضعه فى إطاره الصحيح ولا تعطيه فى الأهمية أو الضخامة أكثر من حقه .

(1) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص50.

(2) نفس المصدر ، ونفس الصفحة.

(3) هدي عبد الكريم مرعي : رسالة دكتوراة مطبوعة ، بعنوان " الأدلة على صدق النبوة المحمدية ، إشراف: أ. محد

قطب - ط دار الفرقان - عمان - الأردن، ص474 .

(4) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ص101.

(5) ابن سعد : الطبقات الكبرى- (190/1).

(6) عبد الله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة النبوية ، ص67.

## المبحث الثاني:

كتابات وات وكارين عن أخلاق

الرسول (ﷺ)

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : كتابات وات عن أخلاق

الرسول (ﷺ).

المطلب الثاني : كتابات كارين عن أخلاق

الرسول (ﷺ).

## المطلب الأول :

كتابات وات عن أخلاق الرسول (ﷺ)



لقد صنع الله نبيه محمداً (ﷺ) على عينه ، واصطفاه على غيره خُلُقاً وَخُلُقاً ؛ وبذلك استحق أن يمدحه ربه بقوله : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ . سورة القلم : آية 5 " .  
وتجسد أمنا عائشة - رضى الله عنها - هذا الوصف فتقول : " كان خلقه القرآن " (1) .  
وقد حدّد النبي (ﷺ) الغاية الأولى من بعثته فقال : " إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق -  
وفى رواية - إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ " (2) .  
ولا ريب أن أيّ دارس للسيرة النبوية لا يمكن أن يَغْفَلَ هذا الجانب الأخلاقي من جوانب شخصيته (ﷺ) . ومن تكريم الله لنبيه (ﷺ) أن جمع له الكمالين ، كمال الخلق ، وكمال الخلق .

يقول الأستاذ/ محمد صادق الرافعي - يرحمه الله - :

"ليس في التاريخ العربي كله من جمعت صفاته وأحصيت شمائله ، وتواتر النقل بذلك جميعه من طرق مختلفة على توثيق إسنادها - غير النبي (ﷺ) ، وهذا أصل لا يُعدّل به شيء في بيان حقائق الأخلاق ، والاستدلال على قوة الملكات ، واستخراج الصفات النفسية التي حصل من مجموعها أسلوب الكلام على هيئته وجهته ، وانفراداً بما عسى أن يكون منفرداً به ، أو شارك فيما عسى أن يكون مشاركاً فيه" (3) .

وقد تكلم المستشرق ( وات ) عن النبي (ﷺ) خُلُقاً ، وَخُلُقاً في كتاباته عن السيرة النبوية ، لكنه قبل أن يذكر صفات رسول الله (ﷺ) الخلقية والخلقية ، حكم على بعضها مقدّمًا بأنها "تعبّر عن نزعة لرسم صورة لمحمد الرجل الكامل المثالي" (4) .  
ثم يذكر مختصراً للأوصاف النبوية فيقول :

"كان محمداً ، حسب هذه النصوص ، متوسط القامة أو فوق المتوسط قليلاً ، عريض المنكبين ، واسع الصدر قوياً البنية على العموم . وكان طويل الذراعين ضخم اليدين والرجلين وكان مرتفع الجبين أفتى (5) الأنف له عينان واسعتان سوداوان وكان شعره طويلاً كثراً سبطاً (6) أوجعداً وكان كث اللحية أيضاً وكان خطاً من الشعر الخفيف يحيط بعنقه وصدره ، وكان ناحل الخدين ، واسع الفم ، حلو الابتسامة ، شاحب اللون ويمشى وكأنه يُسرّع من منحدر حتى ليصعب اللحاق به ، إذا غيّر اتجاهه يدور بكل جسمه في الإتجاه الذي يسير فيه" (7) .

(1) مسند أحمد: عن عائشة رضى الله عنها برقم (24601) ، وقال الشيخ الأرئوط : حديث صحيح .

(2) المرجع السابق : عن أبي هريرة ، برقم ( 8595 ) وانظر السلسلة الصحيحة (44/1) برقم 45 .

(3) محمد صادق الرافعي : إجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 223 .

(4) مونتجمرى وات : محمد في المدينة ، ص 489 .

(5) القنا في الأنف طوله ودقّة أرنبته مع حدب في وسطه . (انظر ، ابن منظور : لسان العرب (201/15) .

(6) والسبب الشعر الذي لا جعودة فيه (والجعد عكسه) . انظر ابن منظور : لسان العرب (308/7) .

(7) مونتجمرى وات : محمد في المدينة ، ص 489 .

ثم يواصل حديثه عن بعض هذه الطباع فيقول : " وكان محمد ميالاً للكآبة ، يستطيع البقاء وقتاً طويلاً لا يَبْسُ ببنت (\*) شفه إذا استغرق في تأملاته ، ..... لم يكن يتفوه بكلمات لا طائل تحتها : وكان ما يقوله دقيقاً واضحاً ، سهل الفهم ، خالياً من البلاغة ، وكان كلامه دائماً سريعاً يعرف كيف يسيطر على عواطفه ..... ، وكان يستطيع أن يكون قاسياً في بعض الأحيان ولكنه كان على العموم لطيفاً ، وكان ضحكُه في معظم الأحيان ابتسامة " (1).

وهذه الأوصاف منها الصحيح ومعظمها مكذوب على النبي (ﷺ) كذباً متعمداً من وات ، وقد وضعت خطأ تحت الصفات المفتراة ، وسأردُّ عليها بالدليل بعد حصر الصفات المكذوبة على النبي (ﷺ) .

هذا ، وقد درس المستشرق مونتجمري وات عظمة الرسول في كتابه : ( محمد في المدينة ) انطلاقاً من النجاح الذي حققه على مسرح التاريخ الذي ظهر عليه ، والظروف الزمانية والمكانية التي ساعدته ، وهيأت المناخ الطبيعي لانتشار الإسلام في جزيرة العرب والتطور اللاحق الذي جعل منه ديناً عالمياً ، فقال عن عظمته (ﷺ) :

" ولولا هذا المزيج الرائع من الصفات المختلفة الذي نجده عند محمد لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع ، ولاستنفدت تلك القوى الجبارة في غارات على سورية والعراق دون أن تؤدي لنتائج دائمة ..... ونستطيع أن نميز ثلاث هبات مهمة أوتيتها محمدٌ ، وكانت كل واحدة منها ضرورية لإتمام عمل محمد بأكمله . لقد أوتي أولاً موهبة خاصة على رؤية المستقبل . وكان ثانياً رجل دولة حكيماً .. وكان ثالثاً رجل إدارة بارعاً " (2).

إن وات يقرر هنا أن سيدنا محمداً (ﷺ) ، في عصره وبيئته كان مصلحاً اجتماعياً ، وإدرياً ناجحاً ، وسياسياً مُحنكاً ، ولا يتحدث عن تأييد الله له لكونه نبياً ورسولاً ، وهذا اختزال لأهم خصيصة من خصائصه (ﷺ) .  
ويخلص مونتجمري وات إلى القول بأنه :

" كلما فكرنا في تاريخ محمد وتاريخ أوائل الإسلام ، تملكنا الدهول أمام عظمة مثل هذا العمل . ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصاً للنجاح لم تتحها سوى للقليل من الرجال ، غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تماماً (3).

إن وات يتحدث هنا عن عظمة مادية بحتة لا دخل للوحى فيها ، وعظمة النبي محمد (ﷺ) جزء لا ينفك عن النبوة بحال من الأحوال .

(\*) نَبَسٌ يَنْبَسُ نَبْساً هو أقل الكلام ، وما نَبَسَ أي ما تحركت شفتاه بشيء ، وما نَبَسَ بكلمة أي ما تكلم ، وبنيت الشفة هي الكلمة ، وهو تعبير مجازي ، يقال : ما نَبَسَ بكلمة أي ما تكلم وما نَبَسَ أيضاً بالتشديد . انظر . ابن منظور : لسان العرب (225/6).

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 490.

(2) المرجع السابق : ص 510، 511.

(3) المرجع السابق : ص 512.

وبعد ما ذكره وات , بشأن وصف النبي (ﷺ) – وقبل أن أتناول ما قاله بالتحليل والنقد – يحسن أن أضع بين أيديكم جملة من أصح النصوص التي وردت في وصف سيدنا رسول الله (ﷺ) كما جاءت في المصادر الإسلامية ومنها :

(1) عن أنس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : كَانَ رُبْعَةً\* مِنْ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ أَزْهَرَ اللَّوْنَ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ (1) وَلَا أَدَمَ (2) لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطِطٍ وَلَا سَبْطٍ رَجُلٍ أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَفَيْضٌ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ قَالَ رَبِيعَةُ فَرَأَيْتُ شَعْرًا مِنْ شَعْرِهِ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرٌ فَسَأَلْتُ فَقِيلَ أَحْمَرٌ مِنَ الطَّيِّبِ (3)

(2) وعن علي رضي الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ ضَخْمُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ شَتْنُ (4) الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ مُشْرَبٌ وَجْهُهُ حُمْرَةٌ طَوِيلُ الْمَسْرُوبَةِ ضَخْمُ الْكَرَادِيْسِ (5) إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّوًّا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (6)

(3) وعن ابى هريرة أبا هريرة يقول ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كأن الشمس تجري في جبهته وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له إننا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث. (7)

- 
- (1) هو الكرية البيضاء كلون الجص . يريد أنه كان نير البياض , انظر: ابن الأثير : النهاية(4/815)
  - (2) الأدم جمع آدم كأحمر وحمر . وهي في الناس السمرة الشديدة , انظر ابن الأثير : النهاية(1/62)
  - (\*) رجل ربعة، ومربوع ومرتبع : وسيط القامة . انظر: الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ط1 دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، 1419 هـ - 1998 م (331/1).
  - (3) صحيح البخارى : كتاب المناقب , باب: صفة النبي (ﷺ) ، رقم (3238).
  - (4) أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر . وقيل هو الذي أنامله غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لفضيهم ويؤم في النساء . انظر . (ابن الأثير : النهاية2/1092)
  - (5) الكراديس رؤوس العظام واحدها كرادوس وكل عظمين التقيا في مفصل فهو كرادوس نحو المكئين والرؤكيتين والوركين ، انظر: ابن منظور :لسان العرب(6/195)
  - (6) مسند أحمد : عن على رضي الله عنه , رقم : 747 (2/144) ، وقال الشيخ الأرئوط : حسن لغيره .
  - (7) مسند أحمد عن أبى هريرة رضي الله عنه ، رقم : 8604 ، (14/258) ، وقال الشيخ الأرئوط : حسن .

## مناقشة وات فيما ذكره من صفات

ويحسن أن أقف وقفة تحليلية نقدية لبعض الصفات النبوية التي وردت على لسان وات , ومناقشة هذه الصفات في عدة نقاط :

### أولاً- قول وات عنه (ﷺ): إنه كان ناحل الخدين , وكان شاحب الوجه.

وباستعراض مادة نحل في المعاجم وجدت أنها صفة نقص ناتجة عن مرض ونحوه، يقال : "نَحَلَ يَنْحَلُ وَيُنْحَلُ نُحُولًا فَهُوَ نَاحِلٌ : ذَهَبَ مِنْ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ" (1) ونفس المعنى نجده عند استعراضنا لمعنى شاحب : "فالشَّاحِبُ الْمُتَعَيِّرُ اللَّوْنِ لعارضٍ مِنْ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ نَحْوَهُمَا" (2) .

وهذه الصفات كلها أبعد ما تكون عن النبي (ﷺ) , ومنافية تمامًا لما ورد في السنة الصحيحة من جمال وجهه (ﷺ) كما جاء :

1- عن البراء بن عازب قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خُلُقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ" (3).

2- وسئل البراء : "أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ قَالَ لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ" (4).

3- وعنه أيضا أنه قال : كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) مَرْبُوعًا بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ لَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ" (5).

4- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، قال : فهو أحسن في عيني من القمر" (6).

إن وجه النبي (ﷺ) كان أبهى من الشمس ، وجبينه كان أزهى من البدر . وهما هم أولاء أصحابه الكرام الذين رأوه وعاشوا معه قد وصفوه بصفات قد سقتها لكم ، وقد وازن أحد الصحابة بين وجه النبي ووجه القمر فغلب جمال وجهه (ﷺ) نور القمر .

---

(1),(2) لسان العرب، مادة نحل (649/11) ، ومادة شحب (484/1).  
(3) صحيح البخارى - كتاب المناقب ، باب صفة النبي ، برقم (3285).  
(4) المرجع السابق، - كتاب المناقب ، باب ، صفة النبي، برقم (3288).  
(5) صحيح البخارى : كتاب المناقب ، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
(6)الحاكم : المستدرک وقال: صحيح الإسناد ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، ط1 دار الكتب العلمية - بيروت، 1411 هـ - 1990م (4 / 206) ، رقم 7383 ، ومعنى أضحيان : أي مضيئة مقمرة .

### ثانيا - قوله : وكان محمد ميالاً للكآبة

وقبل أن أعرب عن موقفي من إضافة صفة الكآبة للنبي (ﷺ) أرى من الأمانة العلمية أن أقول : إن هذا خطأ من جهة الترجمة لا من جهة وات , وقد رجعت إلى النسخة الإنكليزية لكتاب وات فوجدت أنه قد عبّر عن هذه الصفة بلفظ ( sadness ) , والذي يعنى (الْحَزَن) لا الكآبة التي بمعنى ( depression ) .

ثم إن الكآبة مرض عضوى وموت معنوى . ورسول الله (ﷺ) , وكلُّ الأنبياء منزهون عن ذلك كله , كما يقول الشاعر :

ليس مَنْ مات فاستراح بميت \*\*\* إنما الميت ميت الأحياء  
إنما الميت من يعيش كنيباً \*\*\* كاسفاً باله قليل الرجاء(1)

لكن باستطاعتنا - نحن المسلمين - أن نقبل إضافة صفة الحزن إلى رسول الله (ﷺ) لأنها صفة وردت فى المصادر الإسلامية الموثقة , فعن الحسن بن عليّ , قال :

"سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَكَانَ وَصَافًا قُلْتُ : صِفْ لِي مَنْطِقَهُ ، قَالَ : " كَان رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، لَيْسَ لَهُ رَاحَةٌ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ ، طَوِيلَ السُّكُوتِ ، يُفْتَحُ كَلَامُهُ وَيَحْتَمُهُ بِأَشْدَاقِهِ يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ " (2) .

### ثالثا - قوله : وكان كلامه خالياً من البلاغة

ولقد وجدت كذلك أن هذا خطأ من جهة الترجمة لا من جهة وات , وبالرجوع إلى النسخة الإنكليزية للكتاب وجدت أن وات قد عبر عن هذه الصفة بلفظ (no padding) , والذي يعنى : خالٍ من حشو الكلام . لا البلاغة التي بمعنى (eloquence) . وإلا فرسول الله (ﷺ) كان أبلغ العرب وأفصحهم , وهو الذى قال عن نفسه:"أنا أفصح العرب , بيد أنى من قريش , ونشأت فى بنى سعد بن بكر(3).

"ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له(ﷺ) إلا توفيقاً من الله وتوقيفاً, إذ ابتعثه للعرب وهم يُقادون من أسنتهم , ولهم المقامات المشهورة فى البيان والفصاحة"(4).

وهذا الحزن لم يكن حزناً على الدنيا وما فيها , وإنما كان حزناً على معارضة الناس لدعوته , كما قال تعالى : " لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . الشعراء : آية 3 ."

(1) البيتان لعدي بن الرّعاء , انظر: لسان العرب (90/2).

(2) البيهقى : شعب الإيمان , تحقيق : د.عبدالعلى عبد الحميد حامد , ط1مكتبة الرشد الرياض 1423هـ, 2003م(24/3).

(3) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: شرح السنة، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش،

ط2:المكتب الإسلامى- دمشق - بيروت - 1403 هـ - 1983 م (202/4)

(4)مصطفى صادق الرافعى:إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص218.

وليس معنى ذلك أنه (ﷺ) كان لا يبتسم ولا يضحك ، فقد أثرت عنه (ﷺ) الابتسامة الطيبة الرقراقة .  
لقد كانت ابتسامته (ﷺ) المشرقة المعبرة تعلو مُحيّاه ، فإذا قابل بها الناس أسرّ قلوبهم ومالت إليه نفوسهم وتهافتت عليه أرواحهم ، وهو الذى قال :  
" إنكم لا تسعون الناس بأموالكم وليسعهم منكم بسطُ الوجه وحسنُ الخلق " (1).

#### رابعاً - قوله : وكان كلامه دائماً سريعاً .

وهذا يتنافى تماما مع ما جاءنا عن أقرب أزواجه إليه (ﷺ) ، فعن أمنا عائشة رضى الله عنها قالت :  
" مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ " (2).

وعن أنس: " أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا " (3).

ومما سبق يتأكد أن النبي (ﷺ) لم يكن سريعاً فى كلامه كما يدعى وات ، فسرعة الكلام تكون سبباً فى كثرة الخطأ والتلبيس على المستمع وهذا يتنافى مع النصوص السابقة والتي فيها أن من كان يجلس إلى النبي (ﷺ) كان يحفظ ما دار من حوار بينهما ، وهذه فقط إشارات وإلا فهناك أحديث كثيرة فى هذا الشأن يُرجع إليها فى مظانها من كتب السنة .

---

(1)الحاكم : المستدرک ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 دار الكتب العلمية - بيروت (1/ 212) 1411 - 1990، رقم 427 .

(2)محمد بن عيسى الترمذى، الجامع الصحيح (سنن الترمذى)،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون،ط دار إحياء التراث العربى - بيروت،(600/5) رقم(3639)، والسرد: متابعة الكلام على الولاء والاستعجال به، انظر :إعجاز القرآن للرافعى هامش ص230

(3)صحيح البخارى : كتاب العلم , باب مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ , رقم (92).

المطلب الثاني :

كتابات كارين عن أخلاق  
الرسول (ﷺ).

تصف كارين رسول الله (ﷺ) فتقول :

"وكان محمدُ الشابُّ محبوبًا في مكة , وكان وسيماً متناسقَ الجسد , متوسط القامة , وكانت ابتسامته ساحرة , كما ذكرت كل المصادر , وكان حاسماً مخلصاً في عمله , وبلغت بكامله لكل من يكلمه , ولا يسحب يده من المصافحة حتى يسحبها الآخر , وثق الناس فيه حتى سمّوه الأمين" (1) .

وهذه كلها صفات مقتبسة من المصادر الإسلامية غير أن كارين صاغتها بأسلوبها , وهى على أية حال صفات تتوافق مع المصادر الإسلامية .

كما تقول عن بعض طباعه (ﷺ) :

" وكان رؤوفاً شديد التأثير وعلى قدر هائل من التعاطف . لم نقرأ أبداً أن المسيح قد ضحك , لكننا كثيراً ما نجد محمداً يبتسم ويداعب المقربين منه , ونراه أيضاً يلعب الأطفال , ويختلف مع زوجاته , ويبيكى بحُرقة لوفاة أحد أصحابه , ويعرض ابنه الوليد مَرْهواً كَأى أبٍ وَلِعٍ " (2) .

ثم تشير كارين إلى عظمتة وعبقريته فتقول :

"فنحن إن استطعنا النظر إلى محمد كما ننظر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى , فمن المؤكد أننا سنراه أحدَ أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ , فلأن يأتى محمد برائعة أدبية (3) ويؤسس ديانة عظمتها وقوة عالمية جديدة , فتلك إنجازاتٌ غيرٌ عادية" (4) .

ووصف النبي (ﷺ) بالعبقرية مسألة فيها نظر , وهو وصف تعودنا عليه من المستشرقين , وهى مسألة ساقف معها محاولاً إزالة اللبس والغبش عنها وموضحاً موقف العلماء من هذا الوصف .

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا , ص 37 .

(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد , ص 81 .

(3) تقصد القرآن الكريم , وهو وصف لا يليق بالقرآن الكريم .

(4) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد , ص 81 .

## النقد والتأصيل

أولاً- قولها : ولم يصبح محمد مبهرًا في ميدان القتال كعمه حمزة :

وعلى العكس من كلام كارين فقد كان (ﷺ) من أشجع الناس وأكثرهم إقدامًا , يواجه العدو بنفسه دون خوف أو وجل . شهد بهذا صحابته الذين رأوا ذلك في حروبه , فهاهو ذا فارسٌ من فرسان المسلمين - عليُّ بنُ أبي طالب رضى الله عنه - يصوِّر لنا مدى شجاعة المصطفى (ﷺ) وإقدامه في مواجهة العدو فيقول :

1- " لَقَدَرَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ " (1)

2- وعن أنس قال : " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَرَّعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عَزْبِي وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تَرَاعُوا لَمْ تَرَاعُوا ثُمَّ قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ قَالَ إِنَّهُ لَبَحْرٌ " (2).

لقد كان رسولُ الله (ﷺ) أشجعَ الناسِ ، فما كان يجلسُ في غرفةِ العملياتِ الحربيةِ يتابعُ مستجداتِ الأحداثِ وتطوراتِ المعركةِ من بعيدٍ ، بل كان ينزلُ مع الجيشِ في ساحةِ الوعى ، مثله في ذلك مثلُ أى جنديٍّ من أفرادِ الجيشِ .

ثانياً - وصف كارين لسيدنا محمد (ﷺ) بالعبقرية (\*):

إن وصف النبي (ﷺ) بالعبقرية ووضعه في مصاف عباقرة البشر وعظماء التاريخ - بالمعنى المادى - ظلم له ؛ لأن ذلك يعنى حصر النبي (ﷺ) فى كونه مجدداً أو مصلحاً لا نبياً مرسلًا معصوماً يتكلم بوحى ، فنضعه بذلك فى مصاف ، أو حتى على رأس المصلحين والمجددين والعباقرة ونساويه بهم ، بالرغم من أن حياة بعضهم مليئة بالنقاط السود والأفعال المشينة ؛ لأنه قد يكون هناك عباقرة فى ناحية ما ، لكنهم منحرفوا السلوك أو معربدون ، أو شواذ . وهذه النماذج موجودة =

(1) مسند أحمد عن علي بن أبي طالب ، (125/2) برقم (619).

(2) صحيح البخارى : كتاب الجهاد والسير، باب: الْحَمَائِلِ وَتَغْلِيْقِ السَّيْفِ بِالْعُنُقِ ، برقم (2692).

(\*العبقرية : نسبة إلى عَبْقَرٍ ، وهي قرية تسكنها الجن فيما زعموا فكلما رأوا شَيْباً فائقاً غريباً مما يصعب عمله وَيَدِقُّ ، أو شَيْباً عظيماً في نفسه نسبوه إليها فقالوا عَبْقَرِيٌّ ، وَعَبْقَرِيُّ القوم سيدهم ، وقيل العَبْقَرِيُّ الذي ليس فوقه شيء ، والعَبْقَرِيُّ الشديد والعَبْقَرِيُّ السيد من الرجال . انظر : لسان العرب (4 / 534).

في الغرب بكثرة " وهم مع ذلك كله عباقرة ؛ لأن نتاجهم العلمي والأدبي وتراثهم الرائع الفريد يسمو بهم فوق مستوى العامة ..... إن الكُتَّاب الذين ألفوا في سيرة النبي (ﷺ) ووصفوه بالعبقرية يمكننا أن نقبل منهم هذا الوصف بحذر وبقدَر . نقبله إذا كان القصدُ منه كشف النقاب عن معالم العظمة الشخصية وإلقاء الضوء على البطولة الأدبية لأولئك المصطفين الأخيار . ونقبله إذا كان القصدُ منه الاعتراف بمبدأ الوحي الذي يصل المادة بما وراء المادة وهذا هو أساس النبوة الأول . ونرفضه إذا كان وصفا لعظمة إنسانية معتادة تسلك صاحبها مع غيره من رجال التاريخ البارزين" (1).

لقد دأب المستشرقون المعتدلون على وصف النبي (ﷺ) بأنه عبقرى ، أو بطل ، أو مصلح ، وهذه كلها أوصاف لا ترضينا - نحن المسلمين - لأنها صفات تنتهي بموت أصحابها ، أما النبوة فتظل ثابتة للنبي حتى بعد مماته .

"إنه (ﷺ) فوق أي عبقرى ، وأجلّ من أي زعيم ، وأعظم من أي قائد ، وأشجع من أي بطل ، وأسمى من أي مُصلح ، لقد جمع له من صفات هؤلاء خيرها ، وأفضلها، وأعدلها ، وأرحمها . ولكنه فوق هؤلاء جميعا ، إنه نبي يوحى إليه ، ورسول يبلغ عن ربه ، وهذا ما لا يدرك ولا ينال . فجعل العبقرية ، أو الزعامة، أو القيادة ، أو البطولة ، أو الإصلاح عنوانا له (ﷺ) فيه تحييف (\*) عليه ، و هضم لحقه (ﷺ) . والذين كتبوا في حياة النبي و سيرته من غير المسلمين لا يؤمنون به على أنه نبي ورسول ؛ فمن ثم كتبوا عنه على أنه عظيم ، أو بطل ، أو مصلح ، أو زعيم أو نحو ذلك ، و إن كان بعضهم كتب عنه تحت عنوان (حياة محمد) ولا يجوز لنا معاشر المسلمين المؤمنين ، ولا سيما أهل العلم والدين أن نجاريهم فيما عنونوا" (2).

ويرى الأستاذ /أنور الجندی - يرحمه الله - أن وصف النبي بالعبقرية يُعدُّ تزييفا لسيرة الرسول (ﷺ) ، كما يعيب على العقاد - يرحمه الله - تسمية كتابه في السيرة باسم (عبقرية محمد) ويعيب عليه كذلك وضعه للنبي في مقارنة مع نابليون فيقول :

(1) محمد الغزالي : عقيدة المسلم ، ط دار الكتب الإسلامية 1400 هـ، 1980م ، ص 219- 227 بتصرف .

(\* الحَيْفُ الْمَيْلُ فِي الْحُكْمِ وَالْجَوْرُ وَالظُّلْمُ (ابن منظور : لسان العرب (60/9).  
(2) د. محمد ابو شهبة : السيرة النبوية فى ضوء القرآن و السنة ، ط دار القلم - دمشق، دت (19/1).

" ولا ريب أن أبلغ أخطاء وصف النبوة بالعبرية إنما هو في تعميم هذه الصفة على شخصيات أخرى لم تنفرد بالنبوة مما جعلها تبدو كأنها محاولة إلى فرض مفهوم البشرية على الرسول الذي تفرّد بالعصمة والوحي وامتاز بهما عن سائر صحابته.... فالنبي في (كتاب عبقرية محمد للعقاد) إنسان له مواهب وملكات منفصلة تماماً عن وحي السماء. وحين تُجري مقارنته بنابليون أو غيره لا يلتفت تماماً إلى اختلاف النوع وانعدام الصلة حتى ليبدو إغفال الوحي إغفالاً كاملاً في دراسته . ولم يَزِدَّ َ إعجاب المسلمين بالرسول وحبهم له دون حدود إلى الإسلام نفسه وإنما رده إلى شخصية الرسول " (1) .

وإن كان الأستاذ /أنور الجندى قد عارض العقاد فى تسمية كتابه (عبقرية محمد) ، فقد دافع الدكتور / محمد رجب البيومى (\*) - يرحمه الله - عن العقاد ، وبَرَّرَ هذه التسمية بقوله : "إن العقاد الكبير يرى أن العبقرية صفة تلحق بالأفراد الطبيعيين ، فيأتون بروائع العلوم والمعارف ، ولكنها وحدها لا تصل بهم إلى مقام النبوة المهداة من السماء لمن يخصصهم الله برسالاته ، فليس كل عبقرى بمستطيع أن يكون نبيا ، ولكن النبى له مقومات كثيرة ، منها العبقرية ، فكيف يظن ظان أن العبقرية هى التى هيات له دعوة الإسلام ، وما هى إلا صفة واحدة من صفات محمد (ﷺ) العبقرى والإنسان والسياسى والإدارى والمصلح ، لا تزيد عن موضعها بحال" (2).

وأرى أن العبقرية فى حق الرسول (ﷺ) تكون مقبولة ، إن قُصد بها عبقريته (ﷺ) فى تطبيق منهج الله ، وعبقريته فى فهم مرادات الله تعالى ، ولا تكون مقبولة إن قُصد بها العبقرية المادية التى تُمنح لأى مصلح أو مجدد ، فهى عبقرية من حيث المنشأ والمنهج .

كما أرى أن الابتعاد عن الوصف بالعبقرية يغنى عن هذا الخلط كله ، وأن الأولى وصف النبى (ﷺ) بما وصفه به القرآن الكريم ؛ فأوصاف القرآن مُحكمة لا تحتمل الشكوك والريب . إن كلمة (عبقرى) ومادتها (عبر) : فصيحتان ، ومع ذلك لم يستخدمها القرآن فى وصف الرسول (ﷺ) ، وإنما استخدمها مرة واحدة فى وصف ثياب وفرش أهل الجنة فقال : "مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ .سورة الرحمن : آية 76".

(2) أنور الجندى: فى سبيل إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، ص19، 20.

(\*) ولد الدكتور / محمد رجب البيومى، فى أول أكتوبر سنة 1923م، بقرية "الكفر الجديد" - مركز المنزلة- محافظة الدقهلية. تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى بمعهد الزقازيق الدينى.. حفظ القرآن فى سن العاشرة، وحفظ متون العلم فى الفقه والنحو والتجويد، وديوان "حافظ إبراهيم" الذى اختاره له أبوه مع قصائد كتاب "جواهر

الأدب" [مجلة الأزهر ، مقال للأستاذ: عادل خفاجي ، بعنوان/ فضيلة الدكتور محمد رجب البيومي في رحاب الله ، عدد ، ربيع الآخر 1432 هـ ، مارس 2011م ، الجزء (4) ، سنة (84)].  
(2)د. محمد رجب البيومي: السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين – مناقشات وردود - ، ص 284، 285.

"قال مجاهد : العبقرى : الديباج . وسئل الحسن البصرى عن قوله : (وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ) فقال : هي بُسُطُ أهل الجنة - لا أبا لكم - فاطلبوها . وعن الحسن البصرى رواية : أنها المرافق . وقال زيد بن أسلم : العبقرى : أحمرٌ وأصفرٌ وأخضرٌ . وقال يعقوب بن مجاهد : العبقرى : من ثياب أهل الجنة ، لا يعرفه أحد . وقال الخليل بن أحمد: كل شيء يسرُّ من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقرياً . ومنه قول النبي (ﷺ) في عمر: " فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ (\* )" (1)(2).

ومن الملاحظ تمامًا أن كلمة (عبقرى) حين تطلق اليوم ، فإنها لا تطلق ويراد بها المعنى العربى ، وإنما يراد بها : حُسن التخطيط ، والبراعة فى الأداء ، وحسن سياسة الأمور لمجرد كونه بشرًا ، وهذا هو مقصود المستشرقين منها ؛ ولذا أرى أن من الأولى الابتعاد عن هذا الوصف تجنبًا لاختلاط المفاهيم التى قد تنشأ عن هذا الوصف .

---

(\* ) يفرى فريه : يعمل عمله تقول العرب تركته يفرى الفريء إذا عمل العمل فأجاده ، انظر : ابن منظور : لسان العرب (151/15) .

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (510/7).

## الفصل الثانى :

قضايا السيرة النبوية عند وات وكارين ( رؤية تقويمية )  
ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : زواج الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، وأزواجه .

المبحث الثانى : الوحي ومعجزة القرآن .

المبحث الثالث : دعوة الرسول فى مكة .

المبحث الرابع : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة .

المبحث الخامس : الجهاد والغزوات .

## المبحث الأول :

زواج الرسول (ﷺ) وأزواجه ، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: زواج الرسول (ﷺ) وأزواجه عند وات

المطلب الثاني: زواج الرسول (ﷺ) وأزواجه عند كارين

## تمهيد

لقد أثار زواج سيدنا رسول الله (ﷺ) جدلاً كبيراً بين جماهير المستشرقين فى القديم والحديث لدرجة تجعلنا - نحن المسلمين - نقول :

إنه لم يُفتر على نبي الإسلام فى شىء مثلما افترى عليه فى تعدد أزواجه (ﷺ) ، فلا نكاد نقرأ لواحد منهم أعماله المتعلقة بسيرته (ﷺ) إلا وجدناه يتعرض - بل ويقف طويلاً - أمام زواجه المتكرر . فجعل المستشرقون من زواجه (ﷺ) قضية وأحاطوها بهالة من الادعاءات الكاذبة التى لا تقوم على سوق ولا ترتكز على أدلة، وأخذ كل منهم يفسر زواجه من أزواجه تفسيراً يوافق هوى فى نفسه ، فمنهم من جعله بدافع من الشهوة الغريزية ومنهم من جعله لأغراض اقتصادية ، أو وجهة اجتماعية ، ومنهم من جعله لمآرب سياسية . وفريقٌ آخر جعله نتيجة حتمية لقصة حب رومانسية ، لكن سرعان ما استبان للجميع أنها خطة مدروسة ، الغرض منها تشويه صورة نبي الإسلام (ﷺ) ، وهذا دأبهم دوماً .

"فمنذ قديم الزمان وأعداء الإسلام يحاولون التشكيك فى نبي الإسلام ، والطعن فى رسالته والنيل من كرامته ، وحين يبحثون عن الأسباب فلا يجدون تعليلاً لهذا الجمع (بين أكثر من زوجة) سوى الشهوة الجنسية والثورة الغريزية دون البحث عن الأسباب الحقيقية للتعدد ، واتهموه بأنه يسير وراء شهواته فلم يكتف بزوجة واحدة أو أربع كما أوجب على أتباعه بل عدّد الزوجات حتى صرّن عشر نسوة أو يزيد" (1).

وكانهم يقولون : لو كان نبيا حقاً لشغلته النبوة عن حب النساء ، وكثيراً ما يؤكدون زعمهم هذا بقوله (ﷺ) : "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ - وَيَحْذِفُونَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ - وَهُوَ قَوْلُهُ : وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ" (2)

ولست أدرى !! لم هذه الضجة المفتعلة وهذه الزوبعة المصطنعة ، ولم هذا اللوم المتكرر منهم لرسول الله بسبب تعدد أزواجه!؟ .

إن سيدنا محمداً (ﷺ) لم يكن بدعاً من الرسل فى هذا ، فقد سبقه فى ذلك أنبياء كثيرين ، وعلى رأسهم أنبياء العهد القديم الذين يتبع شريعتهم هؤلاء المستشرقون .

(1) محمد على الصابونى : شبهات وأباطيل حول تعدد أزواج الرسول ، ط وقفية ، 1400هـ - 1980م ، ص 7.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس ، بسند حسنه الشيخ الأرنؤوط وزميله ، برقم : 14037 ، (21/433) ، وصححه الألبانى في صحيح الجامع الصغير ، ط3-1405 هـ المكتب الإسلامى - بيروت ، برقم (3124).

والكتاب المقدس الذى بين أيدينا الآن ملىء بحكايات عن أنبياء لهم أكثر من زوجة، وإليكم بعض ما جاء عن هؤلاء الأنبياء :

**أولاً- إبراهيم عليه السلام** : فقد تزوج بسارة التى يذكر العهد القديم أنها كانت أخته لأبيه كما جاء فى سفر التكوين على لسان إبراهيم **"وبالحقيقة أيضا هى أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة"**(1).

ثم اتخذ إبراهيم هاجرَ زوجة ثانية له كما فى سفر التكوين **"ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمرح فقالت لإبراهيم : اطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق"**(2).

ثم يحكى الكتاب المقدس أنه قد تزوج بثالثة اسمها قَطُورَة كما فى نفس السفر : **"عاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قَطُورَة"**(3).

هذا وتذكر مصادرنا التاريخية أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد تزوج بامرأة من العرب اسمها ، **"حَجُور بنت أرهير فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأميم، ولوطان ، ونافس"**(4).

إضافة إلى السرارى اللاتى ضمَّهن إليه كما جاء فى سفر التكوين **:"وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرْفهم عن إسحاق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حَيّ"**(5).

ويُفهم من كلمة السرارى أنهن كن ثلاثة فأكثر ؛ لأن أقل الجمع ثلاثة - على المشهور من أقوال العلماء (\*) - ؛ إذن **"فإبراهيم قد جمع بين سبع نساء على أقل تقدير وهن : سارة ، وهاجر ، وقَطُورَة ، وحجُور وثلاث سرارى"**(6).

**ثانياً- يعقوب عليه السلام**: كما يُلاحَظ باستقراء العهد القديم وجود نصوص تدل على تعدد أزواج سيدنا يعقوب عليه السلام ومنها ما جاء فى قصة مصارعتة للرب - على زعمهم طبعاً - : **"قام فى تلك الليلة وأخذ امرأته وجاريتيه وأولاده الأحد عشر"**(7).

(1) سفر التكوين : (إصحاح20/فقرة 12).  
(2) سفر التكوين : (إصحاح21/فقرة 9,10).  
(3) سفر التكوين : (إصحاح25/فقرة 1).  
(4) الإمام الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، (186/1)

- (5) سفر التكوين : (إصحاح 20/فقرة 13).  
(\*قال الإمام الخازن : وهذا هو قول الجمهور . انظر الخازن : لباب التأويل ، تحقيق : محمد علي شاهين ، ط1 دار الكتب العلمية - بيروت ، 1415هـ (350/1) ، وقال الشيخ رشيد رضا : وهذا هو المختار عند جمهور الأصول . انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ط الهيئة الصرية العامة للكتاب 1990م (4/11)
- (6) اللواء أحمد عبد الوهاب: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، ط1، مكتبة وهبة، 1409هـ، 1989م، ص 11 .  
(7) سفر التكوين (إصحاح 32/فقرة 22).

ومن هذا النص يُفهم أن يعقوب عليه السلام كان له زوجتان .

كما كان له جاريتان "اسم الأولى زلفة والثانية بلهة" (1)

**ثالثاً- موسى عليه السلام :** ونلاحظ أيضا تعدد أزواج موسى عليه السلام ، فقد تزوج ابنة كاهن مديان كما في سفر الخروج " فأعطى موسى صفورة ابنته " (2).

ثم تزوج امرأة كوشية كما في سفر الخروج : "وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية" (3).

**رابعاً - سليمان عليه السلام .** نقرأ في سفر الملوك أن سليمان عليه السلام "كانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري فأمات نساؤه قلبه" (4)

هذا بعض ما جاء في العهد القديم - على اختلاف أسفاره - بخصوص تعدد أزواج الأنبياء السابقين على سيدنا محمد (ﷺ) .

وما دمتنا قد أثبتنا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة - وذلك من خلال كتبهم هم - أن كثيراً من أنبياء العهد القديم ، وأنبياء بنى إسرائيل قد عدّوا الأزواج في الوقت الذي لا يزال يعيب فيه كثيرٌ من المستشرقين على النبي (ﷺ) تعدد أزواجه - فإن هذا يجرنا حتماً إلى احتمالين لا ثالث لهما :

**الأول:** إما أنهم لم يقرأوا ماجاء في كتبهم عن أنبيائهم، وهذا جهل فاضح في حق ناس يدعون العلم . إذ كيف يقحمون أنفسهم في تفسير تراثنا وقد عجزوا عن فهم تراثهم!؟

**والثاني :** وإما أنهم يعرفون ماجاء فيها لكنهم يُخفون ذلك ؛ حسداً من عند أنفسهم ، وحقداً على نبينا محمد (ﷺ)، وهذا يناقض أصول البحث العلمي المتجرد الذي يدعون أنهم أساتذته . وكلا الأمرين فاضح ومشين .

ثم إنه (ﷺ) قد بدأ يُعدد أزواجه في مرحلة بناء الدولة "وهي الفترة التي تواصلت فيها الحروب بين المسلمين والمشركين وفيها اختل النظام العددي بين الذكور والإناث في مجتمع المسلمين بالمدينة وأصبح من الواجب رعاية الأراامل واليتامى والذين فقدوا عائلهم" (5)

وأبدأ الآن فى عرض كلام كل من (مونتجرى وات) و (كارين أرمسترونج) فىما يتعلق بتعدد أزواجه (ﷺ) ، منها على أنى سأعرض لكلام كل على حدة مشفوعاً بالتحليل والتقویم ؛ وذلك لاختلافهما فى الرأى أحياناً .

- 
- (1) سفر التكوین (إصحاح : 35 / فقرات : 23 - 26)
  - (2) الخروج (إصحاح 2 / فقرة 20, 21)
  - (3) الخروج (إصحاح 1 / فقرة 1, 2)
  - (4) الملوك الأول (إصحاح 11 / فقرة 3, 4)
  - (5) عبد المتعال الجبرى : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين , ط مكتبة وهبة , دبت , ص 155.

## المطلب الأول :

زواج النبى (ﷺ) وأزواجه فى فكر  
مونتجرى وات:

لقد وجّه (وات) عدة اتهامات مباشرة وصريحة للنبي (ﷺ) ، أوضّحها على النحو التالي :

### 1- افتراءً ومغالطة:

يبدأ وات حملته على النبي (ﷺ) بهذا الاتهام فيقول صراحة :  
"ونعلم من الأخبار أن محمداً دافع عن الشغار, وهو أن يتبادل رجلان أو جماعتان من الرجال بدون مهر بناتهم أو أخواتهم من أجل الزواج"(1).

### التحليل والتقويم:

إن وات يحاول أن يوهم قارئه بأن له مُستنداً على ما يقول فيشير في هامش الكتاب إلى أن هذا الكلام موجود في كتاب النكاح من صحيح البخارى ، ومن عجب أننى لما رجعت إلى المصدر الذى أحال إليه وات لم أجد ما يشير إليه وات ولو من بعيد، بل على العكس وجدت ما ينفيه وينقضه تماماً ، فقد روى البخارى عن ابن عمر :  
"نهى النبي (ﷺ) عن الشغار, والشغار : أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق"(2) .

لقد حذف وات من الحديث كلمة (نهى) ووضع بدلاً منها ، كلمة (دافع) وهذا محض افتراء ومغالطة منه ؛ حيث نسب إلى النبي (ﷺ) قولاً لم يقله .

### 2- اتهامه للنبي (ﷺ) بإقامة علاقات نسائية غير مشروعة:

ويقفز وات قفزة أوسع نحو تبشيع صورة النبي فى أعين الآخرين فيتهمه بإقامة علاقات غير شرعية مع بعض النساء فيقول صراحة :

"ونعلم من بعض الوثائق أن محمداً بالإضافة إلى زيجاته الشرعية واتصالاته بالجوارى كانت له علاقة مع نساء أخريات ، وذلك حسب النظام الأمي القديم" (3).

ومن خلال هذا الكلام نجد أن وات قد وقع في ثلاثة أخطاء ، وهى :

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص433 .

(2) صحيح البخارى : كتاب النكاح ، باب الشغار ، رقم 5112 .

(3) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة (ص434).

### الخطأ الأول - قوله : ونعلم من بعض الوثائق

#### التحليل والتقويم:

إن وات حين يصم النبى (ﷺ) - زوراً - بهذه الوصمة النكراء ، لا يذكر لنا من أين جاء بهذا الكلام ، ولم يزد على أن قال : "من بعض الوثائق" فما هى هذه الوثائق يا ترى؟! ولم لم يذكر لنا وثيقة واحدة من هذه الوثائق؟ إنه التنصل والشك والهروب الذى هو سمة منهج وات حين يعجز عن توثيق كلامه وعزوه إلى مصدر بعينه .

وهو بقوله هذا يظن أنه قد أدى الأمانة العلمية المطوقة فى عنقه .. كلا . إن إلقاء التهم جزافا بلا دليل غير مسموح به فى مجال البحث العلمى . ولقد تجاهل أصول البحث العلمى ونسى ما ادعاه لنفسه ، حين قال : " ولقد حاولت المحافظة على الحياد فى المسائل اللاهوتية (الدينية) التى يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام" (1) . ألا ما أوسع البؤن بين كلام وات ، وبين ما يدعيه من الحيادية !!

### الخطأ الثانى : ادعائه بأن نبينا محمداً (ﷺ) كانت له علاقات نسائية محرمة:

#### تحليل وتقويم :

بداية أقول : إن وات - بمقتضى كلامه هذا - لا يمارى فى أنه كان لرسول الله زوجات شرعيات ، كما كان له نساء ملك ليمينه(\*) ، بنص القرآن : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ: الْأَحْزَاب : 50 . وهى تسمية أفضل من تسمية وات لهن بالجوارى ، لأن قوله : (اتصالاته بالجوارى) يوهم القارئ بأنه اتصال شهوانى بلا ضابط ولا رابط، بينما كن هؤلاء ملكا ليمينه . وملك اليمين فى الإسلام تعامل معاملة الزوجة فى مسألة المعاشرة .

لكن المفاجأة التي فاجأنا بها وات ، أنه ادّعى بأن النبي (ﷺ) كانت له علاقة غير شرعية مع نساء أخريات غير أزواجه وملك يمينه . إنه باختصار يصم النبي بالزنا . ويتكفل بالرد على وات مستشرق آخر من أبناء جلدته وأهل دينه فيقول :  
"وما كان محمد أبا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وأشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلا شهوانيا لا همّ له إلا قضاء مآربه ، كلا ، فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيّا كانت" (2) .  
ويقول آخر : " وكان تعدد الزوجات في نظر النبي أمرا عاديا مسلما به لا غبار عليه ؛ ولذلك كان يُقبل عليه وهو مرتاح الضمير ، لا يبغى به إشباع الشهوة الجنسية" (3)

(1) مونتجمري وات : محمد في مكة ص 40 .

(2) توماس كارليل : الأبطال ، ترجمة محمد السباعي ، ط مكتبة مصر ، دت ، ص 78 .

(3) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء 13/ص 23 .

ثم إن التاريخ لم يحك لنا أنه كانت للنبي (ﷺ) علاقات مع نساء أخريات ؛ إذ كيف يكون شهوانيا من ظل زوجا لسيدة ثيب كانت تكبره بدرجة ملحوظة ، وهي السيدة خديجة (رضى الله عنها) وقد عاش معها ربع قرن ولم يتزوج بأخرى في حياتها؟ وكيف يكون شهوانيا من كُنَّ أزواجه ثيباتٍ أو أراملٍ - إلا زوجة واحدة له وهي السيدة عائشة (رضى الله عنها) وهؤلاء - عادة - غير مرغوب في زواجهن في وقت كانت تشرب فيه أعناق الأبقار الحسان إلى أن يكنّ حليلاتٍ له .

### الخطأ الثالث - قوله : وذلك حسب النظام الأمي القديم

#### التحليل والتقويم

إن هذا القول من وات يوحى بأنه (ﷺ) كان يرضى مع الهمل من أهل الجاهلية الذين لم يكونوا يفرقون بين الحلال والحرام ولا بين الطيب والخبيث .. لا . إن النبي (ﷺ) وإن نشأ في بيئة وثنية تعجُّ بعبادة غير الله وهتك ستار الأخلاق ، إلا أنه لم يُؤثر عنه شيء من هذه الفعال الدنيئة أو تلك الخصال المشينة ؛ وذلك لأن الله تعالى قد أعدّه منذ نشأته إعداداً خاصا جعله يعاف هذه الأدواء الخبيثة والنزوات الخسيسة ، فلم يُؤذ أحداً ، ولم يشرب خمرا ، ولم تؤثر عنه كذبة واحدة ، وذلك بشهادة أعدائه الذين لقبوه بالصادق الأمين .

والنبي (ﷺ) "ما أثرت عنه قط شهوة عارضة أو نزوة خادشة ، أو حكيت عنه مغامرة لنيل جاه أو اصطياد ثروة .. . . . وليس شرف النفس أن تنتفى شهوة الإنسان إلى الحياة أو توجد الشهوة وتنتفى وسائل بلوغها . بل الشرف أن تكون قوة العفاف أربى من نوازع الهوى فإذا ظلت النفس في حالة سكون فلتعادل القوى السالبة والموجبة فيها .. . . . وقد كانت رجولة محمد في القمة بيد أن قواه الروحية وصفاءه النفسى جعلها هذه الرجولة تزداد بمحامد الأدب والاستقامة والقنوع" (1) .

وفى حديث بحيرا الراهب ، كما فى سيرة ابن إسحاق – وهى من مصادر وات – نجد فى آخره : "فشب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية" (2) .

وعن عليّ رضى الله عنه قال : قيل للنبي (ﷺ) هل عبت وثناً قط ؟ قال : لا ، قالوا : فهل شربت خمراً قط ؟ قال : لا وما زلت أعرف أن الذى هم عليه كفر ، وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الإيمان" (3) .

(1) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص 74 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (1/183) .

(3) علي بن حسام الدين المنقي الهندي : كنز العمال ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1409هـ ، 1989م ، (664/12) ، رقم (3895) .

"إن رسول الله (ﷺ) قد وُلد ونشأ فى بيئة إباحية فى النساء فكان المثل الأعلى فى العفة وتجنب كل الملاذ والشهوات إلى حدّ أنه هجر مجالسها التى تشتمل على اللهو والخلاعة حتى أصبح يُدعى الصادق الأمين . فهل يصدق العقل أنه حينما انقضى شبابه ودخل فى سن الشيخوخة تنقلب طبيعته ليصبح شهوانياً كلفا بالنساء وبخاصة بعد أن يُنصّب الله تعالى لإرشاد الناس ويُسُن لهم قواعد العفة والبعد عن الشهوات الضارة" (1) .

إن تاريخ رسول الله المشرف ، وصفحته الناصعة البيضاء قبل البعثة وبعدها تحيل أن يكون رجلاً شهوانياً فاسد الخلق ، وقد شهد بذلك الأعداء قبل الأحزاب ، فقد ذكرت قبل صفحتين شهادة بعض المستشرقين للنبي (ﷺ) بالعفة وعدم الشهوانية .

ثم إن وات يتهم النظام الأمى القديم بأنه كان خالياً من جميع الأخلاق الحسنة ، والشيم الرفيعة . والحق أن شيئاً من هذه الأخلاق كان موجوداً ، وأن المجتمع الجاهلى لم يكن خالياً منها ، ودليل ذلك قول النبي (ﷺ) : "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق – أو صالح الأخلاق" (2) .

فالتتميم لا يكون إلا على شيء موجود ، ويحتاج إلى تكميل ، ولقد كانت هناك جوانب مشرقة ، وصفحات مضيئة ؛ فلقد كان للجوار حقّه عند أهل الجاهلية ، وكان للوفاء بالعهد والذمة قدره ، وكانت الرُّسل إلى الملوك لا تُقتل ، وتلك كانت أعرافاً دولية لا يمكن لأحد نقضها إلا إذا توافرت فيه الخسة والنذالة .

- (1) عبدالمتمتع الجبرى ، محمد عبدالعظيم على : السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، سابق ، ص145.  
(2) مسند أحمد عن أبى هريرة ، برقم ( 8595 ) وقد سبق تخريجه .

### زواج النبى (ﷺ) بزینب بنت جحش فى فكر وات :

لقد أثار زواج النبى (ﷺ) بزینب بنت جحش رضى الله عنها حفيظة كثير من المستشرقين ، فاستخدموه لإظهار النبى (ﷺ) فى صورة رجل أسير لشهواته الجنسية ، وليس له هم إلا إروائها وإشباعها بالطرق المشروعة وغير المشروعة، وأن هذا الزواج كان نتيجة حتمية لقصة حب رومانسية , فصوروه "بصورة سفاح الأقارب – كما يسميه بعضهم – وأفاضوا على القصة ضروبا من الخيال تعكس تأثيرات محمد (ﷺ) عندما رأى زينب وكانت بيضاء جميلة وأطلقوا لأقلامهم العنان حتى صوروا رسول الله (ﷺ) بالرجل الشهوانى الذى يستحوذ على قلبه وكيانه جمال النساء ومظاهر الزينة ومتع الحياة"(1).

وقبل أن أعرض لما جاد به خيال وات وسال به قلمه ، أحب أن أعرض لكلام بعض من أخذ منهم وات أو على الأقل تأثر بكتاباتهم فيقول أحدهم :

"شعر محمد فى العقد الأخير من عمره بكبير ميل إلى النساء ..... فوجد محمد نفسه تجاه زينب بنت جحش التى كانت أجمل فتيات قومها والتى كانت زوجة لزيد، وكانت زينب آنذ سافرة وشبه عارية وعاملة على زينتها وإدارة بيتها فأثر هذا الجمال الغض الفياض فى نفس النبى فقال : سبحان مقلب القلوب ، ولم ينطق بغير هذه الكلمة وانصرف حالاً، فقصت زينب ما رأت على زوجها زيد فحار ، وكان زيد المخلص لمولاه النبى المنعم عليه يعلم مزاجه المتقد فرأى ألا يمسك عليه زوجه فأعرب عن عزمه على طلاق زينب "(2).

والعجيب أن هذا المستشرق مصنف ضمن المستشرقين المعتدلين وموضوع فى قائمة المنصفين لرسول الله (ﷺ) فكيف بالمعادين له ، المتحاملين عليه (ﷺ) !!

ويقول آخر : "ضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء وأطلق محمد العنان لهذا الحب حتى أنه رأى اتفاقاً زوجة ابنه بالتبني وهي عارية فوق في قلبه منها شيء فسرحها بعلمها ليتزوجها محمد" (3).

(1) د. زاهر عواض الألمعي : مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزَيْنَب بنت جحش ، ط4- 1403هـ- 1983م ، ص23.

(2) اميل درمنجم : حياة محمد ، ص262-264 بتصرف يسير.

(3) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط عيسى الحلبي، د. ت ، ص112.

وقال ثالث : "وذات يوم ذهب محمد إلى بيت زيد - ابنه بالتبني - في وقت كان زيد غائباً ورأى زوجته زينب والتي كانت من أجمل نساء قريش وكانت تضم إلى الجمال نعمة الحكمة والذكاء . كل هذه المفاتن كانت منذ زمن طويل قد تركت أثراً عميقاً في قلب محمد، ولكن في تلك اللحظة بدت له زينب رائعة الجمال وهي ترتدى ملابس خفيفة تكاد لا تخفى بياض جسمها وشكله بحيث خانه سرُّه وصاح قائلاً : سبحان مقلب القلوب" (1).

هذه أقوال بعض المستشرقين الذين تأثر بهم وات ؛ ومن ثم وجدناه يردد هذه النعمة الاستشراقية فيقول : "وقد ذهب محمد فيما بعد حوالي السنة الرابعة للهجرة إلى بيت زيد للتحدث إليه وكان زيد غائباً فشهد زينب وهي عارية فأحبها - كما يقولون - لِنَوِّه فمضى وهو يقول لنفسه [سبحان مقلب القلوب]. أخبرت زينب زيدا بزيارة محمد ورفضه الدخول وما قاله. فتوجه زيد رأساً إلى محمد وعرض عليه أن يطلق زينب فقال له محمد بأن يحفظ امرأته. ولكن الحياة أصبحت فيما بعد مع زينب لا تطاق فطلقها زيد . وبعد مرور العدة تم زواجها من محمد وقد نزل الوحي بتبرير هذا الزواج" (2).

ويؤكد وات هذا الكلام في كتاب آخر له فيقول :

"ولا شك أن السبب الأساسي لهذه القصة أنه رآها عارية" (3) يقصد زينب .

### التحليل والتقويم

في البداية أحب أن أقول : إن وات وأخوانه من المستشرقين قد أتوا بهذا الكلام - وبالأسف - من كتب التفسير، كتفسير ابن جرير الطبري، والجلالين، والزمخشري، والنسفي، والثعلبي، وغيرهم . وهؤلاء المفسرون - يرحمهم الله - تناقلوا هذه الروايات الموضوعية عن الإخباريين والقصاصين ممن أولعوا بذكر كل ما هو غريب في التفسير، غثا كان أم سمينا، جيداً أم رديئاً، صحيحاً أم ضعيفاً، دون تمحيص لأسانيدھا فكان بعضهم في ذلك كحاطب ليل .

"وقد نسج المستشرقون والمبشرون أعداء الدين من تلك الروايات المختلفة الواهية ثوبا من الكذب والخيال وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبي (ﷺ) الطاهر كما يصور الشباب الطائش إحدى غادات المسرح ، وطعنوا في غير مطعن . فالروايات ليس لها أساس من الصحة فبناؤهم على غير أساس" (4).

(1) عبدالمعال الجبرى ، محمد عبدالعظيم على ؛ رداً على المستشرق الفرنسى (سفارى): السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، سابق ، ص 144 .

(2) مونتجمرى وات :محمد فى المدينة ص503،502.

(3) مونتجمرى وات : محمد نبيا ورجل دولة , نقلاً عن : نبوة محمد لخضر شايب ، ص 425.

(4) د.محمد أبو شهية : دفاع عن السنة ، ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، سلسلة البحوث الإسلامية - الكتاب الثالث ، ط مجمع البحوث الإسلامية 1410 هـ ، 1990 م ، ص 325 ، 326.

"ثم إن زينب ما كان جمالها خفياً على محمد (ﷺ) قبل أن يزوجها مولاه زيداً لأنها ابنة عمته يراها منذ طفولتها وتراه ، فدعوى أنها فاجأته برائع جمالها أسطورة مخرفين" (1) .

وقد تبنى الرد على وات وإخوانه ، الدكتور محمد حسين هيكل - يرحمه الله - فقال: "أما زينب بنت جحش، وما أضفى بعض الرواة وأضفى المستشرقون والمبشرون عليها من أستار الخيال حتى جعلوها قصة غرام وولّه ، فالتاريخ الصحيح يحكم بأنها من مفاخر محمد ، وأنه هو المثل الكامل للإيمان . قد طبق فيها حديثه الذى معناه "لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (2) ..... ويمضى فيقول : ويكفى لهدم كل القصة من أساسها أن زينب بنت جحش هذه هي ابنة أميمة بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله ، وأنها رُبيّت بعينه وعنايته ، وأنها كانت لذلك منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى ، وأنه كان يعرفها ويعرف أهى ذات مفاتن أم ليس كذلك قبل أن تتزوج زيداً ، وأنه شهدا فى نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا وإلى الشباب ، وأنه هو الذى خطبها لزيد مولاه . إذا عرفت ذلك تداعت أمام نظرك كل تلك الخيالات والأقاصيص" (3).

ويُبتل هذا الزعم أن النبي لمّا تزوجها ، لم تكن ذات منزلة خاصة فى المكانة والقدر ، ولم يمنحها قدراً زائداً من الحب ، بل كانت كبقية أزواجه .

**وبالجملة :** فقد لاحظت أن وات قد اعتمد على بعض الروايات التى وردت فى بعض كتب التفسير القديمة التى من شأنها الحشو وإيراد كل الروايات المتعلقة بالآية التى تتعرض لتفسيرها دون نقد لهذه الروايات أو تمحيص لأسانيدها . إلا أن وات قد افتترى على رسول الله (ﷺ) فى هذا وأعظم الفرية ، فما كان أجدراً أن يقارن بين هذه الروايات وبين ما جاء فى القرآن والسنة عن أخلاق سيدنا محمد (ﷺ) ، وهذا - من المفترض - شئ يسير عليه كباحث علمى فى هذا الميدان ، لكن

القارئ رأى أن وات قد اعتمد على الكتب التي تخدمه لتحقيق هدفه فنقل مثلاً عن ابن جرير الطبري ، ولم ينقل كلام ابن كثير في هذه الآية .

(1) مقال للعقاد في مجلة الأزهر، س7 ص676، نقلا عن كتاب : السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ص145 .

(2) لفظ الحديث: لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ : رواه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك ، رقم(13) .

(3) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ط14- دار المعارف ، د.ت ، ص333.

وابن كثير معروف بنقده لكثير من هذه الروايات الملفقة المكذوبة فيقول : " ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير هاهنا أثاراً عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها " (1).

إن وات حين اعتمد الروايات الشائعة وترك آراء المحققين من المفسرين ؛ فلأنها توافق هوى فى نفسه ، وتساعده على نشر رأيه الذى تبناه مسبقا وهو القول بشهوانيته (ﷺ) ، فتعمد الإساءة لرسول الله (ﷺ) ، وخطط لها ودبر ، وكتم الحق ، وخان أمانة البحث العلمى .

### تضليل وات ، وتلاعبه بالحق

وإن تعجب فعجب أمر وات ، حين تراه يتلاعب بالحق بعقل القارئ فيقول : " لنا الحق إذن فى القول بأن محمداً فى قصة زينب بنت جحش لم يذهب ضحية حب عنيف" (2) .

ويقول: "وبالرغم من هذه القصص العاطفية ، من البعيد أن يكون محمد قد أسر بمفاتن زينب الجسدية" (3) .

ويقول أيضاً : " لم يكن إذن فى حياة محمد الجنسية على العموم ما يحمل معاصريه على الحكم بأنه لا يتفق مع نبوته ، ويمضى.... ، فإنه من الأكيد أنه كان يسيطر على عواطفه الجنسية أمام الجنس اللطيف" (4).

### التحليل والتقويم

إن هذا التلاعب العجيب من وات يجعلنى أ طرح سؤالاً :

لماذا لجأ وات فجأة إلى محاولة إظهار أنه يرفض وصف النبى (ﷺ) بالشهوانية رغم أنه غير صادق فى نفيه هذا ، وغير جاد فيه؟؟

ربما يكون ذلك محاولة منه لم تكتمل لإرضاء ضميره العلمى أو الظهور بمظهر الباحث الموضوعى الذى لم يؤثر فيه اتهام أعداء محمد (ﷺ) له بالشهوانية ، لكن هذه المحاولة منه قد انهارت فى النهاية إذا تذكرنا ما قاله منذ قليل مُخالفاً كل المخالفة لما يقوله الآن . من هنا أجد لزاماً على ألا أعتزَّ بعبارات وات القليلة التى ينفى فيها الشهوانية عن رسول الله (ﷺ) ، وأن أتعامل مع مجموع كلامه فى هذه القضية .

(1)ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (424/6، 425)

(2)مونتجمرى وات : محمد فى المدينة , ص504

(3)السابق , ص505

(4)السابق , ص506

### الأهداف العامة من زواج النبى(صلى الله عليه وسلم) عند وات

هل كان زواج النبى (صلى الله عليه وسلم) لأغراض سياسية؟؟

بداية أقول : إن معظم المستشرقين الذين كتبوا فى السيرة النبوية قد فسروا وقائعها تفسيراً مادياً ، وعلى رأس هؤلاء - مونتجمرى وات - الذى فسر زواج النبى (ﷺ) من أمهات المؤمنين الطاهرات تفسيراً مادياً مستخدماً العامل السياسى باعتباره أساساً لهذا الزواج المتكرر ، لدرجة جعلته يقول ذلك صراحة فى أكثر من موضع فيقول :

"ليس من المبالغة القول بأن جميع زيجات محمد كان لها هدف سياسى"(1)

ويقول أيضا:

"وأخر ما يلاحظ على زيجات النبى أنه كان يستخدمها كما كان يستخدم زيجات أصحابه الخالص لأغراض سياسية ، وكان ذلك استمراراً لعادة عربية قديمة , فقد سعت جميع زيجات محمد لتسهيل بعض العلاقات السياسية"(2).

على أن الناظر إلى دوافع (أو أغراض) زواج النبى (ﷺ) من أى من أزواجه الطاهرات يجد أنها لم تخرج عن كونها أغراضاً شرعية ، أو دعوية , أو إنسانية على النحو الذى سأفصله الآن :

1- فمثال زواجه (ﷺ) لغرض شرعي : زواجه من السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها) وذلك لإبطال عادة التبني , ولجواز نكاح زوجة الابن الدَّعِيّ (المُتَبَنَّى).

2- ومثال زواجه (ﷺ) لغرض دعوى : زواجه بالسيدة جويرية بنت الحارث رضى الله عنها , وهى ابنة سيد بنى المصطلق الذى كان ارتباطه بها سبباً لإسلام أهلها .

كما كان زواجه (ﷺ) من أمة خديجة رضى الله عنها لمساندته فى دعوته مادياً ومعنوياً ونفسياً .

3- ومثال زواجه (ﷺ) لغرض إنسانى : زواجه بأمة سلمة رضى الله عنها , والتي كانت من المُسنَّات وقد استشهد زوجها أبو سلمة فى غزوة أحد . وكذا زواجه من أم حبيبة التى ارتدَّ زوجها (عبيدالله بن جحش) وتتنصر فى الحبشة وتركها وحيدة.

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 504.

(2) المرجع السابق ، ص 438.

هذه هى الدوافع التى كانت وراء تعدد أزواج النبى (ﷺ) ، ومع هذا يصرّ وات على أن زواج النبى (ﷺ) كان لأغراض سياسية فقط ، ووات كعادته يصر على إظهار الجانب المادى فقط للنبى (ﷺ) محاولاً طمس الجانب العاطفى فيه .

**إننا - نحن المسلمين - قد نقبل كلام وات هذا بحذر شديد ، وبضابطين :**

**الأول -** عدم التعميم ؛ بمعنى أنه (ﷺ) لم يجعل الهدف السياسى أساساً لزواجه من أمهات المؤمنين رضى الله عنهم ، وإنما فعل ذلك مع بعض من يريد أن يتألف قلوبهم وقلوب أهلهم وعشائرهم إلى الإسلام .

**ثانياً -** أن يُراد بالأغراض (أو الأهداف) السياسية هنا ، الأهداف السياسية التى تعمل فى ضوء المصلحة العليا للجماعة المسلمة ؛ بأن تكون أهدافاً عامة لا أهدافاً شخصية يَفيد منها سيدنا محمد (ﷺ) وحده ، ويحتكر نتائجها لصالحه . وإن كنتُ أرى أن من الأوفق استبدالَ مصطلح (الأهداف الدعوية) بمصطلح (الأهداف السياسية) لأن من الواضح أن وات يقصد بكلامه أنه (ﷺ) ما تزوج مرّة إلا لهدف مادى فقط ، وهذا مالا نقبله مطلقاً ؛ لأنه إخراج للنبى (ﷺ) عن طبيعته الإنسانية ، وتفريغ له من غرائزه البشرية ، وإلغاءً للجانب العاطفى فيه ، وهذا تفسير يرفضه التاريخ ، وترفضه طبيعة أخلاق النبى (ﷺ) ذاتها، فقد أمره ربه بأن يقول : **" قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا " الإسراء : 93 " (2) .**

وقال (ﷺ) : **" حُبِّبْ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءَ وَالطِّيبُ وَجَعِلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " (3)**

وباستعراضنا لأسباب زواج النبي (ﷺ) من زوجاته يتأكد لنا أن زواجه (ﷺ) من كل أزواجه كان لحكم عالية ومقاصد سامية بعيدة كل البعد عن الناحية المادية البحتة . وسأناقش وات في كلامه حول هذه المسألة في الصفحات القادمة .

(1) سورة الإسراء : آية رقم (93).

(2) رواه أحمد عن أنس ، ( 305 / 19 ) رقم : 12292 .

### التفسير المادى لزواج النبي (ﷺ) فى فكر وات:

إن وات يفسر زواج النبي من أزواجه الطاهرات تفسيرًا يخالف تفسير علماء الإسلام , وقد سبق أن صرّح بأن زواجه (ﷺ) كان لأهداف سياسية بصفة عامة وهو الآن يخصّصُ بعد تعميم , ويفصّل بعد إجمال , فنجد هنا يعزو كل زواج للنبي (ﷺ) إلى سبب سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى , على النحو التالى :

#### 1- زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) بخديجة رضى الله عنها:

يقول عن سبب زواجه منها أنها "حملت إليه ثروتها ونفوذها اللذين فتحا أمام محمد أبواب السياسة المكية" (1).

ويقول : " كان محمد قد وضع قدمه على أول درجة على الأقل من درجات النجاح الدنيوى" (2).

وكما نلاحظ : فقد جعل وات زواج النبي (ﷺ) من خديجة مغنمًا سياسيًا واقتصاديًا له ؛ بغية الحصول على أسباب السعادة الدنيوية من الغنى والجاه والزعامة .

إن الواقع ، والمنطق ، ووقائع التاريخ تخالف وات فى دعواه هذه ؛ فقد تزوج الرسول (ﷺ) وهو فى الخامسة والعشرين من عمره بينما كانت تكبره بدرجة ملحوظة وعاش معها ربع قرن ولم يفكر فى الزواج بغيرها أثناء حياتها , بل ظل وفيًا لها حتى بعد وفاتها لدرجة أن بعض أزواجه كُنَّ يعرّزن منها كما تقول أم المؤمنين عائشة رضى اله عنها :

" مَا عَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا دَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ" (3) .

أفلو كان النبي يطمع في مالها أكان يخلص لها بعد أن ماتت ؟ ثم إنها لم تكن فارهة الجمال , وعلى فرض أنها كانت جميلة فهناك "غيرها من الأبنكار الشاباا من يفقنها جمالا , وللابكار ما لهن من جاذبية وروعة , ومن قضاى بغير ذلك فقد خالف سنة الله فى الفطرة واتبع شواذ العادات"(4) .

(1)مونتجرى واا : محمد فى المآينة ، ص438.

(2)مونتجرى واا : محمد فى مكة ، ص100.

(3)صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، باب تزويج النبي (ﷺ) خديجة وفضلها رضى الله عنها ، رقم (3534)

(4)د.محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعاا فى كآب التفسير، ص 327، وانظر كذلك : المسآشار سالم

البهنساوى : المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية ، ط1 دار الوفاء ، ص224.

### عمر السيدة خديجة عندما تزوجها الرسول (صلى الله عليه وسلم)

يرى واا أن عمر السيدة خديجة حين تزوجها الرسول (ﷺ) لم يكن أربعين سنة كما هو مشهور فى كآب السير، وعند كثير من أهل العلم فىقول :

"وربما كان عمر خديجة مبالغا فيه ، فقد ذكراا المصادر أسماء سبعة ولدآهم لمحمد (ﷺ) وهم: القاسم ورقية وزينب وأم كلآوم وفاطمة وعبدالله (الطيب) والظاهر، وحاى لو كان السبعة قد وُلدوا فى سنوات متآالية كما يذكر أحد رواة ابن سعد فإن هذا يعنى أن عمرها كان قد بلغ الآمنة والأربعين قبل أن آلد الابن الأآير، وهذا أمر مسآحيل بأية حاا ، ويُعآبر أمرًا غير عادى بالدرجة الآى آجعله يسآق التعليق ، بل إنه من الأمور الآى يمكن اعآبارها معآزة"(1).

### الآليل والآقويم:

وعمر السيدة خديجة (رضى الله عنها) أمر آعددا فى الروايات وأقوال العلماء فى بعض كآب الآراآ الإسلامى ، وباسآعراضنا لهذه الروايات نقف على رأيين :

**الأول** - رواه ابن سعد عن الواقدى ، وهو الرأى المشهور بأنها كانت فى الأربعين من عمرها وقت أن تزوجها رسول الله (ﷺ) .

**الآانى** - رواه الحاكم فى المسآدرك بسنده عن ابن إسحاق بأن عمرها كان آمانية وعشرين عاما .

وبآآقيق هذه الروايات نجد أن الرواية الأولى الآى رواها ابن سعد عن الواقدى من أنه (ﷺ) تزوجها وهو ابن آمس وعشرين ، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة"(2) ،

نجدها رواية يعوزها الإسناد الصحيح ؛ لأن ابن سعد روى هذا عن الواقدي والواقدي - كما هو مشهور - مجروح عند علماء هذا الفن ، فقد نقل الذهبي عن البخاري قوله : " ما عندي للواقدي حرف وما عرفت من حديثه ، فلا أقنع به " (3).

- 
- (1) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص 99 ، 100.
  - (2) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، سابق ، (132/1) .
  - (3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، سابق ، (463/9) .

ونقل عن أبي داود قوله عنه : " لا أكتب حديثه ، ما أشك أنه كان ينقل الحديث ، لا ينظر للواقدي في كتاب إلا تبين أمره فيه " (1).

كما نقل عن النسائي قوله : " المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة ، ذكر منهم الواقدي " (2).

ونقل الخطيب البغدادي عن بندار بن بشار قوله فيه " ما رأيت أكذب شفتين من الواقدي " (3).

وقال النسائي: " محمد بن عمر - يعنى الواقدي - متروك الحديث " (4).

هذه هي أقوال بعض علماء الجرح والتعديل في الواقدي الذي جاءت هذه الروايات من طريقه ؛ وبالتالي فلا يصح - على هذا - أن عمر خديجة يوم أن تزوجها الرسول (ﷺ) كان أربعين سنة ، كما هو مشهور .

وأما ما جاء عن ابن إسحاق والحاكم فهو أقرب إلى العقل والحس والمشاهدة ، وأنسب لطبيعة المرأة ، وإن لم نستطع الجزم بذلك ؛ فلم يرد في صريح القرآن ولا في صحيح السنة ما يحدد عمر السيدة خديجة لما تزوجها رسول الله (ﷺ) . فالأمر لا يزال ظنيًا ولا يستطيع أحد القطع فيه برأى .

فقد روى الحاكم في المستدرک بسنده عن ابن إسحاق أن خديجة " كان لها يوم تزوجها الرسول (ﷺ) ثمان وعشرون سنة " (5) .

ثم يعلق الحاكم على من يقول بأنه كان لها خمس وستون سنة يوم ماتت فيقول :

" هذا قول شاذ ، فإن الذي عندي أنها لم تبلغ ستين سنة " (6).

- (1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، سابق (463/9) .
- (2) المرجع السابق : نفس الصفحة.
- (3) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد(22/4) ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت ، دبت ، (22/4) .
- (4) أحمد بن على بن شعيب النسائي : الضعفاء والمتروكين ، تحقيق محمود ابراهيم زايد ، ط1دار المعرفة بيروت - لبنان 1406 هـ - 1986 م (233/1).
- (5) الإمام الحاكم : المستدرک ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط1دار الكتب العلمية - بيروت 1411هـ - 1990م (200/3).
- (6) السابق : (2001/3) .

**وقال ابن كثير:** "نقل البيهقي عن الحاكم : كان عمرُ رسول الله (ﷺ) حين تزوج خديجة خمسًا وعشرين سنة ، وكان عمرُها إذ ذاك خمسًا وثلاثين ، وقيل خمسًا وعشرين سنة"(1).

وهذا الرأي كما أنه موافق لرأى كبار المحدثين والمحققين من أهل العلم ، فهو موافق كذلك للواقع والمألوف ؛ لأن خديجة رضى الله عنها "قد أنجبت من رسول الله ذكرين وأربع إناث مما يُرَجِّح رواية ابن إسحاق ومن تبعه ؛ فالغالب أن المرأة تبلغ سن اليأس من الإنجاب قبل الخمسين"(2).

وعلى فرض أن يبقى سن الولادة إلى الخمسين فمن المستبعد أن يبقى إلى سن الخامسة والخمسين . فقد نقل السهيلي في الروض الأنف عن الزبير بن العوام بن خويلد قوله : "ولدت خديجة رضى الله عنها له القاسم وعبدالله وهو الطيب الطاهر ، وسمى الطاهر لأنه ولد بعد النبوة ، وسن النبوة كان في الأربعين للرسول (ﷺ) ، فتكون خديجة - على قول من يقول بأنها كانت في الأربعين حين تزوجت بالرسول (ﷺ) - قد أربت على الخامسة والخمسين يوم أن أنجبت عبدالله (الطاهر).....؛ ولذلك فأنا أميل إلى القول بأن أم المؤمنين خديجة قد تزوجت رسول الله (ﷺ) ولم تكن تكبره إلا ببضع سنوات ، ولم تكن في سن الأربعين ، كما ذهب معظم الرواة، ولا عبرة بما يقال من أن نساء قريش يلدن بعد الستين ويحتفظن بجمالهن ونضارتهن إلى المائة"(3) .

لأن هناك من قال بأن نساء قريش لهن وضعٌ خاص فيما يتعلق بمسألة الحمل والولادة ، فقد نقل الخطيب البغدادي عن الزبير بن بكار قوله :

"هند بنت أبى عبيدة بن عبدالله بن زمعة حملت بموسى بن عبدالله بن حسن بن حسن بعد ستين سنة ، قال الزبير : وسمعت علماءنا يقولون : لا تحمل امرأة بعد ستين إلا من قريش ، ولا بعد خمسين إلا عربية"(4).

والحق أن هذا كلام لا دليل عليه ؛ لأنه ينافى طبيعة المرأة وهذا أمر – إن حدث – فلا يحدث إلا نادراً . والندرة قد تقع مرة أو مرتين ، أما أن تكون هذه الندرة في ست أولاد لها فهذا شئ مستبعد . ولئن قال قائل : إن حملها لم يكن على عادة النساء وكان معجزة من الله لزوجته نبيه لكان الجواب :

- (1) ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط دار المعرفة بيروت – لبنان ، 1396 هـ - 1971م ، (265/1) .
- (2) أكرم ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ص113، وانظر : محمد بن عبدالله العوشن : ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، ط دار طيبة ، ص18، 19.
- (3) إبراهيم محمد الجمل : زوجات النبي محمد وأسرار الحكمة في تعددهن ، ط2، مكتبة وهبة ، ص25.
- (4) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، (13/15) .

إن الله تعالى لم يخبرنا بأن خديجة رضى الله عنها كانت حالة متفردة عن بقية النساء ، أو أن حملها كان شيئاً عجيباً ، وإلا لأشار إلى ذلك القرآن كما أشار إلى حمل زوجة إبراهيم العجوز ، و زوجة زكريا العاقر (عليهم جميعا السلام) ، أو لأخبرنا بذلك رسول الله (ﷺ) في سنته .

وثمة أمرٌ آخرٌ يعطينا دلالة على أن إنجاب السيدة خديجة كان أمراً طبيعياً وهو : أن أهل مكة لم يعجبوا لإنجابها ستاً من الأولاد ، ولم يتناولوا هذا الحديث فيما بينهم ، لقد طوى كآن لم يحدث مما يرجح طبيعته .

يقول الدكتور أحمد شلبي :

" ثم إنها لو كان عمرها عند الزواج أربعين سنة ، لما كان يُنتظر أن تخطب لنفسها شابا عمره خمسة وعشرون عاما ؛ لأنه في هذه الحالة في عمر أولادها ، فما كان شرفها يسمح لها بذلك"(1).

وأعذر عن إطالتي في هذه المسألة وإن لم يترتب عليها حكم ، إلا أنني أردت تحقيقها ومعرفة الأقرب إلى الصواب فيها ؛ لشيوع ذلك فيما بين كُتّاب السيرة والقصاصين في القديم والحديث ، بل وبين كثير من الدعاة إلى الله تعالى .

على أنني لم أقطع بصحة هذا الرأي .

" والمسألة في أساسها لا تقتضى هذا التعقيد ، فإن خديجة رضى الله عنها قد تكون أقل من الأربعين لدى زواجها ، وقد تكون فعلا في الأربعين ؛ لأن الإنجاب حتى الخمسين ليس مستحيلا"(2) .

- (1) انظر هامش كتاب : محمد فى مكة لمونتجرى وات , ص 100 .  
(2) د. عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية ، بحث فى كتاب / مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية والعربية ، سابق (1 / 149) .

## 2- زواجه (ﷺ) بسودة بنت زمعة (\*) رضى الله عنها :

كما يفسر وات زواج النبى من السيدة سودة قائلاً :  
"أما سودة التى تزوجها النبى فى مكة ، فقد كان هذا الزواج وسيلة لتأمين معيشة أرملة مسلم مخلص ، كما كان زوج سودة أخ رجل أراد محمد منعه بذلك من أن يصبح معارضا قويا" (1) .

إن وات لم ينس أن ينفث سُمَّه فى العسل ، فقد أراد أن يُرضى عواطفنا – نحن المسلمين – فى البداية ؛ ذراً للرماد فى العيون ، ثم ما لبث أن عزا هذا الزواج إلى مصلحة سياسية ، وهى محاولة اجتذاب محمد (ﷺ) للجبهة المعارضة له .  
وعلى أية حال فإن سودة بنت زمعة كانت "أرملة للسكران بن عمرو بن عبد شمس ولم يزوَ راوٍ أن سودة كانت من الجمال أو الثروة أو المكانة بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثراً فى زواجه منها . إنما كانت سودة زوجاً لرجل من السابقين إلى الإسلام الذين احتملوا فى سبيله الأذى والذين هاجروا إلى الحبشة بعد أن أمرهم النبى بالهجرة وراء البحر، وقد أسلمت سودة وهاجرت معه ، وعانت من المشاق ما عانى ، ولقيت من الأذى ما لقيت زوجها . فإذا تزوجها محمد بعد ذلك ليعولها وليرتفع بمكانتها إلى أمومة المؤمنين ، فذلك أمر يستحق من أجله أسمى التقدير وأجل الحمد" (2) .

إن التاريخ لم يرو لنا أنه كانت ثمة محالفات أو حتى مخالافات بين النبى (ﷺ) وسهيل بن عمرو أخى السكران بن عمرو كما يدعى وات .

## 3- زواج النبى (ﷺ) بزَيْنَب بنت خزيمة (\*\*\*) رضى الله عنها:

يقول وات عن هذا الزواج : " وكان زواج زينب من قبيلة المطلب التى كان محمد مسؤولاً عنها ، كما كانت علاقاته طيبة بقبيلة زينب (عامر بن صعصعة) " (3) .

ويفهم من كلام وات السابق أن النبي (ﷺ) كان يريد توطيد العلاقة بقبيلة زينب وهى عامر بن صعصعة ، بينما كان السبب الرئيس لهذا الزواج :  
"أنه مات زوجها عبد الله بن جحش شهيدا فى أحد , ولم يكن بين المسمين الأوائل فى صحبته من تقدم لخطبتها فتكفل بها النبي (ﷺ) إذ لاكفيل لها من قومها"(4).  
هذه هى قمة الإنسانية التى بلغ النبى (ﷺ) أعلاها ، وتلكم هى الرحمة التى بلغ أقصاها ، فالداعى لهذا الزواج كان إنسانيا بحتا .

- (\*)سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية. أمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية من بني عدي بن النجار ، وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة . ابن حجر:الإصابة فى تمييز الصحابة (12/4).  
(1)مونتجرى وات : محمد فى المدينة , ص438، 439.  
(2) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص330.  
(\*\*)زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية أم المؤمنين زوج النبي (ﷺ) وكانت يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم .ابن حجر : الإصابة(3/496)  
(3)مونتجرى وات : محمد فى المدينة , ص 439.  
(4) عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه , ط المكتبة العصرية , دت , ص193.

#### 4- زواجه (ﷺ) بميمونة بنت الحارث الهلالية(\*) رضى الله عنها:

إن وات يفسر هذا الزواج أيضا على أنه " محاولة من محمد لاستمالة العباس إلى قضيته وتوطيد ولائه له . وكانت ميمونة أخت زوج العباس...وكان محمد يعمل بزواجه من ميمونة على إقامة علاقة متينة مع العباس"(1).  
إن ميمونة بنت الحارث "هى آخر امرأة تزوجها النبي (ﷺ) فى أواخر السنة السابعة للهجرة إبان عمرة القضاء بإشارة من العباس عم النبي(ﷺ) ؛ لأنه كان يلى أمرها , وقد تزوج النبي بها فكان زواجه خيرا وبركة ؛ إذ تقرب إلى الهلاليين فأكبروا فى رسول الله هذه المروءة , ونصروه وساروا من حيث سار"(2).  
لقد أراد الرسول (ﷺ) من وراء هذا الزواج تأليف قلب العباس وقلوب الهلاليين جميعهم إلى الإسلام , وقد نجح بالفعل فى هذا , واجتذب قلوبهم إلى الإسلام اجتذابا .  
وهذ بعيد كل البعد عن أى هدف سياسى .

#### 5- زواجه (ﷺ) بصفية(\*\*) وريحانة(\*\*\*) رضى الله عنهما :

يقول وات : "وربما كانت هناك أسباب سياسية لزواجه من اليهوديتين صفية وريحانة"(3) .

أما صفية بنت حبي بن أخطب فقد "كانت إسرائيلية أسرت بعد قتل زوجها فى خيبر فتزوجها رسول الله بعد أن أعطى لها حرية الاختيار بين أن يردها إلى أهلها , أو يعنفها ويتزوجها فاختارت البقاء عنده على العودة إلى ذويها"(4).  
وأما بخصوص زواج النبي (ﷺ) بريحانة ، فترد ريحانة نفسها على وات وتقول :  
"لما سببت بنو قريظة عرض السبي على رسول الله فكنت فى عرض عليه فأمر بي فعزلت ، وكان يكون له صفي من كل غنيمة ، فلما عزلت حار الله لي فأرسل

بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياماً حتى قتل الأسرى وفرق السبي، ثم دخل عليّ رسول الله فتحييت منه حياءً فدعاني فأجلسني بين يديه فقال: إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه. فقلت: إني أختار الله ورسوله ، فلما أسلمت أعتقني رسول الله وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية" (5) فهي التي اختارته ولم يُفرض عليها.

(\*) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت أم الفضل لبابة تقدم نسبها مع أختها في حرف اللام وميمونة في أم المؤمنين كان اسمها برة فسمها النبي (ﷺ) ميمونة . ابن حجر : الإصابة (126/8).

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة : ص90.

(2) د. زاهر عوض الألمعي : مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزینب بنت جحش ، سابق ، ص96.

(\*\*) صفية بنت حيي بن أخطب بن سعدة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب من بني النضير أسرت يوم خيبر فصارت صفية مع السبي فأخذها دحية ثم استعدها النبي (ﷺ) فأعتقها وتزوجها . ابن حجر : الإصابة (739/7).

(\*\*\*) ريحانة بنت شمعون بن زيد من بني النضير ، سبها النبي (ﷺ) فأبى إلا اليهودية فوجد رسول الله (ﷺ) في نفسه فأسلمت وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها . ابن حجر : الإصابة (658/7).

(3) مونتجمري وات : محمد في المدينة : ص439.

(4) محمد رشيد رضا : نداء للجنس اللطيف ، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1404هـ - 1984م ، ص 105 ، 106 ، وانظر كذلك : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ، ص193 (سابق) ، بتصرف يسير دون مساس بالألفاظ .

(5) ابن سعد : الطبقات الكبرى (131، 130/8) .

## 6- زواجه (ﷺ) بعائشة (\*) وحفصة (\*\*\*) رضي الله عنهما:

وعن زواج النبي (ﷺ) بعائشة وحفصة رضي الله عنهما يقول وات :  
"وكانت زوجته الأولىان في المدينة وهما عائشة وحفصة ، ابنتي رجلين يعتمد عليهما محمد كل الاعتماد وهما أبو بكر وعمر" (1).

لقد أراد النبي (ﷺ) أن يوطد العلاقة ، ويؤكد المحبة بينه وبين صاحبيه بزواجه من ابنتيهما دونما نظر إلى شهوة أو التفات إلى مآربٍ سياسي فأراد (ﷺ) أن يقوّي الارتباط بالرجال الذين أزروه في دعوته وعاونوه في رسالته ، فاختر عائشة بنت أبي بكر - على صغر سنّها - واختار حفصة بنت عمر على قلة وسامتها" (2)  
وثمة أمرٌ آخرٌ وهو : أن زواج النبي بحفصة كان بالإضافة إلى مكافأة عمر، جبراً لخاطره وخاطر ابنته ، فينضوي تحت زواجه (ﷺ) لهدف إنساني "فقد مات زوجها فعرضها أبوها على أبي بكر فسكت ، وعرضها على عثمان فسكت ، وبث عمر أسفه للنبي (ﷺ) فلم يشأ أن يرضنّ على صديقه وحامى دعوته بالمصاهرة التي شرف بها (النبي) أبا بكر قبله ، وقال له : تتزوج حفصة من هو خيرٌ لها من أبي بكر وعثمان" (3).

أما زواجه (ﷺ) من عائشة فقد كان بالإضافة إلى ذلك ، أمراً من الله "فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أُنْكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَيَقُولُ هَذِهِ أَمْرَأَتُكَ فَاكْشِفْ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِهِ" (4).

وعلى ذلك فقد كان لهذا الزواج المبارك دافعان ، أولهما : هذه الرؤيا والتي هي فى حق الأنبياء وحى وأمر من الله تعالى ؛ بدليل قول النبى فى الرؤيا (إن يك هذا من عند الله) ، وثانيهما : تقوية نسيج المحبة بين النبى وأبى بكر عن طريق وشيجة النسب ، وليس فى أيّ من ذلك غرض دنيوى .

- (\*) عائشة بنت أبى بكر الصديق وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس ، تزوجها وهي بنت ست وقيل سبع، ودخل بها وهي بنت تسع . ابن حجر : الإصابة (16/8).
- (\*\*) حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين هي أم المؤمنين ، وأمها زينب بنت مضعون وكانت قبل أن يتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم عند خنيس بن حذافة ، ماتت سنة إحدى وأربعين . ابن حجر : الإصابة (582/7).
- (1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة : ص439.
- (2) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص424.
- (3) زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، 1385هـ ، 1965م ، ص333.
- (4) صحيح البخارى: كتاب التعبير ، باب ثياب الحرير فى المنام ، رقم 3895 .

## 7- زواجه (ﷺ) من أم سلمة (\*) رضى الله عنها:

يقول وات عن هذا الزواج : "ولم تكن أم سلمة مستحقة فقط ، بل كانت أيضا قريبة زعيم قبيلة مخزوم المكية" (1) .

ويُفهم من كلام وات هذا أن الهدف من هذا الزواج كان سياسياً بحتاً ، لا مكان فيه للعاطفة الإنسانية ، وهذا غير صحيح .

"فقد كانت أم سلمة - هند بنت أمية - أرملة عبدالله بن عبد الأسد شهيد أحد الذى هاجر معها إلى الحبشة ، ولما استشهد زوجها بقيت هي وأيتامها الأربعة بلا كفيل فلم ير النبى (ﷺ) عزاءً ولا كافل لها ولأولادها غير أن يتزوج بها" (2) .

إنه زواج يظهر فيه الجانب العاطفى الإنسانى ، ويتغلب على غيره من الجوانب المادية الرخيصة ؛ وقد كان هذا الزواج رحمة بأرملة فقدت زوجها ، لم يكن لها عائل غيره .

ومما يدل على أن النبى (ﷺ) لم يكن يرمى من وراء زواجه منها إلا تعويضها عما عانت منه فى الحبشة بعد موت زوجها ، هذا الحديث :

" قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَمَّا حَظَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ لَهُ: خِلالَ فِيَّ ثَلَاثَ، أَنَا كَبِيرَةُ السِّنِّ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُطَفَّلٌ (\*\*)، وَأَنَا امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا السِّنُّ فَأَنَا أَكْبَرُ مِنْكَ، وَأَمَّا الْأَطْفَالُ فَهُمْ إِلَيَّ اللهُ وَرَسُولِهِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ فَأَدْعُو اللهَ فَيُدْهِبُهَا عَنْكَ، فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (3).

إن دواعي الطمع في هذا الزواج يكاد يكون منعماً ، ودواعي العزوف عنه متوافرة بكثرة ؛ فهي امرأة مُسنَّة ، وذات أطفال كثيرين ، وشديدة الغيرة . وهذه الصفات في المرأة - بلا شك - غير مرغوب فيها ، فلا يبقى إلا أنه (ﷺ) كان يبغي بهذا الزواج وجه الله تعالى ، وإعفاف المسلمات .

(\*) أم سلمة ، من بنى مخزوم ، تزوجها رسول الله (ﷺ) في شوال سنة أربع وكانت تحت أبو سلمة ، فخلفه رسول الله (ﷺ) عليها ، فصارت أماً للمؤمنين وصار رسول الله (ﷺ) أباً لأولاده . ابن الأثير : أسد الغابة (301/3).

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 439.

(2) د. زاهر عوض الألعى : مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزینب بنت جحش ، ص 94 . (\*\* ذات أطفال .

(3) الطبرانی : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، ط2: مكتبة العلوم والحكم- الموصل ، 1404هـ- 1983م ، رقم (499) ، (247/23).

## 8- زواجه (ﷺ) بجويرية بنت الحارث (\*) رضى الله عنها :

يقول وات عن هذا الزواج : "وكانت جويرية ابنة شيخ قبيلة المصطلق التي كانت بينها وبين محمد مشاكل خاصة" (1).

وبمعرفة سبب زواج النبي (ﷺ) من السيدة جويرية يبطل ما ادعاه وات ، فقد سبها رسول الله (ﷺ) يوم المريسيع وهي غزوة بنى المصطلق ، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى ، فتزوجها رسول الله (ﷺ) وكان ذلك بناء على طلبها هي . وهذا الحديث يؤكد ما أقول :

فعن عائشة قالت : "لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمِّ لَهُ وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوَّةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَحَدَتْ بِنَفْسِهَا فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا قَالَتْ فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَّرْتُهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا جُوَيْرِيَةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمِّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي قَالَ فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ أَفْضِي كِتَابَتِكَ وَأَتَزَوَّجُكَ قَالَتْ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قَدْ فَعَلْتُ قَالَتْ وَخَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ

الْحَارِثِ فَقَالَ النَّاسُ أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ قَالَتْ  
فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَرْوِيحِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتِ مَنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ  
أَعْظَمَ بَرَكَهَ عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا" (2).

فلو كان النبي (ﷺ) يريد بهذا الزواج إنهاء المشاكل التي كانت بينه وبين صاحب  
القبيلة - كما يدعى وات - لطلب الزواج من ابنتهم قبل نشوب معركة بينهم ، لكنه  
(ﷺ) فعل ذلك وهو في موقف القوة بعد أن انتصر عليهم ، ثم إنه (ﷺ) لم يكن قد  
رأى جويرية قبل ذلك اليوم ، ولماذا يخطط النبي (ﷺ) لحلّ مشاكل مع ناس قد  
انتصر عليهم بالفعل !!  
إن شبهة وات تنهاوى وتسقط أمام هذه الأدلة وتلك الشواهد .

(\*) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جذيمة وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن  
عمرو الخزاعية المصطلقية لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق غزوة المريسيع في سنة خمس أو  
ست وسباهم وقعت جويرية وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلق في سهم ثابت بن قيس ، كان اسمها برة  
فسماها النبي (ﷺ) جويرية ، قيل ماتت سنة خمسين من الهجرة ، وقيل عاشت خمسا وستين سنة . ابن حجر :  
الإصابة (565/7) .

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 439 .

(2) مسند أحمد عن عائشة ، (385، 384/43) رقم (26365) .

### 9- زواجه (ﷺ) بأم حبيبة (\*) رضی الله عنها:

إن وات يجعل هذا الزواج وسيلة يتقرب بها سيدنا محمد من قبيلة عبد شمس وعلى  
رأسها أبو سفيان بن حرب ، فيقول عن سيدنا محمد (ﷺ) :

"فإنه كان يفكر بقبيلة عبد شمس ، ولا سيما بأبي سفيان ؛ لأن أبا سفيان كانت له  
ابنة مسلمة ، أم حبيبة ، متزوجة من أخ لزينب بنت جحش ، فلما توفي زوجها في  
الحبشة أرسل محمد رسولا إلى الأرملة يعرض عليها الزواج" (1) .

ويرى السيد محمد رشيد رضا - يرحمه الله - أن هذا الزواج كان "تأليفا لقلب أبيها  
أبي سفيان وقومه ، وقد كانت أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها عبيدالله بن جحش  
إلى الحبشة فتنصّر هنالك وفارقها ، فأرسل النبي إلى النجاشي فخطبها له وأصدقها  
عنه أربعمائة دينار. ولما عادت بنى بها" (2).

والأهم من ذلك أن النبي (ﷺ) قد أراد بهذا الزواج أن يخفف عن السيدة أم حبيبة ألم  
المصيبة ، لقد صارت وحيدة بلا زوج ، كما أراد أن يكافأها على تمسكها بدينها في  
بلاد غريبة ، وفي وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى رجل يؤنس وحشتها ويثبتها  
على الاستمسك بعري الإسلام .

### 10- زواجه (ﷺ) بزينب بنت جحش (\*\*) رضی الله عنها:

سبق أن تكلم وات بإسهاب عن قصة زواج النبي (ﷺ) بزَيْنَب بنت جحش رضى الله عنها , وطلاقها من زيد بن حارثة , وقد أوردت الردود الكافية عليه . لكنه هنا بصدد الكلام عن المنافع السياسية التي عادت على محمد (ﷺ) من وراء هذا الزواج , فيدعى أن سيدنا محمداً (ﷺ) :

"رأى بوضوح الفوائد السياسية لهذا الزواج"(3).

ثم يناقض وات نفسه فيقول : " أما مسألة زواجها (زينب) من محمد فيمكن أن يكون العامل الاجتماعي قد تغلب على العامل السياسي ؛ إذ أراد أن يبرهن على أنه قد قطع كل علاقة بالمحرمات القديمة"(4).

(\*رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية ، زوج النبي (ﷺ) ، تكنى أم حبيبة وهي بها(التكنية)أشهر من اسمها وقيل بل اسمها هند ، ورملة أصح . أمها صفية بنت أبي العاص بن أمية ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً . انظر: ابن حجر : الإصابة (651/7) .

(1)مونتجمرى وات : محمد فى المدينة , ص439.

(2)محمد رشيد رضا : نداء للجنس اللطيف , سابق , ص 107 ، 108 .

(\*\*)زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين زوج النبي (ﷺ) ، وأمها أمية عمه النبي (ﷺ) تزوجها النبي (ﷺ) سنة ثلاث وقيل سنة خمس ونزلت بسببها آية الحجاب وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة . ابن حجر : الإصابة (667/7).

(3)مونتجمرى وات : محمد فى المدينة , ص504.

(4) المرجع السابق , ص439.

يقول الشيخ / محمد الغزالي - يرحمه الله - : " لقد كان هذا الزواج امتحاناً قاسياً لرسول الله (ﷺ) , أمره الله به لإبطال تقليد شائع عند العرب , وأقدم عليه الرسول (ﷺ) وهو شديد التحرج والحياء والأذى"(1).

إن هذا الزواج لم يكن الهدف منه سياسياً , ولم يقل بذلك - حتى معظم المستشرقين - وغاية ما تطرق إليه المستشرقون هي مسألة شهوانية النبي (ﷺ) من عدمها .

ولم يكن كذلك الهدف من هذا الزواج اجتماعياً ، وإنما كان هدفاً تشريعياً ؛ لإبطال عادة التبني , وتحريمها شرعاً . وقد فصلت هذه المسألة تفصيلاً قليل ؛ مما يغنى عن إعادته هنا , تحت عنوان : تفسير وات لزواج النبي (ﷺ) بزَيْنَب بنت جحش ، فليرجع إليها .

تلكم هي أسباب ودوافع زواج النبي (ﷺ) من أزواجه أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أجمعين ، وكما رأينا فغالبهن كُنَّ محزونات ثكالى ، فأنقذهن رسول الله مما كن فيه . وكان بعضهن أرامل لشهداء من الصحابة ؛ وذلك ليعلم المؤمنون أن من استشهد منهم فى معركة فلن يكون ذووه غرباء مستضعفين . والبعض الآخر منهن كان رسول الله (ﷺ) يتألف قلوبهن وقبائلهن وأهليهن إلى الإسلام عسى أن ينقذهم الله به من النار .

والغريب أن وات لم يكتف بتطبيق هذا المبدأ على زواج النبي (ﷺ) من أزواجه ، بل عممه ليشمل زواج بناته وزواج أصحابه ممن لا تربطه بهم صلة نسب فقال :

"إن محمداً قد استخدم زيجاته كما استخدم زيجات بناته لأغراض سياسية"(2).

وقال أيضا : " نرى إذن أنه ليست زيجات محمد هي التي عادت عليه بمحالفات مفيدة , ولكنه لما كان زعيم الأمة ؛ فإن هناك أسباباً خاصة جعلته يُدخل الاعتبارات السياسية في مشاريع الزواج"(3).

ثم يذكر وات أمثلة على ذلك فيقول :

1- "وقد تزوج عمر حفيدة محمد أم كلثوم بنت علي"(4).

2- ويقول : " وقد تزوج صحابيَّان مُهمَّان من صحابة محمد وهما علي وعثمان ابنتي محمد ، فاطمة ورقية ثم أم كلثوم"(5).

3- ويقول : "وتزوج عليّ حفيدة محمد ، ابنة زينب وهي أمامة بنت أبي العاص"(6)

(1) محمد الغزالي : فقه السيرة , ص425.

(2) مونتجمري وات : محمد في المدينة , ص438.

(3) المرجع السابق ، ص440 ، 441.

(4) المرجع السابق , ص439.

(5) نفس المرجع ، ص440.

كما ينكر وات على بعض الصحابة كإنكاره " زواج أبي بكر في آخر أيامه من امرأة من الخزرج وهي أخت سعد بن الربيع , وكذلك زواج عمر من قبيلة الأوس , وزواج الزبير بن العوام من أسماء بنت أبي بكر , وتلقى عبدالرحمن بن عوف حين كان قائداً لغزوة دومة الجندل أمراً بالزواج من ابنة شيخ القبيلة إذا استسلم"(1).

وليس الأمر كما يقول وات "فإن زواج عليّ بفاطمة ؛ سببه أنه ابن عم النبي وأولى الناس بزواجها ؛ لقرابته منها ، وهذا أمر لا زال معمولاً به إلى اليوم , وخصوصاً وقد كان عليّ مسلماً مؤمناً , ومثله تزويج النبي ابنتيه أم كلثوم ورقية من عثمان ؛ إذ كان هذا ابن ابنة عمته أروى بنت أم حكيم بنت عبدالمطلب"(2).

إن وات يجعل هذه الأنكحة كلها قائمة على اعتبارات أو (مشاريع) سياسية - على حد تعبيره - .

وفرقٌ بين أن يكون الزواج لتوطيد العلاقة وتقوية الصلة والإبقاء على المحبة عن طريق أحمة النسب ، وبين أن يكون لمشاريعٍ سياسيةٍ .

فإن النبي (ﷺ) ما تزوّج زوجةً إلا بأمر من الله ، وإلا إذا كان لهذا الزواج مصلحة راجحة من مصالح الدعوة الإسلامية ، بجلب المنفعة الإنسانية ودرء الأخطار الاجتماعية وحقن الدماء الكثيرة ، فلقد كان للأرحام والمصاهرة تأثيرٌ كبير في حياة

البشر القبلية والاجتماعية آنذاك - ولا يزال ذلك معمولا به - وهناك دافع آخر : ألا وهو تربية وتخريج مرشدات داعيات للنساء فهو (ﷺ) وأصحابه ، المدرسة التي خرّجت المرشدين الداعين للإسلام بالطريق القويم الصحيح وكذا المرشدات زوجاتهم الطاهرات العليات ، فعلى يديه (ﷺ) وأصحابه تخرجت نساء غديّن مرشداتٍ لتخريج النساء بكل البقاع في العالم .

وبهذا ينتهى كلام وات بخصوص زواج النبي (ﷺ) وأزواجه , وانتقل إلى كلام الكاتبة كارين أرمسترونج فيما يتعلق بزواج النبي (ﷺ) وأزواجه أيضا.

- 
- (1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة , ص440، 441 . بتصرف يسير دون مساس بألفاظ المؤلف .  
(2) لخضر شايب : نبوة محمد فى الفكر الاستشراقى المعاصر , سابق ، ص429 .

## المطلب الثانى :

# زواج النبي (ﷺ) وأزواجه فى فكر كارين أرمسترونج

تبدأ كارين أرمسترونج حديثها عن زواج النبي (ﷺ) برواية لم نعتد قراءتها فى كتب السيرة , ولم تتل شهرتها بين كثير من المثقفين وربما بين بعض الباحثين .

وهذه الرواية بخصوص طلب النبي (ﷺ) الزواج من امرأة قبل السيدة خديجة . وهى السيدة أم هانئ (فاخته) بنت أبى طالب عم النبي (ﷺ) ، فتقول عن سيدنا محمد (ﷺ) :

"فإن منزلته الاجتماعية المتواضعة جعلت من الصعب عليه أن يجد لنفسه زوجة، فقد حدث أن أراد النبي (ﷺ) الزواج من فاختة إحدى بنات أبى طالب , وكانت فى مثل عمره , وكان أن نبهه أبو طالب أن مركزه لا يسمح له بعد بالزواج , ثم اختار لها أبوها زوجا مناسبا من عشيرة مخزوم الأرسقراطية" (1).

## التحليل والتقويم:

بداية لابد أن كارين تقصد أن هذا قد حدث قبل زواج النبي (ﷺ) بخديجة ، بل قبل أن يفكر فيها ؛ بدليل قولها بعد ذلك :

" على أية حال, تغير حظ محمد فى حوالى عام595م تغيرا داميا ،.....ثم تقول، وعرضت خديجة الزواج على محمد" (2) .

ولو قالت كارين : بأن النبي (ﷺ) قد تقدم لخطبة فاختة بعد موت خديجة لكان ذلك مقبولاً ؛ وذلك لورود بعض الروايات التي تقول بذلك : "فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ أُمَّ هَانِيَّ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَلِي عِيَالٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَ قُرَيْشٍ خَيْرٌ نِسَاءِ رَكِبْنَ الْإِبِلَ أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ" (3).

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن سعد من أن رسول الله (ﷺ) "خطبها إلى نفسها فقالت : والله إن كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام؟ ولكنني امرأة مُصَيِّبَةٌ (\*) وأكره أن يؤذوك ، فقال رسول الله : خير نساء ركبن المطايا نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده" (4).

- 
- (1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص123، ونفس المعنى : انظر كتابها: محمد نبي لزماننا ، ص37
  - (2) كارين أرمسترونج : سيرة انبي محمد ، ص124.
  - (3) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل نساء قريش ، رقم 2527 .
  - (\*) مصيبة ، أى : ذات صبيان (تعنى أولادها) .
  - (4) ابن سعد : الطبقات الكبرى (152/8) .

وكذلك ما ذكره ابن سعد أيضا :

" خطب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أم هانئ فقالت: يا رسول الله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري ، وحق الزوج عظيم فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق الزوج . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على بعل في ذات يده " (1).

**ومن مجموع هذه الروايات نفهم ما يلي :**

1- أن النبي (ﷺ) لم يتقدم لخطبتها إلا بعد موت أمنا خديجة رضي الله عنها ؛ بدليل قولها : إني قد كبرتُ ، وليس كما يفهم من كلام كارين أن ذلك كان في الجاهلية (قبل النبوة) .

2- أن سبب رفض أم هانئ الزواج من رسول الله (ﷺ) هو خوفها على عيالها من الضياع المتوقع من عدم الاهتمام بهم إن هي تزوجت بآخر ؛ لأنهم يحتاجون إلى رعاية وهي تريد التفرغ لهم ، أو خوفها من الانشغال عن حق الزوج بسبب أولادها ، أو أنها تكره أن تؤذى النبي (ﷺ) بكثرة صبيانها وتكليفه مالا يطيق من تحمُّله مؤونتهم والنفقة عليهم .

ومما سبق يتضح أن كارين قد تركت الروايات الصحيحة ، واستندت إلى الروايات الواهية والضعيفة ؛ فخرجت علينا برأى جديد وغريب فى الوقت ذاته.

فقد استندت كارين إلى رواية الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس قال :  
"خطب النبي (ﷺ) إلى أبى طالب أم هانئ وخطبها منه هبيرة فزوج هبيرة فعاتبه النبي (ﷺ) فقال أبو طالب: يا بن أخي إنا قد صاهرنا إليهم والكريم يكافىء الكريم ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة فخطبها النبي (ﷺ)" (2).

### وهذه الرواية مردودة لسببين :

**السبب الأول :** أنها لا تصح ؛ فسلسلة الإسناد التى جاءت هذه الرواية من طريقها مشهورة بالضعف ، فمن المعروف أن أوهى الطرق عن ابن عباس "طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب"(3)

(1) ابن سعد : الطبقات الكبرى (152/8) .

(2) نفس المرجع ، ونفس الصفحة.

(3) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م ، (4/ 239).

### يقول الدكتور أبو شهبه :

"ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ، التفسير المنسوب لأبى النضر محمد بن السائب الكلبى فإنه يرويه عن أبى صالح ، وهو مولى أم هانئ ، عن ابن عباس . والكلبى متهم بالكذب ، وقد مرض فقال لأصحابه فى مرضه : كل شئ حدثكم عن أبى صالح كذب "(1)

**السبب الثانى :** أنه من غير المعقول أن يرفض أبو طالب رسول الله (ﷺ) زوجاً لابنته ويرده بهذه الطريقة الحثينة وهو الذى طالما دافع عنه بالرغم من مخالفته له فى الدين . ومعروف حبُّه لرسول الله (ﷺ) ناهيك عن كونه عمُّه المتكفل المتعهد بتربيته به لفترة طويلة من الزمن .

هذا.. وقد ذكر التاريخ لنا خُطبة لأبى طالب يمدح فيها رسول الله (ﷺ) يوم أن ذهب ليخطب له خديجة رضى الله عنها فقال فيها :

" الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وضئضىء(2) معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسواس حرمة ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به رجل إلا رجح به ؛ فإن كان فى المال قلة فإن المال ظلُّ مائل وأمرٌ

حائل ، ومحمدٌ قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله من مالي كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم" (3).

فكيف يرد أبو طالب سيدنا محمداً عن مصاهرته بعد مدحه له بهذه الطريقة ؟

وبعدُ ، فقد ثبت أن ما ادّعته كارين من أن النبي (ﷺ) قد طلب الزواج من أم هانئ قبل زواجه بالسيدة خديجة لا يصح من جهة السند ولا من مدلول ما ثبت من روايات تعارض ما تقول .

وكان يجب على كارين قبل أن تفجّر هذه القضية الغريبة أن تستند إلى الصحيح من الروايات ؛ لا سيما وأن السواد الأعظم من المسلمين على قناعة بأن أول امرأة خطبها النبي (ﷺ) هي السيدة خديجة (رضى الله عنها) فإن ادّعى أحد خلاف ذلك لزمه الإتيان بالدليل الصحيح .

(1)د. محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص151 .

(2)الضئضى : الأصل والمعين .

(3) ابن الجوزى : صفة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخورى ، ط3، دار المعرفة - بيروت ، (74/1).

### عمر السيدة خديجة عند زواجها من الرسول (ﷺ) عند كارين:

وعندما تتكلم كارين عن عمر السيدة خديجة رضى الله عنها يوم أن تزوجها الرسول (ﷺ) نجدها تميل إلى رأى وات وتتأثر به ، بل لعلها نقلت عنه هذا الرأى لاسيما وأن كتابى وات فى السيرة (محمد فى مكة ، ومحمد فى المدينة) من أهم مراجع كارين فى هذا البحث ، فتقول :

"وتذهب الروايات إلى أن خديجة كانت فى الأربعين فى ذلك الوقت ، لكن وبما أنها حملت فى ستة أطفال من محمد على الأقل ، فمن المحتمل أنها كانت أصغر من ذلك ، وعلى أية حال فقد كانت تكبره بدرجة ملحوظة" (1).

وتقول فى كتاب آخر :

" ربما كانت خديجة فى أواخر الثلاثينيات من عمرها عند زواجها من محمد ، وقد أنجبت له ستة أبناء على الأقل" (2).

ولقد ذكرتُ أقوال أهل العلم بخصوص عمر السيدة خديجة حين تزوجها رسول الله (ﷺ) عندما عرضت لرأى وات فى هذه المسألة قبل قليل ؛ بما يغنى عن إعادته هنا.

وإضافة إلى ما سبق ذكره أقول : إن العرب لم تكن تهتم بتسجيل المواليد فى عصرهم . وعلى أية حال فإن عمر السيدة خديجة حين تزوجها الرسول (ﷺ) لم يحدده نص شرعى ؛ لأن ذلك لن يفيد كثيراً ، والمهم أنها كانت تكبره ؛ مما يدل على أن الرسول (ﷺ) لم يكن يبحث عن زوجة جميلة بقدر ما كان يبحث عن سيدة تؤنس حياته ، وتزيل همه ، يأوى إليها من نصب ، ويأمن إليها من خوف .

يقول الشيخ محمد الغزالى - يرحمه الله - :

"فإن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية ، ويلقون غبنا بالغاً من الواقع الذى يريدون تغييره ، ويقاسون جهاداً كبيراً فى سبيل الخير الذى يريدون فرضه وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه ، بله(\*) الإدراك والمعونة ! وكانت خديجة سبابة إلى هذه الخصال وكان لها فى حياة محمد أثر كريم"(3).

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 125.

(2) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص 38 .

(\*) "بله": اسم فعل أمر، بمعنى : اترك ، وفاعله ضمير، تقديره: أنت . انظر . عباس حسن : النحو الوافى ،

ط 15 دار المعارف - مصر (1/ 93) .

(3) محمد الغزالى : فقه السيرة ، ص 75.

### كارين ترد على المستشرقين :

يحسن أن أقول فى البداية : إن كثيراً من المستشرقين قد اتخذوا من زواج النبي (ﷺ) مطية للطعن فى نزاهته والقول بشهوانيته ، ولا غرو أن لبعض هؤلاء المستشرقين ولعاً شديداً بمهاجمة رسول الله (ﷺ) واختلاق المثالب المندية اختلاقاً أفكاً محاولين إصاقها به . ونستطيع أن نفسر هذا الهجوم منهم بأنهم يشعرون بالنقص فيحاولون انتقاصه (ﷺ) فى أعين غيرهم ليكون معهم فى النقص على درجة سواء ، ولكن هيهات أن يستوى الخبيث والطيب . ومن فضل الله على الإسلام أن هياً له ناساً من المستشرقين أنفسهم يدفعون عن هذا الدين بعض ما يرمى به . وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال : " إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ "(1).

ومن المستشرقين الذين ردوا هذه الفرية عن رسول الله (ﷺ) : كارين أرمسترونج حين ترد على من ينتقد سيدنا محمداً (ﷺ) فى مسألة تعدد الزوجات فنقول :

1- "وقد أثار موضوع زوجات النبي تأملات كثيرة فى الغرب تتسم بالبذاءة والصفاقة وبكثير من مشاعر الحسد التى فشل الكتاب فى إخفائها على نحو ما بينت من أن محمداً ، كثيراً ما اتهم بالميل إلى الشهوة الجسدية"(2)

2- وتقارن كارين بين ما جاء فى القرآن والسنة عن تعدد زوجات النبى محمد (ﷺ) وبين ما جاء فى الكتاب المقدس عن زوجات بعض أنبياء بنى إسرائيل الذين ينتمى هؤلاء المستشرقون إلى دينهم وكأنها تقيم الحجة عليهم فنقول :  
"ولا يجد الكتاب المقدس غضاضة على الإطلاق فى الحديث عن الإنجازات الجنسية للملك داوود أو الزوجات اللاتى لا يحصى عددهن للملك سليمان , ويعتبر عدد زوجات النبى محمد بالقياس إلى زوجاتهما (داوود وسليمان) ضئيلا إلى درجة كبيرة" (3) .

3- وتثبت كارين أن سيدنا محمداً لم يكن بحال من الأحوال شهوانياً ؛ مستدلة على ما تقول بعفته وقت شبابه وقوته ، فنقول : "ورغم أن محمداً كان متقد العاطفة فلم يتزوج بأخرى أصغر سنا من خديجة طوال سنوات زواجه بها , وتلك حقيقة أولى لهؤلاء الذين ينتقدونه لتعدد زوجاته فى السنوات الأخيرة من حياته أن يُبرروه" (4)

وتقول: "هذه الزيجات لم تنشأ عن علاقات حب رومانسية أو جنسية ، لكن كانت تتم سعياً وراء نتائجها العلمية" (5) .

---

(1) صحيح البخارى , كتاب : الجهاد والسير , باب : إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر , رقم 3062 .  
(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد , ص 219 , وانظر نفس المعنى فى كتابه: محمد نبى لزماننا , ص 94  
(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد , ص 219 , وللقوف على هذه النصوص فى الكتاب المقدس , انظر سفر التكوين , فقرات ( 20 ، 21 ، 25 ، 35 ) , وسفر الخروج , فقرة ( 1 ، 2 ) , سفر الملوك الأول , فقرة ( 11 ) .

(4) كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد ، ص 293 .

(5) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا , ص 94 .

يقول العقاد : "إن الرجل الذى تزوج وهو فى عنفوان الشبيبة بامرأة تكبره فى السن إلى مدى بعيدٍ ويبقى وفيًا لها ستا وعشرين سنة لا ينقلب شهوانيا بعد الخمسين" (1) .

وكما يلاحظ ، فإن كارين قد ردت بشراسة على الغربيين الذين اتهموا النبى (ﷺ) بالشهوانية ؛ مستدلة على عفته (ﷺ) بأنه كان يُلقب فى الجاهلية بالصادق الأمين ، وأنه (ﷺ) لم يتزوج بخديجة المُسنّة طيلة حياته .

كما تقارن بين زوجات سيدنا محمد (ﷺ) وأنبياء بنى إسرائيل الذين ورد ذكرهم فى الكتاب المقدس ، فتلاحظ أنه (ﷺ) كان أقلهم عددًا فى الزوجات ، وهذا مما يُحمد لها، ويدل على موضوعيتها .

### موقف كارين من زواج النبى (صلى الله عليه وسلم) بزینب بنت جحش:

أما بالنسبة لزواج النبى (ﷺ) من زينب بنت جحش ، هذه الشبهة التى أثارها كبار المستشرقين وتبعهم فيها ذيولهم وتلاميذهم فغرسوا بذرة ظالمة أخذت تنمو فى صحائف الأفكين وكأنهم عثروا على كنز ثمين فأكثرُوا حوله الترهات وسوّدوا من

أجله الصحائف ورؤجوا الأراجيف حتى أنك لا تكاد تقرا لواحد منهم إلا وتعرض لها , وقد تعرض لها وات قريبا كما ذكرت ، أما كارين فإنها ترد على وات وأقرانه هذه الدعوى بكلمات بسيطة فتتصف وتقول :

**"فلو أن النبي (ﷺ) ابتغى زينب لجاذبيتها الجنسية لتزوجها قبل ذلك بسنوات عديدة" (2) .**

أجل.. " من كان يمنع سيدنا محمداً من الزواج بزينب وهى من أسرته - بنت عمته - وهو الذى ساقها إلى رجل لم تكن فيه رغبة وطيب خاطرها لترضى به , أفبعد أن يقدمها لغيره يطمع فيها ؟" (3).

فها هى كارين تستخدم المنهج الاستدلالي على براءة النبي (ﷺ) مما نسب إليه بخصوص كونه شهوانيا - وحاشاه - فقد استخدمت التاريخ كشاهد على براءته (ﷺ)، وأنه (ﷺ) لو أراد زينب لتزوجها قبل أن يتزوجها زيد . وهذا عين ما قاله علماء الإسلام فى دفع هذه الشبهة ، وهو إنصاف يُحسب لكارين .

(1) مقال للعقاد بمجلة الأزهر، س7، ص676، نقلا عن : السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون،

ص 144، 145

(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد، ص293.

(3) محمد الغزالي : فقه السيرة، ص427 .

### الأهداف العامة من زواج النبي (ﷺ) عند كارين

لقد تأثرت كارين بوات فى مسألة رد بعض أنكحته (ﷺ) إلى أهداف سياسية فتقول: **" كانت زيجات محمد عادة لهدف سياسى ؛ رغبة فى تأسيس نوع مختلف تمامًا من العشيرة مستندًا على العقيدة بدلا من القرابة" (1) .**

كما تفسر زواج النبي (ﷺ) بعائشة وسودة بنت زمعة رضى الله عنهما فتقول : **"كان محمد يعقد أواصر قرابة ونسب ذات أهمية كبرى . فكان ما يزال يأمل أن يهدى الله سهيلا (\*\* ) بسبب تدينه العميق , والزواج بسودة جعله من أصهار النبي , كما كان من المهم توثيق العلاقة مع أبى بكر" (2).**

وتؤكد نفس المعنى فى كتاب آخر لها فتقول عن زواج النبي بسودة : **"كان محمد يتمنى أن يكسب سهيلا الذى ما زال متردداً حول الوحي" (3).**

إن كارين تبدو موافقة لرأى وات بأن زواج النبي (ﷺ) فى كل مرة كان لهدف سياسى .

وقد يكون هذا الرأي مقبولاً، إذا قصدت بذلك الأهداف السياسية العامة التي تعود على الإسلام والجماعة المسلمة بالنفع، لا الأهداف الخاصة التي يعود نفعها على رسول الله (ﷺ) وحده، هذا هو ما أخالفها فيه كل المخالفة؛ لأنها أنذ لعبة سياسية لا تليق برسول الله، وهو منها برئ.

وإن كنت أرى أن المصطلح الأليق بدلاً من مصطلح (الأهداف السياسية) هو مصطلح (المصلحة الدعوية أو المصلحة العامة) الغرض منها "توثيق الرابطة بين الإسلام وبعض القبائل، كزواجه بجويرية ابنة رئيس بنى المصطلق" (4).

وقد فصلت هذه المسألة تفصيلاً عند مناقشتي لرأى وات قبل قليل، فلا داعى لإعادته هنا مرة ثانية.

- 
- (1) كارين أرمسترونج: محمد نبى لزماننا، ص 94.
  - (\*\*) هو سهيل بن عمرو، أخو السكران بن عمرو، الزوج السابق للسيدة سودة.
  - (2) كارين أرمسترونج: سيرة النبی محمد، ص 220.
  - (3) كارين أرمسترونج: محمد نبى لزماننا، ص 94.
  - (4) محمد عزة دروزة: سيرة الرسول، صورة مقتبسة من القرآن، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ت، (72/1).

### الادعاء بوجود أحزاب سياسية في بيت النبوة

إن من القضايا التي أثارها كارين أرمسترونج، والتي تفردت بها عن مونتجمري وات، أنها جعلت من بيوت النبي (ﷺ) أحزاباً سياسية، فقد قسّمت أزواجه (ﷺ) إلى طبقات، وجعلت من الخلافات الزوجية الطبيعية التي تحدث بين الضرائر وبعضهن خلافات أثّرت سياسياً - فيما بعد - على المسلمين وساعدت في نشوب الخلافات السياسية، وظهور الفرق الإسلامية المتعددة، فنقول في معرض كلامها عن زواج النبي (ﷺ) بأم سلمة رضي الله عنها:

"ظهر الشقاق الداخلى بمجرد دخول أم سلمة، المرأة المتميزة، بيت النبوة. استاءت عائشة بشدة، ونما الصدع بين نساء النبي (ﷺ)، والذي انعكس على الأمة. مثلت أم سلمة الطبقة العليا من المهاجرين، بينما كانت كل من عائشة وحفصة أقرب للطبقة الشعبية واتخذت كل زوجة للنبي أحد الجانبين المتنافسين، وعادة ما اعتمدت أم سلمة على دعم أهل البيت" (1).

وتقول كذلك عن زواج النبي بأُم سلمة :  
"فقد تسبب زواجه منها في انقسام بين زوجاته انعكست آثاره على أطراف متعددة داخل الأمة والتي كانت تتنافس على القوة السياسية ، فأُم سلمة كمخزومية كانت تمثل المجموعة الأكثر أرسقراطية بين المهاجرين ، بينما كانت عائشة وحفصة بنات أكثر صحابة محمد حميمية ، تمثلان المجموعة الساسية الشعبية ، وكانت كلما انضمت زوجة جديدة إلى من سبقتها انضمت إلى إحدى تلك المجموعتين المتنافستين ، وكثيراً ما كانت أم سلمة تبحث عن الموازنة بين مجموعة أقلية ثالثة وهي أهل البيت واللانى كن أفراد عائلة محمد الأصلية ، وكانت تنظر إلى فاطمة الخجولة كأمل رئيسى لها، وعكست تلك التقسيمات بين زوجات محمد تقسيمات أخرى حاسمة فى الأمة والتي سوف تصبح بعد وفاة محمد شديدة الخطورة ، كما أنها ما زالت إلى حد ما تقسم المسلمين إلى يومنا هذا، فإن أهل البيت والذين كانوا يريدون أن تفود فاطمة وعلى وسلالتهم العالم الإسلامى - سيصبحون الشيعة"(2).

ثم تمضى قائلة عن زواج النبي (ﷺ) بزَيْنَب بنت جحش:  
"أخذ محمد زوجة جديدة ازداد بها عدد تلك المجموعة الأرسقراطية التى تحالفت معها"(3).

(1)كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا, ص140

(2)كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد, ص291 ، 292.

(3) المرجع السابق ، ونفس الصفحة.

### التحليل والتقويم

وبالتأكيد فإن مستند كارين على هذا التأويل المضطرب ، حديث فهمته فهماً خاطئاً ورد فى صحيح البخارى وغيره ، وأذكر رواية البخارى ؛ لصحتها وتفسيرها للواقعة وهى :

"عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ جَزْبِينَ فَجَزِبُ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ وَالْجَزْبُ الْآخِرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَكَلَّمَ جَزْبُ أُمُّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا كَلِمِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بِيوتِ نِسَائِهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئاً فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئاً فَقُلْنَ لَهَا فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضاً فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئاً فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئاً فَقُلْنَ لَهَا كَلِمِي حَتَّى يَكَلِّمَكَ فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثُوبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ قَالَتْ فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مِنْ أَدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَّكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ يَا بُنَيَّةُ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ قَالَتْ بَلَى فَرَجَعْتَ إِلَيْهِنَّ فَأَحْبَبْتُهُنَّ فَقُلْنَ ارْجِعِي إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَعْلَظَتْ وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَّكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي فُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَازَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنْتَهَا قَالَتْ فَظَنَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ" (1) .

فقد فهمت كارين من هذا الحديث أن هذين الحزبين كانا حزبين سياسيين . أحدهما حزب أرستقراطي (\*) تقوده أم سلمة رضى الله عنها، والآخر حزب شعبي يقوده كل من : السيدة عائشة والسيدة حفصة رضى الله عنهما ، وأن كل واحدة منهن أخذت تعمل بنهم على استقطاب واجتذاب من تستطيع اجتذابه من بقية أزواج النبي (ﷺ) إلى حزبها حتى أقمن تكتلات سياسية أو حزبية داخل بيت النبوة ، وتفهم كارين من هذا الحديث أن أم سلمة رضى الله عنها نجحت فى اجتذاب طائفة ثالثة والتي تتمثل فى أهل البيت وعلى رأسهم السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها .

(1) صحيح البخارى، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نساته دون بعض ، رقم (2581) .  
(\*)الأرستقراطية : الأقلية الممتازة .انظر : مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ط وزارة التربية والتعليم - مصر 1420هـ ، 1999م ، ص 12 .

ومن وجهة نظرها أن هذه الأحزاب قد أثرت على جماعة المسلمين فيما بعد وحولتهم إلى شيع وأحزاب وهو ما أدى فى النهاية - حسب زعمها - إلى ظهور الشيعة كفرقة دينية .

### الفهم الصحيح لهذا الحديث

إن ما نفهمه - نحن المسلمين - من هذا الحديث بخلاف ما تفهمه كارين . ويمكن أن أرد على كارين هذه الشبهة فى عدة نقاط على النحو التالى :

أولاً- إن غاية ما يُفهم من هذا الحديث : أن بعض أزواج النبي (ﷺ) بوصفهن ضرائر، كانت بينهن خلافات أسرية ، وهذه الخلافات من الطبيعي جداً أن تحدث فى بيت يجمع بين جدرانه أكثر من زوجة لدرجة تجعلنا نقول : إنه لا يسلم بيت الزوجية من هذه الخلافات - حتى لو كان فيه زوجة واحدة - فكيف الحال ببيت يضم تسع نسوة أو يزيد !!

وهذه الخلافات الأسرية التى وقعت بين بعضهن جعلت كلا منهن تميل إلى من تراها موافقة لها فى الطباع فشكل ذلك الخلاف الأسرى حزبين من الضرائر أساسهما الغيرة المحموده ، وهذا ليس فيه مثلبة لبيت النبوة وأمهات المؤمنين ، فمثل ذلك من الغيرة والتنافس يقع فيه النساء عامة.

**ثانياً-** ليس فى الحديث ما يشير - ولو من بعيد - إلى أن هذين الحزبين كانا سياسيين ؛ لأن كلمة حزب التى كان يعرفها العرب تعنى : "جماعة الناس" (1)، ولا تعنى أبداً المعنى المعاصر للكلمة من كونه فكراً يقوم على عدة مبادئ ؛ ولذا فإن مقصود أمنا عائشة من هذه الكلمة (كن حزبيين) هو المعنى اللغوى الذى كانت تعرفه هى ، ويعرفه العرب آنئذ . فغاية ما تقصده السيدة عائشة أن أزواج النبى (ﷺ) كن جماعتين متنافستين فى التودد لزوجهن ؛ ولذلك لم يذكر الإمام البخارى - يرحمه الله - هذا الحديث فى كتاب الحدود ولا المغازى ولا الجهاد والسير مثلاً ، وإنما ذكره فى كتاب (الهبة وفضلها والتحريض عليها) وبوب له بعنوان (باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض) وهذا الحديث جاء فى معرض بيان حب الرسول (ﷺ) وميله إلى أمنا عائشة رضى الله عنها ، ويتضح ذلك جلياً لمن قرأ الحديث بطوله .

**ثالثاً-** كان بالإمكان أن تبقى هذه الأحاديث من أسرار بيت النبوة وأن تطوى كأن لم تكن ، وأن لا تحدت بها عائشة ولا الصحابة . لكن هذا الحديث فيه إشارة إلى أن البيت النبوى مثل سائر البيوت ، وأن نسائه - على فضلهن - مثل سائر النساء فى طبائعهن ، تنشب بينهن الخلافات وتتحزب جماعة منهن قبالة الأخرى أيتها تفوز باجتذاب قلب زوجها إليها ، وهذا يعطينا أن بيت رسول الله (ﷺ) لم يكن يُخلق فى سماء الخيالية ، وإنما كان يضرب بجذوره فى أرض الواقعية .

**لكن وعلى أية حال، فإنه لم يتحول أى من هذين الحزبين يوماً ما إلى حزب سياسى .**

(1) ابن منظور: لسان العرب ، مادة : حزب (1/308) .

**رابعاً -** أن هذا التحزب كان مبعثة الغيرة بين بعض نساء النبى (ﷺ) ليس إلا، وهذا لا يلقى بأمهات المؤمنين فى دائرة اللوم ، فغيرة المرأة من ضرئها أمر جُبلت عليه ؛ ولذلك فهى لا تؤاخذ عليها إلا إذا تعدت الحد المسموح به ، كأن تصل بها إلى الحسد أو الحقد أو الغيبة أو الافتيات على إحدى ضرئها مثلاً .

**وضابط الغيرة يحدده هذا الحديث:**

"عَنْ ابْنِ جَابِرِ بْنِ عَتِيكَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ وَمِنْ الْخِيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي رَيْبَةٍ وَأَمَّا الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ الرَّيْبَةِ وَأَمَّا الْخِيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَتَخَيَّلَ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَأَنْ يَتَخَيَّلَ بِالصَّدَقَةِ" (1) .

"فالغيرة إن كانت لِمَا فى الطباع البشرية التى لم يسلم منها أحدٌ من النساء فتعذر فيها مالم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل ، وعلى هذا يُحمل ما جاء من السلف الصالح عن النساء فى ذلك" (2) .

وفى السنة النبوية ما يدل على تلك الغيرة فى حياة أزواج النبى (ﷺ) ، ومن ذلك :

1- "عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتْ أَلْتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَأَنْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَّ الصَّحْفَةَ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى أَلْتِي كَسَرَتْ صَحْفَتَهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ أَلْتِي كَسَرَتْ" (3).

يقول ابن حجر فى شرح هذا الحديث : "وقوله غارت أمكم ، اعتذار منه (ﷺ) لئلا يحمل صنيعه على ما يذم ، بل يجرى على عادة الضرائر من الغيرة ، فإنها مُرْكَبَةٌ فى النفس بحيث لا يقدر على دفعها" (4) .

ويقول كذلك : " وقال شراح هذا الحديث ، فيه إشارة إلى عدم مؤاخذه الغيراء بما يصدر منها ؛ لأنه فى تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذى أثارته الغيرة ، وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعاً "إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه" (5).

وفى الحديث ما يدل على أن هذه الغيرة ليست مما يبغضه الله تعالى ؛ لأنها موافقة لطبيعة المرأة التى خلقها الله عليها ، ومن ثم فلا تؤاخذ عليها شرعاً .

(1) مسند أحمد : عن جابر بن عتيك ، رقم (23747) ، وقال الشيخ الأرنؤوط : حسن لغيره .

(2) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، (326/9) .

(3) صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب الغيرة ، رقم (4824).

(4) ابن حجر : فتح البارى ، (126/5).

(5) ابن حجر : فتح البارى ، (325/9).

2- وقد أرجعت أم السيدة عائشة (رضى الله عنها) بعض ما عانت منه أمنا عائشة فى حادث الإفك ، إلى غيرة بعض ضرائرها منها فقالت لها :

" يا بنية هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قطً وضيئةً عند رجل يحبها لها ضرائرُ إلا أكثرن عليها" (1).

وهذا يدل على أن غيرة بعض ضرائرها منها قد أُرِّمَتْ موقفها . فمن المعروف أن حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوج رسول الله (ﷺ) كانت ممن تحدثن فى الإفك لأجل أختها زينب ضرة عائشة ، تقول أمنا عائشة :

"وظفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك" (2).

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك ، لا داعى لذكرها ، لكن المهم أن غيرة أزواج النبى وتحزبهن كان من أجل الزوج والتسابق فى التودد إليه .  
فما دخل الأحزاب السياسية فى هذه الخلافات الأسرية ؟ وأى ضرر لحق بالأمة بعد ذلك من جرّاء هذه الغيرة !؟

وفى الختام أقول : إن كارين لم تفهم هذا الحديث فهماً صحيحاً ، وإنما خلقت من غيرة النساء الطبيعية أحزاباً سياسية ؛ هدّدت وحدة الأمة ، ومزقت شملها ، وكانت سبباً فى نشوء الأحزاب ، ونشوب الخلافات بين المسلمين فيما بعد . وهذا فهم خاطئ وغير مقبول للروايات الإسلامية .

---

(1) البخارى: كتاب الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهن بعضا ، رقم (4141) .

(2) المرجع السابق ، نفس الحديث .

## المبحث الثانى :

## الوحي ومعجزة القرآن ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الوحي ومعجزة القرآن فى فكر وات

المطلب الثانى : الوحي ومعجزة القرآن فى فكر كارين

### تمهيد ..

إن الوحي هو أول طريق النبوة والاصطفاء ، وهو الذى يميز المرسلين عن غيرهم، فإن ثبت نزول الوحي على إنسان مَّا وجب الاعتراف بنبوته .  
"من أجل هذا يهتم أعداء الإسلام بمعالجة موضوع الوحي فى حياته (ﷺ) ويبدلون جهداً فكرياً شاقاً فى تكلفٍ وتمحُّلٍ من أجل التلبس على حقيقته والخلط بينه وبين الإلهام وحديث النفس بل وحتى الصرع أحياناً ؛ وذلك لعلمهم بأن الوحي هو منبع يقين المسلمين" (1).

والوحي سنة من سنن الله مع أنبيائه ، قال تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" (النساء : 16-164).

وقد "ذهب المستشرقون مذاهب شتى فى تفسير الوحي الإلهى المنزل على النبى العربى ، ولكنهم أجمعوا - إلا النادر منهم - على إنكاره ، وأتوا بتفسيرات وتعليقات وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير التصرفات التى تنتاب الرسول (ﷺ) إبان الوحي عليه ، على أن إنكارهم للوحي قادهم بدهاة إلى إنكار المصدر الإلهى للقرآن الذى أجمعوا على بشريته" (2).

وقالوا : "إنه وحى من داخل نفسه (ﷺ) وليس هناك ملك ألقى شيئاً من الله عليه..... ، وإنما هو إلهام كان يفيض من نفسه لا من الخارج ؛ ولأجل أن يؤيدوا فكرتهم الباطلة هذه ذكروا مقدمات زعموا أنها كانت أساس هذا العلم النفسى الباطنى الذى فاض على لسان النبى ، وقال : إنه وحى ، فزعموا أنه استفاد من رحلاته مع عمه أبى طالب ، واستفاد من معلوماته عن اليهودية والنصرانية بسبب انتشار هاتين الديانتين فى بلاد العرب ، واستفاد كذلك من الخلوة بغار حراء ، وانقطاعه إلى عبادة الله والتأمل والتفكير فى خلق السماوات والأرض حتى خيل إليه أنه النبى المنتظر الذى سيبعثه الله لهداية البشر" (3).

إن ظاهرة الوحي من الله تعالى لنبينا محمد (ﷺ) كانت محل جدل بين جُل المستشرقين ، فمنهم من قال برفضها مطلقاً وعدم الاعتداد بها، ومنهم من قال بالاعتراف بها شكلاً لا مضموناً، وهذه هى سمة الاستشراق المعاصر، فهو لا ينفى حدوث الوحي مطلقاً ، على الأقل حين يعرض رأيه على المسلمين ، لكنه يحاول أن يعلو ظهر النظريات الفلسفية والنفسية ليثبت من خلالها أن الوحي منبعه من داخل نفس النبى محمد (ﷺ).

- 
- (1) د. محمد رمضان البوطى : كبرى اليقينيّات الكونية ، وجود الخاق ووظيفة المخلوق ، ط8 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، 1982م ، ص186 .  
(2) د. ساسى سالم حاج : نقد الخطاب الاستشراقى .. الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية ، ط1 دار المدار الإسلامى 2002م (299/1).  
(3) د محمد أبو شهبه : السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ط ، دار القلم ، دمشق (271/1 ، 272) .

وقبل أن أقف مع الوحي ومعجزة القرآن عند وات ، يحسن أن أبين معنى هذه المصطلحات (الوحي ، المعجزة ، القرآن) ، وذلك على النحو التالى :

### أولاً - التعريف بالوحي :

#### لغة :

الوحي فى اللغة له عدة معانٍ وهى : "الإشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والإلهام ، والكلام الخفى ، وكل ما لقيه إلى غيرك" ، وقيل : "اصل الوحي فى اللغة كلها : إعلام فى خفاء ؛ ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً" (1) .

يقول الشيخ / محمد رشيد رضا :

"فالقول الجامع في معنى الوحي اللغوي : أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفي علي غيره ، ومن الإلهام الغريزي كالوحي إلي النحل ، والهام الخواطر بما يلقىه الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح ، كالوحي إلي أم موسى ، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان ، قال تعالى : " وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ...."(الانعام:121)، ووحى الله تعالى إلي انبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهي الخفاء والسرعة (2).

فالكلمة - إذن - تدور حول معنى الستر والسرعة والخفاء ؛ ولذلك فإن رؤية ملك الوحي لا تحصل لغير الموحى إليه (النبي أو الرسول) .

**والوحي شرعا :** "ما يوحى الله إلي نبي من الأنبياء فيثبتته في قلبه فيتكلم به ويكتبه"(3).

ويعرفه الإمام محمد عبده - يرحمه الله - بأنه : "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة"(4).

والوحي لا يكون إلا لمن اصطفاه الله من البشر بطريقة غير معتادة للبشر ، ولا بد أن يوقن الموحى إليه أن ما قُدِّف في قلبه هو من عند الله لا من عند أحد من البشر.

(1) ابن منظور : لسان العرب (379/15) مرجع سابق ، انظر النهاية لابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، ط المكتبة العلمية - بيروت ، 1399 هـ - 1979 م (5 / 352).

(2) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، سابق ، ص 7 .

(3) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، (127/1).

(4) محمد عبده : رسالة التوحيد ، سابق ، ص 57.

## ثانيا - التعريف بالمعجزة

### لغة :

يُقَالُ : عَجَزْتُ الرَّجُلَ : وَجَدْتَهُ عَاجِزًا . وَأَعْجَزَهُ الشَّيْءُ ، أَي فَاتَهُ ، وَالتَّعْجِيزُ : التَّنْثِيْبُ (1).

والتَّعْجِيزُ: التَّسْبِطُ إِلَى الْعَجْزِ، وَقَدْ عَجَزَهُ، وَيُقَالُ: عَجَزَ فُلَانٌ رَأْيَ فُلَانٍ، إِذَا نَسَبَهُ إِلَى الْعَجْزِ. وَمُعْجَزَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعْجَزَ بِهِ الْخَصْمَ عِنْدَ التَّحْدِي، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْجَمْعُ مُعْجَزَاتٌ (2).

ومن الملاحظ أن المادة كلها تدور حول معنى الضعف، وعدم القدرة على التحمل. وهذا المعنى يتناسب تماما مع ما يأتي به النبي أو الرسول ليثبت به عجز قومه أمام قدرة الله وقوته.

### اصطلاحا :

المعجزة : أمر خارق للعادة ، داعٍ إلى الخير والسعادة ، مقرون بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله (3).

"وقال الفخر الرازي : المعجزة عُرفا : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة" (4) .

ومما سبق يتضح أن المعجزة : خرق لنواميس الكون على يد رسله ؛ ليؤيدهم بها وسميت المعجزة بذلك ؛ لأنه يعجز أمامها عقل الإنسان وقوته ، ومن ليس مؤيِّداً من الله . وأنها لا بد أن تكون فوق مقدور البشر واستطاعتهم حتى تُسمَّى معجزة .

(1) الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (3/ 884) .

(2) الزبيدي : تاج العروس ، (211/15)

(3) الجرجاني : التعريفات (219/1) ، وانظر : محمد صديق حسن خان القنوجي : قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، ط1 وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، 1421هـ ، ص103 .

(4) محمد بن أحمد السفاريني : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية ، ط2 مؤسسة الخافقين ومكنتبتها - دمشق ، 1402 هـ - 1982 م (2/ 290) .

## ثالثا - التعريف بالقرآن

### لغة :

قال ابن منظور : "قَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا جَمَعْتُهُ وَضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ ، وَاسْمِي قُرْآنًا لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّورَ فَيَضُمُّهَا ، وَاسْمِي الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ جَمَعَ الْقِصَصَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ

وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالْآيَاتِ وَالسُّورَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَهُوَ مَصْدَرُ كَالْعُقْرَانِ وَالْكُفْرَانِ (1).

فالكلمة فيها معنى الجمع ، والإحاطة ، والشمولية ، وهذا يناسب عالمية الإسلام .

### اصطلاحاً :

"القرآن هو الوحي المنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للبيان والإعجاز" (2) .  
ويُعرَّف أيضاً بأنه "اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه" (3).  
وعلى ذلك : فمهمة القرآن ، التوضيح والبيان ، وتعجيز المخالف عن الإتيان بمثله .  
وهو كتاب معطاء لا ينفد ، كما قال الله عز وجل :

{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} الكهف : 109 .

{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} الكهف : 109 .

(1) ابن منظور : لسان العرب (128/1) .

(2) بدر الدين الزركشى : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه 1376 هـ - 1957 م (318/1) .

(3) الشيخ/ محمد عبدالعظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق : فؤاد أحمد زمرلي ، ط1 دار الكتاب العربي 1415 هـ ، 1995 م (20/1) .



## المطلب الأول :

### الوحي ومعجزة القرآن فى فكر وات

من الذين يعترفون بوحي النبى (ﷺ) على نحو شكلى ظاهرى دون الاعتراف بمضمونه ومصدريته من الله تعالى : المستشرق (مونتجرى وات) ، والذي يرى أن هذا الوحي كان يأتيه من داخل نفسه ، ولكن وات - كما سنلاحظ - لن يناقش المسألة كرجل ملحد ينكر الوحي ، ولا كرجل مسيحي ملتزم يرى أن نبوة محمد هرطقة وكذب .. لا لن يفعل وات شيئاً من هذا الذى كان سمة الاستشراق الساذج قبله ، وإنما سيقدم وات نفسه عبر كل حجة يطرحها كباحث فى الإسلام ينطلق من

نصوصه ذاتها التي ينطلق منها المسلمون ، وإن لوى أعناق الأدلة وطوّعها لهوى في نفسه .

إن وات يريد أن يبدو من أول الأمر كمنصف ، فيرفض قول من يقول : " إن محمداً لم يكن يؤمن بما يوحي إليه ، وإنه لم يتلق الوحي من مصدر خارجي عنه بل إنه أُلّف الآيات عن قصد ثم أعلنها للناس بصورة خدع بها الناس وجعلهم يتبعونه فضمن لنفسه بذلك من السلطة ما يُرضى طموحه وخبّه للمتعة"(1).

وليس معنى ذلك أن وات يفسر الوحي المحمدي تفسيراً يوافق تفسير علماء الإسلام. إنه يريد أن يظهر بمظهر الباحث الموضوعي المحايد ، فلا يُنكر كون النبي (ﷺ) أوحى إليه .

ولا تظنّ بذلك أنه يثبت الوحي على النحو الذي يعتقده المسلمون . كلا . إنما يثبت على النحو الذي يعتقده هو ، فيقول في النهاية إنه كان وحياً نفسياً من داخله ، كما سيأتي ، وفي هذا تلاعب بعقيدة المسلمين ، وبالحقائق التاريخية .

ويؤكد وات رفضه لهذا القول ، وعدم معقوليته فيقول :

"ومثل هذه النظرة للأمور غير معقولة ؛ وذلك لأنها لا تفسر لنا بصورة مرضية لماذا كان محمد في الفترة المكية مستعداً لتحمل جميع صنوف الحرمان ، ولماذا فاز باحترام رجال شديدي الذكاء ، ذوى أخلاق مستقيمة ، كما أن ذلك لا يجعلنا نفهم كيف نجح في تأسيس ديانة عالمية أنجبت رجالاً قداستهم واضحة للعيان . لا يفسّر كل ذلك بصورة مرضية إلا إذا افترضنا صدق محمد ، أى أن نعتقد بأنه كان مقتنعاً حقاً بأن القرآن ليس ثمرة خيالية بل إن كل ما نزل عليه كان من الله فهو بذلك حق"(1).

ويريد وات أن يخدع القارئ بهذا الدفاع المصطنع عن رسول الله (ﷺ) والذي يصف فيه سيدنا محمداً بأنه صادق ، لكن سرعان ما ينكشف القناع عن وجهه حين يقول :

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 495.

(2) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

"فالقول بأن محمداً كان صادقاً لا يعنى أن القرآن وحى حق وأنه من صنع الله ؛ إذ يمكن أن نعتقد بدون تناقض أن محمداً كان مقتنعاً بأن الوحي ينزل عليه من عند الله ، وأن نؤمن في نفس الوقت بأنه كان مخطئاً"(1) .

فهو يريد أن يقول : إننى لا أمارى فى صدق محمد وأمانته ، لكن صدقه هذا لا يجعلنى أقطع بأنه يوحي إليه من عند الله ؛ إذ يمكن أن يكون محمد على قناعة بأن

ما يأتيه وحى من الله ، لكن الحقيقة أن هذا مجرد توهم أو تخيل منه . وقد أردت أن أوضح من البداية منهج وات فى تلاعبه بعقل القارئ . وأبدأ الان فى عرض ما قاله ، مُشفَعًا كلامه بالتحليل والتقويم :

### زعمه محاولة النبى (صلى الله عليه وسلم) الانتحار:

يذكر وات رواية الزهرى بشأن بداية نزول الوحي عليه (ﷺ). وأصل هذه الرواية مُخرَج فى الصحيحين ، وأرى من الأنسب أن أضع هذه الرواية كاملة بين يدي القارئ الكريم ؛ لأن عليها مدار العمل فى هذا المبحث :

" فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح فكان يأتي جراً فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجبهه الحق وهو في غار جراً فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال { اقرأ باسم ربك الذي خلق } حتى بلغ { علم الإنسان ما لم يعلم } فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زمّلوني زمّلوني فرملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي وأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي فقالت له كلاً أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتته به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أحو أبيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي يكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخي ماذا ترى فأخبره النبي (ﷺ) =

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 496 .

ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يُخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينسب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال

فَكُلَّمَا أَوْفَى بِبِزْرَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُقْفِي مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِدَلِّكَ جَاشُهُ وَتَقْرُ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَنَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِبِزْرَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ { فَالِقُ { الْإِصْبَاحِ } ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ" (1).

ويعلق وات على جملة ( ثم فتر الوحي عن رسول الله حتى حزن النبي ﷺ ) حزناً غداً منه مراراً كى يتردى من رؤوس شواهد الجبال) بقوله :

"ويمكن تمييز تجربتين خاضهما الرسول ، الأولى : الخوف من تجربة الوحي ، والثانية : يأسه الذى أدى به إلى التفكير فى الانتحار" (2) .

كما قال : " ففكرة الانتحار يمكن - بشق النفس - عزوها إلى محمد ﷺ...ويمضى فيقول : وأكثر من هذا فإن فترة اليأس قد تكون متلائمة مع الروايات التى تحدثنا عن (الفترة) وهى المدة التى انقطع فيها الوحي عن الرسول ﷺ" (3).

لاحظ هنا : أن وات من خلال هذا الحديث يقرّر أن النبي ﷺ أراد الانتحار بسبب فتور الوحي (انقطاعه) عنه ، وأن الداعى إلى هذا الانتحار هو اليأس الذى أصابه ﷺ . وهذا مستحيل فى حق الأنبياء .

قال تعالى : إِنَّهُ لَا يَبْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ . يوسف : 87"

وقال تعالى على لسان الخليل إبراهيم (عليه السلام):

"قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ . الحجر : 56"

وأنتقل الآن إلى تحليل كلام وات ونقده بالأدلة النقلية ، والبراهين العقلية .

(1) صحيح البخارى : كتاب الجمعة ، باب مَنْ انْتَبَرَ حَتَّى تُدْفَنَ ، رقم 6982 .

(2) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 118.

(3) المرجع السابق : ص 119.

### التحليل والتقويم

إن تلك الفرية من أعظم الفرى على رسول الله ﷺ ، وقد ذاعت شهرة هذه الشبهة مع قلة من ردّها عليها . وصعوبة هذه الشبهة تكمن فى كونها وردت فى أصح الكتب بعد القرآن الكريم وهو الجامع الصحيح (صحيح البخارى) ؛ لذا فقد احتاط معظم العلماء على مدى الزمان ، منذ تصنيف الإمام البخارى لهذا السفر العظيم وحتى يومنا هذا فى ردّ هذه الشبهة ؛ خوفاً من أن يجرّهم ذلك إلى الطعن فى صحيح

البخارى الذى تعرف الأمة فضله وقدره بين كتب السنة ، والذى تلقته الأمة بالقبول، وهذه الشبهة "ينتشى فرحا بها وبأمثالها أعداء الإسلام المتربصون به الدوائر ، ويضطرب لسماعها الملاحدة الجاحدون، الذين يتلمسون سقطات الروايات تجرى على أسلّات الأفلام والألسن (جمع أسلّة وهي طَرْف اللسان) فى تراث الإسلام ، ولاسيما إذا سقطوا على تلك السقطات فى كتب لها فى أنفس المسلمين قدرها واحترامها ، وتنزل من قلوبهم منزلة التقديس والإعزاز، مروية عن أشخاص لهم هالات الإجلال والإكبار فى تاريخ الإسلام"(1) .

وغالب الظن أن وات قد ذكر هذه الرواية - خصيصًا - ؛ ليعتد فى نفوس المسلمين العجب والتساؤل! كيف يَهُمُّ محمد (ﷺ) بالانتحار وهو الذى قال: " مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا"(2) ، وشبهة وات مردودة عليه ؛ وذلك لعدة أسباب:

**1- الأول :** أن الجملة الواردة فى رواية البخارى والتي هى أصل الشبهة وهى: " حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ (ﷺ) - فِيمَا بَلَّغْنَا - حُزْنَا غَدًا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ... " لاتصح ؛ لأنها مدرجة فى متن الحديث (\*) أدرجها الزهرى؛ ولذا يعلق الحافظ ابن حجر على هذه الزيادة قائلا : " هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس .... ثم ان القائل فيما بلغنا هو الزهري ومعنى الكلام أن فى جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله (ﷺ) فى هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا....ويقول : وأما إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعد ما نُبئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة وخوفا مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعا كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله فى العاجل بما يكون فيه زواله عنه ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلا حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبي المحمودة صبر واستقرت نفسه"(3) .

(1)د.محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله (ﷺ) منهج ورسالة — بحث وتحقيق ، ط2 ، دار القلم ، دمشق، 1415هـ، 1995م (385/1)

(2)صحيح البخارى : كتاب : الطب ، باب : شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث ، رقم (5333). (\*)مدرج المتن هو: ما أدخل فى متنه ما ليس منه بلا فصل،وقد يكون الإدراج فى أول الحديث وهو قليل، وقد يكون فى وسطه وهو أقل من الأول، وقد يكون فى آخره وهو الغالب، والإدراج حرام بإجماع العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم، ويستثنى من ذلك ما كان لتفسير غريب، فإنه ممنوع، ولذلك فعله الزهري وغيره من الأئمة (انظر:د.محمود الطحان:تيسير مصطلح الحديث، ط مركز الهدى للدراسات، بالأسكندرية، 1415هـ، ص80، 81.

(3)ابن حجر: فتح البارى ( 359/12 - 361 ) بتصرف يسير دون مساس بالألفاظ . فهذه القصة إذن قد "سيقت بلاغا ؛ فهى من مراسلات(\*) الزهري ، وفى مراسلاته كلام عند النقاد ، ومن أشدهم وأوثقهم فى رفضها وعدم قبولها إمام النقاد يحيى بن سعيد القطان"(1) .

**2- السبب الثانى** من أسباب ردِّ هذه الزيادة أو الإدراج "أنه يتعارض مع أصل من أصول الإيمان وهو عصمة الأنبياء والرسول، بمعنى حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم وتفكيرهم وخواطرهم وسائر أعمالهم حفظًا كاملا ، فلا يقع منهم قط ما يشكك فى

نبوتهم ورسالتهم ، وهذا البلاغ المَعْمَرى او الزُّهْرى لم يُبق لعصمة النبى مكانًا فى مدة الحزن اليائس" (2) .

**3- الثالث :** "أن هذا البلاغ لم يرد فى طريق من طرق الحديث على كثرتها وكثرة من روى الحديث من الأئمة إلا فى رواية مَعْمَر، وهذا التفرد يوجب - على الأقل - التوقف فى قبوله ، بل يوجب رده وإبطاله لما فيه من القوادح بتعريض الأئمة لهزة الشك والارتياب، ولقلق النفس واضطراب الضمير وهزة الإيمان وحيرة اليقين" (3) وأحب أن أضيف هنا أن هذا الحديث مع أنه روى ثلاث مرات فى صحيح البخارى وحده (فى كتاب بدء الوحي، وفى كتاب التفسير، وفى كتاب التعبير) إلا أن هذه الزيادة لم ترد إلا فى موضع واحد فقط من كتاب التعبير، مما يستدعى الوقوف أمامها طويلا .

**4- الرابع :** " أنه لم يثبت قط فى حديث صحيح أن النبى (ﷺ) أخبر عن نفسه أنه كان فى مدة فترة الوحي يذهب إلى قنن الجبال الشواهيق ليرمى نفسه من فوقها ؛ انتحارًا لحزنه على فتور الوحي" (4) .

**5- الخامس :** "فإن ما استفاض من سيرته (ﷺ) يردُّ ذلك ، فقد حدثت له حالات أثناء الدعوة إلى ربه أشد وأقسى من هذه الحالة ، فما فكر فى الانتحار بأن يلقي نفسه من شاهق جبل أو يبيخ نفسه ، و التعليل الصحيح لكثرة غشيانه (ﷺ) فى مدة الفترة رؤوس الجبال و شواهيقها ، أن الإنسان إذا حصل له خير أو نعمة فى مكان ما فإنه يحب هذا المكان ، و يتلمس فيه ما افتقده ، فلما انقطع الوحي صار (ﷺ) يكثر من ارتياد قمم الجبال ، و لا سيما حراء ، رجاء أنه إن لم يجد جبريل فى حراء ، فليجده فى غيره ، فراه راوي هذه الزيادة و هو يرتاد الجبال ، فظن أنه يريد هذا ، و قد أخطأ الراوي المجهول فى ظنه قطعاً . و ليس أدل على ضعف هذه الزيادة و تهافتها من أن جبريل كان يقول للنبي كلما أوفى بذروة جبل: «يا محمد إنك رسول الله حقا» و أنه كرّر ذلك مرارًا، و لو صح هذا لكانت مرة واحدة تكفي فى تثبيت النبي و صرفه عما حدّثته به نفسه كما زعموا، و قد نحا إلى ما نحوئُ بعض كتاب السيرة المُحدّثين المسلمين" (5) .

(1) د.محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، (386/1، 387)

(\* المرسل هو : ما سقط من آخر إسناده من بعد التابعى (انظر د.محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، ص56)

(2) السابق(387/1)

(3) د.محمد الصادق عرجون:محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، (387/1).

(4) السابق(396/1)

(5) د محمد أبو شهية : السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، سابق (265/1، 266) .

**6- السادس :** يقول الشيخ الألبانى - يرحمه الله - : "إن لهذه الرواية علتين ، الأولى: تفرد معمر بها دون يونس وعقيل ؛ فهى شاذة ، الثانية : أنها مرسلة معضلة" (1) .

ومما سبق يتضح لنا أن هذه الزيادة ساقطة سندًا وامتناً ، وذلك بشهادة أهل هذا الفن (فن الحديث) . ثم إنها ساقطة عقلاً ؛ إذ كيف يُقَدِّم النبي على الانتحار وقد سبق في علم الله ألا أنه سيَنهَى عنه بعد ذلك ، إذًا لتناوله أعداؤه بالكلام وذكَّروه بما مضى من تاريخه ، ولوقع النبي في الحرج ، وهذا ما لم يحدث حين نهى النبي (ﷺ) عن الانتحار بعد ذلك .

---

(1) محمد ناصر الدين الألباني: دفاع عن الحديث النبوي ، سابق ، (ص41).

### **بواعث خلوة النبي (صلى الله عليه وسلم) في غار حراء قبل البعثة**

إن وات يجعل من غار حراء تارة خلوة للعبادة ، وتارة أخرى منتجعا سياحيا يستجم فيه النبي (ﷺ) ويلطف فيه جسمه ؛ هرباً من حر مكة القيظ ، وليستريح فيه بعد

مواسم العمل المُجهدة ، أو مضاهاة وتأثراً بما كان يصنع عباد اليهود ورهبان النصارى من التعبد فى الغيران (جمع غار) والصوامع أو لرغبته فى العزلة فيقول:

"ربما كان ذلك وسيلة للهروب من حرارة مكة فى موسم متعب لمن كانوا لا يستطيعون الذهاب إلى الطائف ، ويمكن أن يكون للتأثير اليهودى والمسيحى أو بعض التجارب الشخصية أو الحاجة والرغبة فى العزلة" (1) .

كما يجعل وات من بواعث هذه الخلوة " السعى إلى الوحدة ليلجأ إلى الأمور الإلهية ويؤدى بعض العبادة ؛ وربما طلباً للتكفير عن الخطايا" (2) .

ويجعل وات من ذهاب النبى (ﷺ) إلى غار حراء مجرد عادة شاركه فيها فقراء مكة فى حر الصيف .

### تحليل وتقويم

من المعلوم لدينا - نحن المسلمين - يقينا أن الرسول (ﷺ) كان يختلى بغار حراء للتعبد والنظر إلى عجيب خلق الله وآياته فى الكون وأنه (ﷺ) كان يتعبد فيه على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام ، وذلك "بعيدا عن مجتمع مكة الوثنى الفاسد وبعيدا عن المشاغل الدنيوية ، وكان يحب أن يخلو إلى نفسه فى غار يطل على الكعبة وعلى الأفق المترامى خلفها على مد البصر" (3) .

وفى يوم من الأيام وهو على هذه الحال أتاه الوحي من ربه بالقرآن الكريم . هذه عقيدتنا ، أما "وات" فهو يُفَرِّغ هذه الخلوات من محتواها ويفسرها - على عادته - تفسيراً مادياً ، فيصف هذه الخلوات بما سبق ذكره ولا داعى لإعادته ، وعلى أية حال فإن الواقع يكذب وات من أقصر طريق . وأفضل من رد على وات هذه الشبهة الدكتور : عبدالعظيم المطعنى - يرحمه الله - فى عدة نقاط أذكرها كاملة لشمولها وقوتها وكفايتها فى الرد فيقول مُتعبجا :

---

(1) محمد فى مكة : مونجمرى وات، ص109.

(2) السابق: ص110.

(3) د.محمد عبدالله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، سابق (ص27) .

1- هل كان محمد (ﷺ) هو الفقير وحده فى مكة ؟ كلا وألف كلا . فلماذا إذن ترك الفقراء الآخرون محمداً يتمتع وحده بهذا المصيف الرائع؟

ثم إن مكة مليئة بالجمال ، فلماذا لم يُشتهر عن الفقراء الآخرين أنهم كانوا يفرون إلى الجبال الأخرى كما فرَّ محمد إلى جبل حراء؟

2- إن هذا الجبل الذى كان يلجأ إليه محمد (ﷺ) ما أصعب الصعود إليه ، وما أصعب الهبوط منه ! إن رحلة الصعود تتطلب جهداً مضنياً وزمناً لا يقل عن الساعة فلماذا كان (ﷺ) يتحمل هذا العناء ؟ ألم يكن يكفيه أن يلجأ إلى ظل شجرة أو ظل حائط إن كان فعلاً يفرُّ من شدة الحرارة ؟ وأهل مكة قديماً كانوا يبنون منازلهم على شكل قباب لها نوافذ تسمح بمرور الهواء وترطيبه ورش الأرض بالماء ، أفكان محمد (ﷺ) يعجز أن يصنع مثل صنيعهم يا ترى؟

3- أنه لم يكن يصحب معه إلا الماء والتمر والخبز الجاف ، فأين طالب المتعة الحسية فى هذا الاعتزال؟

4- نسي المستشرقون أن محمداً - وقتذاك - كان زوجاً لخديجة بنت خويلد وأنها كانت من أثرياء قريش ولو كان (ﷺ) يريد الهروب من حرِّ مكة لاستطاع أن يقيم هو وزوجه وأولاده منها فى قصر مَنيف بالطائف فيه ما لذ وطاب من المأكول والمشروب والمنظور ، وما كانت خديجة لتبخّل عليه بمالها، وله عندها منزلة ما حَظى بها زوج من زوج .

5- إن سيدنا محمداً (ﷺ) لم يكن بدعاً من الرسل وبعض الصديقين ، فزكريا عليه السلام كان يعتزل قومه ، ومريم الصديقة كانت تعتزل قومها ، وكل منهما أوتى فى عزلته فضلاً وآيات من الله ، فزكريا بشر فى خلوته بيحيى بعد عُقم ، ومريم أنجبت رسول الله عيسى، ومحمد (ﷺ) تلقى فى الخلوة مراسم الرسالة الخالدة . إنها خلوات كانت بتدبير من ذى الجلال والإكرام وليست لطلب الملذات الدنيا ولا الهروب من معاناة ظروف الحياة . المستشرقون سكتوا عن عُزلتى زكريا ومريم وتناولوا عُزلة رسول الإسلام بالتشويه ؛ لأنه رسول الإسلام ويقينى أن عُزلة زكريا ومريم لو كانت من وقائع السيرة الإسلامية لما سكتوا عنها" (1) .

---

(1) د.عبدالعظيم المطعنى : افتراءات المستشرقين على الإسلام .. عرض ونقد ، ط1، مكتبة وهبة 1413هـ، 1992، ص7 ، 8 .

إن هذه الردود الخمسة القوية تبطل ما قاله وات سلفاً من تفرغته للمحتوى الحقيقى لهذه الخلوات والتي كان غرضه (ﷺ) منها الاهتداء إلى خالق حقيقى لهذا الكون ، خالق يستحق أن تصرف العبادة له دون سواه ، كما كان ساخطاً على ما كانت تعجُّ

به مكة من فواحش ومنكرات ، فعافت نفسه هذه الأدواء وراح يبحث عن دواء فهداه الله إلى خير الأديان ، وهذا هو قول الله : "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى... الضحى .آية :7".

## آيات سورة النجم

يقول الله تعالى :{فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أُوحَىٰ} {10} {مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} {11} {أَفْتَمَارُوهٗ عَلَىٰ مَا يَرَى} {12} {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} {13} {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} {14} يبدأ وات فيقول تحت عنوان : رؤى محمد "إن بداية النبوة كانت الرؤيا الصادقة وهذه الرؤى تختلف تماما عن الأحلام" (1).

وهذه كبوة فاضحة لن يستطيع وات النهوض منها ؛ لأنه أدخل أنفه في مجال ليس له بأهل وظن أن اللسان الأعجمى قادر على أن يعلم اللسان العربى .

إن وات لن يفقه لغتنا أكثر منا ، فقد حاول السبح - بلا علم - فى بحر اللغة العميق فغرق ، فهو يقول عن الرؤيا : إنها تختلف تماما عن الحلم ، ولاحظ كلمة تماما ، ولن أقف طويلا أمام هذه الدعوى الساقطة . لكننى فقط سأضع بين يدي القارئ الكريم معنى الرؤيا والحلم كما جاء فى معجم واحد من معاجم اللغة المعتمدة والتي يعرفها وات جيدا وهو لسان العرب ، فيقول ابن منظور - يرحمه الله - :

" الحُلْمُ والحُلْمُ : الرؤيا ، يقال : حَلَمَ يَحْلُمُ إذا رأى فى المنام ، ويقول : الرؤيا والحلم، عبارة عما يراه النائم فى نومه من الأشياء ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشئ الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح ومنه قوله تعالى : أَضَعَاثُ أَحْلَامٍ...سورة يوسف آية:44 (2) ، ومنه قوله (ﷺ) : "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان" (3).

فالملاحظ أن كلاً من الرؤيا والحلم يراهما النائم فى المنام ، وهذا ما يعارضه وات بقوة ؛ حيث إنه يفرق بين الرؤيا الصادقة والرؤيا المنامية . وهذا خطأ ، فالرؤيا المنامية هى الرؤيا الصادقة ؛ بدلالة حديث البخارى عن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت : "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" (4).

وقد اتضح هدف وات من وراء هذا التفسير المتعسف حين قال : "والتفسير المعتاد لهذه الآيات عند المسلمين أن المرئى كان جبريل ولكن هناك أسبابا تدعونا إلى أن نظن أن محمدا (ﷺ) قد فسرها فى الأصل على أنها رؤية لله ذاته ، فإن جبريل لم يُذكر فى القرآن إلا فى المدينة ، والتعبير (عبده) فى الآية :

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص105.

(2) ابن منظور : لسان العرب، مادة حلم ، (145/12) .

(3) صحيح البخارى ، كتاب الطب ، باب النفث فى الرقية ، رقم 133 .

(4) صحيح البخارى ، كتاب التعبير ، باب أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة رقم : 6982.

{فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ} (.. لآبد أنه يعنى عبدالله كما يجمع المسلمون ، ولكن ذلك يجعل التركيب اللفظى غير منسجم إلا إذا كان الله هو المعنى بالأفعال ، كذلك فإن جملة:

(حتى فجأه الحق) لها أهمية مشابهة ؛ لأن كلمة الحق من أساليب الإشارة إلى الله ، ويمكننا أن ننظر بنفس الطريقة إلى جملة: (فجاءني وقال :يا محمد ،أنت رسول الله) وكذلك فإن بعض روايات جابر في شرح سورة النجم تقول على لسان محمد (ﷺ) فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أرَ شيئاً ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش)...ويمضى وات قائلاً: ربما كان هذا هو تفسير محمد (ﷺ) الأصلي لهذه الروايات ، إلا أنها لم تكن بأية حال التفسير النهائي ؛ لأنه يتناقض مع ما ورد في سورة الأنعام في قوله تعالى:(لا تدركه الأبصار...آية 103) ومع ذلك فإن سورة النجم بالرغم من أنها تحتل هذا التفسير إلا أنه يمكن أيضاً النظر إليها بطرق أخرى، فإن التعبير بقوله: (من آيات ربه الكبرى) لا يعنى رؤية الله بالطبع، ولكن يمكن فهمها على أنها تعنى أن ما رآه محمد (ﷺ) كان علامة أو رمزاً لمجد الله وجلاله ، كما توحى الآية 11وهي: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)، والتي ربما أضيفت فيما بعد (\*) بتطور آخر في هذه النظرية بمعنى أنه بينما أدركت العينان العلامة أو الرمز، أدرك القلب الشئ المرموز، فإذا كان محمد (ﷺ) قد فسر الرؤية في البداية على أنها رؤية مباشرة، فإن هذا يتضمن أنه بالرغم من أن تفسيره لم يكن دقيقاً تماماً إلا أنه لم يكن مخطئاً في الأساسيات....ثم يقول: وبهذه الطريقة يمكننا أن نتفادى أن يكون المرئى هو جبريل ، وهو أمر مخالف للتاريخ ، كما يمكننا أيضاً أن نتفادى التناقض مع النظرة الإسلامية في أن محمداً لم ير الله" (1) . هذا هو كلام وات ، وقد نقلته - على طوله - وسأناقشه في كل نقطة .

### التحليل والتقويم

أرى من الأسهل أن أبرز الشبهات التي في كلام وات على هيئة نقاط حتى يتسنى للقارئ معرفة الحقيقة من أقصر طريق .

لكن من البداية ، ليعلم القارئ الكريم أن غرض وات من هذا كله نفى التفسير الصحيح لدى المسلمين بأن المرئى في آيات سورة النجم هو جبريل عليه السلام ، وإحلال فكرة أن المرئى في هذه الآيات هو الله سبحانه وتعالى ؛ وذلك لما يلي :

- 1- لأن جبريل لم يُذكر إلا في القرآن المدنى . أما المكي فلا .
- 2- لأن هذا هو مدلول لفظ (عبده) في الآية ، أى عبدالله ، وبدون ذلك لا ينسجم المعنى.
- 3- ورود لفظ (الحق) في قوله : (فجأه الحق) ، وهو من أساليب الإشارة إلى الله.
- 4- دلالة الضمير المحذوف في قوله : (فجاءني وقال..) ، فالفاعل ضمير محذوف وهو الله
- 5- ما ورد في رواية الزهرى : (فإذا هو جالس على العرش) يعنى : الله تعالى .

(\*) إن هذه الآية نزلت بمكة ، ولم تنزل فيما بعد (بالمدينة) كما ادعى وات.

(1) مونتجمرى وات : محمد في مكة، ص106-108.

### مناقشة "وات" في هذه الدعاوى:

## 1- دعواه بأن جبريل لم يذكر في القرآن المكي:

"إن وات اطلع على القرآن كله - بلا شك - بدليل النتيجة التي وصل إليها بالنسبة لذكر اسم جبريل وعدم ذكره . واطلاعه على القرآن كله يؤكد لنا سوء النية عنده في كل ما كتب ؛ لأنه تعامى عن أشياء هي ضد ما يدعى تمامًا . فقد ورد ذكر جبريل بالوصف مرارًا في القرآن المكي ، ومن ذلك قوله تعالى: ( إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . سورة التكويد..آيات 19-21) فقد أجمع علماء الأمة على أن المراد بالرسول الكريم هنا وما عطف عليه هو (جبريل). وعلماء المسلمين أعلم بكتاب الله من الخواجة وات ، ومن المستشرقين جميعا . وفي سورة النحل قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ..آية 102" ، وفي سورة الشعراء " نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ..آية 193، 194" ، فكيف تعامى وات عن هذه النصوص القواطع إذا لم يكن سئ النية ؟ وهب جدلا أن وات لم يطلع على القرآن كله ، فهو قطعًا اطلع على آية البقرة المدنية التي ورد فيها اسم جبريل صريحًا. نحن نقبل هذا الاحتمال ، ومع ذلك نجزم بسوء النية عنده ، أتدرى لماذا؟ أقرأ معي نص آية البقرة : (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ.. البقرة : آية 97) ، فالآية تصرح بأن جبريل نزل بالقرآن كله مكيه ومدنيه"(1) .

ثم إن سيدنا محمدًا (ﷺ) نفسه - وهو الذي أقرَّ وات قبل قليل بأنه صادق - ، هو الذي أخبر بأن الذي رآه هو جبريل عليه السلام ، فكيف يصفه وات بالصدق ثم لا يصدقه؟

"وإذا أراد وات أن يساير هذا المنطق فليقل : إن الرجل الذي أوحى إليه بمكة لم يكن محمدًا ؛ لأن اسم محمد لم يذكر في السور المكية"(2) .

---

(1)د.عبدالعظيم المطعنى:افتراءات المستشرقين على الإسلام ..عرض ونقد ، سابق (ص11، 12) .  
(2)د.جعفر شيخ إدريس : بحث له بعنوان "منهج مونتجمرى وات في نبوة محمد (ﷺ): في كتاب : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية (216/1).

## 2- استدلاله بآية "فأوحى إلى عبده ما أوحى" على أن المرئي هو الله وليس جبريل

ويدل و ات على ذلك بأن المسلمين مجمعون على أن النبي (ﷺ) عبدُ الله ، وبدون ذلك (التأويل المونتجرئ) تكون الألفاظ ركيكة ، والمعاني غير منسجمة مع معتقد المسلمين ؛ إذ لو فسرنا المرئى بأنه جبريل لكان محمد (ﷺ) عبدًا له (يعنى جبريل)، ولكن المعنى : فأوحى جبريل إلى عبده محمد ما أوحى . ويبدو أن القناعات الفكرية المسبقة في فكر وات فرضت عليه أن لا يقرأ كلام المفسرين المسلمين حول هذه الآيات . ويقينى أنه قرأه لكنه كتم الحق لإثبات ما يريده من نفس اسم جبريل من القرآن المكي كله .

إن المفسرين المسلمين يفسرون هذه الآية بقولهم : " فأوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى ، أو : فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل ، وكلا المعنيين صحيح" (1) .

### 3- دلالة لفظ (الحق) في الحديث (حتى فجأه الحق..) على أن المرئى هو الله

يستدل و ات على أن المرئى لسيدنا محمد (ﷺ) هو الله وليس جبريل وأن المقصود بالحق هنا هو الله تعالى ؛ يستدل على ذلك بأن الحق اسم من أسماء الله .

صحيح أن الحق مما يشار به إلى الله تعالى ، لكن السياق يرفض ذلك التأويل . ثم إن للحق معاني عديدة " فالحق نقيض الباطل ، كقوله تعالى : وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ..سورة البقرة..آية 43 ، وبمعنى اليقين ، والحق هو الله ، أو التنزيل ، وبمعنى الثواب ، والحق: صدق الحديث...الخ" (2).

وعلى أية حال فقد حسم الحافظ ابن حجر المسألة فقال : " حتى جاءه الحق : أى الأمر الحق...وقال : وسُمى حقا لأنه وحى من الله تعالى" (3) .

### 4- دعواه بأن الفاعل المحذوف في قوله (فجاءنى...) هو الله:

يدعى وات أن الفاعل المحذوف في قوله (فجاءنى وقال يا محمد : أنت رسول الله) هو اسم الجلالة .

إن القاعدة على أن اللفظ يظل على ظاهره دون تأويل مالم تصرفه قرينة . والظاهر يقتضى عطف (فجاءنى) على ما قبله ، وهو جبريل ، وإلا فأين القرينة الصارفة هنا ؟

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، (448/7).

(2) ابن منظور : لسان العرب (49/10) .

(3) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، (23/1).

## 5- دلالة جملة (فإذا هو جالس على العرش)

إن مشكلة وات ترجع إلى منهجه الانتقائي مع النصوص ، فهو ينتقى من النصوص ما يخدم فكرته وينسف بها عقيدة المسلمين في الوحي . وهي عقيدة راسخة ، تزول الجبال ولا تزول ، ويذوب الحديد ولا تذوب .

إن الباحث الحق هو الذى ينظر نظرة موضوعية إلى الموضوع الذى يكتب فيه ، فيحشد له من الأدلة ما يؤيده وما يعارضه ولا ينتقى ما يراه ناصراً لفكرته ، بل يأخذ منها الصحيح نقلاً والمقنع عقلاً .

لكن وات فى سبيل إثباته أن المرئى كان (الله) سبحانه وتعالى ، ولم يكن (جبريل) - عليه السلام - قد حرّف وبدل وأظهر عوار منهجه أمام الجميع ، فينقل عن الزهرى ، كما فى تاريخ الطبرى حديث بدء الوحي ومنه: ".....قال النبي (ﷺ) : جاورت في حراء، فلما قضيت جوارى ، هبطت فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت عن يميني وعن شمالي، وخلفي وقدامي، فلم أر شيئاً، فنظرت فوق رأسي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه - قال ابن المثنى: هكذا قال عثمان بن عمر، وإنما هو " فجنئت منه " - فلقيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، وصبوا علي ماءً، وأنزل علي : " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ " (1) .

فذكر وات كلمة عرش معرفة بالألف واللام ؛ تليسا على القارئ بأنه عرش الرحمن كقول الله : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . سورة طه . آية 5 " ، وكقوله فى آيات كثيرة : ثم استوى على العرش...."

إن المقصود بمن على العرش فى هذا الحديث هو (جبريل) وليس (الله) وذلك واضح فى رواية الصحيحين بلفظ "فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض"(2).

والرواية أوضحت هنا أن المراد من العرش ، ليس عرش الرحمن وإنما هو كرسى عظيم يجلس عليه الملك ويناسب جرمه العظيم ، وقد أطلق النبي (ﷺ) عليه (عرش) لعظمه ، على أن هناك رواية ذكرها الطبرى فى تاريخه تصرح بأن المرئى لرسول الله (ﷺ) كان (جبريل) وليس (الله) ، وفيها "....حتى إذا كنت فى وسط من الجبل؛ سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال: فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا جبرئيل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء ، يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل"(3) .

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ( 2 / 303 ، 304 ) .

(2) صحيح البخارى ، باب بدء الوحي ، رقم (4) ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ) رقم 161 .

(3) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (301/2) .

### سرّ وقفة وات مع آية (لا تدركه الأبصار)

انتهى وات إلى أن النبي (ﷺ) كان يرى الله في مكة أثناء تلقيه الوحي ، ولم يكن يرى جبريل ، وقد ناقشته في ذلك .

"ولا تظن أن وات يريد أن يقول إن مصدر القرآن المكي كان وحيًا مباشرًا من الله بدون واسطة الملك جبريل ، بل الرجل يريد أمرًا آخر سيرتب عليه المقصود الخبيث له كما سيجيئ . إن كل همه أن يقول : إن جبريل لم ينزل بالقرآن المكي ، ثم ماذا ؟ ثم أن يثبت أن القرآن المكي كما ورد في الأحاديث - حسب زعمه - تلقاه الرسول (ﷺ) عن الله مباشرة ، ولا يلبث أن ينتقل وات إلى مقصوده الخبيث فيذهب إلى أنه ما دام النبي في مكة لم ير جبريل ، فهو - إذن - قد تلقى الوحي من الله مباشرة ، وقد صرح ( أي النبي ) بأنه رأى مصدر الوحي المكي - وهو الله حسب دعواه - فكيف يستقيم أن يرى محمد - وهو بشر - الله بعيني رأسه وقد قرر في القرآن المدني بأن الله (لا تدركه الأبصار) يقصد أن محمدًا كان كاذبًا في دعواه أنه رأى الله - حاشا لله - ومعنى هذا أن القرآن المكي ، (وهو 58 سورة) ليس له مصدر من الوحي فهو كلام بشر" (1) .

وهنا نستحضر سريعًا ما كان يرمى إليه وات من إنكار نزول جبريل عليه (ﷺ) في مكة ، وكذلك تفسيره المتعسف الشاذ لقول الله تعالى : (فأوحى إلى عبده ما أوحى) على أن العبد الموحى إليه هو محمد (ﷺ) ، وأن الموحى هو الله تعالى .

ويفسر وات سورة النجم بطريقة أخرى غير التي فسرها بها من قبل بأن سيدنا محمدًا قد أوحى الله إليه وراه حال الوحي ، إنه يرى أن الرؤية هنا لا تعنى أنه (ﷺ) رآه حقيقة ، لكنه رأى علامة أو رمزًا لمجد الله وجلاله ، أو رآه بقلبه ، وبهذا حاول وات قدر جهده أن ينفي فكرة أن سيدنا محمدًا رأى جبريل ، كما استدلل - بالقرآن - على أن الله لا يمكن أن يُرى حقيقة في الدنيا ، وإذن تكون النتيجة الحتمية أن محمدًا (ﷺ) لم يأخذ الوحي عن جبريل ولا عن الله ، فعمن أخذه إذن ؟

### سؤال مُلح

لماذا استمات وات في سبيل إثبات أن ما رآه محمد (ﷺ) هو الله وليس (جبريل) عليه السلام ؟

ويرد الدكتور/ جعفر شيخ إدريس على وات فيقول: "إن وات قال بذلك لسبب جوهرى هو التشكيك في أن القرآن وحي من الله وذلك بعدة وسائل ، منها : أولاً- أن كل عاقل يفهم أن الله تعالى لا يُرى عياناً في هذه الحياة الدنيا ، فإذا كان محمد (ﷺ) قد ظن أن ما رآه كان الله فهذا يجعل رؤياه من قبيل الهلوسة والوهم والخيال .

(1)د.عبدالعظيم المطعنى : افتراءات المستشرقين على الإسلام .. عرض ونقد (ص10، 11) .

**ثانياً** - أن محمداً (ﷺ) يكون متناقضاً في كلامه ، فهو يقول أولاً : إنه رأى الله ، ثم يقول أخيراً : (لا تدركه الأبصار).

**ثالثاً** - أن محمداً (ﷺ) عندما لاحظ خطأه اعتذر بإضافة آية : (ما كذب الفؤاد ما رأى).

**رابعاً** - أن محمداً (ﷺ) لم يكن يعرف أن الله لا يُرى وإنما تعلم ذلك من أهل الكتاب فيما بعد ، ولذلك غير رأيه وقال : إنه رأى جبريل" (1).

إن التجرد التام من شهوة الانتصار للذات بأى وسيلة كانت ، واستبعاد المؤثرات الذاتية عن مجال البحث العلمى هو أول خطوة صائبة يخطوها الباحث نحو الحقيقة، لكنّ وات كان على العكس من ذلك تمامًا .

### عود على بدء

لقد ذكر وات روايات الزهرى عن عروة عن عائشة ، وقسم هذه الروايات إلى اثنتى عشرة نقطة بالترتيب الهجائى (الألف بائى) فقال :

" وردت جملة (أنت رسول الله..) أربع مرات فى الفقرات (ب ، ج ، د ، ط) من حديث الزهرى . قالها جبريل فى المرتين الأخيرتين ، وفى المرة الأولى قالها (الحق) وفى الثانية ذكر بصيغة الغائب (فجاءنى)، وتختلف الملابسات فى الحالات الأربع ، فهل هذه مجرد روايات أربع لحادثة واحدة ؟ ولكن اختلفت الألفاظ بطريقة أخرى ، ونظراً لأن جبريل لم يذكر فى القرآن إلا بعد فترة طويلة ، فإن ذكره فى هذه المرحلة المبكرة مشكوك فيه" (2) .

### تحليل وتقويم

إن وات يعود مرة أخرى إلى الضمائر والإشارات التى ذكرت فى رواية الزهرى السابقة ، والتى كثيراً ما لوى أعناقها ليخرجها عن سياقها المألوف إلى الإستدلال بها على فكرته التى بلغ تعصبه لها الذروة ، وبعد أن ناقشته فى كل كلمة قالها بما لا يدع له فرصة لإثارتها ثانية أو لأتباعه وتلاميذه الذين رباهم على يديه وصنعهم على عينيه أن يرددوها ، يعود وات مرة أخرى بعدها مباشرة ليكرر ما قاله ولكن بأسلوب آخر .

ويمكننى أن أطرح سؤالاً على وات ؛ حتى أبسط المسألة وهو :

من الذى قال لسيدنا محمد (ﷺ) : أنت رسول الله ، هل هو الله أم جبريل ؟

(1) د.جعفر شيخ إدريس: منهج مونتجمرى وات فى نبوة محمد (ﷺ)، (ص219) ، وقد عزا الدكتور جعفر هذا الكلام إلى وات فى كتابه (محمد ؛ نبيا ورجل دولة) ص15 باللغة الإنجليزية .

(2) مونتجمرى وات: محمد فى مكة (ص110، 111)

والجواب - على رأى وات طبعا - أن الله هو الذى قالها له مرتين . يدل على ذلك لفظ (الحق) فى جملة (حتى فجأه الحق) . فالحق كما أسلف وات يشار به إلى الله ، وكذلك رواية (فجاءنى) بضمير الغائب ، والذى يفهم منها أيضا أن الذى جاءه هو الله وأن جبريل قال له نفس الكلام مرتين وذلك فى عبارة صريحة : (أنت رسول الله وأنا جبريل) . ولأن وات يعارض فكرة ظهور جبريل للرسول (ﷺ) من الأصل فسنجده يلعب لعبته ؛ لإقصاء فكرة ظهور جبريل - نهائيا- للرسول (ﷺ) فى نقطتين:

**الأولى :** أن جبريل لم يذكر فى القرآن المكى ؛ وبالتالي لم يوح بشئ إلى الرسول (ﷺ) فى هذه الفترة ، وقد ناقشته فى ذلك من قبل .

**الثانية :** أن كلام جبريل له (أنت رسول الله وأنا جبريل) لم يكن كلامًا حقيقيا بل كان كلامًا ذهنيًا (أو عقليًا) ، مع أن رواية الزهرى (التي استدلت بها وات) فيها حجة عليه لا له ؛ لأنها صرحت باسم جبريل ، وأنه هو المُتَبَدَّى لرسول الله (ﷺ) . يقول وات : " من المحتمل أن لا تكون الكلمات (أنت رسول الله) كلامًا خارجيًا ، بل ربما لم تكن حتى كلامًا تخيليًا ، وإنما هو كلامٌ ذهني ، بمعنى أنه لم يسمع بأذنيه ولا حتى تخيل نفسه يسمع ، وإنما كانت هذه الكلمات نوعًا من الاتصال الذى أتاه من غير كلمات"(1).

وفى هذا التفسير نفس للقاء جبريل برسول الله فى العهد المكى الذى استمر ثلاثة عشر عامًا ، كما أنه ليس فيه إثبات للقاء محمد بربه وأخذ الوحي عنه مباشرة ؛ لأن وات ذكر من قبل أن ذلك يعارض قول الله (لا تدركه الأبصار..) فعمن أخذ محمد (ﷺ) القرآن إذن ؟

ويشرح لنا وات معنى الاتصال غير الكلامى الذى بواستطه سمع النبى (ﷺ) صوت من يقول (أنت رسول الله) فيستعين بأستاذة (بولين\*) حين قَسَم "الوحي الكلامى ، والرؤى إلى نوعين : خارجى وداخلى، فالوحي الكلامى من النوع الخارجى يتكون من كلمات تسمعها الأذن رغم أن هذه الكلمات لم تصدر بطريقة طبيعية من فم (مثلا) ، وكذلك الأمر بالنسبة للرؤى الخارجية أو الرؤى العينية فهى رؤى لأشياء مادية (أو ما يبدو كذلك) يتم إدراكها بالعيون البشرية ، والرؤى فى سورة النجم تدخل فى هذا النوع . أى أنها خارجية. أما الوحي الداخلى بالكلمات فيقسمها (بولين) (إلى تخيلى وعقلى). أما التخيلى فيتم تلقيه مباشرة دون مرور بالأذن ؛ إذ يمكن أن نقول: إنه وصل عن طريق حاسة الخيال ، وأما العقلى فهو توصيل بسيط للأفكار دون استخدام كلمات وبالتالي لا صلة له بأية لغة محددة ، وقد تكون الرؤى الداخلية مثل ذلك ، أى إما تخيلية وإما عقلية ، ويمكننا الآن الاستعانة بهذه الأدوات لدراسة القرآن الكريم والأدوات المتداولة حول الوحي"(2).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص112، 113 ، وانظر أيضا : مونتجمرى وات : الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر، ترجمة د.عبدالرحمن الشيخ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، ص49.

(\*) هو : صاحب فكرة الصلاة الداخلية ، ولم أجد له ترجمة فى كتب المعاجم الاستشراقية ، ولا على الإنترنت .  
(2) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص124.

ويُحلل الدكتور/جعفر شيخ إدريس كلام وات السابق فيقول منكرًا ومنتقدًا :  
"وحاصل جواب وات أن هذه الكلمات لم تأت سيدنا محمدًا من الخارج فهي إذن ليست من الله ، وإنما جاءت من داخل نفسه ، وحتى حين جاءت من داخل نفسه لم تأت في صورة كلمات تخيل أنه سمعها ، وإنما هي فكرة أحسَّ بها من غير كلمات ثم جاءت الكلمات المعبرة فيما بعد"(1) .

وأضيف هنا أن هذه المصطلحات التي تنسب إلى (بولين) والتي أخذها عنه وات لم يستخدمها بولين في تجارب الوحي إلى الأنبياء ، ولا في تفسير ظاهرة النبوة ، وإنما استخدمها في الأصل مع القديسين المسيحيين ولكن وات استخدمها بمعنى مختلف، وبالتالي فتطبيق هذه الأدوات في تفسير ظاهرة الوحي من ابتكارات وات غير المقبولة (\*).

### تناقض بيّن في كلام وات

قد مرّ بنا أن وات قد اعترف أن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة لبشر واستدل على ذلك بقوله تعالى: (لا تدركه الأبصار) ثم هو هنا يناقض نفسه وهو يُعرّف الرؤى الخارجية أو العينية - على حد تعبيره هو - بأنها رؤى لأشياء مادية يتم إدراكها بالعيون البشرية ثم قال : والرؤى في سورة النجم تدخل في هذا النوع ، أي أنها خارجية ، وهذا تعارض لا أعرف له مبررًا من وات إلا الاضطراب في القول وعدم الاقتناع بما يقول .

وهنا يظهر لي سرُّ جملة قالها وات حين قال : " إنني أعتقد أن القرآن الكريم بمعنى من المعاني صادر عن الله ، وبالتالي فهو وحي ، وأمل أن يتضح من السياق ما يقصده بقوله (بمعنى من المعاني)"(2) .

وليطمئن وات ، فقد فهمنا ما يقصده من قوله (بمعنى من المعاني) واتضح لنا بجلاء بعد نظرية بولين (\*\* ) التي استعارها منه لشرح ظاهرة الوحي . إن قوله (بمعنى من المعاني) أي : بمعنى من المعاني التي يعتقدونها وات ، لا التي يعتقدونها المسلمون . وكلامه السابق يغني عن شرح مقصوده هنا .

ويحاول وات أن يُضفي الغموض على الوحي فيقول : " وهذه التجربة الفعلية لا يمكننا بطبيعة الحال إلا الاقتراب منها ؛ إذ لا يمكن الوصول إليها تمامًا"(3).

(1) د. جعفر شيخ إدريس: منهج مونتجمري وات في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ص 223.

(\*) للتوسع : انظر مقدمة مترجم كتاب : محمد في مكة ، ص 26.

(2) مونتجمري وات : الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، ص 39 .

(\*\*) في هذه النظرية : يقسم بولين الوحي إلى: تخيلي، وعقلي، أما التخيلي فيتم تلقيه مباشرة دون مرور بالأذن إذ يمكن أن نقول أنه وصل عن طريق حاسة الخيال . وأما العقلي، فهو توصيل بسيط للأفكار دون استخدام كلمات، وبالتالي لا صلة له بأية لغة محددة . انظر . مونتجمري وات: محمد في مكة ، مقدمة المترجم ، ص 124.

(3) مونتجمري وات : الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، ص 46.

والعجيب أن وات قد قطع عهدًا على نفسه في بداية كتابه: (محمد في مكة) بأنه سيكون "حياديًا في المسائل اللاهوتية وأنه سيكتب كمؤمن بالتوحيد" (1) .

ويعود هنا ليقطع على نفسه عهدًا آخر- ولم يوف بهما - فيقول :

"والمنهج الذى اتخذته فى هذه الدراسة هو أن أصلَ بقدر ما أستطيع إلى مستوى الحقيقة الخالصة ، ولن أتعرض للقرآن الكريم باعتباره من إنتاج (تأليف) محمد ، وإنما باعتباره وحيا" (2) .

ثم يقطع العهد الثالث على نفسه فيقول : "ومنهجنا فى هذه الدراسة هو الوصول إلى المقصود من خلال القرآن والسنة" (3) .

إنه لم يلتزم بحرف واحد مما قال.. سبحان الله!! إننى أتخيل وات واقفاً أمام الله عز وجل يوم القيامة حين يُسأل عن طعونه فى الوحي المحمدي فإذا به ينكر ، فيُعطي كتبه التى كتبها فى الدنيا ويقال له : "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . الإسراء.. آية 14" .

### الادعاء بأن سيدنا محمد يسعى للنبوّة...دعوى بغير دليل

يقول وات : "لا شك أن محمدًا (ﷺ) كان مدركاً منذ شبابه لبعض المشاكل الاجتماعية والدينية فى مكة ، ولا شك أيضاً أن وضعه كيتيم جعله أكثر إدراكاً للانحرافات التى فى المجتمع ، ومن الناحية الدينية يمكننا أن نفترض أنه كان يدين بالتوحيد المبهم الذى كان عليه أغلب المتتورين من أهل مكة وكان كل شئ حوله يوحي بأن هذا الإصلاح يجب أن يكون دينياً ، وفى هذا الإطار الفكرى كان من الواضح أن يتعمد محمد السعى إلى الوحدة ليلجأ إلى الأمور الإلهية ويؤدى بعض العبادة ؛ وربما طلباً للتكفير عن الخطايا" (4) .

---

(1) انظر . مونتجرى وات : محمد فى مكة (المقدمة) ، ص40

(2) مونتجرى وات : الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر ، ص40.

(3) السابق ، ص46

(4) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص110 .

### التحليل وتقويم

من المعلوم لدينا – نحن المسلمين – أن النبوة من الله هبة لا كسب ، فلا يمكن أن تُمنح لإنسان جزاءً وفاقاً على كثرة عبادته وفعله للخيرات ، وتركه للمنكرات .

إن وات ادعى أن سيدنا محمدًا (ﷺ) كان يدين بالتوحيد المبهم (الغامض) الذي كان عليه بعض حنفاء مكة ، وسيدنا محمد (ﷺ) ليس في ذلك مثلهم ؛ لأن القرآن نفى عنه ذلك بقوله تعالى " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...سورة الشورى.آية 52" . فما كان النبي (ﷺ) يعرف قبل الوحي ما هو القرآن ، ولا كان يعرف معالم الإيمان . ثم يدعى وات أن نبينا محمدًا (ﷺ) كان يذهب إلى الغار ؛ بحثاً عن الوحي الذي طالما سمع عنه من الأقدمين من قومه، فراح يبحث عن العزلة هناك ، ويتقمص شخصية النبي الموحى إليه ليقوم بإصلاح مكة دينياً .

**يقول الدكتور/ جعفر شيخ دريس منتقداً كلام وات :** "ولا يجد وات مادة تاريخية يعتمد عليها فيما يريد أن يقول . إنه يريد أن يقول : إن سيدنا محمدًا (ﷺ) كان متهيناً نفسياً لأن يكون نبياً ؛ لأن هذا سيساعده في نظريته التي سنتعرض لها فيما بعد وهي (اللاشعور الجمعي) أو (اللاوعي الجمعي) ، وإذا كانت المادة التاريخية لا تسعفه – بل تشهد بعكس ما يريد – فلا عليه إذن من أن يفترض فروضاً تسابير نظريته"(1).

"إنه لم يرد في الأخبار الصحيحة والمرفوعة أن محمدًا (ﷺ) كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي كان يتحدث عنه بعض علماء اليهود والنصارى قبل بعثته ، ولو روى عنه شيء من ذلك ، لدونه المحدثون لأنهم ما تركوا شيئاً بلغهم عنه إلا ودونوه"(2) .

إنَّ تعبد النبي في الغار لم يكن أملاً أو استعداداً منه للنبوة ؛ " لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حينما رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأمول وتحقق رجائه ، ولم يخف منه على نفسه ، وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنُّت اشتداد الوحشة من سوء حال الناس ، والهرب منها إلى الأُنس بالله تعالى ، والرجاء في هدايته إلى المخرج منها"(3) .

وفي هذا يقول الله تعالى {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ } القصص : 86 .

(1)د.جعفر شيخ إدريس : منهج مونتجمرى وات في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ص220.

(2)محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، سابق ، ص 69 .

(3)السابق : ص 76 .

## عودة إلى سورة النجم

يقول وات : "لقد جاء وصف الرؤية الأولى في سورة النجم في آية تفند اعتراضات معينة أثارها أهل مكة ضد الموثوقية في الوحي الذي نقله محمد (ﷺ) إليهم ، ومعنى ذلك أنه كان قد أعلن بعض ما أوحى به إليه على الأقل وربما أكثر ، فالحديث عن الرؤية في هذا السياق يبين أنه لا بد أن يكون للرؤية علاقة بتلقى الوحي ، ومع ذلك فليس هناك ما يدل على أن الرؤية قد صاحبها تلقى آيات معينة ، بل إننا إذا ناقشنا أكثر من آيتين نجد أن ذلك مستحيل ، ويبدو أن النتيجة العامة للرؤية شيء أكثر عمومية مثل التأكيد على أن هذه الآيات كانت رسائل من الله ، وربما التأكيد أيضا على أن محمدا (ﷺ) قد أمر بإعلانه ، وهذا يعنى الافتراض المسبق بأن محمداً (ﷺ) قد تلقى الوحي بالفعل عدة مرات ، ولكنه لم يكن واثقا من حقيقة طبيعة هذه الكلمات التي جاءت إليه ، أما الآن فقد أخبر بذلك وجاءه التأكيد ، أو يمكننا أن نعتبر الرؤية نداء ؛ كي يلتمس الوحي ، وربما كان محمد يعرف شيئا عن طرق استقرائه" (1) .

## تحليل وتقويم

ومن الأسهل وضع دعاوى وات على شكل نقاط كالاتى :

أ- يظن وات أن سورة النجم هي أول مرة رأى فيها سيدنا محمداً (ﷺ) من أوحى إليه وهو الله - على حد زعمه - وبالتالي فهي أول ما أوحى إليه من القرآن ، وهو بهذا يخالف كتب التفسير والحديث والسيرة ، ويخرق إجماع علماء المسلمين . على أن أول ما نزل من القرآن باتفاق هو صدر سورة اقرأ .

ب- ويعود وات فيقول : إن سياق آيات سورة النجم يدل على أنه قد سبقها وحي ، وهذا أوافق عليه ؛ إذ نزلت قبلها سورة اقرأ ، والمدثر ، والمزمل ، والضحي .

ج- وهذا الوحي السابق على سورة النجم لم تحصل فيه رؤية الموجي ، وهذا أخالفه فيه ؛ لأن السنة النبوية الصحيحة قد صرحت بأنه (ﷺ) رأى جبريل .

د- أن هذا الوحي السابق على سورة النجم كان عبارة عن مقاطع أشبه برسائل من الله ، مثل جملة: (أنت رسول الله) التي وردت في الروايات ، وأن المطلوب من محمد (ﷺ) أن يعلنها ، فلما أعلنها عارضه قومه ، وأن محمداً (ﷺ) لم يكن واثقا من حقيقة هذه الكلمات ، أهى وحي أم لا ، أما الآن وبعد أن تبدي له (الله) كما في آيات سورة النجم - حسب زعم وات - فقد تأكد من أن الذي نزل عليه من قبل كان قرآنا ومن هذا سورة اقرأ ، وسورة المدثر ، وسورة المزمل ؛ بوصفها أول السور نزولا "فهل كان النبي جاهلاً أو شاكاً في معاني هذه الآيات التي بلغها للناس وأعلن بها أنه رسول الله ، وأمن بها معه عدد منهم وصدقوا بأنه رسول الله؟" (2) .

هـ- أن النبي (ﷺ) كان يستدعي الوحي متى شاء فينزل عليه ، وهذه المسألة تحتاج إلى تقويم على النحو التالي :

(1) مونتجمرى وات : محمد في مكة ، ص111

(2) د. جعفر شيخ إدريس: منهج مونتجمرى وات في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ص222. والدكتور جعفر . يقول هذا الكلام تهكما من وات ، ورداً عليه ، فكتابه أصلا : بحث للرد على منهج وات في نبوة سيدنا محمد (ﷺ) .

## زعمه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يستدعى الوحي:

إن وات يقول بفكرة استدعاء الوحي ، أى أنه (ﷺ) متى طلب الوحي نزل عليه ، وفى هذا يقول :

"تؤخذ كلمة مُدَّثِر عادة على أنها (مغطى بدثار) فإذا كان هذا المعنى صحيحا فإن فعل ذلك له علاقة ما بتلقى الوحي ، وربما يكون ذلك لحث الوحي وهو الأكثر احتمالا ، أو لحماية المتلقى الأدمى من خطر التجلى الإلهى "(1).

**ويقول أيضا:** "وسيكون شائقا أن نعرف ما إذا كان محمد لديه أية طريقة لحث الوحي على النزول عليه . إننا لسنا متأكدين مما إذا كان وضع نفسه فى دثار يحقق هذا الغرض ، والأكثر معقولة أن الوحي ينزل على غير توقع . وأخيرا على أية حال فمن الممكن أن يكون محمد (ﷺ) قد طور بعض التقنيات (الأساليب) للاستماع إلى الوحي، وربما يكون من خلال قراءته للقرآن الكريم قراءة هادئة بالليل ، خاصة عندما كان يشك فى اكتمال الوحي ، وقد تكون هذه طريقة لاكتشاف الآيات الضائعة.....فإن محمداً كان فى بعض الأحيان يستحث الوحي على النزول"(2) .

### التحليل وتقويم

يتلخص كلام وات فى الاتى:

1- من المحتمل أن يكون محمد (ﷺ) قد اكتشف طريقة لاستجلاب الوحي، وهى وضع نفسه فى دثار . والسؤال هنا : هل يعقل فى عالم النبوة أن يكون الدثار أداة لاستجلاب الوحي؟ ألا ما أسهل أن يستجلب الوحيَ إذن أى إنسان !!

2- وحين اكتشف وات أنه لم ينزل من القرآن فى الدثار إلا مرتان ، فى أول المزمّل ، وأول المدثر، عاد فقال : وربما يكون محمد قد تعلم أساليب جديدة لاستحضار الوحي ، كقراءة القرآن فى ساعة متأخرة من الليل ؛ حيث الهدوء والسكون والخشوع .

3- كما استخدم سيدنا محمد (ﷺ) هذه الطريقة فى البحث عن الآيات الضائعة أو المفقودة منه .

ثم إن فكرة (استجلاب) أو استدعاء الوحي توافق نظرية (الوحي الداخلى) التى تحدث عنها وات قبل قليل .

ولذلك ، وجدنا وات يمهد لفكرته هذه فيقول : "ومن الطبيعى أن نفترض أن محمداً كان يتذكر الرؤية الأولى فى الأوقات التى كان يشعر فيها باليأس ، وربما كان التفكير فيها يلمع فى عقله فى اللحظات الحرجة ويعزوها إلى قوة عليا"(3).

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 116 ، 117.

(2) السابق : ص 130.

(3) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 112.

إن النبي (ﷺ) لم يكن يعرف متى ، ولا أين يأتيه الوحي ، حتى فى الأوقات التى كان أحوج ما يكون فيها إليه . وثمة أدلة نقلية ، ووقائع تاريخية تثبت ذلك ، وتهدم فكرة وات ، منها :

### 1- سؤال النبي (صلى الله عليه وسلم) جبريل أن يزوره :

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِجَبْرِيلَ أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا قَالَ فَنَزَلَتْ : "وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا" (1) .

### 2- تأخر الوحي خمسة عشر يوماً والحاجة إليه ماسة :

كما روى ابن هشام ، قال : أُرْسِلْتُ فَرَيْشُ النَّضْرَ وَابْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ يَسْأَلَانِهِمْ عَنْ مُحَمَّدٍ (ﷺ) فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بَعَثُوهُ وَبَعَثُوا مَعَهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ وَقَالُوا لَهُمَا : سَلَاهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ فَحَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ وَأَخْبَرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ وَقَالَا لَهُمْ إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا . فَقَالَتْ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودَ سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثِ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ . سَلُوهُ عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبُوهُ وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ ؟ فَأِذَا أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَاتَّبِعُوهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ . فَأَقْبَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ابْنَ أَبِي عَمْرٍو بْنَ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ بْنَ قُصَيٍّ حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ عَلَى فَرَيْشٍ ، فَقَالَا : يَا مَعْشَرَ فَرَيْشٍ ، قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ أَخْبَرْنَا أَحْبَارَ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلُهُ عَنْ أَسْيَاءِ أَمْرُونَا بِهَا ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ . فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَّافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؛ وَأَخْبِرْنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ ؟ قَالَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : أَخْبِرْكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا وَلَمْ يَسْتَنْنِ فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ . فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - حَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحَيًّا ، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَقَالُوا : وَعَدْنَا مُحَمَّدًا غَدًا ، وَالْيَوْمَ حَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مُكْثُ الْوَحْيِ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ : ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، فِيهَا مُعَانِيَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ وَخَبْرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْفِتْنَةِ وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ وَالرُّوحِ (2) .

وفى ذلك دليل على أنه (ﷺ) لم يكن يملك استدعاء الوقت فى أى وقت شاء ، وإنما كان ينتظر حتى يأذن الله لملك الوحي بالتنزل عليه (ﷺ) . وإليكم أدلة أخرى ..

(1) صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، رقم (3218)

(2) ابن هشام : السيرة النبوية ، (301/1) .

3- وحديث الإفك خير شاهد على أن الوحي لا يستدعى ، وإلاً لَبَرَّ النبي (ﷺ) عِرْضه وعِرْض أحب أزواجه إليه(1) .

4- ومما يهدم فكرة استجلاب الوحي - فترة انقطاع الوحي عنه (ﷺ) ، ومعلوم مدى الحزن الذي يعانیه (ﷺ) بسبب فتور الوحي عنه ، وما كان أغناه (ﷺ) أن يُذهب عن نفسه الحزن بأن يطلب الوحي فيأتيه من فوره لو كان ذلك كذلك .

"وإن نظرة واحدة نلقيها على عناصر هذه الظاهرة (ظاهرة الوحي) لتهدينا إلى أنها لا يمكن أن تكون صناعة وتكلفا ، وبخاصة لو تأملت تلك الأصوات المختلفة التي كانت تسمع عند الوجه النبوي الشريف ، وأيضا لو كانت صنعة وتكلفا لكانت طوع يمينه فكان لا يشاء يوما أن يأتي بقرآن جديد إلا جاء به من هذا الطريق الذي اعتاده في تحضيره ، وقد علمت أنه (ﷺ) كثيرا ما التمس الوحي في أشد أوقات الحاجة إليه وكان لا يظفر به إلا حين يشاء الله ، فهي إذن (ظاهرة الوحي) حال غير اختيارية"(2) .

إن الوحي بطبيعة الحال حدث تلقائي مفاجئ يباغت النبي أو الرسول دون سابق إنذار ، ولم يحدث أن استشرفه سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أو استعد لنزوله مرة ، وليس أدل على ذلك من أنه كان يأتيه على أي حال ؛ قاعداً أو قائماً ، سائراً أو راكباً ، بكرة أو عشياً ، وفي أثناء حديثه مع الأصحاب أو الأعداء ، لدرجة أنه كان ينزل عليه أحيانا وهو على دابته في السفر ، فقد روى الإمام أحمد ، بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ:

" إِنْ كَانَ لِيُوْحَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ ، فَتَضْرِبُ بِجَرَانِهَا (\*) (3) .

من هنا يتأكد للباحث الذي ينشد الحق بدليله أن الوحي كان يأتي النبي (ﷺ) فجأة لاستشرافا ، وإلزاما لا اختيارا ، وهذا ما نعارض به - نحن المسلمين - وات في نظريته المستعارة (الوحي الداخلي) أو (الوحي النفسي)، ونثبت به ربانية الوحي المحمدي .

(1) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة بني المصطلق من خزاعة ، رقم (4141) . وفي صحيح مسلم : كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، رقم (2770).

(2) د.محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن الكريم - تحقيق الشيخ: أحمد مصطفىفضلية، ط10، دار القلم - الكويت - 1429 هـ ، 2008 م ، ص100 ، 101.

(\*) الجران باطن العنق وقيل مُقَدَّم العنق من مذبج البعير إلى منحره فإذا بَرَكَ البعير ومدَّ عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه بالأرض: انظر: لسان العرب (86/13). والمقصود أنها تضعف أمام ثقل الوحي فتضطر إلى ذلك.

(3) مسند أحمد(362/41)رقم(24868) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط ورفاقه : حديث صحيح ، وهذا سند حسن .

### مرحلة الدعوة السرية

يقول وات عن هذه المرحلة : "وهناك دلائل قوية في الأحاديث على أن هناك تميزاً بين الدعوة العلنية والدعوة السرية... وقد أخبرنا ابن إسحاق أن الوحي كان يبلغ إلى محمد (ﷺ) على لسان إسرائيل لمدة ثلاث سنين قبل السنين العشر التي كان الوحي يأتيه فيها على لسان جبريل" (1) .

ويقول كذلك عن هذه المرحلة : "وقد استمرت هذه المرحلة ثلاث سنين ، وفي هذه المرحلة كان قد بدأ يتلقى وحيًا من نوع ما ، وفي الأحاديث التي ورد فيها ذكر إسرائيل ما يفيد أن محمدًا (ﷺ) كان يسمع صوتًا ولا يرى جرمًا ، ويمكن أن نرجع القسم الأول من سورة العلق وسورة الضحى إلى هذه المرحلة ، وقد يكونان (العلق ، والضحى) أيضًا من نوع الوحي ذي الطبيعة الخاصة (الموجه إلى محمد خاصة) والذي لم يعتبره محمد جزءاً من القرآن ، وعند نهاية هذه السنين الثلاث كانت الفترة (فترة انقطاع الوحي)" (2) .

### التحليل والتقويم

لقد قسّم وات الكلام في هذه المرحلة إلى نقطتين:

**النقطة الأولى :** إسرائيل كان ملك الوحي في مرحلة الدعوة السرية .

**النقطة الثانية :** طبيعة الوحي في هذه المرحلة .

والآن أشرع في البيان ..

**النقطة الأولى :** دعواه بأن إسرائيل كان ملك الوحي في مرحلة الدعوة السرية :  
ومن المعلوم لدى المسلمين أن ملك الوحي الذي نزل بالقرآن كله من أوله إلى آخره هو الأمين جبريل عليه السلام ، قال تعالى : " وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . الشعراء آيات : 192- 195"

وقوله تعالى : "قل نزله روح القدس من ربك بالحق.... إلخ . النحل . آية 102"  
مما يؤكد أنه نزل بالقرآن كله دون استثناء حرف منه ، وقد استغرق ذلك من عمر الدعوة ثلاثاً وعشرين سنة .

لكن وات فاجأنا بأن إسرائيل عليه السلام ظل أميناً على الوحي ، ينزل به على النبي (ﷺ) لمدة ثلاث سنوات وهي مدة الدعوة السرية قبل أن يتولى جبريل هذه المهمة . وهذا غير صحيح . "فقد اتفقت كلمة أئمة الإسلام وأعلام علماء الإسلام في كافة الأعصر والأجيال وذوى المعرفة من الحكماء في سائر أوطان الإسلام على أن الملك الذي أخبر حديث بدء الوحي في جميع رواياته أنه جاء إلى رسول الله محمد (ﷺ) في غار حراء يقظة مفاجأة فقال له : اقرأ هو الروح الأمين جبريل" (3).

(1) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص 115.

(2) السابق : ص 117.

(3) د. محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله (ﷺ) ، (258/1).

إذن فمن أين جاء وات بهذا ؟ هل لذلك عندنا أصل؟  
نعم . وجدت في بعض كتب التاريخ والطبقات روايات تشير إلى ذلك بصراحة ،  
وإن كان مصنفوا هذه الكتب لم يتبنوا هذا الرأي ، فكل من أورد هذه الروايات يعلق  
عليها بقوله : (قال الواقدي : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قرن به) فقد  
جاء في دلائل النبوة : "أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال أخبرنا أبو عمرو بن  
السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال حدثنا أبو عبد الله قال حدثنا محمد بن أبي  
عدي عن داود عن عامر قال نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته  
إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم يُنزل القرآن فلما مضت ثلاث  
سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام فنزل القرآن على لسانه عشرين ، عشرًا بمكة  
وعشرًا بالمدينة فمات وهو ابن ثلاث وستين" (1) . فليس في الحديث ما يدل على  
أن إسرافيل نزل بشئ من القرآن على النبي (ﷺ) ، بل إنه ينفي إمكانية ذلك تمامًا .  
"قال الواقدي : ذكرت ذلك لمحمد بن صالح بن دينار ، فقال: والله يا بن أخي لقد  
سمعت عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة يحدثان في المسجد  
ورجل عراقي يقول لهما هذا، فأنكره جميعاً ، وقال: ما سمعنا ولا علمنا إلا أن  
جبريل هو الذي قرن به، وكان يأتيه بالوحي من يوم نبيء إلى أن توفي (ﷺ)" (2).  
ويتضح مما سبق أن علماءنا حين نقلوا هذه الروايات لم يعتمدوها ، بل وجهوا لها  
سهام النقد والاتهام .

لكن هذه الروايات التي ذكرتها الآن - والتي اعتمد عليها وات - في ظاهرها تختلف  
مع حديث بدء الوحي المخرج في الصحيحين الذي ذكرته في أول المبحث.  
واللجوء إلى التوفيق بين الروايات أولى من الترجيح .  
وممن وفق بين الروايتين : الإمام أبو شامة - يرحمه الله - فقال :  
"وحديث عائشة (في الصحيحين) الذي يتكلم عن نزول جبريل في الغار لا ينافي  
هذا ، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكل تدريجًا وتمريناً إلى أن جاءه  
جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل ؛ اختصاراً للحديث ، أو لم تكن السيدة  
عائشة وقفت على قصة إسرافيل" (3) .

ويمكن أن نفهم مما سبق أمرين :

1- أنه قد تم لقاء بين الرسول (ﷺ) وإسرافيل عليه السلام في المرحلة ما بين مبدأ  
النبوة وتتابع الوحي بالقرآن عن طريق جبريل عليه السلام ، أو لعل ذلك كان في  
مدة فترة الوحي .

2- أن مهمة إسرافيل عليه السلام في هذه الفترة كانت بمثابة تهيئة نفسية للوحي  
المتتابع وتمرينا ، وقد ذكرت السنة لنا نزول بعض الملائكة عليه (ﷺ) في وقائع  
مختلفة فقد نزل ملك الجبال على النبي (ﷺ) لما آذاه قومه يعرض عليه أن يطبق =

(1) البيهقي : دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي ، ط1: دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، 1408

هـ / 1988م (132/2)، وانظر تاريخ الطبري (387، 386/2).

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ( 387، 386/2 ).

(3) محمد بن يوسف الصوالحي : سبل الهدى والرشاد ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ على محمد معوض ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، 1414 هـ - 1993 م (230/2).

عليهم الأخشبين(الجبليين)(1).

وقد نزل إسرائيل على النبي (ﷺ) كما في حديث ابن عمر يُقُولُ: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : لَقَدْ هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا هَبَطَ عَلَيَّ نَبِيٌّ قَبْلِي ، وَلَا يَهْبِطُ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِي ، وَهُوَ إِسْرَافِيلُ وَعِنْدَهُ جِبْرِيْلُ ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَمْرِي أَنْ أُخْبِرَكَ إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا ، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلَكًا ، فَظَنَرْتُ إِلَى جِبْرِيْلٍ فَأَوْمَأَ جِبْرِيْلُ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: نَبِيًّا عَبْدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنِّي قُلْتُ نَبِيًّا مَلَكًا ، ثُمَّ شِئْتَ لَسَارَتِ الْجِبَالُ مَعِيَ ذَهَبًا"(2).

وفي هاتين الزيارتين كان جبريل عليه السلام حاضراً ، وهذه هي مهمته وحده ؛ إذ لا يمكن أن يتعدى ملكٌ على الآخر ، فلكلٍ مهمته ، وقد حكى القرآن الكريم قولهم : " وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ . سورة الصافات . آية : 164 " .

ومعنى الآية : "ما منا من ملك إلا له مرتبته ومنزلته ووظيفته لا يتعدها ، فمننا الموكل بالأرزاق ومنا الوكل بالأجال ومنا من يتنزل بالوحي"(3).

3- وعلى أية حال فإن النبي (ﷺ) لم يأخذ عن إسرائيل شيئاً من القرآن ، وهذا ما صرحت به الرواية حين جاء فيها " أنه كان يعلمه الكلمة والشئ ولم يُنزل القرآن " ، وهذه الجملة كافية في الرد على وات .

### النقطة الثانية : حقيقة الوحي في مرحلة الدعوة السرية :

وملخص كلام وات عن هذه النقطة كالتالي :

1- الدعوة السرية استمرت ثلاث سنوات ، وكان ملك الوحي في هذا الإبان هو الملاك اسرافيل (ﷺ) .

2- في هذه المرحلة بدأ سيدنا محمد (ﷺ) يتلقى وحياً من نوع خاص ، لم يعتبره النبي (ﷺ) من القرآن الكريم .

3- سورة الضحى ، وصدر سورة العلق من أنواع الوحي الخاص الذي نزل في هذه المرحلة ، والذي لم يعتبره سيدنا محمد (ﷺ) جزءاً من القرآن .

(1) أشير هنا إلى حديث البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء ، آمين فوافقت إحداهما الأخرى ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، رقم (3231) .

(2) الطبرانى : المعجم الكبير (348/12) ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، ط1 مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، 1404 - 1983 وقال الهيثمي: فيه يحيى بن عبد الله البابلتي، وهو ضعيف. [انظر : السيوطي : جامع الأحاديث ، تحقيق : فريق من الباحثين بإشراف د علي جمعة ، طبع على نفقة: د حسن عباس زكي (442 / 17) برقم [18550].

(3)د.محمد على الصابوني : صفوة التفاسير، (46/3).

وقد رددت على أن النازل بالقرآن فى السنين الأولى من الدعوة كان إسرائيل ، لكن الفكرة الجديدة التى يتبناها وات هنا هى : أن الوحي كان نوعين ؛ خاصًا ، وعامًا ، فما نزل فى فترة الدعوة السرية كان من نوع الوحي الخاص ، وأما ما نزل بعد ذلك فقد كان وحيًا من النوع العام . وما دام الوحي الذى نزل فى الفترة الأولى من الدعوة لم يكن من القرآن ، فإن صدر سورة العلق ، وسورة المزمل ، والمدثر ، والضحي . كل هذه السور ليست من القرآن .

إن ذلك محض افتراء على رسول الله (ﷺ) ؛ لأنه كيف يكتم وحيًا أنزله الله عليه ، وقد نزل عليه قوله تعالى وتلاه على الناس : " { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } البقرة : 159 .

كما نزل عليه قول الله تعالى : " { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاسْتَرَوْا بِهِ تَمَنًّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ } . آل عمران : 187 .

كما نزل عليه قوله سبحانه : " .

وقوله سبحانه : " { وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } . الكهف : 27 . ولم يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا (ﷺ) بتلاوة سُورٍ دون أخرى .

ولو كان كلام (وات) صحيحًا ، فلم نجد هذه السور فى مصاحفنا إلى الآن ما دام النبى (ﷺ) لم يعتبرها قرآنًا ؟ ولم توجد فى ترجمات المستشرقين للقرآن ؟ إن وات يريد أن يثبت أن فى القرآن زيادة ، وما دام أثبت وات أن فيه زيادة ، يسهل أن يقال بعد ذلك : إن فيه نقصا . وحاشا للقرآن أن يوجد فيه نقص أو زيادة ، وحاشا لرسول الله أن ينقص من أو يزيد عليه .

قال الله تعالى : " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ . الحاقة : آيات 44-47 " .

"وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " وَمَنْ رَعِمَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ :

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } المائدة : 67 " (1).

"وعن أنس قال : جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبى (ﷺ) يقول اتق الله وأمسك عليك زوجك قال أنس : لو كان رسول الله (ﷺ) كاتما شيئًا لكتم هذه " (2).

- (1) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله عز و جل { ولقد رآه نزلة أخرى } وهل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء ؟ ، رقم 177 .  
(2) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، بابُ { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } { وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } ، رقم 7420 .

## الإدعاء بأن سيدنا محمدا (ﷺ) لا يميز بين كلامه ، والوحي النازل عليه؟

يقول وات: "ومن البداية لابد أن محمدا (ﷺ) قد ميز بشكل واضح بين ما يأتيه وحيا - كما يعتقد - وبين ما ينتجه عقله الواعي ، أما كيف كان يميز بينهما ، فهذا أمر غير واضح تماما" (1).

### التحليل والتقويم

إن وات يرى صعوبة فى كيفية تمييز النبي (ﷺ) كلامه الشخصى من كلام الوحي الإلهى ، وهذا شئ يثير الدهشة والتساؤل!!  
يقول مالك بن نبي : "ومن المقطوع به أن الأحاديث المحمدية ، والوحي القرآنى يمثلان أسلوبين لكل منهما طابعه وصياغته الخاصة ، فالعبارة القرآنية لها نسق وجرس تعرفه الأذن ولها هيئة تركيبية وألفاظ خاصة ، فليس من الخطأ أو الغلو فى شئ أن يقال : إن الأسلوب القرآنى معجز لا يتسنى لأحد الإتيان بمثله" (2) .  
"فلقد عقد المتعمقون بالعربية من المستشرقين موازنات بين القرآن والحديث النبوى من حيث الأسلوب والمحتوى واستنتجوا أن هناك أسلوبين فى البيان ومضمونين فى المعانى والمبادئ ، فأسلوب القرآن معجز لفظا ومعنى ، وهو يُنبئ عن مصدر علوى ربانى ، وأسلوب الحديث يوضح عن قدرة بلاغية بشرية متفوقة" (3).  
فمن منا لا يستطيع أن يميز كلام نفسه من كلام غيره ؟ هذا بين البشر والبشر ، فكيف الحال إذا كان التمايز بين كلام الله وكلام البشر (وهو رسول الله) ، فالتمايز واضح جداً بين كلام الله وأحاديث رسول الله (ﷺ) علما بأن الأحاديث وحى من الله بالمعنى ، أما المتصرف فى الألفاظ فهو رسول الله (ﷺ) .

### الإدعاء بأن سيدنا محمدا (ﷺ) لم يكن على وعى حقيقى بالوحي؟

يقول وات: "يصح للمؤرخ أن يضع فى اعتباره الشكل الدقيق (المحدد) لوعى محمد (ﷺ) بتجربة الوحي هذه ، كيف بدا له؟ وكيف وصفه؟ تلك حقائق تاريخية موضوعية حتى لو كانت مرتبطة بوعى محمد (ﷺ) ، وحتى لو كان وصفه لها ربما ارتبط بوجهات نظره السابقة" (4).

### التحليل والتقويم

إن وات يريد أن يعرف ، هل كان محمد (ﷺ) واعيا بما يحدث له فى تجربته مع الوحي أم لا ، فيرى أن وصف النبي (ﷺ) لتجربته مع الوحي لن يكون وصفا موضوعيا ؛ لأنه ربما يكون قد تأثر بما سمعه من اليهود الذين قابلهم والنصارى والحنفاء الذين كانوا فى مكة . وهذا غير صحيح تاريخيا ، فمكة لم يكن فيها نصارى ، اللهم إلا ورقة الذى تنصر فى الجاهلية بعد أن طعن فى السن ، وهذا الرجل لم يلتق بالنبي (ﷺ) إلا مرة واحدة ، كما جاء فى البخارى أن ورقة بعد لقائه بالنبي (ﷺ) "لم ينشب (أى يلبث) أن توفى" (5) .

- (1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص122.
- (2) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ترجمة : د.عبدالصبور شاهين ، ط4 دار الفكر، دمشق .سورية1987م، ص172.
- (3) نذير حمدان :الرسول فى كتابات المستشرقين ، مطبوعات رابطة العالم الإسلامى، دبت ، ص36 .
- (4) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص123.
- (5) صحيح البخارى ، أول كتاب : بدء الوحي ، رقم (3) .

### التصور العام للوحي فى فكر وات

- يذكر وات هنا جُماع آرائه عن الوحي ، ويلخص ما قاله من قبل بحيث نفهم منه تصويره الأخير عن الوحي ، وذلك بعد أن تبينى نظرية أستاذه (بولين) عن أنواع الكلام والرؤى التى ناقشته فيها قبل قليل ، وسأذكر رأى وات على صورة نقاط(1):
- 1- لا يشترط أن يكون الوحي خطابا شفهيًا (بناء على رأى أستاذه ريتشارد بل).
  - 2- فى معظم الحقبه المكية كان الوحي من عمل الروح بإذن من الله .
  - 3- فى المرحلة الأولى من الوحي لم يرد ذكر لملك نزل به ، بل كان ذلك متأخرًا .
  - 4- فى الحقبه المكية لم يكن هناك ذكرٌ لسماع النبى (ﷺ) ما أوحى إليه .
  - 5- هذا الوحي كان وحيًا كلاميًا من النوع الداخلى أو (العقلى) وهو إلى القلبى أقرب من التخيلى ، ولم يكن مصحوبًا برؤية حقيقية ولا عقلية .
  - 6- سماع الصلصلة (صوت الجرس) يعد تجربة تخيلية .
  - 7- ذهب الباحثون المسلمون إلى أن هذا الرسول هو جبريل ، وذهبوا إلى أن تلك هى الحقيقة المعتادة للوحي منذ البداية . لكن الباحثين الغربيين لاحظوا أن جبريل لم يُذكر بالاسم فى القرآن حتى المرحلة المدنية ، وهناك كثير من القرآن والأحاديث يعارض أقوال المسلمين بأنه كان جبريل(2).
  - 8- هناك احتمال أن يكون نزول الوحي عن طريق جبريل شائعًا خلال الحقبه المدنية ، وفى مثل هذه الحالات فإن الوحي ربما كان من النوع الكلامى التخيلى المصحوب برؤية تخيلية أو عقلية لجبريل ، أما الإشارة إلى نزول جبريل على هيئة رجل فذلك وحي من النوع التخيلى .
  - 9- أما التأكيد على أن رؤى محمد والوحي الكلامى الذى يتلقاه مجرد هلوسة كما كان يحلو لبعض الكُتاب أحياناً أن يقولوا، فإن مثل هذه الأقوال تجعل الأحكام الدينية مفرغة تمامًا من الوعى ؛ لذا فهى أقوال تتسم بالجهل المخجل الذى يدعو للشفقة .

### التحليل والتقويم

- 1- بالنسبة للنقطة الأولى التى أثارها وات ، وهى أن الوحي لا يشترط أن يكون شفهيًا ، أقول له : نعم - وهذا يكون فى غير القرآن طبعًا - فالوحي فى أصله إعلام فى خفاء كما سبق أن بينت فى بداية هذا المبحث فى تعريف الوحي ، لكن هذا المعنى ليس هو المعنى الأوحد للوحي ، فهو يأتى بمعنى الكتابة والإلهام والإشارة والرسالة" (3)، ولو اكتفى وات بذلك لوافقته ، لكنه يقصد بذلك : الوحي القرآنى . ومعلوم عندنا أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون إلا وحيًا شفهيًا بكلام يُفهم ، وهدف وات هو إنكار فكرة أن القرآن أوحى الى محمد بكلمات وألفاظ ، وإثبات أنه كان بوحي تخيلى أو عقلى ، يدل على ذلك قوله : "الاسم(وحي) والفعل (أوحى) يترددان

بكثره في القرآن الكريم في سياق لا يفيد أن الوحي تمّ من خلال اتصال لفظي مباشر..... وإنما كان يعنى أفكارا تُفد في عقل شخص من مصدر خارج نفسه" (4)

- (1) هذه النقاط التسع كلها من كلام وات : انظر محمد في مكة : ص125-129 بتصرف يسير دون مساس بالألفاظ.
- (2) يشير وات إلى أحاديث نزول إسرافيل بالوحي في بداية النبوة ، التي ذكرتها منذ قليل .
- (3) ابن منظور : لسان العرب (379/15) .
- (4) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص125.

## 2- قوله بأن الوحي في معظم الفترة المكية كان من عمل الروح (\*)

وهذا أمر فيه نظر، فإن أراد وات (بالروح) ما يريده منها النصارى من أن الروح هو الله فلا أوافقه ؛ لأن المعنى حينئذ أن الله هو الذى ينزل بذاته بالوحي - حاشا لله - وهذا غير مقبول قطعاً ، وهذا عين ما يريده وات ؛ لأنه كيف ينزل الله تعالى بالوحي على نبيه وفى القرآن آية تمنع ذلك وهو قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) وهذه الآية طالما استدلت بها وات على أن الله لا يرى فى الدنيا . أما إذا أراد وات (بالروح) هنا جبريل - وهذا مستبعد جداً - فأنا أول من يوافقه ؛ لأنه وقتئذ تأويل يوافق اللغة ، فالروح فى اللغة ليس من معانيها (الله) ، "وإنما الروح : جبريل عليه السلام" (1) ، قال تعالى : **وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** : سورة الشعراء . (192-194).

3- ادعائه بأنه لم يرد فى القرآن ذكر لملك نزل بالوحي فى مرحلة الدعوة الأولى : "وهذا غير صحيح ، فنحن نقرأ فى سورة التكوير وهى مكية ، ونزلت قبل سورة النجم قوله تعالى: " **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ .** سورة التكوير : 9 ، 10" . فالرسول الكريم هنا هو الملك - جبريل - " (2) .

4- ادعائه بأنه فى الفترة المكية لم يكن هناك ذكر لسماع النبى ما أوحى إليه ، وهذا خطأ ، وإلا فكيف يعقل أن يُبلغ شيئاً لم يسمعه - والنبى بلا شك بلغ فى هذه المرحلة - ثم إن هناك سورة مكية تفيد أنه (ﷺ) كان يسمع الملك الذى يقرأ عليه الوحي ، قال تعالى فى سورة القيامة وهى مكية : " **لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ .** القيامة : (16) ، وفى سورة طه : " **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا .** طه : (114) .

5- قوله : **إن هذا الوحي كان وحياً داخلياً من النوع العقلى وهو إلى العقلى أقرب منه إلى التخيلى ، ولم يكن مصحوباً برؤية حقيقية ولا حتى عقلية .** وهذا التفسير اعتمد فيه على نظرية (بولين) ، والمقصود بالوحي الداخلى من النوع العقلى : هو التوصيل البسيط لأفكار دون استخدام كلمات ، ولا صلة له بأية لغة محددة ، وهذا مراد وات من هذا الكلام ، بل ومن كلامه فى مبحث الوحي كله ، أن يثبت أن القرآن نابع من نفس سيدنا محمد (ﷺ) لا من مصدر خارجى .

6- قوله : إن سماع الصلصلة يعد تجربة تخيلية ، وهذا الادعاء يعتبر تكرارًا لما قبله من أن القرآن كان نابعا من نفس النبي (ﷺ) ولذا لن أرد عليه .

(\*يقصد وات بذلك : الوحي التخيلي النابع من ذات النبي محمد (ﷺ) .

(1) ابن منظور : لسان العرب (455/2).

(2) جعفر شيخ إدريس: منهج مونتجمرى وات فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ص230 .

7- قوله : إن علماء المسلمين يقولون إن الملك الذى كان ينزل بالوحي فى مكة هو جبريل ، والعلماء الغربيون يقولون : لا ؛ لأنه لم يذكر إلا فى القرآن المدنى . لا يزال وات يكرر ما قاله من قبل بأساليب مختلفة ، وهذه المسألة قد ناقشته فيها من قبل ، وقلت : إن جبريل وإن لم يُذكر اسما فى القرآن الكريم فقد ذكر وصفاً .

8- قوله بأن جبريل وإن لم يكن ملك الوحي فى الحقة المكية ، فلا مانع من أن يكون هو ملك الوحي فى الفترة المدنية . لكن وات لا يقول ابتداءً بوجود مخلوق اسمه (جبريل) ينزل بالوحي على قلب سيدنا محمد (ﷺ) بل يقول : إنه كان يتخيل صورة (هيئة) ملك . والكلام الذى ينزل عليه (القرآن) ، كلام من النوع التخيلي ، الحقيقى. ثم يقول وات: أما الإشارة إلى نزول جبريل على هيئة رجل فذلك وحي من النوع التخيلى.

### الرد على هذا الادعاء

إن إمكانية نزول جبريل على هيئة رجل أمر ثابت نقلاً ، وممكن عقلاً .

أما ثبوت ذلك نقلاً : فقد ثبت ذلك فى حديث جبريل الطويل المشهور حين تمثل فى صورة رجل وظل يسأل والنبي يجيب (1) ، وقد أعرضت عن ذكره لطوله ، واكتفيت بالإشارة إليه فقط .

وكذلك أنه كان يأتيه فى صورة صحابى اسمه (دحية بن خليفة الكلبي) ، فقد روى البخارى : أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأُمِّ سَلَمَةَ مَنْ هَذَا أَوْ كَمَا قَالَ قَالَ قَالَتْ هَذَا دَحِيَّةُ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَيُّمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ حُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ جَبْرِيلَ (2) .

وأما إمكانية عقلاً : "فلأن الملائكة يمكن أن تتشكل فى صور كثيفة ترى بالأبصار وبصور لا ترى بالأبصار ؛ أي : أن الله - تعالى - أعطى أرواحهم قوة يتصرفون بها فى مادة الكون وفى أنفسهم بأعظم من تصرف عالم الكيمياء فى نفسه ، ولكنه من جنسه ، فقد أعطى الله - تعالى - الواحد منهم قدرة على تأليف جسم لروحه من هذه المادة إذا شاء ، وحله وتفريقه متى شاء" (3) .

فالملائكة قادرون على التشكل بأشكال حسنة مختلفة ، منها التشكل بأشكال الرجال .

- (1) أشير هنا إلى حديث البخارى، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإسلام والإيمان والإحسان، رقم(50).
- (2) صحيح البخارى، كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام، رقم (3633).
- (3) الشيخ/ محمد رشيد رضا : تفسير المنار: ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م (144/9، 145).

### الأدلة من القرآن على على مجيء الملائكة للرسول فى صورة بشر:

لقد استبعد وات فى حق نبينا محمد (ﷺ) أن يأتيه الملاك بالوحي على صورة بشر، ولم يستبعده فى حق هؤلاء ؟ :

أ- سيدنا إبراهيم عليه السلام :

فقد جاءه الملائكة على شكل أضياف ، كما قال سبحانه : " وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ . سورة الحجر: 51، 52" .  
وذلك الوجل كان بسبب تقديمه الطعام لهم فلم يأكلوا .

ومرة أخرى يقص القرآن ذات القصة فيقول :

" فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُّوطٍ . سورة هود :70" . ولولا أنهم كانوا على صورة رجال ، ما قدم لهم إبراهيم الطعام.

ب - سيدنا لوط عليه السلام:

قال تعالى : " فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ . قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ . وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعْتَ أَدْبَارَهُمْ وَالَّذِينَ يَلْتَفِتُونَ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ . وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ . وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ . قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون . سورة الحجر: 61- 68" فقد أرادوا ممارسة الشذوذ معهم ، ولولا أنهم كانوا على صورة رجال ما فكر قوم لوط فى ذلك.

ج - السيدة مريم عليها السلام : حين تمثل لها الملك .

قال تعالى : " فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . سورة مريم : 17 "

إن التعصب أعمى وات عن هذه النصوص المحكمة ، وهو - بلا شك - قد مرَّ عليها وقرأها ، لكنه لم يتعرَّض ؛ لأنها تهدم دعواه وتنسفها ، وتُبين أن نبينا محمدًا (ﷺ) لم يكن بدعًا من الرسل في ذلك .

### الأدلة من الكتاب المقدس على مجيء الملائكة للرسل في صورة بشر:

لقد ثبت في العهدين القديم والجديد أن بعض الملائكة قد جاءوا لبعض الأنبياء على صورة بشرية ، ومن ذلك :

#### أولا - في العهد القديم :

- جاءت الملائكة إبراهيم ، وقام ليجهز لهم الطعام ، ففي سفر التكوين :  
"فرغ عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفين لديه .. فلما نظر ركض لاستقبالهم ..  
وقال : ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة .. فأخذ كسرة خبز  
فتسندون قلوبكم ثم تجتازون ... قالوا له : هكذا نعمل كما تكلمت .. وإذا كان هو واقفا  
لديهم تحت الشجرة أكلوا " (1) .

- كما جاء ملك في صورة بشر إلى أبوي شمعون وهما عاقران ليبشراهما بالولد :  
"فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدن  
ابنا .. فدخلت المرأة وكلمت رجلها قائلة : جاء إليّ رجل الله ومنظره كملاك الله  
مرهب جدًا " (2) .

#### ثانيا - في العهد الجديد :

جاء جبريل للسيدة مريم ليبشرها بعيسى عليه السلام :  
"أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة الجليل : اسمها ناصرة . إلى عذراء  
مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك  
وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت في النساء . فلما رآته  
اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية .. فقال لها الملاك : لا  
تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدن ابنا وتسميه  
يسوع " (3) .

هذه نصوص تبين أن أنبياء من بنى إسرائيل وغيرهم من أنبياء العهد القديم قد تجلت لهم الملائكة على هيئة بشرية ، فلم يُستبعد ذلك فى حق رسول الله محمد (ﷺ)!!؟

(1) سفر التكوين (8 : 2-8) .

(2) سفر القضاة (13 : 2-10) .

(3) إنجيل لوقا (1 : 26-31) .

### الخداع والمراوغة عند وات

فبعد ما سَفَّه وات عقيدة الوحي عند المسلمين ، وجعلها خيالاً فى خيال ، وسراباً فى سراب ، سالكاً فى فى سبيل تحقيق ذلك كل مسلك من نظريات فلسفية معقدة ، وآراء لثبُوخه - وبعدما لوى أعناق الأدلة لتوافق أهواءً فى نفسه - يأتى فى النهاية ليوقف موقف المدافع عن رسول الله (ﷺ)، فيرمى بالجهل من يصف حالة سيدنا محمد ساعة كان يأتية الوحي بالهلوسة .

وفى الحقيقة أن التُّهم التى وجهها وات إلى الوحي لم تكن بأقل جهلاً ممن رماه بالهلوسة ، فلقد سبق أن رَمَى النبى (ﷺ) بالخداع فقال :  
"إن محمداً كان يتذكر الرؤية الأولى (رؤية سورة النجم) فى اللحظات الحرجة ويعزوها إلى قوة عليا" (1) .

ومن الأسهل أن أضع بين يدي القارئ الكريم خلاصة رأى وات عن الوحي فيقول :  
1- إن محمداً (ﷺ) يشعر وهو فى حالة وعى أن هناك كلمات بعينها تلقى فى روعه أو قلبه ، أو عقله الواعى .

2- وأن هذه الكلمات والأفكار لم تكن نتيجة تفكير واع من جانبه .

3- هذه الكلمات قد أُلقيت فى روعه(عقله) من قبل مندوب خارجى يتحدث إليه كملك .

4- يعتقد محمد (ﷺ) أن هذه الرسالة قادمة من الله (2) .

ويقول فى موضع آخر: "وأقصى ما يمكن أن يستنتج من خلال المرويات أن الملمح الأساسى للتجربة المحمدية أنه وجد كلمات بعينها فى قلبه أو وعيه ، وهذه الكلمات لم تكن مصحوبة برؤى ، وإنما كانت كلمات فقط ، والاعتقاد بأن هذه الكلمات قد حملها إليه ملك لا يبدو جزءاً من التجربة الأولى....وقد تفاعل محمد (ﷺ) مع هذه الكلمات التى وجدها فى قلبه ، أو التى أُلقيت فى قلبه بإيجابية ، وقد أبلغ هذه الكلمات لأصحابه ولأشخاص آخرين ، وقد استجابوا لها كما استجاب هو لها من قبل ، وبهذه الطريقة تأسس المجتمع الإسلامى..... والآن فإن السؤال الذى يصوغ نفسه هو : كيف وصلت هذه الكلمات إلى وعى محمد أو شعوره ؟ إننا نؤمن بصدقه وإخلاصه حين يقول : إنها ليست نتيجة أى تفكير واع منه .... لأن هذه الكلمات وصلت لمحمد من لاشعوره" (3) .

وكل ما قاله وات ليس من ابتكاراته بل هو تكرار لكلام من قبله من الفلاسفة كابن عربى وغيره : "فالملك عندهم هو الخيال الذى فى النفس ، وهو جبريل ، وذلك

الخيال تابع للعقل ، فالنبي عندهم يأخذ عن هذا الخيال ما يسمعه من الصوت نفسه" (4) ؛ هذا ليعلم القارئ أن وات ليس مبتكرا لنظريات فلسفية ، وإنما هو مقلد . وهنا أبدأ في مناقشة نظرية فلسفية جديدة استخدمها وات لتفسير ظاهرة الوحي .

(1) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص 12.

(2) مونتجمري وات : الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، ص 51.

(3) السابق : ص 205، 206 .

(4) ابن تيمية : النبوات ، تحقيق : الشحات الطحان ، ط مكتبة فياض د.ت ، ص 241.

### محاولة من وات للطعن في مصدر الوحي الإلهي

إن وات يخرج علينا بثوب جديد ، وبفكرة جديدة لم يذكرها في كتابيه (محمد في مكة ، ومحمد في المدينة) ، وإنما ذكرها في كتاب له بعنوان (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) ، وهذه النظرية ليست من ابتكارات وات ، وإنما هي من ابتكارات عالم النفس المعروف "كارل جوستاف يونج" (1) ، وتسمى : نظرية (اللاوعي الجمعي) أو (اللاشعور الجمعي) ، وبهذه النظرية يفسر وات مصدر كلمات الوحي الإلهي فيقول : "هذه الكلمات وصلت لمحمد (ﷺ) من (الاشعوره) ... أى قبل أن يصبح شعوره واعيا بها ، بل ويمكن للمرء أن يقول : إن اللاشعور هو الميدان الذى تؤثر فيه الملائكة (والشياطين أيضا) .... ويمضى قائلا : نخلص من كل هذا أن (اللاشعور) مسألة غير بعيدة تماما عن فكرة الوحي ، أو بتعبير آخر أن وضع اللاشعور فى اعتبارنا على نحو ما أمر مطلوب عند تناولنا للوحي ... ثم يقول : والفكرة التى نتبناها هنا فى الأساس فكرة عالم النفس (يونج) ، فوفقا لهذه الفكرة فإن ما ينبثق من اللاشعور إلى الشعور فى أحلام الأفراد وخيالاتهم ، وكذلك فى الأساطير الدينية للمجتمع ككل تنطلق من اللبيدو (الطاقة النفسية أو الطاقة الحيوية) ، وفى الرجل الفرد نجد أن اللبيدو هو - جزئيا - شئ خاص بذاته ، كما أنه - جزئيا أيضا - شئ يشترك فيه مع غيره يسميه يونج (اللاشعور الجمعي) ، وإلى عمل هذا اللاشعور الجمعي وتأثيره تعزى كثير من الأساطير الدينية ، بل وكثير من المعتقدات الجامدة ... ويختم قائلا : ... فإنه وفقا لأفكار يونج فإن معظم الأفكار الدينية تظهر ما يسمى (باللاشعور الجمعي) عندما يتخذ طريقه إلى (الوعي) أو (الشعور) ، ومعظم الممارسات الدينية هى استجابة واعية لهذه الأفكار ، ووفقا لهذه الطريقة فإن الوحي الذى قامت على أساسه اليهودية والمسيحية والإسلام هو (المحتوى) الذى انطلق من (اللاشعور الجمعي) إلى الشعور أو الوعي" (2) .

(1)كارل جوستاف يونج (1875-1961): عالم سويسري مختص في علم النفس والطب النفسي ، ولد يونج في مدينة بازل لأب كان يعمل قسيساً. ومنذ صغره كان لديه اهتمام دائم بالخرافات والأساطير والسحر. وفي عام 1895 م، دخل يونج جامعة بازل، لدراسة علم الآثار. ولكن اهتماماته تغيرت وتأهل طبيباً في جامعة زيوريخ عام 1902م، وبدأ ممارسة الطب النفسي في بازل. عارض يونج كثيراً من النظريات لعالم النفس النمساوي الشهير سيجموند فرويد، اعتقد يونج أن العقل الباطن (اللاوعي) يحتوي على دوافع شخصية وتجارب لايعيها الشخص، إلا أنه اعتقد أيضاً أن المنتسبين لكل جنس يشتركون في مستوى أعمق من اللاوعي أطلق عليه اسم اللاوعي الجماعي. استنتج يونج أن اللاوعي الجماعي يشمل أنماطاً فكرية تدعى الطراز البدئي الذي نما عبر القرون ، وكان يعتقد أن الدين يؤدي دوراً رئيسياً في حياة الناس، من خلال تمكينهم من التعبير عن حاجة كامنة في اللاوعي لضرورة التجربة الدينية بين الناس واللاوعي الجماعي. وأسهمت دراسات يونج في علم الأساطير في إقناعه أن القوى الخارقة للطبيعة متأصلة بعمق في اللاوعي الجماعي. انظر(منتدى طب الدراسات العليا فى العلوم الاجتماعية على الإنترنت).  
(2)مونتجمري وات : الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر، ص206- 208 .

### نظرية اللاوعي الجمعي أو اللاشعور الجمعي(\*\*)

هذه فكرة جديدة أراد وات أن يثبت من خلالها أن الوحي كان منبثقاً من داخل نفس النبي (ﷺ) ولم يأتها يوماً من مصدر خارجي ، فما معنى اللاشعور؟

إنه مصطلح غامض "وإذا أردنا أن نفهم معنى هذا المصطلح فى نظريات علم النفس ، وجدناه فى منتهى الغموض ، فهو لايعنى شيئاً محدداً كما تعنى مثلاً المصطلحات المعروفة ، كالتذكرة والإرادة . إن نظرية (اللاشعور) ما تزال فى مرحلة نشوئها ، ومع ذلك فقد استخدموها لكى يفسروا لنا - كما يدعون - الظاهرة القرآنية بطريقة موضوعية ، ومن الصعب علينا أن نفهم أن هؤلاء المؤلفين قد بذلوا أقل الجهد كى يفهموا الموضوع"(1).

ومعنى اللاشعور: "انطباع النفس بما تراه أو تشاهده فى المجتمع ، وفى مرحلة متأخرة تظهر هذه الانطباعات أو تتفلت أو تطفو على السطح أى إلى الوعى أو الشعور، أى أنها مختزلة ولا يشعر بها الإنسان إلا بعد انفلاتها وظهورها"(2).

ومقصود وات من الوعى الجماعى : أن موضوعات الوحي كانت موجودة فى اللاوعي عند سيدنا محمد (ﷺ) ، ومستقاة من المحيط الجماعى الذى عاش فيه قبل البعثة ، وبخاصة من خلال صلته بورقة بن نوفل وغيره من الخُفاء ، وما كان الملاك جبريل إلا خيالاً أدى إلى حضور تلك الموضوعات إلى وعيه .

وهذا ما أيده يونج نفسه فى كتابه بقوله :

"إن اللاوعي لا يحتفظ بمواد شخصية فقط ، وإنما يحتفظ بمواد لا شخصية أيضاً، هى عوامل جماعية على شكل مجموعات موروثية ونماذج بدئية"(3)(4) .

وأرى بذلك أن فكرة اللاشعور تُفقد الإنسان إنسانيته وتُجرده من عقله وكرامته بينما خلقنا الله بعقول تدرك و تعي وتفهم وليست عقولاً جامدة مستسلمة منقادة .

(\*\*)اللاشعور : هو مايؤثر في السلوك دون وعي او شعور من صاحبه (مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي - مصر، 1403هـ - 1983م ، ص159.

(1)مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ص174

(2)د.محمود ماضي:الوحي القرآني فى المنظور الاستشراقى ونقده ، ص 133.

(3) النموذج البدني: وهو شكل ذهني أصلي، مشترك عند كل البشر، وهو واحد من عدد من الأشكال الراسخة في اللا شعور الجماعي. وهذه النماذج البدنية لا يتم الوصول إليها على نحو مباشر، بل تتجلى في صور أو رموز، يُشار إليها عموماً على أنها نماذج بدئية، في الأحلام والرؤى والأساطير والفنون واللغات والأدب، من نحو الله/الأب، والأم/ الطبيعة، والجبل/ الصدر، والكهف/ الرحم، والسيف/ القضيب. انظر:جريدة الاسبوع الادبي على الشبكة الدولية، مقال بعنوان:المنهج الأسطوري في النقد الأدبي - محمود منقذ الهاشمي، العدد 762 تاريخ9/6/2001، وقد يطلق عليه احيانا النموذج الأول:"وهو عند أفلاطون:المثال الاصلي الذي تصدر الاشياء اشباحا وصورا له ،فالمثال مبدأالوجود المحسوس ،وهو الشئ في ذاته والأجسام الخارجية أشباح له انظر : مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي (ص205)

(4)كارل يونج : جدلية الأنا واللاوعي ، ترجمة : نبيل محسن ، ط1 دار الحوار - سوريا 1997م ، ص28.

### تهافت نظرية اللاشعور الجمعي

إن وات يريد أن يقول من خلال هذه النظرية : إن النبي (ﷺ) قد استجمع ما رآه من الأمور الماضية وما حُكي له عن الرسائل السابقة والأساطير الغابرة فأثر ذلك كله في لاشعوره الداخلى وازداد تشوفه وتشوقه إلى أن يكون من أصحاب الرسائل فعاش حالة من التقمص لشخصية النبي أو الرسول ، وحين بلغ هذا التقمص مداه استرجع ما كان قد احتفظ به فى (لا شعوره) ثم برز إلى شعوره فنطق به ، ويؤكد وات زعمه ذلك بقوله : "وربما كان مما يتمشى مع الطريقة الحديثة فى التفكير أن نقول: إن محتوى الوحي وصل إلى شعور محمد أو وعيه من لاشعوره"(1) . هذا هو مصدر القرآن فى نظر وات . لكن هذه النظرية تتهافت أمام حقيقتين تاريخيتين :

**الأولى - إخبار القرآن بالغيبات المستقبلية .**

**الثانية - آيات عتاب القرآن لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فى القرآن .**  
أما عن إخبار القرآن الكريم بالغيبات المستقبلية ، فدالاتها واضحة فى أن القرآن ليس من داخل نفس النبي محمد (ﷺ)، وإلا فمن أخبره بهزيمة الروم وقد كانت فى ذلك الحين أعظم إمبراطورية فى العدد والعدد، ومن أخبره بأنه سيدخل هو وأصحابه المسجد الحرام معتمرين ؟ وقد دخلوها فى عمرة القضاء كما قال الله تعالى : " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ... (الفتح : 27) ، والقرآن الكريم ملئ بذلك ، لكننى ذكرت ذلك على سبيل المثال .

أضف إلى ذلك أن نظرية (اللاشعور الجمعي) لا تعمل إلا فى حيز الماضى ، أما المستقبل فإنها تقف أمامه عاجزة ؛ لأن "اللاشعور الإنسانى ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التى شاهدها الإنسان فى حياته - ولو مرة - ومن المستحيل أن يخترن حقائق لم يعلمها من قبل"(2).

ويونج (نفسه) صاحب هذه النظرية التى اعتمد عليها وات لم يقل : إن بمقدور الإنسان أن يعيش حالة من اللاشعور الجمعي فيما يتعلق بالمستقبل.

وأما عن آيات عتاب الله لنبيه فى القرآن، على سبيل المثال لا الحصر قول الله:

1- "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ.التوبة/43"

2- "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى... التوبة  
113:"

3- "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ... الأحزاب/37"  
"وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ قَالَ أَنَسٌ لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) كَاتِمًا شَيْئًا لَكُنَّا لَهَذِهِ قَالَ فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفَخَّرَ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ﷺ) (3)"

(1) مونتجمرى وات : الإسلام والمسيحية ، ص53.

(2) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ، تعريب : د.ظفر الإسلام خان ، تقديم د.عبدالصبور شاهين ، ط. مكتبة الرسالة، دبت ، ص25.

(3) صحيح البخارى ، كتاب: التفسير ، باب : وكان عرشه على الماء ، رقم (7420).

فهل يُعقل أن يعاتب الإنسان نفسه ، وأن يوجه لها النقد ، ويُبرز مساوئه على مرأى ومسمع من الناس ؟

ولم سكت سيدنا محمد (ﷺ) لَمَّا رَمِيت أَحَبُّ أَزْوَاجِهِ إِلَيْهِ (السيدة عائشة) بالزنا فى حديث الإفك ؟ لَمْ انتظر شهرا كاملا دون أن يُلقَى على الناس بيانا يُبرِّئ فيه زوجته مما نسب إليها ؟ لَمْ لَمْ يرحم نفسه من نظرات اليهود والمنافقين التى كانت تمتلئ بالشماتة والتشفى؟

ألم يكن من الأسهل له من البداية أن يخلو بنفسه لضع دقائق يعيش فيها حالة من (اللاشعور الجمعى) يستحضر فيها ما قد شاع فى المدينة عن زوجته ؛ ليُعلن حكمه ببراءتها ويصوغ هذا الحكم على صورة قرآن يتلى؟ - وهذا طبعا على سبيل التنزل والمجاراة مع وات - .

كل هذه الوقائع تنكر كون الوحي من نتاج عقل النبي (ﷺ) .

ويتلخص رأى وات فى أن النبوة عنده "ليست إعجازا مفارقا لقوانين المادة والطبيعة والواقع ، وإنما هى مجرد درجة قوية من درجات الخيال الناشئ عن فاعلية المخيلة الإنسانية ، يتصل فيها النبي بالملك كما يتصل الشاعر بشيطانه ، وكما يتصل فيها الكاهن بالجان ، فهى (أى النبوة) حالة من حالات الفاعلية الخلاقة للمخيلة الإنسانية ، وليست ظاهرة فوقية مفارقة للواقع وقوانينه المادية" (1) .

وهذه النظرية لا يليق أن نفسر الوحي على أساسها ، كما أنها اتهام للنبي (ﷺ) بخيانة الأمانة ، وحاشاه (ﷺ) أن يكون كذلك .

يقول الدكتور دراز : "إن صاحب هذا الخلق العظيم ، وصاحب تلك المواقف المتواضعة بإزاء القرآن ، ما كان ينبغي لأحد أن يمتري فى صدقه حينما أعلن عن نفسه أنه ليس هو واضع هذا الكتاب ، وأن منزلته منه منزلة المتعلم المستفيد" (2) .

وفى النهاية أقول باختصار شديد : إن وات أراد أن يقول : إن النبى  
ﷺ كان صادقاً فى القول ، مخطئاً فى الاعتقاد.

- 
- (1) د.محمد عمارة : التفسير الماركسى لإسلام ، ط1 دار الشروق ، 1417هـ ، 1996م ، ص55.  
(2) د.محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم ، ط 10 دار القلم – الكويت 1429هـ ، 2008م ، ص64 .



**المطلب الثانى :**  
**الوحى ومعجزة القرآن فى فكر**  
**كارين أرمسترونج**

### تقول كارين عن بداية أمر النبوة :

"وكان محمد لعدة سنوات يعتزل الناس في غار حراء في شهر رمضان ، يوزع الصدقات على الفقراء الذين يزورونه ويتفرغ للتأمل والتنسك ، نعلم القليل عن تلك الممارسة والتي تعتقد بعض المصادر أن جد محمد هو الذي ابتدعها .... في تلك الفترة بدأ محمد (ﷺ) يرى في منامه أحلاما تشع بالآمال والوعود"(1).

ثم تنقل عن ابن إسحاق حديث عائشة : "إن أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من النبوة - حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به - الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله (ﷺ) رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح ، قالت: وحبب الله تعالى إليه الخلوة فلم يكن شئ أحب إليه من أن يخلو وحده"(2).

نعم كان النبي (ﷺ) يعتزل الناس في غار حراء في شهر رمضان من كل عام ويوزع الصدقات (تقصد الطعام) على الفقراء ، فقد روى ابن إسحاق :

" أن النبي (ﷺ) كان يجاور ذلك الشهر(رمضان) من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله (ﷺ) جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله فيها وذلك الشهر شهر رمضان..."(3) .

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا، ص44.

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (233/1).

(3) المرجع السابق (235/1)

وأما بخصوص أن جد النبي (عبدالمطلب) هو الذى ابتدع فكرة التعبد فى الخلوات "فتذكر بعض الروايات أن عادة التحنث فى غار حراء إنما سنّها عبدالمطلب جد النبي (ﷺ)، وكان هو أولّ من تحنث فى هذا المكان شهرا من كل عام" (1) .

وتقول كارين بعد ذلك : "بعد لقائه الأول مع الوحي وعندما تمالك محمد (ﷺ) نفسه، سرعان ما تملكه الرعب من التفكير فى أنه بعد كل جهاده الروحي يتلبسه جنّى حتى إنه لم يعد يريد الحياة ، وفى غمرة اليأس خرج مسرعا من الكهف ليرتقى قمة يلقي بنفسه منها للموت ولكنه شاهد رؤية أخرى ، كائنا سادّ الأفق ومحمّقا فيه، قال القرآن عن ذلك "عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . سورة النجم : 5 - 9" (2).

كما قالت : "ورغم قدسية تجربته الرهيبة ، فقد كان هناك نوع من التماثل المربك بينها وبين تلك التى يتعرض لها من يتلبسهم الجان فى بلاد العرب ، وفى هذا الصدد يقول حسان بن ثابت ، شاعر يثرب ، والذى سيسلم فيما بعد ، إنه حين تلقى نداءه الشعري ظهر له جنه وطرحه أيضا وأجبره على النطق بما أوحى إليه من كلمات" (3) .

وفى الفقرة السابقة ، تطرح كارين شبهتين :

الشبهة الأولى : أن سيدنا محمدا (ﷺ) فكَر ساعة نزل عليه الملك لأول مرة أنه قد تلبسه جنّى .

### التحليل والتقويم

هذه دعوى بغير دليل لا تتجاوز كونها كلاماً مُرسلاً ينافى تماماً الحقيقة والروايات التاريخية .

وإذا ذهبنا إلى حديث بدء نزول الوحي على رسول الله (ﷺ) ونزول الملك عليه - وهي الرواية التي تتكلم بشأنها كارين - لانجد فيها أنه (ﷺ) خشى أن يكون قد تلبسه جنّي أو غيره ، وإنما ورد فيها قوله (ﷺ) : (لقد خشيت على نفسي) هكذا دون تحديد ما كان يخشاه ، أكانت خشية من الجنون أم من الجن أم من شيء آخر - وقد ذكرت هذه الرواية في أول المبحث - ؛ وبالتالي فإن أي حديث عن خوفه (ﷺ) من أن يتلبسه جنّي لهو تزويد وادعاء غير مقبولين .

(1) جواد على : تاريخ العرب في الإسلام ، ص 161 .

(2) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص 45 .

(3) كارين : سيرة النبي محمد ، ص 131 .

### فما الذى كان يخشاه النبي إذن (ﷺ) ساعة نزول الوحي عليه لأول مرّة ؟

لقد ذكر الحافظ ابن حجر لهذه الخشية اثني عشر سبباً محتملاً ونفى احتمال كونه جنوناً ، فقال :

"وقع في البخاري ومسلم: إني خشيت على نفسي قال ابن حجر : والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً أولها الجنون أو أن يكون ما رآه من جنس الكهانة ، جاء مصرحاً به في عدة طرق . وأبطله أبو بكر بن العربي وحق له أن يبطل لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله تعالى" (1).

وخشيته (ﷺ) من الجنون أيضاً ، مرفوضة .

إنه الخوف الفطري الذي ينتاب بشراً يرى ذلك الأمر المريب لأول مرّة .

ثم إن النبي (ﷺ) لم يكن في هذا الخوف بدعا ، بل خاف قبله أنبياءٌ كثيرون حين نزل عليهم الوحي للمرة الأولى . هذا ما جاء في الكتاب المقدس - إن صح ما جاء فيه -

#### أ - إبراهيم عليه السلام :

جاء في سفر التكوين أن الوحي حين نزل على إبراهيم (عليه السلام) سقط على وجهه (2).

#### ب - موسى عليه السلام :

جاء في سفر الخروج - إن صح - أن موسى (عليه السلام) حين نزل عليه الوحي لأول مرّة "غطى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله" (3).

كما أنه لما قال له : اطرح عصاك إلى الأرض فطرحها "فصارت حية فهرب موسى منها ثم قال الرب لموسى : مَدِّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنْبِهَا"(4).

وقد جاء القرآن يوافق ذلك ، فقال :

"قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى . طه : 19 - 21" .  
وقال تعالى : "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ . القصص : 31 " .

---

(1) ابن حجر : فتح الباري (4/1).

(1) سفر التكوين (إصحاح 1 : فقرات 3- 17 )

(2) سفر الخروج (إصحاح 3 : فقرة 6).

(3) سفر الخروج (إصحاح 4 : فقرات 2، 3).

ج - النبي دانيال :

جاء أنه لما ظهر له جبريل (الملك) سقط على وجهه : "فنادى وقال يا جبرائيل : فمهم هذا الرجل الرؤيا، ف جاء إلى حيث وقفت ، ولما جاء خفت وخررت على وجهي.... فلمسني وأوقفني على مقامي (1).

د - وفي العهد الجديد :

جاء في إنجيل لوقا : "ظهر ملاك الرب لزكريا "فلما رآه اضطرب ووقع عليه خوف" (2) .

فلماذا يُفسر خوف سيدنا محمد (ﷺ) بأنه خاف من تلبس الجن ، ولم يفسر خوف هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) بذلك ؟

إن العقلية الغربية تقبل سقوط هؤلاء الأنبياء وخوفهم بأريحية تامة ، فى حين أنها تفسر سقوط سيدنا محمد (ﷺ) بأنه كان يخاف من أن يكون قد تلبسه جنى .

يقول القاضى عياض فى قوله صلى الله عليه وسلم : ( لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي )

"لَيْسَ هُوَ بِمَعْنَى الشَّكِّ فِيمَا أَتَاهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَكِنَّهُ رَبُّمَا خَشِيَ أَنْ لَا يَقْوَى عَلَى مُقَاوَمَةِ هَذَا الْأَمْرِ ، وَلَا يَقْدِرَ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ الْوَحْيِ ، فَتَزْهَقَ نَفْسُهُ ، أَوْ يَكُونَ هَذَا لِأَوَّلِ مَا رَأَى التَّبَاشِيرَ فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ وَسَمِعَ الصَّوْتِ قَبْلَ لِقَاءِ الْمَلِكِ وَتَحَقُّقِهِ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَيَكُونُ خَافَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَأَمَّا مُنْذُ جَاءَهُ الْمَلِكُ بِرِسَالَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الشَّكُّ فِيهِ ، وَلَا يَخْشَى مِنْ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى هَذَا الطَّرِيقِ يُحْمَلُ جَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنْ مِثْلِ " (3) .

(1) سفر دانيال (إصحاح 8 : فقرات 15 - 19).

(2) إنجيل لوقا (إصحاح 1 : فقرة 12).

(3) النووى : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ط دار الفكر- بيروت (1/ 287) .

**الأمر الثانى : زعمها أنه (ﷺ) فكر فى أن يلقي بنفسه من قمة جبل لياسه ، فقد سبق أن رددت على ذلك فى بداية هذا المبحث ، ولكننى أود أن أقول هنا :**

إن كارين قرأت هذا الحديث وحملته على ظاهره باعتبار أن النبى (ﷺ) بشر، ولم تعرف بالتأكيد علة الزيادة التى وردت فيه (وهى الجملة الذى يوهم ظاهرها الانتحار) ، والتى ظهر لنا أنها مُدرّجة من راوى الحديث ، كما ذكرت فى أول هذا المبحث .

لكن كارين استغلت هذه الرواية ، واستغلت ظاهرها لإيهام القارئ أن النبى (ﷺ) أراد الانتحار فعلا .

وتفسر كارين ظهور الملك الذى جاء إلى سيدنا محمد (ﷺ) بأنه جبريل - تماما كما يعتقد المسلمون - ووصفته بوصف القرآن له "عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى... النجم : 5 - 7 ) ، وذكرت بقية رواية ابن إسحاق ، وهى ".... قَالَ فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطِ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ قَالَ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ . قَالَ فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَنْقَدَمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ وَجَعَلْتُ أَصْرَفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي أَفَاقِ السَّمَاءِ قَالَ فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَنْقَدَمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَأَيْتِي حَتَّى بَعَثْتُ حَدِيثَهُ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي ، فَبَلَّغُوا أَعْلَى مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ ثُمَّ انصَرَفَ عَنِّي" (1).

كما تصف كارين جبريل عليه السلام بأنه روح الوحي فتقول عنه : "لقد كان هذا الملاك روح الوحي والذى سماه محمد جبريل" (2).

وهى بهذا توافق القرآن حين قال عنه: "وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . الشعراء : 192 . 194".

ثم تقول كارين : "ولتطمئن خديجة محمدا استشارت ابن عمها ورقة بن نوفل الذى درس نصوص أهل الكتاب والذى يستطيع نصحتها بخبرته ، تهلل ورقة قائلا بابتهاج "قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لأن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس (\*) الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت" (3)(4).

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (255/1).

(2) كارين : محمد نبى لزماننا، ص45.

(\*) أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل فى خيريه وشره ، فعبر عن الملك الذى جاءه بالوحى بذلك . انظر كلام الشيخ : محمد محى الدين عبد الحميد فى هامش سيرة النبى محمد : ابن هشام ، ص256.

(3) كارين : محمد نبى لزماننا، ص46.

(4) وانظر هذا الجزء من الرواية عند ابن هشام : السيرة النبوية (237/1).

لكن هذه الرواية تعنى أن خديجة رضى الله عنها قد ذهبت إلى ورقة وحدها دون أن تأخذ الرسول (ﷺ) معها ، وذلك بدلالة جملة : (فقولى له فليثبت) .

والأصح هو ما جاء فى الصحيحين : (فذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل) ومن الممكن أن نوفق بين الروايتين بأن خديجة رضى الله عنها قد ذهبت وحدها إلى ورقة ابتداء بمجرد أن حدثها الرسول (ﷺ) بما رأى وتلك رواية (ابن إسحاق)\* ثم لما هدا النبى (ﷺ) وذهب عنه الخوف ذهبت به خديجة إلى ورقة ليعطى تصورا عاما عما حدث له .

وتتكلم كارين عن فترة انقطاع الوحى فتقول : "ظلت السماء جافية عن محمد (ﷺ) بقسوة عامين طويلين ثم بعد ذلك انقشع الظلام فجأة بنور ساطع ، يؤكد : وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ...سورة الضحى : 1-5" (1) .

ولا أدرى لم رجحت كارين أن فترة انقطاع الوحى كانت سنتين؟

والمسألة فيها خلاف عندنا ، فقد روى ابن سعد أنها كانت أياما فقال : "لما نزل الوحى بحراء مكث أياما لا يرى جبريل" (2) . "وروى أن أقصاها أربعون يوما، وقيل ستة أشهر، وقيل سنتان ونصف، وقيل ثلاث سنين" (3) ، وأما ابن إسحاق وابن هشام فلم يحددا تلك الفترة ، يقول ابن إسحاق : "ثم فتر الوحى عن رسول الله (ﷺ) فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه" (4).

يقول الدكتور أبو شهبه - يرحمه الله - : "والذى أرجحه وأميل إليه هو أن أقصاها أربعون يوما، ويليه القول الثانى (ستة أشهر)، وأما القولان الأخيران (ثلاث سنين ، وستان ونصف) فإنى أستبعدهما، والسبب فى ذلك أن الفترة كانت

ليسترد النبي (ﷺ) أنفاسه مما حدث له من ضغط جبريل ، وما عراه من الهول والفرع لأول لقاء بين بشر وملك ؛ وليحصل للنبي الشوق إلى لقاء جبريل بعد هذه الفترة . أما أن يقضى النبي ثلاث سنين أو سنتين ونصف سنة من عمر الدعوة الإسلامية من غير وحى ودعوة فهذا ما لا تقبله العقول ، ولا يدل عليه نقل صحيح" (5) .

(\* سبق ذكرها ، وانظر: تاريخ الطبرى (302/2) .

(1) كارين : محمد نبى لزماننا ، ص48.

(2) ابن سعد : الطبقات الكبرى (196/1) .

(3) د.محمد أبو شهبة : السيرة النبوية (258/1).

(4) ابن هشام : السيرة النبوية (240/1) .

(5) د.محمد أبو شهبة : السيرة النبوية (259/1) .

### ثقل الوحي وشدته على الرسول (ﷺ).

إننا - نحن المسلمين - نعترف بأن الوحي الذى كان ينزل على النبي (ﷺ) قول ثقيل.  
قال الله تعالى : "إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا . المزمّل : آية4"

وقال أيضاً : "لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .  
سورة الحشر : 21" .

فالثقل هنا ليس معنويا فحسب وإنما هو أيضا مادي حسي .

"وقد رأى بعض الصحابة رسولهم (ﷺ) وقد اشتد به ، وقد أجمعوا كلهم على أنه كان يعانى فى أثناءه شدة وصعوبة ، يبقى على ذلك ما شاء الله ، فلا يهدأ ولا يذهب عنه الرّوع إلا بعد انتهاء الوحي ، فيجلس حينئذ وقد تصبب عرقا ، يجلس ليرتاح ويجفف عرقه ، ثم يتلو على من عنده من أصحابه ما وعاه وما حفظه من الوحي، فإذا فصم عنه كان قد وعى كل ما قاله الملك له وحفظه لا يذهب عنه حرف" (1) .

ولا تخالف كارين النظرة الإسلامية فى هذا فنجدها تقول : "كان تلقى الوحي عملية شاقة مؤلمة ، قال عنه النبي (ﷺ) لم يأتني الوحي إلا وظننت أن روحى ستزهق" (2) .

ولم أجد رواية بهذا اللفظ (ستزهق) ، ولعل ذلك هو تعبير كارين ، ثم تشير إلى حديث رواه السيوطى فى الإتقان ، وهو :

"عن عائشة قالت : كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتردد وجهه ويجد بردا في ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجُمان" (3) .  
والرُبدة في اللغة هي العُبرة ، ومن معانيها السواد المختلط ، أو الحمرة التي خالطها سواد . وتربّد وجهه : أي تغير من الغضب، وقيل صار كلون الرماد، وتربّد الرجل: إذا تعبّس ، وتربّدت السماء : تغيّمت (4) .

لقد كان لعملية استقبال الوحي آثار مادية ظاهرة ، وأعراض بادية للمشاهدة والمعاناة يدركها كل من حضر، وهو ينظر إلى النبي الكريم وهو يكابد استيعاب التنزيل ، ويعاني استقبال الترتيل ، نذكر منها الأعراض الآتية :

- 
- (1)د.عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ، ط2 دار النفاس ، بيروت - لبنان ، 1425هـ ، 2004م ، ص49.  
(2)كارين : محمد نبي لزماننا، ص52 . وهذا ليس نص الحديث ، وإنما هو تعبير كارين عن ثقل الوحي .  
(3)السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، (1/129) . وهذا الحديث : رواه مسلم : كتاب الفضائل، باب عرق النبي (ﷺ) في البرد وحين يأتيه الوحي .  
(4)ابن منظور : لسان العرب (3 / 170) .

1- قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَنْقُصُ عَرَقًا" (1) .

وهذا يدل على المعاناة الشديدة الناجمة عن ضخامة الجهد الذي كان سيدنا محمد (ﷺ) يبذله أثناء هذه العملية .

2- وروى الإمام البخاري عن يعلى بن أمية ، أنه كان يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : لَيْتَنِي أَرَى نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبٌ قَدْ أُظْلِمَ بِهِ عَلَيْهِ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ عُمَرُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٍ مُتَضَمِّحٌ بِطِيبٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بَعْمَرَةَ فِي جُبَّةٍ بَعْدَ مَا تَضَمَّحَ بِطِيبٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ سَكَتَ فَجَاءَهُ الْوَحْيُ فَأَشَارَ عُمَرُ بِيَدِهِ إِلَى يَعْلَى بْنِ أُمِيَّةَ تَعَالَ فَجَاءَ يَعْلَى فَأَدْحَلَ رَأْسَهُ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّرُ الْوَجْهِ يَغْطُ سَاعَةً ثُمَّ سَرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ أَيْنَ الَّذِي سَأَلَنِي عَنِ الْعُمَرَةَ أَنَا فَأَلْتَمَسَ الرَّجُلُ فَجِيءَ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ فَاعْسَلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَأَنْزِعْهَا ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمَرَتِكَ مَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ" (2) .

3- وقد جاء في ذلك أحاديث طريفة منها ما ورد في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: " أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَتَقَلَّتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَ فَخِذِي"(3).

هذه بعض الروايات التي تدل على ثقل الوحي على رسول الله (ﷺ) ، قد عاينها الجمع الكثير من الصحابة .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي ، رقم : 2 .

(\*) هي ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، سابق (2 / 142).

(2) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه ، رقم : 1180 .

(3) صحيح البخاري ، ك تفسير القرآن ، باب : لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ، رقم : 4592 .

## المبحث الثالث :

دعوة الرسول (ﷺ) في مكة ، ويشتمل على  
مطلبين :

المطلب الأول : دعوة الرسول (ﷺ) في مكة في فكر وات .

المطلب الثاني : دعوة الرسول (ﷺ) في مكة في فكر كارين.



المطلب الأول :

## دعوة الرسول (ﷺ) في مكة عند مونتجمري وات .

يبدأ وات كلامه عن العهد المكي قائلاً : "إن الإسلام لم يتلق دعمه من الطبقات الدنيا من قاع المجتمع ، وإنما من أوساط الناس تقريباً الذين أصبحوا على وعى بالتفاوت بينهم وبين أولئك المتربعين على القمة ، والذين بدأوا يشعرون أنهم كانوا معدمين ولا يمكن التعبير عن الإسلام كحركة للذين لا يملكون والذين امتلكوا منذ وقت قريب"(1).

### التحليل والتقويم

ونلاحظ من كلام وات أنه يجعل من دخول الأوائل في الإسلام حركة انقلابية ، وثورة اجتماعية ، وصراعاً طبقياً قام به أصحاب الطبقة المتوسطة – فضلاً عن أصحاب الطبقات المعدمة – ضد أصحاب الطبقة المترفة المستحوذة على السلطة في مكة ، فوجد هؤلاء الإسلام فرصة سانحة ، وقارب نجاة لهم من ظلم المستبدين فاتبعوه ؛ وعلى ذلك فالوحي الإلهي لا وجود له في نظر وات . وهذا تفسير مادي محض ، وهو تفسير له خطورته على وقائع السيرة النبوية .

"ومن أخطاء التفسير المادى للتاريخ ، تصوُّرُ الإسلام على أنه ثورة اجتماعية أو اقتصادية ، فى حين أنه كان دعوة ربانية وليست بشرية لها صفة المنهج الجامع الإنسانى الطابع"(2).

"فإن الإسلام ما جاء نتيجة انقلاب عسكرى أو سياسى قام به مجموعة من الأفراد الذين يطلقون على أنفسهم ثوارًا أو مجموعة من العسكر ، كما أنه ما جاء نتيجة انقلاب مناظر فى توزيع الإنتاج وعلاقاته المتشابكة فى قریش ، وإنما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة .....ومن هنا فإن دعوى (صراع الطبقات) التى يحاول الماركسية اليوم ، وأصحاب الفكر المادى والإلحادى إلصاقه بالإسلام ؛ وصولاً إلى تفریح الدين الإسلامى من محتواه الروحى ومضمونه العقائدى ، إنما هى محاولة لن تجدى"(3).

نعم . إن السبب فى اعتناق المسلمين الأولین لم يكن مادياً ، بل كان روحانياً صرفاً؛ الاقتناع أساسه ، والحب ركيزته . إن الذى يفسر انتشار الإسلام فى البيئة المكية على أنه كان ثورة اجتماعية إنما ينظر الحقيقة بنصف عين . والأفضل القول بأنه كان ثورة دينية لمجابهة الشرك بالله سبحانه وتعالى .

وكذا لم يكن ثورة اقتصادية بغرض الحصول على المال ، وإلا فإن أبا بكر كان قبل الإسلام غنياً ثم قدّم ماله لله ، وكذا عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وأبو ذر ، ومصعب بن عمير ... وغيرهم . كل هؤلاء كانوا قبل الإسلام أغنياء يلبسون الحرير لكنهم بعد الإسلام صاروا زُهَّادًا يؤثرون الفقراء على أنفسهم .

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 189.

(2) أنور الجندى: سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية ، ط مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة د.ت، ص 35.

(3) المرجع السابق : ص 32، 33.

وعلى أية حال فقد ناقض وات نفسه حين قال فى نفس الكتاب قبل ذلك ، بعد أن قسّم المسلمين إلى طبقات ثلاث ، على رأسها أبناء العشائر القوية : "ويمكن اعتبار خالد بن سعيد(\*) خير ممثل لهذه الطبقة (يعنى الطبقة المترفة)، لكن هناك عديدون غيره . إنهم شباب من أسر نوات نفوذ عشائرية قوية ، وكانوا أقرباء للمستحوذین على السلطة فى مكة ، الذين تزعموا المعارضة ضد محمد"(1) .

وهذا تناقض ظاهر .

إن وات قال هنا ما يفيد بأن الإسلام قام نتيجة صراع بين طبقة متوسطة الحال وطبقة مترفة جداً ، وقد نسى أنه قال قبل صفحة واحدة ما يفيد بأن أول من أسلموا كانوا شباباً كخالد بن سعيد ، وكانوا من أسر نوات نفوذ ، وأقرباء للمستحوذین على السلطة .

وأما بالنسبة لقول وات : إن الإسلام لم يتلق دعمه من الطبقات الدنيا من قاع المجتمع فهذا خطأ ؛ لأن الثابت أن أول من دعم الإسلام فى بدايته وتجنّم المشاق فى سبيل انتشاره كانوا فقراء من أصحاب الطبقات الدنيا ، فقد روى البخارى :

"عن عبد الله بن عباس ، أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من فريش، وكانوا نجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار فريش، فأنوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبت فكبوه. فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يعدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والركعة والصدق والعفاف والصلة. فقال لترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل =

(\*) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أبو سعيد ، أمه أم خالد بنت حباب الثقفية من السابقين الأولين قيل: كان رابعاً أو خامساً . انظر : الإصابة لابن حجر (278/1) .  
(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 187 .

يأتسي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آباءه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آباءه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيزتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تحالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يعدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تعدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت

أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ،  
وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ" (1).

والشاهد في هذا الحديث : أن الفقراء كانوا أول من حملوا مشعل الدعوة إلى الله تعالى ، على عكس ما يدعى وات تمامًا .

---

(1) صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحي ، (8/1) ، رقم : 7 .

### دوافع دخول الناس في الإسلام

تحت عنوان "اللجوء إلى الإسلام" يتكلم وات عن الدوافع التي شجعت الناس على الدخول في الإسلام فيرجع ذلك إلى عدة عوامل وهي :

1- وجود الحنفاء في مكة ، وهذا بدوره قد مهد للناس فكرة التوحيد فيقول وات عن ما أسماه بـ (التوحيد الغامض) الذي كان قبل النبي (ﷺ) : "فإنه قد قدم لنا أساساً للاعتقاد بأن هذا الاتجاه نحو التوحيد الغامض قد بدأ ينتشر قبل الإسلام" (1).

وعلى العكس ، فلو كان هؤلاء الحنفاء قد قاموا بتثقيف الناس دينياً وتعليمهم التوحيد لما كان النبي (ﷺ) في حاجة إلى أن يذهب إلى ورقة بن نوفل يوم أن نزل عليه الوحي لأول مرة ، ليستفسر عن حقيقة ما جرى له في الغار ؛ لأنه من المفترض - حسب زعم وات - أنه (ﷺ) يعلم ذلك من خلال دروس الحنفاء له ، وهذا قمة الكذب على رسول الله (ﷺ) والتخرُّص عليه .

2- أهمية الجانب الاقتصادي والسياسي ، فيقول : "وليس مما يدعوا للدهشة إذن أن يجذب بعض الرجال لرسالة الإسلام - في المقام الأول - من خلال مضامينه السياسية والاقتصادية ، وإن كان أمراً بعيد الاحتمال وجود عدد كبير ممن أسلموا كانوا واعين بهذه الأبعاد الاقتصادية والسياسية"(2).

هذا - في نظرات - هو الذي دفع الناس لاعتناق الإسلام ؛ مزايا سياسية واقتصادية . ومن المعروف أن الإسلام في عهده المكي كله (ثلاثة عشر عاماً) لم تكن له مزايا سياسية ولا اقتصادية ، بل على العكس تماماً ، كان مضطهداً سياسياً ومحاصراً اقتصادياً ، ومقاطعاً اجتماعياً ، كما نصت صحيفة المقاطعة المشهورة ، فقد "تمخض حقد المشركين عن عقد معاهدة تعتبر المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يعطف عليهم أو يحمي أحداً منهم ، حزباً واحداً دون سائر الناس ، ثم اتفقوا على ألا يبيعوهم أو يبتاعوا منهم شيئاً وألا يزوجهم أو يتزوجوا منهم وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة ؛ توكيدا لنصوصها"(3) .

هذه كلها دلائل على ضعف المسلمين مادياً أيامئذ ، فما المزايا المادية التي كانت في الإسلام حتى يطمع أغنى الشباب كخالد بن سعيد وغيره ويتركوا ما لذ وطاب من المأكول والمشروب والملبوس ، لكنهم وجدوا ضالتهم المنشودة في هذا الدين الذي أفتح العقول وأرضى النفوس وطمأن القلوب . هذا هو الجانب العاطفي الذي يجله وات أو يتجاهله عن عمد ، أما إسقاط التفسير المادي المعاصر على إسلام هؤلاء الأعلام فإنه سرعان ما يتهافت بمجرد إلقاء نظرة متأنية على قوائم المسلمين الأوائل "الذين كان أكثرهم من التجار ورجال الطبقة الوسطى وممن كانت لهم عشائر تحميهم وتدفع عنهم.... هؤلاء نالوا كثيراً من الاضطهاد بسبب عقائدهم ومُنوا بكثير من الآمال إذا تركوه ، فرفضوا وأصرروا على التمسك بالدين الجديد ؛ مما يدل على أن دافع العقيدة هو الذي كان يدفعهم إلى اعتناق الإسلام"(4) .

(1) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص189.

(2) السابق ، ص193.

(3) الشيخ محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص116.

(4) د. صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، ط3، مطبعة الإرشاد 1964م (1/338) .

### سبب إسلام حمزة(\*) وعمر(\*\*) رضي الله عنهما حسب ادعاء وات :

يقول وات عن إسلام حمزة وعمر (رضي الله عنهما) :  
"وفي حالة حمزة وعمر ، هناك روايات عن ظروف كل منهما ، وبالنسبة لعمر بن الخطاب فهناك روايتان عن كيفية إسلامه ، وإذا قبلنا الرواية المتداولة بشأن ذلك فإن إسلامه يرجع إلى عاملين : لقد كان الرجلان (عمر وحمزة) متأثرين بمسلك محمد (ﷺ) نفسه أو مسلك المسلمين الآخرين وقد انجذب عمر بن الخطاب لبلاغة القرآن وبالمحتوى الديني للإسلام ، وفي كلتا الحالتين كان هناك الولاء للأسرة أو العشيرة ، فحمزة هبَّ يدفع عن محمد (ﷺ) الإهانات التي تعرض لها محمد من عشيرة أخرى ، أما عمر فقد أحسَّ بما أصاب عشيرته من خزي عندما علم أن أخته وزوجها قد أسلما ، وليست هناك كلمة واحدة من أمور اقتصادية ، فحتى عمر بن الخطاب رغم

أنه كان أمنا على وضعه داخل العشيرة ربما كان قلقًا بشأن وضع عشيرته في مكة، هذا القلق ربما عمق سخطه على رجال عشيرته في المقام الأول من خلال الخوف من أن تحوّلهم للإسلام قد يؤدي لمزيد من تدهور الوضع العام لعشيرته" (1).

إن وات يعمل جاهداً على إبعاد العامل الإيماني عن إسلام عمر وحمزة - رضى الله عنهما - ويحاول التأكيد على أن إسلامهما كان حمية وولاءً لعشيرتهما . إن وات "يشير إلى العوامل القبلية والعائلية التي ساعدت بعض أهل مكة على دخول الإسلام كحمزة الذي اعتنق الدين الجديد انتقاماً لابن أخيه وحمية له ، وكإسلام عمر الذي أراد أن يمسح العار الذي لحق بقبيلته عندما سمع باعتناق أخته وزوجها وأخيه للإسلام" (2).

كما يؤكد وات على أن سيدنا عمر قد أسلم خوفاً من تدهور الوضع العام لعشيرته . والحق أن عمر "قد أسلم لتأثره من سماعه آيات القرآن ومن رؤيته أخته تتأذى" (3).

(\* **حمزة بن عبد المطلب** بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عمارة عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاة. أرضعتها ثويبة مولاة أبي لهب كما ثبت في الصحيحين وقريبه من أمه أيضاً، لأن أم حمزة هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم أمنة بنت وهب بن عبد مناف أم النبي صلى الله عليه وسلم. ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بستينين. وقيل: بأربع. وأسلم في السنة الثانية من البعثة، ولازم نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر معه ، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (2/ 105) .

(\*\*) **عمر بن الخطاب** بن نفيل القرشي العدوي رضي الله عنه: ابن عبد العزى بن رياح بالتحنانية ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بمهملة ومعجمة وأخوه مهملة ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين ، ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة وقيل بدون ذكر خليفة بسند له: إنه ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة وكان إليه السفارة في الجاهلية وكان عند المبعث شديداً على المسلمين ثم أسلم فكان إسلامه فتحا على المسلمين وفرجا لهم من الضيق. قال عبد الله بن مسعود: وما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر أخرجه ( انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (4/ 484) .

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة : ص191.

(2) د.سالى سالم الحاج : نقد الخطاب الاستشراقى : الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية ، (128/2).

(3) صالح أحمد العلى : محاضرات فى تاريخ العرب ، سابق (338/1) .

والدليل على ذلك ما جاء فى كتب السيرة :

"كَانَ خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ يُفْرِنُهَا الْقُرْآنَ فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُنَوَّشًا سَبَقَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَسَلَّمَ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتِ عَبْدِ الصَّفَا ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رَجَالٍ وَنِسَاءٍ وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَمَهُ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصَّدِيقُ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فِي رَجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِمَّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) بِمَكَّةَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَلَقِيَهُ نَعِيمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِيُّ الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ وَسَبَقَهُ أَحْلَامُهَا ، وَعَابَ دِينَهَا ، وَسَبَّ آلَهَا ، فَأَقْتَلَهُ فَقَالَ لَهُ نَعِيمٌ وَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ يَا عُمَرُ أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنْفَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتَقِيمَ أَمْرَهُمْ ؟ قَالَ . وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي ؟ قَالَ خَتْنُكَ (\*) وَأَبْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ رَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأَخْتُكَ فَاطِمَةَ بِنْتُ الْخَطَّابِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا ، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ فَعَلَيْكَ بِهِمَا ؛ قَالَ فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إِلَى أُخْتِهِ وَخَتْنِهِ وَعِنْدَهُمَا خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ مَعَهُ صَحِيفَةٌ

فيها : { طه } يُقْرَأُهَا إِيَّاهَا ، فَلَمَّا سَمِعُوا حَسَّ عُمَرُ تَغَيَّبَ خَبَابٌ فِي مَخْدَعِ لَهُمْ أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فُخْذِهَا وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَابٍ عَلَيْهِمَا ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ الَّتِي سَمِعْتُ ؟ قَالَ لَهُ مَا سَمِعْتَ شَيْئًا ؛ قَالَ بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنْكُمَا تَابِعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ وَبَطَشَ بِخَنْتِهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ؛ فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لَتَكْفَهُ عَنْ زَوْجِهَا ، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا ؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَنْتُهُ نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَأَمْنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ . فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأَخْتِهِ مِنْ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَارْعَوَى ، وَقَالَ لِأَخْتِهِ أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُمْ تَقْرَأُونَ أَنْفَاءً أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا ؛ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا ؛ قَالَ لَا تَخَافِي . وَحَلَفَ لَهَا بِالْهَيْئَةِ لِيُرِدْنَهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا ؛ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ فَقَالَتْ لَهُ يَا أَخِي ، إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شَرِكِكَ وَإِنَّهُ لَا يَمْسُهَا إِلَّا الطَّاهِرُ فَقَامَ عُمَرُ فَغَاغَسَ فَاغْتَسَلَ فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ وَفِيهَا { طه } فَقَرَأَهَا ؛ فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا ، قَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا عُمَرُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أُمْسَ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَالْتَمَسَ اللَّهُ يَا عُمَرُ . فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ فِدْلِي يَا خَبَابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأَسْلِمَ فَقَالَ لَهُ خَبَابٌ هُوَ فِي بَيْتِ عِنْدَ الصَّفَا ، مَعَهُ فِيهِ نَقْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَنَوَّشَحَهُ (\*\*\*) ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَلَمَّا سَمِعُوا (ﷺ) فَانظَرُوا مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَرَأَهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ فَرَعٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ ؟ فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَأَذِنَ لَهُ فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَدَلْنَا لَهُ وَإِنْ كَانَ (جَاءَ) يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَا بِسَيْفِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّذَنْ لَهُ فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حَتَّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ فَأَخَذَ حُجْرَتَهُ أَوْ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ثُمَّ جَبَدَهُ (بِهِ) جَبْدَةً شَدِيدَةً وَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزَلَ اللَّهُ بِكَ قَارِعَةً ؟ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُكَ لِأُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالَ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ (1).

وهنا يظهر أن السبب في إسلام عمر لم يكن العصبية أو الحمية ، وإنما تأثره بما سمع من آيات القرآن .

(\*) حَتَّى الرَّجُلُ الْمُتَزَوِّجُ بِابْنَتِهِ أَوْ بِأَخْتِهِ وَهُوَ الصَّهْرُ . انظر : لسان العرب لابن منظور (137/13) .

(\*\*) توشح السيف : لبسه . انظر : لسان العرب لابن منظور (632/2) .

(1) السيرة النبوية لابن هشام (343/1 - 345) .

أما إسلام حمزة - رضى الله عنه - فقد كان في أول الأمر عصبية ، لكن سرعان ما صرخ صوت الفطرة فيه قلبى نداء الإيمان .

يقول الدكتور / محمد الطيب النجار - يرحمه الله - :

"فأما عن إسلام حمزة : فقد كان في مبدأ أمره عن حمية واندفاع بسبب العصبية القبلية التي كانت تمتلئ بها نفوس العرب في ذلك الحين ، ولكن لم يلبث أن شرح الله صدره للإسلام فمضى في طريق الحق لا يخشى فيه لومة لائم، وجاهد في سبيل الله حتى قضى نحبه ولقى ربه" (1).

ويدل على ذلك ما رواه ابن إسحاق وغيره :

" أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الصَّفَا ، فَأَدَّاهُ وَشَتَّمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضْعِيفِ لِأَمْرِهِ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْلَاةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ فَعَمَدًا إِلَى نَادٍ مِنْ فُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ . فَلَمَّ يَلْبِثُ حَمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصِ لَهُ وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصِ يَرْمِيهِ وَيَخْرُجُ لَهُ وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ فُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ وَكَانَ أَعَزَّ فَتَى فِي فُرَيْشٍ ، وَأَشَدَّ شَكِيمَةً . فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ قَالَتْ لَهُ يَا أَبَا عُمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أُخِيكَ مُحَمَّدٌ أَيْفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَّغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَكَلِّمُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحْتَمَلَ حَمْرَةَ الْغَضَبُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فَخَرَجَ يَسْعَى وَلَمْ يَوَقِفْ عَلَى أَحَدٍ ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً ثُمَّ قَالَ أَتَشْتِمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ فَرُدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ . فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْرُومٍ إِلَى حَمْرَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أُخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا ، وَتَمَّ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى إِسْلَامِهِ وَعَلَى مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ . فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْرَةَ عَرَفَتْ فُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ وَأَنَّ حَمْرَةَ سَيَمْنَعُهُ فَكَفُّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ "(2).

لقد كان همُّ وات أن يثبت أن من عظماء الإسلام كحمزة وعمر من أسلم على غير قناعة بالإسلام ، وإنما أسلم ؛ كرد فعل لموقف بعينه .

(1) د. محمد الطيب النجار : القول المبين في سيرة المرسلين ، ط دار الندوة الجديدة بيروت - لبنان ، د.ت، ص131 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (1/ 292 ، 293) .

### فرية الغرائيق(\*)

يؤكد وات هذه الأقصوصة بقوله : "حدث ذات مرة أن قرأ محمد (ﷺ) هذه الآيات الشيطانية(\*\*) باعتبارها جزءاً من القرآن الكريم ، ونظن أن هذه القصة لم يخترعها المسلمون المتأخرون زمننا ولا نظن أن غير المسلمين قد أقحموها في التاريخ الإسلامي (يعنى أنها ليست من الإسرائيليات)"(1).

وطبعا ، من مصلحة وات أن يثبت وقوع هذه الكذبة النكراء لأنها تؤيد فكرته بأن القرآن من نتاج فكر سيدنا محمد (ﷺ) وهى نظرية (اللاوعى الجمعى) التى فسر بها ظاهرة الوحي من قبل ، ويقول : "إنه من المؤكد أن محمداً (ﷺ) قد أعلن بعد ذلك أن هذه الآيات الشيطانية ليست من القرآن الكريم وأن آيات أخرى قد حلت محلها تحمل مضموناً مختلفاً تماماً ، والروايات الأولى لا تحدد الفترة الزمنية بين نطق محمد (ﷺ) بهذه الآيات الشيطانية وإنكاره لها . إنه من المحتمل أن ذلك قد استغرق أسابيع أو حتى شهوراً" (2).

وهذا يعنى - على زعم وات طبعاً - أن سيدنا محمداً (ﷺ) ظل يقرأ فى صلواته وخلواته (أقصوصة الغرائيق) على أنها من القرآن لمدة أسابيع أو شهور - حسب ادعاء وات - ويعنى كذلك : أن سيدنا محمداً (ﷺ) كان لا يفرق بين الوحي المنزل عليه وبين ما يخالجه نفسه من أمنيات ، وهذه دعوى خطيرة ، فلا سيدنا محمداً (ﷺ) نطق بهذه الآيات المزعومة ، ولا هو تطلع أن يُرضى المشركين على حساب عقيدة التوحيد .

---

(\*) الغرائيق الذكور من الطير واحدها غرَنُوق و غرَنُيق سمي به لبياضه وقيل هو الكُرْكِي وكانوا يزعمون أن الأصنام تقرّبهم من الله عز وجل وتشفع لهم إليه فشبهت بالطيور التي تعلق وترتفع في السماء قال ويجوز أن تكون الغرائيق في الحديث جمع الغرائق وهو الحسن يقال غرائق و غرائق و غرائيق : انظر لسان العرب (286/10) .

(\*\*) تلك الغرائيق الغلا ، وإن شفاعتهن لترتجى (أو تُرتضى) .

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة : ص 207 .

(2) السابق : ص 209.

### التحليل والتقويم

إن أول من أورد هذه الرواية هو الإمام الواقدي (\* ) ، ثم أخذها عنه الإمام الطبرى ، وابن سعد ، ومن بعدهم . وأرى من المناسب أن أضع الرواية كاملة كما رواها الإمام الطبرى - يرحمه الله - قال : "حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه ، وشق عليه ما يرى من مباحثهم ما جاءهم به من الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه ، وكان يسره مع حبه لقومه ، وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ؛ حتى حدث بذلك نفسه ، وتمناه وأحبه ، فأنزل الله عز وجل : " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ



مكة، حين سجدوا مع رسول الله (ﷺ) ؛ حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار، أو مستخفياً، فكان ممن قدم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدرًا من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية، معه امرأته رقية بنت رسول الله (ﷺ) ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل، وجماعة أخر معهم، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً" (1).

وهذه القصة باطلة سندًا ومتناً ، نقلًا و عقلاً ، قال بذلك علماء محققون مدققون ، فيقول القاضي عياض :

"إن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أوع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة، وآخر يقول قالها في نادى قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول بل حدث نفسه فيها، وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي (ﷺ) لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتكم، وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حُكِيَتْ هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية" (2).

يقول الحافظ ابن كثير - يرحمه الله - : "لقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظنًا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا . ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم" (3).

(1) الإمام الطبري : تاريخ الرسل والملوك (2/ 38 - 40) ، وابن سعد : الطبقات الكبرى (1/ 205).

(2) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ط دار الفكر بيروت - لبنان ، 1409 هـ - 1988 م (124/2 ، 125) .

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (5/ 441).

### القصة واهية من حيث السند

إن عدم ورود هذه القصة في كتب السنة الصحيحة المعتمدة ، يجعل الباحث في شك مريب منها ، وبیشم فيها رائحة الضعف، فالقصة لم يُخَرِّجْها أحد من أصحاب الكتب المعتمدة في السنة . والذي رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس : "أن النبي (ﷺ) قرأ النجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس"، وفي رواية "أول سورة أنزلت فيها سجدة : النجم، قال فسجد رسول الله (ﷺ) ، وسجد مَنْ خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قتل كافرًا" (1) .

نعم .. لقد سجدوا حين صغت قلوبهم ، وصفت نفوسهم ، وتنبهت عقولهم للحظات فقط . سجدوا مأسورين بحلاوة القرآن كما سبق أن أسرت حلاوته الوليد بن المغيرة فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، " أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، فَكَانَ رَقَّ لَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ ، فَذَكَرَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ قَالَ الْوَلِيدُ : وَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشُّعَارِ مِنِّي ، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي ، وَلَا بِالشُّعَارِ الْجِنِّ ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ : حَلَاوَةٌ وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ ، وَإِنَّهُ لَمُثَمَّرٌ أَعْلَاهُ مُعْدِقٌ أَسْفَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَغْلَى ، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ " (2).

"فقد اقتصر البخاري على هذا الجزء الصحيح من القصة ، و هو لا يدل على ما زادوه ، أما سجود المسلمين فاتباعاً لأمر الله ، و انتساء برسول الله ، و أما سجود المشركين ؛ فلما سمعوه من أسرار البلاغة الفائقة ، و الفصاحة البالغة ، و عيون الكلم الجوامع لأنواع من الوعيد و الإنكار ، و التهديد والإنذار ، و قد كان العربي يسمع القرآن فيخر له ساجداً " (3) .

وهذا ما تفسره الرواية السابقة التي بيَّنت موقف الوليد بن المغيرة من سماعه للقرآن الكريم وهو من أساطين المشركين .

يقول الإمام الألويسي(\*) - يرحمه الله - : "يجوز أن يكونوا قد سجدوا لدهشة أصابتهم ، و خوف اعتراهم عند سماع السورة لما فيها من قوله تعالى : وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى.....إلى قوله تعالى : فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ، فاستشعروا نزول ذلك بهم" (4) .  
والحق أنهم كانوا على قناعة بصدق النبي (ﷺ) لكنه الجحود والتعصب الأعمى للموروثات القديمة ، كما قال تعالى :

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} {الأنعام : 33} .

(1) صحيح البخاري، كتاب التفسير ، باب فاسجدوا لله واعبدوا ، رقم (4862 ، 4863).

(2) الحاكم : المستدرک على الصحيحين (2/ 550)

(3) د.محمد أبو شهبه : السيرة النبوية (1/366 ، 367) ، وانظر أيضا : د.محمد أبو شهبه : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (316 ، 317) .

(\*) محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، شهاب الدين، أبو النشاء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الافتاء ببلده سنة 1248 هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة 1262 هـ إلى الموصل، فالاستانة ، فغاب 21 شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي. من أشهر كتبه تفسير القرآن : روح المعاني. انظر الأعلام للزركلي(17/ 176) .

(4) محمود شكري الألويسي : روح المعاني ، ط إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، د.ت (17/183).

ويقول الشيخ محمد الغزالي(\*) - يرحمه الله - : "كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين ، فما أن تمالكوا أن يخروا لله ساجدين مع غيرهم المسلمين ، فلما نكسوا رءوسهم وأحسوا أن جلال الإيمان لوى زمامهم ، ندموا على ما كان منهم ، أحبوا أن يعتذروا عنه ، بأنهم ما سجدوا مع محمد (ﷺ) إلا لأن محمداً عطف علي أصنامهم بكلمة تقدير" (1).

ويرى ابن حجر أن لقصة الغرائيق أصلا في السنة الصحيحة ، فيقول : " فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا" (2).

وليس معنى ذلك أن ابن حجر قد قبل قصة الغرائيق على النحو الذى شاع بين القصاصين ، ولكنه تأولها بما ينفق وعصمة النبي (ﷺ) ، فيذكر تأويلاتٍ عديدةً لها فيقول : "وقيل كان النبي (ﷺ) يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، ثم قال وهذا أحسن الوجوه" (3) .

وقد أخذ ذلك الرأى على ابن حجر ، لكن الرجل له عذره فيما قال "فقد كان موقفه من القصة ممثلاً لشخصيته العلمية التى يضىف عليها تفوقه فى الصناعة الحديثية هالة من الاقتدار والتفرد على حُفاظ عصره ؛ مما غلب عليه العصبية الصناعية ، فحكّمها فى إثبات أصل القصة من جهة روايات أحاديثها ، وأسانيدها" (4).

ولكن لا بد من التأكيد على أن الإمام ابن حجر ، وإن حكّم الصناعة الحديثية فى هذه الرواية إلا أنه لم يُقرّها بل راعى مقام النبوة ، ومما يؤكد ذلك قوله : "فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره ؛ لأنه يستحيل عليه (ﷺ) أن يزيد فى القرآن عمدا ما ليس منه ، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته" (5).

هكذا يوازن ابن حجر بين أصول الصناعة الحديثية ، ومراعاة العصمة النبوية . يقول الدكتور أبو شهبه (\*\*\*) تعليقا على تأويل ابن حجر : "وهذا التأويل على فرض تسليم صحته ، وهو لون من ألوان الحجاج والتنزل مع الخصم ، ومن ثم نرى أنه لا يوجد من علماء الإسلام من يقول بظاهر القصة ، وأن القائلين بأن لها أصلا أولوها بما يوافق مقام النبوة" (6) .

(\*) ولد الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا في 5 ذي الحجة سنة 1335 هجرية، الموافق 22 من سبتمبر 1917 ميلادية، في قرية "نكلا العنب" بإيتاى البارود التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، وسماه والده ب"محمد الغزالي" تيمناً بالعالم الكبير أبو حامد الغزالي المتوفى في جمادى الآخرة 505 هـ ، والتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الإبتدائي وظل بالمعهد حتى حصل منه على شهادة الكفاءة ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم إنتقل بعد ذلك إلى القاهرة سنة (1356هـ الموافق 1937م) والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وبدأت كتاباته في مجلة (الإخوان المسلمين) أثناء دراسته بالسنة الثالثة في الكلية، بعد تعرفه على الإمام حسن ، وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية (1943م) وعمره ست وعشرون سنة، وبدأت بعدها رحلته في الدعوة من خلال مساجد القاهرة . انظر : محمد المجدوب: علماء ومفكرون عرفتهم ، ط4 ، دار الشوق ، 1992م، (265/1) .

(1) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص111 . (2) ابن حجر : فتح البارى (439/8) .  
(3) السابق : (440/8) . (4) محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله (33/2 ، 34) .  
(5) ابن حجر : فتح البارى (439/8) . (\*\*\*) ولد رحمه الله بقرية «منية جناح» الواقعة على ضفاف نهر النيل فرع رشيد التابعة لمركز ومدينة دسوق - محافظة كفر الشيخ - في 25 شوال 1332 هـ - أتم حفظ نصف القرآن الكريم بكتّاب القرية إلى جانب تعلم القراءة والكتابة وأصول الدين . ولما فتحت المدارس الأولية التحق بمدرسة قرينته أتم بها حفظ القرآن الكريم، وأخذ الشهادة الأولية في سن الثانية عشرة . انظر موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت .  
(6) محمد أبو شهبه : السيرة النبوية (368/1) .

### القصة تأباها اللغة العربية

إن هذه القصة مخالفة للغة العرب التى بها نزل القرآن ، وقد سبق أن ذكرت معنى الغرائيق فى اللغة ، وتبين من معنى الكلمة أنه لا علاقة بين التعريف اللغوى لها، وبين تسمية أو وصف الأصنام بها ، وفى هذا يقول الإمام محمد عبده (\*) : "إن وصف العرب لألتهم بأنها الغرائيق العلى لم يرد لا فى نظمهم ولا فى خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء فى معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح ، وهذا يدل على أن القصة من اختراع

الزنادقة كما قال ابن إسحاق ، وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت ، ولا يخفى أن الغرنوق والغرنيق لم يعرف في اللغة إلا اسماً لطائر مائي أسود وأبيض ، أو هو اسم الكركي أو طائر يشبهه ، والغرنيق معناه الشاب الأبيض الجميل ، وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة الغرنوق ، كما يسمى به ضرب من الشجر ، ويطلق الغرنوق ، والغرانق على ما يكون في أصل العوسج اللين النبات ، ويقال : لَمَّةُ غُرَانِقَةٍ و غُرَانِقِيَّةٌ ؛ أي : ناعمة تفيئها الريح ، أو الغرنوق : الناعم المستتر من النبات ... إلخ ، ولا شيء في هذه المعاني يلائم الآلهة والأصنام ، حتى يُطلق عليها في فصيح القول الذي يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام ، فلا أظنك تعتقد إلا أنها من مفتريات الأعاجم ومختلقات الملبسين ممن لا يميز بين حُرِّ الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الأحلام" (1) . فالفرق شاسع بين الكلمتين ، ولا يوجد بينهما وصف مشترك

### القصة تتنافى مع ما يجب للأنبياء وما يستحيل عليهم

وهذه القصة تأباها العقيدة الإسلامية من عدة جوانب "وأول تلك الجوانب، جانب العصمة في التبليغ عن الله، وثاني تلك الجوانب، وجوب تنزيهه النبي (ﷺ) عن وصمة عدم التمييز بين كلام الله تعالى المعجز بحقائقه التوحيدية ، ومعانيه الإنسانية وأسلوبه ومبانيه ، وبين كلام الشيطان المكفر بمعناه ومبناه، المهلهل في أسلوبه وألفاظه . وثالث تلك الجوانب : وجوب توطيد الثقة بالنبي (ﷺ) فيما يبلغه عن الله تعالى ؛ حتى لا تكون الأمة فريسة للشك والحيرة فيما تسمع من نبيه ، وما يبلغه لها عن الله تعالى ، وإذا سمع الناس من النبي (ﷺ) كلمات الشرك الوثني بالثناء والمدح للأصنام في ثنانيا ذمها واحتقار عابديها، فماذا يبقى لهم من الثقة بعد ذلك في أي بلاغ يسمعونه من نبيهم" (2).

(\* محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. قال أحد من كتبوا عنه: (تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة). ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة (وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدي. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوأمهم. وشارك في مناصرة الثورة العربية، فسجن 3 أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام ، ثم مفتي ديار مصر (انظر : موقع المكتبة الشاملة) .

(1)مجلة المنار: (غرة ذو الحجة - 1318هـ، 21 مارس - 1901م) .

(2)محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله (78/2، 79).

إن الرسول (ﷺ) معصوم من الكذب على الناس فكيف يكذب فيما يبلغ عن الله بوحى ؛ إذ أنه يُشترط فيمن يبلغ عن الله أن يكون الصدق والأمانة صفتين ملازمتين له . كما أن هذه القصة مردودة لعدة أسباب ، منها :

1- أن الشيطان لا تسلط له على المؤمنين ، قال تعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . النحل : 99 " . ورسول الله أول المؤمنين .

2- أن الله تعالى وعد بحفظ القرآن الكريم من أن تناله يدُ التحريف ، قال تعالى :

" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . الحجر : 9 " ، وقال أيضا: " وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . فصلت: 41 ، 42 "

3- أن القرآن الكريم نفى إمكانية تقوُّل النبي (ﷺ) على الله تعالى فقال: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ . الحاقة : 44- 47 ."

كل هذه الآيات تُحيل أن ينال القرآن تحريف من أية جهة .

ويرد الشهيد سيد قطب(\*) - يرحمه الله - على هذه الشبهة رداً قويا فيقول :

"وهناك روايات أخرى أجراً على الافتراء تنسب قوله الغرائيق تلك إلى رسول الله (ﷺ) وتعلل هذا برغبته حاشاه (ﷺ) في مرضاة قريش ومهادنتها ، وقد رفضت منذ الوهلة الأولى تلك الروايات جميعاً، فهي فضلا عن مجافاتها لعصمة النبوة وحفظ الذكر من العبث والتحريف ، فإن سياق السورة ذاته ينفى نفيًا قاطعاً. إذ أنه يتصدى لتوهين عقيدة المشركين في هذه الآلهة وأساطيرهم حولها. فلا مجال لإدخال هاتين العبارتين في سياق السورة بحال. حتى على قول من قال: إن الشيطان ألقى بهما في أسماع المشركين دون المسلمين . فهو لاء المشركون كانوا عرباً يتذوقون لغتهم. وحين يسمعون هاتين العبارتين المقحمتين ويسمعون بعدهما : «الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ؟ تَلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ .. الخ». ويسمعون بعد ذلك : «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» .. ويسمعون قبله : «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى » .. حين يسمعون هذا السياق كله فإنهم لا يسجدون مع الرسول (ﷺ) ؛ لأن الكلام لا يستقيم . والثناء على آلهتهم وتقدير أن لها شفاعاة ترتجى لا يستقيم . وهم لم يكونوا أغبياء كغباء الذين افتروا هذه الروايات ، التي تلقفها منهم المستشرقون مغرضين أو جاهلين! لغير هذا السبب إذن سجد المشركون"(1).

(\*) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشة بمحافظة أسبوط في صعيد مصر، وبها تلقى تعليمه الأولي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية (عبدالعزیز) بالقاهرة، ونال شهادتها والتحق بدار العلوم وتخرج عام 1352هـ، 1933م. عمل بوزارة المعارف بوظائف تربوية وإدارية، وابتعثته الوزارة إلى أمريكا لمدة عامين وعاد عام 1370هـ، انضم إلى حزب الوفد المصري لسنوات وتركه على أثر خلاف عام 1361هـ. وفي عام 1370هـ، 1950م انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وحوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم وصدر الحكم بإعدامه، وأعدم عام 1385هـ، 1966م.

(1) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، ط9 دار الشروق ، 1980م - القاهرة (3420/6) .

وهذا الذى ذكره الشهيد / سيد قطب دليل آخر على بطلان هذه القصة عقلا ؛ إذ أنها تتنافى مع راحة العقل العربى ، وتزوقه للغته التى رُبى عليها ونشأ فى كنفها .

وبالجملة فإنه "لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن وبيناته الواضحة ، وإذا ظن بعض الناس وجود ذلك فلا بد أن تكون السنة غير صحيحة ،

أو أن يكون فهمنا لها غير صحيح ، أو أن يكون التعارض وهمياً لا حقيقياً ، ومعنى هذا أن نفهم السنة في ضوء القرآن ؛ ولهذا كان حديث (الغرائيق) المزعوم مردوداً بلا ريب ؛ لأنه مناف للقرآن" (1).

ومما تقدم يتبين أن روايات قصة الغرائيق ليست صحيحة وأنه ليس للشيطان سلطان على النبي (ﷺ) ، ولا يستطيع أن يلقي على لسان النبي (ﷺ) شيئاً من الباطل فيتلوه أو يتكلم به ، وربما ألقى الشيطان قولاً أثناء تلاوة النبي (ﷺ) يتكلم به الشيطان ويسمعه الحاضرون ، أو يوسوس الشيطان وساوس يلقيها في نفوس الكفار ومرضى القلوب من المنافقين فيحسبها أولئك من الوحي وليست منه فيبطل الله ذلك القول الشيطاني ويزيل الشبه ويحكم آياته .

كل ذلك يرد ادعاءات بأن هذه الرواية صحيحة ، ويؤكد على أنها من الإسرائيليات المدسوسة في تراثنا .

---

(1) د. يوسف القرضاوى : كيف نتعامل مع السنة النبوية ، ط2 دار الشروق 1423هـ ، 2002م ، ص113.

### قول وات بتطور عقيدة الإسلام

وبعد أن فشلت محاولة وات في إثبات قصة الغرائيق، راح يطرح فكرة تطور عقيدة الإسلام ، وأن التوحيد الذى دعا إليه النبي (ﷺ) كان توحيداً غامضاً لا يختلف كثيراً عن التوحيد الذى كان عليه الحنفاء فى مكة قبل الإسلام .

والحق أن وات متناقض في نفسه ، ولم يفهم الإسلام ليتحدث عنه ؛ ولذا انتقل إلى موضوع آخر لا علاقة له بموضوعه الأول .

والحق أن عقيدة الإسلام غير قابلة للتطور، فهي منذ مبعث سيدنا محمد (ﷺ) لم تتغير حتى وقتنا هذا ، ولم يقبل الرسول (ﷺ) أية مساومات أو إغراءات في سبيل تركها أو تغيير شئ منها يوافق الملائكة في مكة ، وهي عقيدة واضحة ، لا التواء فيها ولا مواربة ، ولا غموض ، وقد صرحت من أول يوم بذلك : قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6} . سورة الكافرون .

وقوله تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} . سورة الإخلاص " .

وإلى الآن لا تزال هاتان السورتان في مصاحفنا نتعبد بتلاوتهما ، ولا زالت عقيدتنا كما هي إلى الآن ، فأين تطور العقيدة الإسلامية إذن ؟  
إن في ذلك دلالة واضحة على تهافت فكرة (تطور الأديان) ، ولو كان وات قال بتدرج أحكام الشريعة الإسلامية ومرونتها ومراعاتها لظروف الناس لوافقته على ذلك ؛ إذ أن ذلك من مفاخر ديننا ، وسعته ، واستيعابه لجميع قضايا عصره ، وأشهر مثال لذلك : تدرج الشريعة في حكم تحريم الخمر على مراحل ، لكن العقيدة خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه بحال .

ولا عجب أن يقول وات هذا الكلام ، فمثله كمثل أي مستشرق مادي في أنه "يأخذ بالمفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي للأديان أي أن الرسول أو النبي - على زعم وات - يعمل وفق المقتضيات المرحلية لكل فترة تاريخية ؛ ومن ثم فإن منظوره للدين إنما هو وليد مواضع تلك الفترة ، فهو لا يملك - ابتداء - رؤية شمولية عن أبعاد دوره كنبى ، وعن الملامح النهائية للعقيدة التي جاء لكي يبشر بها . فمحمد (ﷺ) - على سبيل المثال - ما كان يعرف في المرحلة المكية أن الدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية بل ما كان يعرف أنها دعوة للعرب جميعا ولم يتبين ذلك له إلا في فترات تالية وفق الظروف التاريخية التي كان يجتازها حيناً بعد حين" (1) .

---

(1) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية (1/177) .

إذن فالعقيدة لا تدرج فيها ولا تطور . وقولنا بثبات عقيدة الإسلام وعدم قابليتها للتطور لا يتنافى أبداً مع تطور أحكام الإسلام - أعني شريعته - وعدم نزولها مرة

واحدة حتى استقرت على ما هي عليه ، وذلك "لأن كل دين سماوى لا ينزل دفعة واحدة ويطلب من المؤمنين الالتزام بكافة واجباته ومنهياته مرة واحدة إنما ينزل على مراحل ، وينبنى تدريجياً عبر مدى زمنى قد يطول وقد يقصر ، وهو خلال صيرورته تلك يتعامل المراحل التاريخية وفق معطياتها المرحلية لكي يقدر على مد الجسور لإقامة الحوار وتحقيق التأثير المطلوب ، وهذا إلى النمو العقيدى وفق هذا المنظور الحركى يحقق من النتائج الإيجابية ويبنى من القيم ، ويعزز من المبادئ مالا يتحقق عشر معشاره فى حالة التنزل الكامل دفعة واحدة ؛ ولهذا تنزل القرآن على مراحل وهو يقوله بوضوح (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتِّبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا الإسراء. آية: 106) وراح من خلال تنزله ذاك على مراحل بينى الإنسان المسلم والجماعة المسلمة خطوة خطوة ، ولبنة لبنة من أجل أن يستقيم البناء ، ويقدر عن طريق الالتحام بين التعاليم والتاريخ أن يحقق هدفه حركياً"(1).

أى أن تطور العقيدة - وهذا باطل - بخلاف تطور الشريعة - وهذا واقع - فالأول غير مقبول فى الإسلام ، والثانى من الأدلة على واقعية الإسلام .  
و يقول وات : "وربما نظر محمد إلى اللات والعزى ومناة كموجودات أو ربات ، وإن كانت لها قدسية إلا أنها أقل أهمية من الله سبحانه وتعالى على النحو الذى يعتقد فيه اليهود والمسيحيون بوجود الملائكة"(2).

ويعنى وات بهذا الكلام أن الرسول (ﷺ) ماترك عبادة هذه الأصنام لأنه لا يعترف بها .. لا . إنه يعترف بأن لها قداسة بعد الله تعالى ، ولكن كيف يُعبد المفضل (الأصنام) مع وجود الأفضل (الله)؟ ولو كان ذلك كذلك لما حاربها من أول وهلة .  
لقد قال الله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . الأنبياء . آية : 98" بل إن آيات سورة النجم التى (أقحمت فيها آيات الغرانيق زوراً) لهى أدل دليل على محاربتة (ﷺ) للأصنام ، قال تعالى :  
" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ . النجم ، آيات 19-23"

(1)المرجع السابق : ص177.

(2)مونتجمرى وات : محمد فى مكة : ص214، 215 .

يقول الدكتور / عماد الدين خليل (\*) :

"آية علاقة تربط بين الأصنام وبين الملائكة ، بين التزييف الدينى الذى تمثله الأولى والحقيقة الغيبية المؤكدة التى تمثلها الثانية . بين العصيان الذى تمثله الأولى

والطاعة والتسليم والإذعان الذي تمثله الثانية . ألا يجوز أن يكون وات قد طرح هذا التقابل غير المنطقي للتشكيك بجدية في الموقف العقيدى لرسول الله (ﷺ) ؟ " (1).

ثم يقول وات تعليقا على آيات الغرائيق المزعومة : "إنها لا يمكن أن تكون دلالة بأية حال من الأحوال على التراجع عن التوحيد ، ولكنها ببساطة قد تكون مجرد تعبير عن وجهات نظر طالما اعتقدها محمد (ﷺ)" (2).

يريد وات من صدر هذا الكلام أن يكسب تعاطف القراء المسلمين ، لكنه يبيث سمه في عجز كلامه حين يدعى أن هذه الآيات قد تلاها سيدنا محمد (ﷺ) بلسانه نتيجة لتأثره بها من الداخل ، وهو بذلك يعود إلى نظرية (اللاشعور الجمعي) التي استخدمها في تفسير ظاهرة الوحي .

وعلى العكس ، فلم يعتقد النبي (ﷺ) يوماً أن من وراء هذه الأصنام نفعاً أو ضرراً ، وبالطبع لم يتأثر بها ، فقد جاء في القرآن على لسانه (ﷺ) :  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ {الحج 73 .

وجاء أيضاً : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . {العنكبوت : 17}

وقال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَنْطِيعُونَ﴾ . {النحل : 73} .

هذا هو موقف النبي (ﷺ) الواضح من الأوثان . فكيف يتأثر من داخله بحبها ؟

(\*) من مواليد الموصل - العراق عام 1939 ، حصل على البكالوريوس (الليسانس) في الآداب بدرجة الشرف من قسم التاريخ بكلية التربية - جامعة بغداد عام والماجستير في التاريخ الإسلامي بدرجة جيد جدا من معهد الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد عام 1965 عن رسالته الموسومة بـ (عماد الدين زكي: 487 - 541 هـ / 1094 - 1146 م) والدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدرجة الشرف الأولى من كلية آداب جامعة عين الشمس في القاهرة عام 1968 عن رسالته الموسومة (الإمارات الارتقائية في الجزائر الفراتية والشام ، عمل مشرفا على المكتبة المركزية لجامعة الموصل عام 1968 - وعمل معيدا فمدرسا فاستاذا مساعدا في كلية آداب جامعة الموصل للأعوام 1967-1977 عمل باحثا علميا ومديرا لقسم التراث ومديرا لمكتبة المتحف الحضاري في المؤسسة العامة للآثار والتراث/ المديرية العامة للآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في الموصل للأعوام 1977-1987 حصل على الأستاذية عام 1989 وعمل أستاذا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية آداب جامعة صلاح الدين في اربيل للأعوام 1987-1992 ثم في كلية تربية جامعة الموصل 1992-2000م بكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي بالإمارات العربية المتحدة 2000-2002م فجامعة الزرقاء الأهلية/ الأردن عام 2003 م بكلية آداب جامعة الموصل 2003-2005م التي أعادت خدماته لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك/ الأردن حيث لا يزال يعمل هناك. انظر موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت .

(1) عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة ، (1/ 181) .

(2) مونتجمري وات : محمد في مكة : ص 215.

**كيف أقحمت هذه الايات في القرآن - حسب ادعاء وات ؟-**

يرى وات أن سيدنا محمدًا (ﷺ) قد أقحم هذه الايات فى القرآن لأهداف مادية اقتصادية فيقول متسائلًا: "أفعل ذلك محمد رغبة منه فى الحصول على مؤيدين له فى المدينة والطائف والقبائل المحيطة بها ، هل حاول إحداث توازن بين هؤلاء وزعماء قريش الذين يناوئونه بأن يجمع حوله أكبر عدد من المؤيدين فى أقل القليل؟ ثم أليس ذكره لهذه الأوثان دليلا على أن رؤيته قد اتسعت؟ أى أن نظره بدأ يتجه لأبعد من دعوة قريش" (1).

وهذا قمة الكذب والتخزُّص على رسول الله (ﷺ) إن وات يقول: إن محمدًا (ﷺ) اختلق هذه الآيات من عنده ليكسب المشركين إلى صفه وليحول المناوئين له من أهل مكة والطائف إلى منصفين ، وهذا يرده صريح القرآن المكى ، فسيدنا محمد (ﷺ) ليس من مهامه أن يجمع أكبر عدد ممكن من الناس على حساب عقيدة التوحيد، كما أنه (ﷺ) ليس مأمورًا بأن يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْإِيمَانِ وَإِنَّمَا حُصِرَتْ مهمته فى البلاغ هكذا قال رب العالمين: {إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ} . فاطر. آية : 23 " وقوله : : " إِنْ عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ . الشورى . آية : 84 " وقوله : " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ . الغاشية آيات : 21 ، 22 " . إن آفة هذا التفسير المادى لوقائع السيرة أنه يجعل "التحدث عن رسول الله (ﷺ) كالتحدث عن نابليون أو إخناتون" (2).

وأما قوله بأن سيدنا محمدًا (ﷺ) قد بدأت نظرتة تتسع لأبعد من دعوة قريش ، فهذه مغالطة لأن سيدنا محمدًا (ﷺ) كان يعلم ذلك من البداية بل إن ذلك من معالم دعوته (ﷺ) ، فهى دعوة عالمية لا إقليمية ، عامة لا خاصة ، وهذا ما أكده القرآن من بداية العهد المكى حين قال : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . الأعراف . آية 158 " وقوله تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . الأنبياء . آية : 107 " وقوله تعالى : " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الفرقان . آية 1 " .

وفى محاولة من وات للحط من قدر النبى (ﷺ) حين عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْإِغْرَاءَاتِ مِنْ قَرِيشٍ لِيَتْرَكَ هَذَا الدِّينَ فَرَفِضَ رَسُولُ اللَّهِ ، يقول وات عن هذه الروايات : "فثمة شك يمكن تبريره فيما إذا كانت هذه الروايات قد تم تليفق جانب كبير منها بقصد إظهار أهمية محمد (ﷺ) فى هذه الفترة ، أكان حقًا من الأهمية بدرجة كافية لتجعله يكاد يعامل على قدم المساواة مع زعماء مكة؟" (3).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة : ص 216.

(2) أنور الجندى : سموم الاستشراق ، ص 36.

(3) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 216.

إن وات يعجب من محاولة قريش للتفاوض مع النبي (ﷺ) ، ويتساءل عما إذا كان سيدنا محمد (ﷺ) يستحق منهم هذا الاهتمام ، والإغراءات التي عرضوها عليه ؟

ولم لا ؟ والنبي (ﷺ) قد أعلن على قيمهم وآلهتهم حرباً لم تنطفئ جذوتها ، وبين اعتقاداتهم الباطلة في هذه الآلهة حتى أن البعض قد اقتنع وآمن بما يقول ، وقرأ القرآن فانجذبت إليه الأفئدة والعقول فخافوا أن ينسحب بساط الملك والشرف من تحتهم ، وخافوا على الناس من حلاوة ما يقول ، كما حكى القرآن عنهم :

"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ . الأحقاف : 26"

لأنهم يعلمون أن أحداً من الناس لو استمع إلى القرآن لآمن من فوره . كل ذلك جعل المشركين يتقدمون بالإغراءات ويلقونها تحت أقدامه (ﷺ) وبهذا يبطل عجب وات .

فقد روى ابن إسحاق :

"أن أبا طالب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له فأنت علي وعلى نفسك ، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق قال فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمرة في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته قال ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام فلما ولي ناداه أبو طالب فقال أقبيل يا ابن أخي ، قال فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً" (1).

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 266) .

### الدافع الأول: فرار المسلمين بدينهم وأنفسهم .

يقول عنه "إنهم هاجروا لتحاشى القسوة والاضطهاد الذين واجهوهما فى مكة... فإذا بقى هؤلاء فى مكة عرضة لضغوط أسرهم ، فقد يرتدّون وينكرون عقيدتهم الجديدة (الإسلام) ، وحتى هذا السبب الثانى غير مقنع بما فيه الكفاية" (1).

#### **التحليل والتقويم**

وهذا الدافع لا يمكن رده ، فقد جاء فى سيرة ابن هشام : "قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله (ﷺ) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحدٌ ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ﷺ) إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام" (2).

ومن الغريب أن يعترض وات على هذا الدافع ، وهو الهجرة بسبب الإضطهادات والإيذاءات فيقول : "فإذا كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة هى الخلاص من الاضطهاد فلم ظل بعضهم هناك حتى السنة السابعة للهجرة بينما كان يمكنهم أن يعودوا آمنين ليلحقوا بمحمد فى المدينة ؟ ليس لدينا ما يشير إلى أن محمداً طلب منهم البقاء فى الحبشة بعد هجرته إلى المدينة" (3).

#### **أما لماذا ظل بعض المسلمين بالحبشة حتى السنة العاشرة للهجرة فأقول :**

لو أن أمر رجوعهم كان موكلاً إليهم ، لرجعوا عندما بلغهم خبر انتصار المسلمين ببدر لِمَا صحب بدرًا من ارتفاع روح الحماسة بين المسلمين وشعورهم بالعزة ، ولكن أمر رجوعهم كان لرسول الله (ﷺ) ، فلم يكن لهم بد من البقاء بها حتى يؤذن لهم بالرجوع أو يؤمروا به ، وما أمروا به إلا بعد صلح الحديبية ، فوافقوا رسول الله (ﷺ) بعد فتح خيبر ، ونحن نعلم أن الإسلام قد ظهر أمره بعد صلح الحديبية ، وربما كان بقاء بعض المسلمين بالحبشة مرادًا به أن يكونوا ملجأً لإخوانهم إذا وقعت بهم هزيمة مجحفة ، أو بلاء بأرض العرب ومعتصما يعتصمون بدين الله عنده فى ظل جوار النجاشي(\*) ، وعلى أية حال فالنبي (ﷺ) هو الذى طلب منهم البقاء فى الحبشة ، ولم يكن ذلك اجتهادا منهم .

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة : ص 239 ، 240 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (1/321).

(3) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 240.

(\*) أصحمة النجاشي ملك الحبشة، أسلم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخبره معهم ومع كفار قريش الذى طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفى ببلادهم قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكبر عليه أربعاً، وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له ولملوك الحبشة، مثل كسرى للفرس، وقيصر للروم . انظر ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ط 1 دار الكتب العلمية - بيروت 1415 هـ - 1994 م ، (1/252) .

وأما ادعاء وات بأنه لا توجد رواية تدل على أن النبي قد أمرهم بذلك فهذا مردود عليه ، ولو كلف وات نفسه الرجوع إلى صحيح البخارى لوجد الحديث فى ذلك صريحا " بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخْوَانٌ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ (\*) وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ (\*\*). إِمَّا قَالَ فِي بَضْعٍ وَإِمَّا قَالَ فِي ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبْشَةِ وَوَأَفَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ فَقَالَ جَعْفَرُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنَا هَاهُنَا وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ فَأَقْبِمُوا مَعَنَا فَأَقْمَنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَأَفَقْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ حَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا أَوْ قَالَ فَأَعْطَانَا مِنْهَا وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ حَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ " (1).

وفى هذا الحديث دليل صريح على أن النبي (ﷺ) هو الذى أمرهم بالبقاء هناك حتى يأذن لهم بالرجوع .

### الدافع الثانى :البحث عن مكاسب تجارية

يقول وات عن هذا الدافع : "إن هؤلاء المهاجرين إلى الحبشة قد ذهبوا إليها لينخرطوا فى سلك التجارة ، والآن فلأن بعضهم قد قضى فى الحبشة ربما اثنى عشر شهرا فلا بد أنهم دبّروا لأنفسهم مصدرا للعيش ولا بد أن يكون ذلك كما يكاد يكون مؤكداً عن طريق التجارة" (3).

إن وات - على الأقل - يريد تفريغ الإسلام من محتواه الروحى ، فمن المعروف أن الهجرة إلى الحبشة كانت فرارا بالدين والنفس من إيذاء وإهانة كفار قريش للمسلمين.

---

(\*) أبو بردة بن قيس الأشعري: أخو أبو موسى. مشهور بكنيته كأخيه . قال البغوي: سكن الكوفة وروى حديثه أحمد والحاكم . انظر ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة (290/3) .

(\*) محمد بن قيس الأشعري: أخو أبي موسى الأشعري. انظر ابن حجر :الإصابة فى تمييز الصحابة (66/3).

(1) صحيح البخارى ، كتاب فرض الخمس ، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ، رقم 3136.

(3) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 241.

### الدافع الثالث : فرض السيطرة العسكرية والاقتصادية على المكين

وهذا الدافع يضم فى ذاته عدة دوافع على صورة افتراضات من وات فيقول: "أيمكن أن تكون الهجرة إلى الحبشة جزءاً من بعض خطط محمد الماهرة؟ أكان يأمل فى تلقى مساعدات عسكرية من الأحباش؟ كما من المحتمل أن يكون جده قد فعل من حيث طلبه دعم أبرهة العسكرى أو هل كان محمد يأمل أن يجعل من الحبشة قاعدة لمهاجمة تجارة أهل مكة كما فعل بعد ذلك بالنسبة للمدينة بعد أن هاجر إليها؟ أو هل حاول أن يُطوّر طريقاً بديلاً للتجارة من الجنوب إلى الدولة البيزنطية" (1) .

إن وات - باختصار - مُصِرٌّ على أن يجعل من هذه الهجرة صفقة تجارية أو خطة عسكرية ، أو مغنماً اقتصادياً ، ولقد صرح بذلك قائلاً : "إن الهجرة للحبشة كانت ذات أبعاد اقتصادية وسياسية" (2).

وقد رد الدكتور عبدالعظيم المطعنى - يرحمه الله - ردًا قويا على هذه الشبهة الموجودة فى الدافع الرابع قائلاً: "كيف يكون الباعث على الهجرة ممارسة التجارة وهم خرجوا من بلدهم خفافاً فى جنح الظلام؟ وأية تجارة تلك التى أخرجتهم ومعظمهم كان من المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة ، والواقع يقول إنهم نزلوا ضيوفاً على ملك الحبشة أو لاجئين سياسيين من عنف الاضطهاد وضراوته ، والتجار عادة يخرجون فى قوافل ويترددون بين بلدين أو أكثر دون أن يطيلوا المقام بعد أن يبيعوا ما لديهم ويشتروا ما يريدون . وهؤلاء ظلوا بالحبشة حتى انفرجت الأزمة ليستأنفوا هجرة أخرى إلى مواطن الإسلام الجديدة (المدينة المنورة). بقيت شبهة المساعدة الحربية من ملك الحبشة . وهذه كأوهام وات السابقة كذبة شنيعة ، فالمسلمون فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة لم يؤذن لهم بالقتال ، فكيف يطلب صاحب الدعوة مساعدة ليس هو فى حاجة إليها؟ ولو كان قد طلبها لتواترت الأخبار عنها ولما توانى ملك الحبشة فى إمداده بها كما لم يتوان فى إكرام المهاجرين الذين وفدوا عليه" (3).

كما يريد وات من وراء ذلك أن يُصوّر المسلمين على أنهم كانوا قطعاً طرق ، غرضهم نهب القوافل المارة دون تفريق بين المعادية منها والمسالمة . والواقع ينطق بأن المسلمين ما هاجموا قافلة مكة أثناء إقامتهم بالحبشة وإنما فعلوا ذلك بعد هجرتهم إلى المدينة ، وبعد أن أذن الله لهم بالقتال .

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 241 .

(2) مونتجمرى وات : محمد فى مكة : ص 242 .

(3) د. عبد العظيم المطعنى : افتراءات المستشرقين على الإسلام - عرض ونقد - ، ص 67 ، 68 .

ولقد أخطأ وات حين ادعى أن عبدالمطلب (جدّ النبي) سبق أن طلب المساعدة العسكرية من أبرهة الحبشى .  
والمعروف أن أبرهة جاء إلى مكة غازياً ينوي هدم الكعبة فلا يمكن بأية حال أن يطلب عبد المطلب خادم البيت الحرام أية مساعدات من عدوه ليدافعه بها. وقد حفظ لنا ابن هشام هذه القصة كاملة فقال يرحمه الله تعالى :

"وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريريه فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له: ما حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان؛ فقال: حاجتي أن يرد عليّ الملك منّي بغير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه قل له: قد كنت أعجبتي حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في منّي بغير أصبتها لك وتترك بيتنا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه! فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: أنت وذاك" (1).

وهذه الرواية ترد زعم وات .

#### الدافع الرابع : ادعائه نشوب الخلافات بين بعض المسلمين

وهذا الدافع هو الذى دافع عنه وات وحاول إثباته بكل طريقة ، وهو أن سبب هذه الهجرة هو التخلص من خلافات سياسية ودينية كانت ستنشب بين بعض الصحابة وبعضهم ، وأحيانا بين بعضهم والنبي (ﷺ) فيقول :  
"إنه كان هناك انقسام حاد فى الرأى بين الجماعة الإسلامية الناشئة..... وقد قدم عثمان بن مظعون فى البداية مع عدد من الأصحاب كلهم من الرجال المهمين وكان هو بلا شك على رأسهم ؛ وعلى هذا فإنه يكاد يكون مؤكداً أن ينظر إليه كقائد جماعة بين المسلمين . كانت هذه الجماعة مناقسة لجماعة أخرى يتزعمها أبو بكر ، وهناك إشارات أخرى أيضا عن خلافات بين المسلمين ، فخالد بن سعيد كان واحداً من أوائل المسلمين ، يقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة لكنه لم يعد حتى غزوة خيبر وبعد موت محمد (ﷺ) يبدو أنه أظهر بعض العداء لأبى بكر رضى الله عنه وربما أشارت هذه الرواية إلى وجود حزب أو جماعة ضد أبى بكر" (2).  
ويقول كذلك عن عثمان بن مظعون وعبيد الله بن جحش الذى تحوّل إلى المسيحية فى الحبشة : "فمثل هؤلاء قد يكونون غير مبالين لقبول سياسة أبى بكر الخليفة المتوقع للرسول (ﷺ)" (3) .

(1) السيرة النبوية لابن هشام (49/1) .

(2) مونتجمرى وات : محمد فى مكة : ص 242 ، 243 .

(3) السابق ، ص 244 .

ويقول : " نخلص من هذا أن السبب الأخير (يعنى وجود الانقسامات بين الجماعات المسلمة) نظرًا لانطباقه على ظروف كل المهاجرين ، هو الأقرب إلى أن يكون بعيدًا عن كونه مجرد افتراض ..... ويقول : إنه لمما يتفق مع شخصية محمد (ﷺ) أن يعى بسرعة إمكان حدوث شقاق أو خلاف فيتخذ بسرعة خطوات ليسد الثغرات ويتحاشى النتائج السيئة ؛ لذا بادر باقتراح الهجرة إلى الحبشة لتعزيز خطة تتفق مع مصالح الإسلام" (1).

يرمى وات من وراء كلامه السابق إلى أن الشقة بين الجماعات المسلمة - على حد تعبيره - كانت هي السبب في أن النبي (ﷺ) أمرهم بالهجرة ، فباعدَ النبي (ﷺ) بين من كان بينهم الشقاق وجعلهم فريقين ، فريقاً في المدينة ، وفريقاً في الحبشة. وقد ركز وات على الخلاف بين أبي بكر من ناحية ، وبين خالد بن سعيد وعثمان بن مظعون وغيرهما من ناحية أخرى .

كما ركز على أن النبي (ﷺ) "أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ليحمى أبا بكر من كيدهم!! ثم لا يستبعد وات أن يكون الانشقاق ضد النبي نفسه!! وأنهم كانوا يعارضون سياسة النبي (ﷺ) في توسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام . فأبو بكر كان رجلاً محبوباً للسابقين الأولين من المسلمين، بل إن عدداً من كبار رجالات قريش قد أسلموا مبكرين بسبب إسلام أبي بكر ودعوته إياهم إلى الإسلام أما أن الشقاق كان المقصود به صاحب الدعوة فهذا من أكذب الأكاذيب؛ إذ لو كان المقصود به هو عليه السلام فكيف أطاعوه حينما أوزع إليهم بالهجرة إلى الحبشة وقد تركوا مساقط رءوسهم وتجشموا وعناء السفر ؟ أليس فيهم رجل فطن - إن كان هذا يحتاج إلى فطنة - يدرك أن الأمر بالهجرة كان إبعاداً لهم وتخلصاً من شرورهم فيتشبثون بالبقاء في مكة؟" (2).

نعم . إن أبا بكر كانت علاقته طيبة مع كل الصحابة وكان محبوباً منهم جميعاً، ومن سوء حظ وات أن إسلام عثمان بن مظعون - الذى يدعى وات أنه كان على خلاف مع أبي بكر - قد تم ببركة دعوة أبي بكر له إلى الإسلام كما جاء : "عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله (ﷺ) وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك، واتهموك بالعيب لأبائها وأمهاتها. فقال رسول الله (ﷺ) (إني رسول الله أدعوك إلى الله) فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله (ﷺ) وما بين الأخشيين أحدٌ أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر. ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص فأسلموا . ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون، وأبى عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى سلمة بن عبد الاسد، والارقم بن أبى الارقم ، فأسلموا رضى الله عنهم" (3).

(1) مونتجرى وات : محمد في مكة ، ص 244 .

(2) د. عبد العظيم المطعنى : افتراءات المستشرقين على الإسلام ، ص 67 .

(3) ابن كثير: السيرة النبوية (439/1) .

ولعل وات يستند في ادعائه بأنه كانت هناك خلافات بين عثمان بن مظعون والنبى (ﷺ) - إلى ما جاء في بعض الأحاديث من أن سيدنا عثمان كان يأخذ نفسه بالشدة والعزيمة في العبادة ولم يكن يأخذ بالرخص ؛ طمعا في اكتساب الحسنات والتقرب إلى خالق الأرض والسموات .  
ولأن منهج رسول الله - والذي يمثل الإسلام - كان منهجاً وسطياً يتسم بالواقعية ، ويبتعد عن المثالية ، فإنه (ﷺ) كان كثيراً ما ينصح عثمان بالاعتدال في العبادة وفي كل شئ ، ومن ذلك :

1- " عن عروة، قال دخلت امرأة امرأة عثمان بن مظعون أحسب اسمها خولة بنت حكيم على عائشة وهي باذة الهيئة فسألتهما ما شأنك ؟ فقالت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة ذلك له فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فقال: يا عثمان " إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك في أسوة ، فوالله إنني أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده" (1).

2- عن سعد بن مسعود. أن عثمان بن مظعون أتى النبي (ﷺ)، فقال : ائذن لنا في الاختصاء ، فقال رسول الله (ﷺ) : " ليس منا من خصي ولا اختصي، إن خصاء أمتي الصيام" فقال : يا رسول الله ائذن لنا في السياحة ، فقال: " إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ، قال: يا رسول الله ائذن لنا في الترهيب، فقال : " إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظار الصلاة " (2).

وهذه الشواهد لا تدل على وجود عداوة بين النبي (ﷺ) وعثمان بن مظعون ، بل كانت توجيهاً وتبصيراً له بحقائق الدين وبيئاته .

---

(1) مسند أحمد (43/ 70، 71) رقم 25893 ، وقال الشيخ الأرنبوط : إسناده صحيح .

(2) شرح السنة للبعوى ، (2/ 370، 371) ولم يذكر المحققان درجة الحديث .

## الاضطهادات والإيذاءات في العهد المكي

يقول وات : "ليس من المؤكد أن اضطهاد أبي جهل للمسلمين كان أكثر قوة من الهجوم اللفظي (السباب والشتم) إن كان هذا المسلم شخصاً مهماً، أما إن كان أقلّ شأناً فإن أبا جهل يمارس عليه ضغطاً اقتصادياً، وأما إن كان المسلم رقيق الحال لا سند له ؛ عاقبه عقاباً بدنياً بشعاً، ولأن معظم عشائر قريش كانت منيعة الجانب بدرجة تجعلها قادرة على إحداث إزعاج خطير أو ما هو أسوأ من ذلك - إذا تعرض أحد أفرادها أو حلفائها لمعاملة سيئة - فإن أولئك الذين تعرضوا لعقاب بدني قاس كانوا في قلة، وكانوا من العبيد أو ممن ليس لهم ارتباطات عشائرية واضحة (مثل خباب بن الأرت)..... إن أفعال أبي جهل وأفعالاً أخرى مشابهة لا شك في حدوثها وأشارت إليها المراجع عند حديثها عن الفتنة التي تعرض لها المسلمون ، وعلى أية حال فإن هذا ليس اضطهاداً قاسياً، وتتضح هذه النقطة عند دراسة التفاصيل في السيرة لابن هشام ، وكتاب الطبري (التاريخ)، وطبقات ابن سعد، فهذه المراجع لم تذكر سوى أسوأ الحالات أو ما هو مفترض أنه أسوأ الحالات ولم تذكر أن ذلك هو الوضع العام أو المعدل العام ، فكل الشواهد تجعلنا نفترض أن الاضطهاد لم يكن عنيفاً.....ثم يمضى قائلاً فقد هوجم محمدٌ (ﷺ) بالأقوال وتعرض لإهانات بسيطة، كقيام جيرانه بالقاء القمامة أو الأقدار عند باب بيته.....كما أن تدنى رأس مال أبي بكر رضى الله عنه من أربعين ألف درهم إلى خمسة آلاف درهم في الفترة من تحوله للإسلام إلى الهجرة ربما يرجع للضغط الاقتصادي الذي هدد به أبو جهل وليس شراء العبيد (لعتقهم)، ويقول: لقد كان اضطهاد المسلمين يكاد يكون من النوع المعتدل" (1).

ويقول في موضع آخر: "إن اضطهاد المسلمين كان من النوع المعتدل ولم يكن يتضمن أية أفعال تمنعها الأعراف منعاً حاداً.....لكننا لا نكاد نجد شيئاً يستحق أن نسميه اضطهاداً" (2).

### التحليل والتقويم

إن وات لا يقيم وزناً لمصادرنا التاريخية والإسلامية ، فهو يرى الاضطهادات والإيذاءات التي تعرض لها رسول الله (ﷺ) والمسلمون الأوائل في العهد المكي لم تكن بنفس الصورة التي تصورها كتب السيرة ، بل كانت خفيفة لم تتجاوز الشتائم اللفظية وربما الضرب لبعض المستضعفين منهم ، وهذا الضرب يختلف حجمه من شخص لآخر ؛ كل حسب وضعه وانتمائه العشائري . على أن هذه الإيذاءات أكيدة ومتواترة مما يجعل محاولة محوها من التاريخ مستحيلاً .

(1) مونتجمري وات : محمد في مكة ، ص 245-247.

(2) السابق ، ص 254.

فوات "يزعم أن قريشا لم تكن عنيفة في مواجهتها للذين بادروا بالدخول في الإسلام وأن كُتَّاب السيرة بالغوا كثيراً في تصوير ذلك الاضطهاد، ويجزم وات بأن اضطهاد قريش لأتباع محمد (ﷺ) كان خفيفاً، ولسنا ندرى من أين استقى وات هذا الحكم؟ أكان هو شاهداً في ذلك الزمن على مجريات الأحداث أم له مصدر تاريخي آخر كتبه معاصرون لتلك الأحداث؟ الواقع أن كُلاً من الافتراضين باطل لا سند له" (1).

إن وات ينفي أن تتعدى هذه الإيذاءات السباب والشتم إلى الضرب أو القتل، وهذا غير صحيح تاريخياً فقد "رُمى النبي (ﷺ) وصحابته بتهم هازلة وشتائم سفيهة وتألقت جماعة للاستهزاء بالإسلام ورجاله.... وانقلبت هذه الحروب إلى تنكيل وسفك دم بالنسبة إلى المستضعفين من المؤمنين، فمن ليست له عصابة تدفع عنه لا يعصمه من الهوان والقتل في شيء بل يحبس على الآلام حتى يكفر أو يموت أو يسقط إعياء" (2).

وإذا كان وات ينفي أن تكون هذه الاضطهادات قد وصلت إلى حد الضرب المفضى إلى الموت (القتل) فإن قصة عمار بن ياسر وأمه وأبيه تملأ - من شهرتها - كتب السير، لاسيما سيرة ابن هشام التي أشار إليها وات في نص سابق قائلاً: (فإن هذا ليس اضطهاداً قاسياً، وتوضح هذه النقطة عند دراسة التفاصيل في السيرة النبوية لابن هشام، وتاريخ الطبري، وطبقات ابن سعد).

وإذا كان وات قد اعتمد على هذه المصادر في إثبات أنها خالية من أشخاص عُذِّبوا وأوذوا، فقد جاء فيها ما يناقض كلامه، فقد ذكر ابن إسحاق:

"عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له آلات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم حتى إن الجُعْل (\*) ليمرُّ بهم فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده" (3). وقال: "وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهرية يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول، فيما بلغني: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة فأما أمه فقتلوها، وهي تآبى إلا الإسلام" (4).

كما ذكر ابن هشام قصة تحمّل بلال بن رباح الأذى، وعمار بن فهيرة وغيرهما، وقد جعل ابن هشام لهذه الأمثلة عنواناً تحت اسم (ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة).

هذه أمثلة من المصدر الذي يزعم وات أنه خالٍ من الإيذاءات الشديدة للمسلمين .

(1) د. عبدالعظيم المطعنى: افتراءات المستشرقين على الإسلام، ص66.

(2) محمد الغزالي: فقه السيرة، ص102.

(\*) الجُعْل: هو حيوان معروف كالحُنْفُساء. انظر لسان العرب لابن منظور (11/11).

(3) سيرة ابن هشام (342/1).

### دوافع المعارضة من وجهة نظر وات:

يُبيّن وات الدوافع التي من أجلها عارض المشركون رسول الله (ﷺ)، ويبنى هذه المعارضة - كعادته - على دوافع مادية فتارة يقول :

- هو الخوف من أن مكة إذا دخلت الإسلام وتخلت عن الوثنية ؛ توقف البدو عن التردد على الكعبة كمعقل وثني ؛ وبالتالي تحطمت تجارة أهل مكة" (1).

- وتارة يقول: "والذى يكاد يكون مؤكداً هو أن هؤلاء النفر الذين كانت لهم ارتباطات تجارية ببعض الأنصاب قد تضايقوا... وكانت اللات في الطائف من بين هذه الأنصاب....، ومن الممكن بنفس القدر أنه كانت هناك مجموعات أخرى قد تأثرت مصالحها الخاصة ببعض النقاط" (2).

- ويقول أيضاً : "وعلى أية حال فالسبب الرئيسي للمعارضة هو أن زعماء قريش رأوا في نبوة محمد مضامين سياسية ، فالتقاليد العربية القديمة تعطى الحكم أو الزعامة في القبيلة أو العشيرة لمحمد ما دام (بحكم نبوته) هو الأكثر حكمة وتدبيراً، وهو الأكثر قدرة على الفصل في أى نزاع ينشب" (3).

- ثم يقول: "وهناك سبب آخر، وهو التأكيد على أن آبائهم وأجدادهم خالدون في جهنم" (4).

### التحليل والتقويم

إن وات يُرجع محاربة مشركي مكة لرسول الله (ﷺ) إلى دوافع مادية ؛ سياسية، واقتصادية ، واجتماعية ، ويريد أن يقول إن دين محمد إن انتشر ونجح في القضاء على الوثنية فإن ذلك سيؤثر حتماً على الاقتصاد في مكة، فالمكاسب التي كانت تأتيهم من مواسم الحج والتي كان يستحوذ عليها صناديد مكة وكبرائها ستقطع . كما أن الحرب على الأوثان شملت معها أوثان الطائف (وعلى رأسها اللات)، وهذا سيؤثر سلباً على العلاقة التجارية بين البلدين ، أو لأن انتشار دين سيدنا محمد (ﷺ) سيعطى له حق الصدارة ، وسيكون له القول الفصل ، والحلُّ والعقدُ في مكة ، أو لأن سيدنا محمداً (ﷺ) كان دائماً يُذكَرهم بأن آبائهم وأجدادهم الذين ماتوا على الشرك مصيرهم إلى النار ، فدفعهم هذا الولاء للأباء والأجداد لأن يحاربوا محمداً (ﷺ) .

وهذه المزاعم كلها تتهافت إذا علمنا أن وات لا يُعوّل على العوامل الروحية والوجدانية ، وكأنما كانت الدعوة المحمدية معركة سياسية أو ثورة اقتصادية .

(1، 2) مونتجرى وات : محمد في مكة ، ص 269.

(3) السابق : ص 270.

(4) السابق : ص 271.

والحق أن السبب الرئيسي لهذه المعارضة كان - في الأساس - دينياً ، فقد كان المعارضون من قريش للدعوة الإسلامية شديدي التعصب لمعتقداتهم ؛ بحيث كانوا على استعداد لأن يحاربوا أي دين جديد يحاول نفس معتقداتهم ؛ ولأنهم رأوا في الإسلام ثورة على الموروثات الشركية القديمة ؛ ولأن قبولهم للإسلام يعنى قبولهم لأن يكون النبي (ﷺ) زعيماً لهم وقائداً عليهم . وهذا - بالطبع - شئ ثقيل عليهم لأنه بذلك ينتزع منهم كل الامتيازات التي منحوها لأنفسهم قبل أن يأتي الإسلام .

### تشكيكات في بعض وقائع السيرة النبوية :

أولاً : التشكيك في حضور العباس مع النبي (ﷺ) ليلة العقبة .  
ثانياً : التشكيك في دخول النبي (ﷺ) في جوار المطعم بن عدي .

### التحليل والتقويم

أولاً : يشكك وات في حضور العباس بيعة العقبة الثانية ليستوثق لابن أخيه محمد (ﷺ) ، ويعتبر الرواية التي وردت بهذا الشأن ملفقة سيقت في معرض الدعاية لأبناء العباس والتسبيح بحمدهم فيقول : " فإذا قيل إن حكاية العباس عم النبي وتوثقه من حماية أهل المدينة لمحمد (ﷺ) جائزة حتى لو كان العباس لم يُسلم ، فإن هذا قول غير صحيح ..... إن حكاية زيارة العباس للعقبة ما هي إلا مجردُ اختراع (تلفيق) صرّف من وضع أبواق الدعاية العباسية " (1).

والحق الذي يجب أن يقال : إن وقفة العباس مع ابن أخيه محمد (ﷺ) ، وأخذ العهد على أهل المدينة بحمايته كان حميةً ؛ بدافع من التقاليد العربية ، فقد فعل ذلك من قبله أخوه أبوطالب ، ودافع عن ابن أخيه وهو على دين قومه ولم يجد غضاضة في ذلك . ثم إن القصة ثابتة في كتب السيرة المعتمدة .

" يقول ابن إسحق : حدثني معبد بن كعب قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله (ﷺ) حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال يا معشر الخزرج - قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار : الخزرج ، خزرجها وأوسها : إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت " (2) .

(1) مؤتجرى وات : محمد في مكة ، ص 287.

(2) السيرة النبوية لابن هشام (441/2)، وابن سعد : الطبقات الكبرى (122) ، وانظر: مسند أحمد (95/25)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط ورفاقه : وهذا إسناد حسن . وانظر كذلك : د . أكرم ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة (200) ، (201) مراجع سابقة.

فهذه الرواية تؤكد حضور العباس فى هذه البيعة مسانداً لرسول الله (ﷺ) ، وقد وردت هذه الرواية فى كتب السيرة التى اعتمدها وات وجعلها من مصادره فى دراته للسيرة النبوية . لقد تعامى عنها عمداً لأنها تعارض رأيه .

**ثانياً :** ويشكك وات فى دخول النبى (ﷺ) إلى مكة بعد رجوعه إلى الطائف فى جوار المطعم بن عدى فيقول : "ويمكن أن نتصور ذلك تم وفقاً لشروط . رغم أن المصادر لا تشير لشيء من هذا، وعلى أية حال ، فهذا لا يدعو للدهشة ما دامت هذه الرواية قد سيقّت فى معرض مدح عشيرة نوفل ، والإشادة بشرفها"(1).

وهذه الرواية كذلك تملأ كتب السير، فقد جاءت فى الطبقات الكبرى (212/1)، عيون الأثر (179/1) ، سيرة ابن هشام(381/1) ، سيرة ابن كثير(153/2) ، سبل الهدى والرشاد (441/2)(\*) .

إن المصادر التى ذكرت هذه الرواية لم تذكر أية شروط ، لا من ناحية النبى (ﷺ) ولا من ناحية المُطعم بن عدى . وهذه الرواية تملأ كتب السيرة ، فكيف ينفىها وات بلا دليل ؟

لكن وات يفترض أشياء لا وجود لها ثم يبنى عليها أحكامه المسبقة . وقد أوضحت ذلك فى قواعد منهجه من قبل .

---

(1) مونتجمرى وات : محمد فى مكة ، ص 277.  
(\*) هذه كلها مراجع سابقة.

## المطلب الثانى :

دعوة الرسول (ﷺ) فى مكة فى فكر كارين  
أرمسترونج

## أول من أسلم:

تقول كارين : "ولكن بعض من آمن بمحمد ممن ينتمون إلى العشائر المهمة ، مثل خالد بن سعيد(\*) ، وعثمان بن عفان ، قد يكونون قد شعروا بأنهم لا مكان لهم على القمة وأصبحوا يدركون مدى الهوة التي تفغر فاها (\*\*). بين أشد الناس نجاحًا ومن يليهم في المنزلة.... وهكذا فإن الإسلام كان في بدايته حركة للشباب ، وللذين كانوا يشعرون بأنهم يدفع بهم إلى موقع هامشي في مدينة مكة ، وكان معنى ذلك حتمية نشوء الصراع"(1) .

## التحليل والتقويم

من الواضح أن كارين تعزو ظهور الإسلام في طوره الأول إلى الصراع الطبقي بين الأغنياء والفقراء كما فعل أستاذها وات ، والشباب والشيوخ ، وقد بينت عوار هذا التفسير عند مناقشتي لمونتجمري وات في هذه المسألة . لكنني أضيف هنا أيضا أن الإسلام ، كما يقول الأستاذ / أنور الجندى (\*\*\*) :  
"لم يكن أساسا من إفراز النظام الطبقي في قریش ، وكان بحق حركة عدل ضد أعداء السماء والإنسان"(2) .

---

(\*) خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ . يَكْنَى أَبُو سَعِيدٍ ، أُمُّهُ أُمُّ خَالِدِ بْنِ حَبَابِ بْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ نَاشِبِ بْنِ غَيْرَةَ ، مِنْ تَقِيفٍ . أُسْلِمَ قَدِيمًا ، يُقَالُ : إِنَّهُ أُسْلِمَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَانَ ثَالِثًا أَوْ رَابِعًا ، وَقِيلَ : كَانَ خَامِسًا . وَقَالَ ضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : كَانَ إِسْلَامَ خَالِدٍ مَعَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَالَتْ أُمُّ خَالِدِ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : كَانَ أَبِي خَامِسًا فِي الْإِسْلَامِ . قُلْتُ : مَنْ تَقَدَّمَهُ ؟ قَالَتْ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى شَفِيرِ النَّارِ ، فَذَكَرَ مِنْ سَعْتِهَا مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ ، وَكَانَ أَبَاهُ يَدْفَعُهُ فِيهَا ، وَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذًا بِحَقْوِيهِ لَا يَقَعُ فِيهَا ، فَفَزِعَ ، وَقَالَ : أَحْلَفُ إِنَّهَا لِرُؤْيَا حَقٍّ ، وَلَقِيَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أُرِيدُ بِكَ خَيْرٍ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبِعْهُ ، فَإِنَّكَ سَتَتَّبِعُهُ فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي يَحْجُزُكَ مِنْ أَنْ تَقَعَ فِي النَّارِ ، وَأَبُوكَ وَاقِعٌ فِيهَا . **أَسَدُ الْغَابَةِ (2 / 124)** . (\*\*\*) فَعَرَّ فَاهُ يَفْعَرُهُ وَيَفْعَرُهُ فَعَرًّا وَفُعُورًا : فَتَحَهُ . انظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ (59/5) .

(\*\*\*) هُوَ أَحْمَدُ أَنْوَرُ سَيِّدُ أَحْمَدِ الْجَنْدِيِّ ، وَوُلِدَ فِي الْخَامِسِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِعَامِ 1335 هـ فِي مَدِينَةِ دَيْرُوطِ بَاسِيُوطِ ، وَقَدْ نَشَأَ فِي بَيْتِ عِلْمٍ وَدِينٍ وَتَفَتَّحَتْ عَيْنَاهُ عَلَى كِتَابِ التَّرَاثِ الْجَمِيلَةِ الْمَكْتُوبَةِ بِالْمَدَادِ الشِّيمِيِّ الْأَسْوَدِ . انظُرْ : مُحَمَّدُ الْمَجْدُوبُ : عُلَمَاءُ وَمَفْكَرُونَ عَرَفْتَهُمْ (2 / 46) .

(2) أنور الجندى : سموم الاستشراق ، ص 32 .

## قصة الغرائق

تعلق كارين على آيات: "وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرَى عَلَيْنَا غَيْرَهُ.... إلى قوله تعالى: إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ . سورة الإسراء. آيات: 73، 74 "

في البداية تحاول كارين - كعادتها - أن تكسب عاطفة المسلمين ، فتشير إلى ضعف هذه الرواية ، وموقف الغرب السيء منها فتقول :

"ويقترض الدارسون في الغرب أن تلك الآية تشير إلى حادثة ما تدعى (آيات شيطانية)(\*) السيئة السمعة ، كما يدعون أن محمداً قدّم تنازلاتٍ مؤقتة للمشركين.... أما ما يجب توضيحه هنا هو أن مسلمين كثيرين يعتقدون أن هذه القصة مشكوك في صحتها ، كما يشيرون إلى أنه لا توجد إشارة واضحة إليها في القرآن ، وأن ابن إسحاق لم يذكرها في التقارير الأولى الموثوق بها من سيرة محمد، كما أنها لم تذكر في مجموعة الأحاديث الكبيرة عن محمد والتي جمعها البخاري ومسلم في القرن التاسع ..... وحين يرفض المسلمون شيئاً من التراث فإنهم لا يفعلون ذلك بدافع احتمال التأويلات النقدية لما يرفضونه ، لكن لعدم كفاية الأدلة"(1).

كما تعيب كارين على الغربيين الذين يتمسكون بهذه الرواية الموضوعية فتقول :  
"لكن الأعداء الغربيين للإسلام رأوا في القصة مناسبة كي يشككوا في محمد ويبرهنوا على عدم إخلاصه . فكيف لرجل قام بتغيير الكلمات السماوية طبقاً لما ارتآه أن يكون نبياً حقاً ، فالنبي الحق لا بد أن يكون قادراً على التمييز بين الإيحاء السماوي والشيطاني (\*\*). ولا يتأتى لرجل أن يغير ما أنزل عليه لمجرد اجتذاب تابعين"(3).

---

(\*) وأول من أطلق على هذه الرواية اسم (آيات شيطانية) هو الكاتب الإنجليزي سلمان رشدي وهو من أصل هندي وهي رواية تسيء للرسول صلى الله عليه وسلم ، صدرت عن دار بنجوين سنة 1988 .  
(سلمان رشدي) الذي ألف رواية تحت هذا العنوان ، وطعن في النبي (ﷺ) من خلالها \*  
(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ص 170 ، 171.  
(\*\*) الصواب أن تقول : بين الوحي السماوي والإيحاء الشيطاني ؛ لأن الوحي ليس مجرد إيحاءات.  
(3) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 171.

لكن كارين غيرت موقفها فجأة ، وخالفت مبدأ التوحيد وهو فحوى هذه الرسالة فذكرت أن التوحيد لم يكن قد أكد لدى النبي صلى الله عليه وسلم، وفسرت الغرائيق تفسيراً غريباً لا يتوافق مع العقيدة الإسلامية ولا مع اللغة العربية .

فتقول : " يبدو أن محمداً قد حقق نجاحاً كبيراً في السنوات الأولى من بعثته . وبدا في وقت من الأوقات أن يوشك على هداية جميع أبناء قبيلته إلى دين الله الحنيف . ولكن أزمة معينة نشأت في عام 616 ، إذ كان محمد حتى تلك اللحظة قد تحاشى أى ذكر رسمى للآلهة العربية الأخرى. ويبدو أن عدداً كبيراً من أبناء قريش كانوا يتصورون أن بإمكانهم مواصلة تبجيل اللات والعزى ومناة بالأسلوب التقليدي . ويبدو أن محمداً لم يكن قد أكد عنصر التوحيد فيما أنزل إليه ، ولكنه اضطر آخر الأمر إلى الإفصاح . وعندما منع من آمن برسالته من عبادة " بنات الله " اكتشف أنه فقد معظم مناصريه بين عيشة وضحاها ، وأن القرآن يوشك أن يحدث صدعاً وانقساماً في قبيلة قريش " (1) .

وتقول : " فبينما كان الرسول في أحد الأيام يفكر ملياً في الأمر في الكعبة ، بدا وكأن الإجابة وافته في صورة وحي يمنح مكاناً ما للآلهة الثلاثة دون تفريط في رؤيته للتوحيد . فقد كان كثيرون من قريش يجلسون في الكعبة حينما نزلت سورة النجم . واعتدل الجميع في جلستهم وأخذوا ينصتون حينما بدأ محمد تلاوة الكلمات التالية : " فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ " . فقد كان أي شيء ينطق به محمد عن " بنات الله " ذا أهمية فائقة لديهم . وكان هنا على وشك أن يبين أن القرآن يرفض تلك العبادة رفضاً باتاً . أو أن يأتي بشيء أكثر إيجابية عنهن ، وحينذاك ، وطبقاً لرواية الطبري وضع الشيطان كلمات مشابهة لهاتين الآيتين بين شفتيه : تلك الغرائيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى " (2) .

---

(1) كارين : سيرة النبي محمد ، ص 166 .

(2) السابق ، ص 174، 175 .

وتقول كذلك : " وطبقاً لتلك الرواية ، فقد ابتهجت قريش لذلك . أما الغرانيق ، فربما كانت طيوراً من نوع Numidian كانوا يعتقد أنها ترتفع في طيرانها أكثر من أي طائر آخر . ولو افترضنا صدق الرواية ، فيحتمل أن محمداً الذي كان يعتقد في وجود الملائكة والجن ، كاد يُحيى تلك الطيور تحية رقيقة دون تفريط في رسالته . فلم تكن الغرانيق على مستوى واحد مع الله - ولم يخطر لأحد أن يضعها على نفس المستوى - فقد كانت تحوم بين السماء والأرض ، ولذا فقد كان هناك احتمال توسطها بين الله والبشر ، الأمر الذي صدقت الآية التالية في سورة النجم على صحته . " (1) .

وتقول كذلك : "شوهت رغبة محمد (ﷺ) في حل وسط الرسالة الإلهية ، وذهبت نفس محمد (ﷺ) من الألم ، ولكن سرعان ما عزاه الله بتنزيل جديد . كل الأنبياء زلوا في أخطاء شيطانية مماثلة . كان هنالك دائماً صراع لجعل التنزيل جديراً بالإقناع ، وما كان أسهل الوقوع في خلط فيض الإلهام مع الأفكار السطحية للموحى إليهم ..... كان على محمد (ﷺ) الآن أن يذهب إلى قريش بآيات جديدة تعدّل تلك الآيات الشيطانية " (2) .

إن كارين أرمسترونج تريد أن تقول أن آيات الغرانيق صحيحة ، وأن هذه الآيات كانت زلة من رسول الله (ﷺ) ، أو على حد تعبيرها ، كان خطأ شيطانياً .

كما تصرح كارين بأن النبي (ﷺ) قد غير هذه الآيات إلى آيات سورة النجم (الصحيحة) بعدما استشعر الحرج في مدحه لأصنام المشركين .

---

(1) السابق ، ص 175 .

(2) كارين : محمد نبي لزماننا ، ص 65 .

### التحليل والتقويم(\*)

إن قصة الغرائيق أكذوبة دسّها أعداء الإسلام بغرض الإساءة إلى مقام صاحب الرسالة محمد (ﷺ) . فكيف ينطق النبي (ﷺ) بمدح الأصنام التي جاء في الأصل لهدمها . أضف إلى ذلك أنها لم تثبت شرعاً من طريق صالح يُحتج به ، وقد رفضها المحققون من أهل العلم .

ومما سبق ذكره يتضح الآتي :

هذا هو موقف كارين من قصة الغرائيق ، فقد نقلت وجهة النظر الغربية في مقابل وجهة النظر الإسلامية ثم سارت على طريقتهم في إثباتها والطعن في آيات سورة النجم .

إن كارين تتهم النبي (ﷺ) بأنه غيّر آيات الغرائيق واستبدلها بآيات سورة النجم ، وكان النبي (ﷺ) كان يُعَيَّر في القرآن بهواه .  
لقد قال له رب العالمين : " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ " .

"فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتصور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل" (1) .

---

(\*) ولقد رددت على هذه الشبهة باستفاضة في أول هذا البحث ، في مطلب : دعوة الرسول في مكة عند ووات .

(1) محمد ناصر الدين الألباني : نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق - ط3- المكتب الإسلامي بيروت -  
سنه 1417هـ ، سنه 1996م ، ص 56 .

### مجابهة المشركين لسيدنا محمد (ﷺ)

ترى كارين أن الجبهة المعارضة لمحمد (ﷺ) قد تكونت بسبب تعرض تجارتهم للكساد، ومكانتهم للضياع ، وهذا تفسير ماركسي تأثرت فيه بوات وأهملت الجانب الروحي ، وغلبت فيه الجانب المادي ؛ فأرجعت محاربتهم للرسول (ﷺ) إلى خوفهم على علاقتهم التجارية مع الطائف ، تقول :

"واعتماد الكثير من قريش الفرار من حرّ مكة القائضة حيث كانت منازل صيفية في مدينة اللات في ذلك المكان الأكثر برودة ورطوبة في أرض الحجاز، ولا بد أن ضريح الآلهة كان مُهمًّا بالنسبة لهم ؛ لأنهم كانوا يمارسون العبادة هناك في أثناء غيابهم عن الكعبة . وحينما حرّم محمد على قومه عبادة اللات فلا بد وأنهم أصابهم الأسى والخوف لأنه قد عرض مركزهم في الطائف للخطر" (1) .

وتوغل كارين في تفسير هذه المعارضة تفسيرًا ماديًا ، وفي تهميشها للجانب العقدي بشأن المعارضة المكية للرسول (ﷺ) فتقول :

"لم تكن قريش لتصدّم بالتوحيد في حد ذاته ، فهو لم يكن فكرة جديدة بالنسبة لهم فلقد وجدوا منذ زمن طويل أن اليهودية والمسيحية تتوافقان مع تقاليدهم ولم ينزعجوا بشكل خاص من محاولة الحنيفيين خلق توحيد عربي أصيل . ولكن محمدًا (ﷺ) كان يفعل شيئًا مختلفًا ، فقد بقي معظم الحنيفيين على احترامهم العميق للحرم ، ولم يبذلوا أي محاولات لإصلاح النظام الاجتماعي ، ولكن مهاجمة محمد لأصنام الكعبة عنت أن الحرم الذي يقوم عليه الاقتصاد المكي عديم القيمة ، فقبائل البدو لم تكن تأتي للحج إلا من أجل عبادة أصنامها، تلك العادة التي أدانها القرآن إدانة مطلقة..... فكيف تبقى الطائف على صداقتها مع مكة إذا تغاضت الأخيرة عن سب آلهتها" (2) .

كما تقول كارين : "هددت تعاليم محمد (ﷺ) بإتلاف عبادة الحرم ، حيث كان لها تأثيرٌ حاسمٌ على الاقتصاد" (3) .

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص173.

(2) كارين أرمستونج : محمد نبي لزماننا ، ص67.

### التحليل والتقويم

إن الدافع الأساسي لمعارضة المكيين لسيدنا محمد (ﷺ) في بداية الدعوة كان منشؤه الخوف على دين وتقاليد آبائهم ، وهذا شيء كانت تقدسه العرب بشدة .

"ومن الصعب على الإنسان الخروج من مألوفه ، وإن ذهب روحه أهون عليه من تغييرها إلا أن يدخل في قلبه ما يقتلها ، وقد أشار القرآن إلى مرض تقليد الآباء في الأمم السابقة " (1).

كما قال تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآبَاءَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } المائدة : 104 .

وقال سبحانه في حق سيدنا إبراهيم : إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ {70} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ {71} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ {72} أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ {73} قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ فِعْلٍ كَذَلِكَ يُفْعَلُونَ {74} . الشعراء : 70 - 74 .

وقال سبحانه : بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ {22} وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ {23} . الزخرف : 22 ، 23 .

وهذا الاحترام لتقاليد الآباء والأجداد طبيعة آفة أصيبت بها الإنسانية ، وقد بينت السنة النبوية ذلك :

فَعَنْ سَبْرَةَ بِنِ أَبِي فَاكِهٍ قَالَتْ : " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَفِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ تَسْلِمُ وَتَدْرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءَ أَبِيكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ تَهَاجِرُ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ تَجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقَاتِلُ الْمَرْأَةَ وَتُقَسِّمُ الْمَالَ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ " (2) .

(1) محمد العبدية ، الطريق إلى المدينة ، ط2 دار الجوهرة - عمان ، 1999م ، ص 43 .

(2) أحمد بن شعيب النسائي : السنن الكبرى ، كتاب الجهاد ، ط1 دار الكتب العلمية - بيروت 1411هـ ، 1991م ، تحقيق : د. عبدالغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، (15/3) رقم (4342) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، ط5 مكتبة المعارف - الرياض ، دبت ، حديث رقم : 1299 .

نعم . كان هذا الدافع الأبائي هو الأساس في معارضة المكيين لسيدنا محمد (ﷺ) . وهذا لا يمنع من وجود بعض الدوافع الجزئية التي دفعتهم لمعارضته (ﷺ) كخوفهم على مكانتهم بين العرب ، وانصراف الناس عن الحج إلى أصنامهم ؛ مما يُعطل حركة الازدهار الاقتصادي في مكة .

كما أنهم - أحياناً - يُعللون معارضتهم للنبي (ﷺ) بقولهم :  
"نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ويتخطفونا أينما كنا"(1).  
وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله :

{وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } . القصص : 57 .

لكن يبقى في النهاية الدافع الديني هو الأساس في معارضة مشركي مكة لرسول الله (ﷺ) .

وخطأ كارين أنها لم تعوّل على الدافع الديني للمعارضة ، وركزت على الدافع المادي فقط .

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (6 / 247) .

### الاضطهادات في العهد المكي

لقد مرَّ بنا أن وات كان قد هَوَّن من شأن الاضطهادات التي مارسها المكيون ضد النبي (ﷺ) وأصحابه . لكن كارين تعترف هنا بالحجم الحقيقي لتلك الاضطهادات فنقول عن الإيذاءات التي طالت رسول الله (ﷺ) وأصحابه ولحقت بهم :

"مارس جيرانه جِيلاً قذرة معه ، فألقوا عليه مخلفات خروف وهو يصلى ، ومرة أخرى ألقوا بقاذورات في قدر طهى العائلة . فى أحد الأيام رمى شاب قرشى قذارة على محمد (ﷺ) أثناء مشيه فى المدينة" (1).

وهذا يوافق الرؤية الإسلامية وما جاء فى كتب السيرة النبوية .

فقد روى ابن إسحاق : " فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَأَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَدَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ ، فَتَنَّرَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ ، قَالَ لَمَّا نَنَرَ ذَلِكَ السَّفِيهَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ التَّرَابِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَهُ وَالتَّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التَّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا : لَا تَبْكِي يَا بِنْتِي فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ . قَالَ وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ مَا نَأَلَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْنًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ" (2) .

وبهذا توافق كارين ما جاء فى كتب السيرة ، فقد جاء فى مصادرنا الإسلامية :

"كَانَ بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، لِبَعْضِ بَنِي جُمَحٍ مُوَلَّدًا مِنْ مُوَلَّدِيهِمْ وَهُوَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ حَمَامَةَ وَكَانَ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ الْقَلْبِ وَكَانَ أُمِّيَّةً بَنُ خَلْفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ خُدَافَةَ بْنِ جُمَحٍ يُخْرِجُهُ إِلَى مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَيُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ ( لَا وَاللَّهِ ) لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَحَدٌ أَحَدٌ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِهِ وَهُوَ يُعَدِّبُ بِذَلِكَ وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ؛ فَيَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ وَاللَّهِ يَا بِلَالُ ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَى أُمِّيَّةٍ =

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص83.

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (417/1) .

بن خَلْفٍ ، وَمَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِهِ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَيَقُولُ أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لِأَتَّخِذْتَهُ حَنَانًا ، حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ( ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا ، وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ وَكَانَتْ دَارُ أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جُمَحٍ فَقَالَ لِأُمِّيَّةِ بِنِ خَلْفٍ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمُسْكِينِ ؟ حَتَّى مَتَى ؟ قَالَ أَنْتَ الَّذِي أفسَدْتَهُ فَأَنْقَذَهُ مِمَّا تَرَى ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ . أَفَعَلُ عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ أَجْلُدُ مِنْهُ وَأَقْوَى ، عَلَى دِينِكَ ، أُعْطِيكَهُ بِهِ قَالَ قَدْ قَبِلْتُ فَقَالَ هُوَ لَكَ . فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَحَدَهُ فَأَعْتَقَهُ . (1) .

وتقول كارين :

"أما العبيد فقد وقعت عليهم معظم المعاناة ؛ لأنهم لم تكن تتوفر لديهم الحماية العشائرية ، وكان أمية (بن خلف) يأخذ عبده الحبشى المسلم بلالا فى أشد أوقات النهار قيظا ويقيده ويتركه معرضا للشمس وعلى صدره صخرة ضخمة. لكن بلالا لم يهن عزمه...كما تعرض المسلمون الذين كانوا ينتمون إلى عائلات ربيعة المستوى للمعاناة على أيدي عائلاتهم" (3).

وكلام كارين فى هذه المسألة لا يخاف الرؤية الإسلامية . وإن كان ذلك لا يُنسبنا موقفها العام من السيرة النبوية ، واتباعها للمنهج الماركسى فى السيرة النبوية .

- (1) السيرة النبوية لابن هشام (317/1).  
(2) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 185.

### الهجرة إلى الحبشة

ولا تفسر كارين الهجرة إلى الحبشة كما سبق أن فسّرنا وات ، وإنما تجعل سبب هذه الهجرة هو الفرار بالدين والنفس من أذى المشركين فنقول :  
" قرر محمد البحث عن موطن آمن للمسلمين الذين كانوا يتعرضون لأسوأ أنواع العذاب ، وطلب من نجاشي الحبشة المسيحي أن يُلجئ المسلمين هناك" (1) .  
بل وتردُّ كارين على الباحثين الغربيين (وعلى رأسهم مونتجمري وات) فنقول :  
"ويعتقد بعض الباحثين الغربيين المحدثين بوجود أسباب أخرى لتلك الهجرة غير الالتجاء، ويقولون باحتمال محاولة محمد فتحَ خطِّ تجارة مستقل باتجاه الجنوب لهؤلاء الذين كانوا يعانون من العقوبات التجارية التي فرضها أبو جهل، وأوحى هؤلاء الباحثون أن قائمة أسماء المهاجرين تشي باحتمال وجود خلافات داخل جماعة المسلمين ، وذلك لأن بعض المهاجرين من أمثال عثمان بن مظعون وعبيدالله بن جحش ربما شعروا بالغيرة من التأثير الذي كان يمارسه قادم جديد نسبياً مثل أبي بكر على محمد.... وتردُّ كارين عليهم قائلة : لكن إن كانت تلك الخلافات هي الدافع إلى الهجرة ، فلا بد وأنها لم تكن جدّية ، فرغم أن عبيدالله تحول إلى المسيحية أثناء وجوده في الحبشة ، فقد عاد مُسرّعًا إلى مكة حالما ساد الأمن واستقرَّ في ولائه لمحمد وأبي بكر" (2).

### التحليل والتقويم

إن كارين في هذه النقطة تقترب من الرؤية الإسلامية ، وتخالف المستشرقين – وعلى رأسهم – مونتجمري وات .  
فإن البلاء لما اشتد بالمسلمين في أنفسهم ودينهم وأموالهم ، أمرهم رسول الله (ﷺ) بالهجرة إلى الحبشة "فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ﷺ) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفرارًا بدينهم" (3).

لكنني أشير هنا إلى أن كارين تستخدم منهج البناء والهدم ، فهي توافق إلى حد ما ثم تهدم فكرة إسلامية بعدها ، وهذا من مناهج المستشرقين المعروفة .

(1) السابق : نفس الصفحة.

(2) السابق : ص 186.

(3) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 321) .

هذا هو الدافع الأساسي للهجرة إلى الحبشة ، وذلك لا يمنع من وجود بعض الدوافع الأخرى ، والتي من أهمها :

**الدعوة إلى الإسلام في الحبشة :** وفى ذلك يقول الشهيد سيد قطب - يرحمه الله - :  
"ومن ثم كان بحث الرسول (ﷺ) عن قاعدة أخرى غير مكة ، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية ، ويتاح لها فيها أن تخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة . حيث تظفر بحرية الدعوة وبحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة... وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة (إلى الحبشة) ؛ حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل . والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية . فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس جاها وقوة ومنعة من المسلمين . غير أن الأمر كان على الضد من هذا ، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا . إنما هاجر رجال ذوو عصبية ، لهم من عصبيتهم - في بيئة قبلية - ما يعصمهم من الأذى ، ويحميهم من الفتنة .... فالهجرة إلى الحبشة أحد الاتجاهات المتكررة في البحث عن قاعدة حرة ، أو آمنة على الأقل للدعوة الجديدة ، وبخاصة حين نضيف إلى هذا الاستنتاج ما ورد عن إسلام نجاشي الحبشة . ذلك الإسلام الذي لم يمنعه من إشهاره نهائيا إلا ثورة البطارقة عليه"(1).

ومما يؤكد هذا الرأي ، أنه لو كان الخروج إلى الحبشة لمجرد الفرار من العذاب لعادوا مرة أخرى حين استقر المقام بالمسلمين في المدينة آمين . لكن النبي (ﷺ) أمرهم بالإقامة هناك حتى فتح خيبر سنة سبع للهجرة . وقد ذكرت ما يدل على ذلك عند مناقشتي لرأى وات فى هذه المسألة .

لكن - وعلى أية حال - فإن الروايات لم تذكر أن الهدف من وراء تلك الهجرة كان سياسياً أو اقتصادياً أو تجارياً .

## المبحث الرابع :

الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة ، ويشتمل  
على مطلبين :

المطلب الأول : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة  
فى فكر وات .

المطلب الثانى : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة  
فى فكر كارين .

## المطلب الأول :

الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة  
فى فكر وات .

## دوافع الهجرة إلى المدينة المنورة

يبدأ وات كلامه عن الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بنفى سبب رئيس من أسباب الهجرة إلى المدينة (وهو الفرار من أذى المكيين للمسلمين) ، ويرى أن ذلك مجرد زعم أو تضخيم للهجرة ، ويرى أن :

"دوافع النبي (ﷺ) وأصحابه لذلك كانت هي إمكانية ازدهار الحركة في المدينة ، أما قول عروة بن الزبير أنهم هاجروا للمدينة ؛ هرباً من الاضطهاد ، فالتركيز على ذلك يعطى انطباعاً خاطئاً ، فلم تكن هناك سلسلة جديدة متواصلة من الاضطهاد قبل الهجرة" (1).

يأتى هذا التفسير من وات للهجرة ضمن سلسلة تفسيراته الماركسية لوقائع السيرة ، - بل لأهم حدث في السيرة - وخطته لتفريغ أحداث السيرة من محتواها الديني والروحي .

وقد استبعد وات واقعة أكدتها كل كتب السيرة ، بل أكدها القرآن قبل ذلك ، وهي التأمير برسول الله (ﷺ) في دار الندوة ، حيث قال القرآن محذراً رسول الله (ﷺ) :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال : آية 30 ) . وهو بذلك ينفى بلا دليل .

ويقول "لم تكن هناك محاولة تتسم بالتصميم على قتل محمد (ﷺ) ، وعلى هذا بالاتفاق الذى اتفق عليه زعماء قريش فى هذا الاجتماع كان أقل خطورة مما تؤكد المصادر ، ويقول : فالرواية عن الهجرة بشكل عام تتسم بوجود كثير من الزخارف المقحمة" (2).

---

(1) مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ص 290 .

(2) السابق ، ص 292 .

### التحليل والتقويم

إن وات يدعى أنه لم تكن هناك اضطهادات كثيرة قبل الهجرة ، وأن سبب الهجرة لم يكن شدة الإيذاء الواقع على المسلمين ، وإنما كان سعيًا وراء ازدهار الحركة فى المدينة .

والحق أن معظم الآيات التى نزلت فى أواخر الفترة المكية قبل الهجرة - كانت تحمل للمسلمين نوعًا من المواساة التى تخفف عنهم ألم المعاناة والتعذيب الذى كانوا يلاقونه من الملأ المكى ، فنزل قوله تعالى :

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} . النحل : 42 ، 43 " .

ونزل أيضا قوله سبحانه : {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} . النحل : 110 " .

كما نزل قوله تعالى : {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} .

العنكبوت : 2 ، 3 " .

كل تلك الآيات نزلت في أواخر الفترة المكية لحث المسلمين على التذرع بالصبر ، وتحمل الأذى في سبيل الله تعالى ، وفيها أيضاً أن الهجرة كانت خلاصاً لهم من الفتنة ، وجزاءً وفاقاً لهم على الصبر وتحمل الظلم .

كل ذلك يجعلني أؤكد بأريحية تامة أن الاضطهاد الذي لحق بالمسلمين هو الذي دفعهم إلى الهجرة ؛ لقناعتهم باستحالة التعايش مع الكفار .

### اجتماع دار الندوة

يدعى وات أنه لم تكن هناك محاولة جادة من قبل المشركين في دار الندوة لقتل النبي (ﷺ) .

إن وات لا ينفى هذا الاجتماع بالجملة ، وإنما ينفى ما دار فيه من تأمرٍ على رسول الله (ﷺ) . وإذا كان وات لا ينفى هذا الاجتماع ، فهل يستطيع أن يخبرنا عن سبب انعقاده ؟

إن القرآن الكريم يؤكد أن سبب انعقاد هذا الاجتماع هو الكيد برسول الله (ﷺ) . قال تعالى : {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } . الأنفال : 30 . وكذلك الروايات الإسلامية تؤكد ذلك :

"قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بَغَيْرِ بِلَادِهِمْ وَرَأَوْا خُرُوجَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ عَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً فَحَذَرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ . فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ - وَهِيَ دَارُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إِلَّا فِيهَا - لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَافُوهُ ، فَعَنَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا أَجْمَعُوا لِذَلِكَ وَاتَّعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَا فِي الْيَوْمِ الَّذِي اتَّعَدُوا لَهُ وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يُسَمَّى يَوْمَ الرَّحْمَةِ فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ ، بَتَلَّةٌ فَوْقَ عَلَى بَابِ الدَّارِ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا ، قَالُوا : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ وَعَسَى أَنْ لَا يُعْذِمَكُمْ مِنْهُ رَأْيًا وَنُصْحًا ، قَالُوا : أَجَلٌ فَادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ فَأَنَا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ

عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا فِيمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ، فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا . قَالَ فَتَشَاوَرُوا . ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنْ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ زُهَيْرًا وَالنَّابِغَةَ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ حَتَّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ . وَاللَّهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيُخْرِجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمْ يُكَاثِرُوكُمْ بِهِ حَتَّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانظُرُوا فِي غَيْرِهِ فَتَشَاوَرُوا . ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، فَتَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا ، فَإِذَا أَخْرَجْنَا عَنْهَا فَوَاللَّهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ وَلَا حَيْثُ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنَّا وَفَرَّغْنَا مِنْهُ فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأَلْفَتْنَا كَمَا كَانَتْ . فَقَالَ

.....

الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ وَغَلْبَتِهِ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَى حَيٍّ مِنْ الْعَرَبِ ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى يَتَابِعُوهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطَّأَكُمْ بِهِمْ فِي بِلَادِكُمْ فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يَفْعَلْ بِكُمْ مَا أَرَادَ دَبَّرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا . قَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَاللَّهِ إِنَّ لِي فِيهِ لِرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتَيَّ شَابًا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسَيْطًا فِينَا ، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَتَى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا ، ثُمَّ يَعْمَدُوا إِلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ فَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ . فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، فَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَا لَهُمْ . قَالَ فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : الْقَوْلُ مَا قَالَ الرَّجُلُ هَذَا الرَّأْيِ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمَعُونَ لَهُ" (1) .

وهذه النصوص تظهر أن الهدف من هذا الاجتماع كان واحدًا من ثلاثة أمور :

- 1- الحبس ، وهذا واضح من قوله تعالى في الآية السابقة : ليثبتوك ، كما في تفسير ابن كثير : أي ليحبسوك (2) .
- 2- القتل ، وهذا واضح من قوله تعالى في الآية : ليقتلوك .
- 3- النفي من مكة ، وهذا واضح من قوله تعالى في الآية : يُخرجوك .

ومعروف أن وات جعل من مصادره في الدراسة ، سيرة ابن هشام . فكيف تغافل عن هذه الرواية ؟

- (1) ابن هشام : السيرة النبوية (480/1 ، 481) .  
(2) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (43/4) .

## دستور (\*) دولة المدينة

"بدأ الرسول (ﷺ) منذ دخوله المدينة يسعى إلى إنجاز المهام الملقاة على عاتقه في مطلع المرحلة الجديدة من الدعوة والتي تستهدف إنشاء (الدولة الإسلامية) على أسس راسخة ، وتهيئة كافة الشروط والمتطلبات لتحقيق هذا الهدف "(1).

لقد كتب النبي (ﷺ) كتابا ينظم العلاقات بين المجتمع المدني الذي يضم المسلمين (مهاجرين وأنصارًا) ، واليهود (على اختلاف انتماءاتهم) ؛ لتحقيق المواطنة بين الطرفين ، وهذا ما يُعرف بـ (دستور دولة المدينة) ، وقد جاء في هذا الدستور :

"قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَادَّعَى فِيهِ يَهُودَ وَعَاهِدَهُمْ وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاسْتَنْزَطَ عَلَيْهِمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ فَرِيشٍ وَيَثْرِبَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلِحَقِّ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ 1- إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ 2- الْمُهَاجِرُونَ مِنْ فَرِيشٍ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ 3- وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، كُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 4- وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 5- وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 6- وَبَنُو جُثَمِ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 7- وَبَنُو النَّجَارِ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 8- وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 9- وَبَنُو النَّبِيْتِ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 10- وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ

تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ 11- وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مَفْرَحًا  
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْمَفْرَحُ الْمُتَقَلُّ بِالذِّينِ وَالْكَثِيرُ الْعِيَالُ . قَالَ الشَّاعِرُ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ  
تَوَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمَلُ أُخْرَى أَفْرَحَتَكَ الْوَدَائِعُ 12- وَأَنْ لَا يَحَالِفَ مُؤْمِنٌ مُؤَلَى مُؤْمِنٍ  
دُونَهُ 13- وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةً ظَلَمَ أَوْ إِثْمًا أَوْ  
عُدْوَانَ ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ 14-  
وَلَا يَفْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ 15- وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ  
يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ دُونَ النَّاسِ 16- وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعْنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ  
لَهُ النَّصْرَ وَالْأَسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ 17- وَإِنَّ سَلْمَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَاحِدَةٌ لَا يُسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ  
18- وَإِنَّ

(\*)الدستور هو القاعدة التي يُعمل بمقتضاها ، أو هو مجموعة من القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة  
ونظام الحكم فيها ، ومدى سلطتها إزاء الأفراد . انظر : المعجم الوجيز : ط1 مجمع اللغة العربية ، 1400هـ ،  
1980م ، ص 227 .

(1)د. عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ، ص 121 .

كُلِّ غَارِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يُعْقَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، 19- وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُبِي بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدَى وَأَقْوَمِهِ  
20- وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِفُرَيْشٍ وَلَا نَفْسَهَا ، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ 21-  
وَإِنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قِتْلًا عَنْ بَيْتَةٍ فَإِنَّهُ قَوْدٌ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيَّ الْمَقْتُولِ وَإِنَّ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامٌ عَلَيْهِ 22- وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقْرَبُ بِمَا فِي  
هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحَدِّثًا وَلَا يُؤْوِيَهُ وَأَنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ  
أَوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ 23- وَإِنَّكُمْ  
مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ 24- وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ 25- وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي  
عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ  
وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ 26- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي  
عَوْفٍ 27- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ؛ 28- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي  
سَاعِدَةَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ؛ 29- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ؛  
30- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ 31- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ  
مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ 32- وَإِنَّ  
جَفْنَةَ بَطْنٍ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ 33- وَإِنَّ لِبَنِي الشَّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَإِنَّ  
الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ 34- وَإِنَّ مَوَالِي ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ 35- وَإِنَّ بَطَانَةَ يَهُودٍ كَأَنْفُسِهِمْ 36-  
وَإِنَّهُ لَا يَجْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّهُ لَا يُنْحَجِرُ عَلَى نَارٍ  
جُرْحٌ وَإِنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَمْرٍ بِحَلِيفِهِ وَإِنَّ  
النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ 38- وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ 39- وَإِنَّ

يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ 40- وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٌ 41- وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةً إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا ، 42- وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادَهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَتَقَىٰ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ 43- وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا . 44- وَإِنَّ بَيْنَهُمُ التَّصَرُّعَ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ 45- وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ عَلَىٰ كُلِّ أَنَسٍ حَصَّتْهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ 46- وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسَ ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . مَعَ الْبِرِّ الْمَحْضِ ؟ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ مَعَ الْبِرِّ الْمُحْسِنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ 47- لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَأَثِمٍ وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَأَتَقَىٰ ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)"(1).

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، ( 501/1 - 503 ) .

ويمكن أن أخص رأى وات فى هذه الوثيقة (أو الدستور) فى النقاط التالية :

### 1- التشكيك فى صحتها : يشكك وات فى صحة هذه الوثيقة ، فيقول :

"احتفظ ابن إسحاق بوثيقة قديمة تسمى عادة (دستور المدينة) وهو بعد أن يُقَدِّمَ لها ببضع كلمات لا يذكر شيئاً عن الطريقة التى وصلت بها الوثيقة إليه ولا متى وكيف طبق هذا الدستور؟ أما وضع الوثيقة فى مطلع حديثه عن الفترة المدنية فليس له من سبب سوى التسلل المنطقى "(1).

### 2 - القول بصحتها :

وفى هذا يقول : "ولم يكن بإمكان مُزَوِّرٍ فى عصر الأمويين أو العباسيين أن يضم غير المسلمين إلى الأمة الإسلامية ، أو يحتفظ بنود ضد قريش ويجعل لمحمد هذه المكانة المتواضعة ، كما أن أسلوب الوثيقة قديم ، وبعض تعابيرها كاستعمال كلمة (المؤمنين) للدلالة على المسلمين يرجع إلى الفترة الأولى المدنية ، ولقد جرى مع ذلك نقاش حول تاريخ الوثيقة ، وهل يجب تأريخها قبل معركة بدر أم بعدها؟ "(2).

### 3- قوله بعدم انسجام بنودها :

وفى ذلك يقول : "هناك أسباب تحمّلنا على الاعتقاد بأن البنود التى كتبت فى أوقات مختلفة قد جمعت فيما بعد . ونجد فى هذه البنود فروقاً لغوية . وهكذا يشار إلى المؤمنين بضمير الغائب (هم) ، وفى بعض الأحيان بالضمير (أنتم) ، وفى أحيان

أخرى (نحن) ، ويطلق عليهم فى أغلب الأحيان اسم (المؤمنين) ماعدا فى موضعين يسمون (بالمسلمين) ، وكذلك فإن بعض البنود تكررُ لبنود أخرى ، وتعالج نفس المسائل مع اختلاف بسيط " (3).

#### **4- عدم اشتراك أكبر قبائل اليهود فى هذه الوثيقة :**

يقول وات : "ويبدو طبيعياً أن القبائل الثلاث اليهودية الرئيسية ، يعنى (بنى قينقاع ، وبنى قريظة ، وبنى النضير) لم تُذكر فى هذه الوثيقة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الوثيقة فى شكلها الحالى يمكن أن ترجع للزمن الذى يلى إزالة قريظة . وليس غريباً أن تحاط قضايا اليهود بكل هذا الاهتمام فى الوقت الذى كانوا فيه أقلية فى المدينة ؟ يمكن أن نفسر ذلك إذا افترضنا أن الوثيقة فى شكلها النهائى وضعت لتكون عهداً =

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 337 .

(2) السابق : ص 342 ، 343 .

(3) السابق : ص 343 ، 344 .

للإهود الذين بقوا فى المدينة وأنها كانت تحتوى على جميع البنود المتعلقة بهم ، الموجودة فى صورة دستور المدينة القديمة" (1).

**5- يفترض وات أن البنود (15، 16، 19، 23) يمكن أن تمثل نص اتفاق أصلى وقع بين محمد وقبائل المدينة فى العقبة ، أو يمكن أن يكون قد أعدّها النقباء بُعيد الهجرة ..... ثم أضيفت إلى هذه البنود بين وقت وآخر ، حسب الحاجة بنود جديدة كما حذفّت البنود القديمة كالبنود المتعلقة بقريظة والنضير .... ، وإذا كان العلماء موافقين على مثل هذه النظريات حول نص دستور المدينة الموجود حالياً فإن هناك مسائل كثيرة لا تزال غامضة خاضعة للفرضيات " (2).**

### **التحليل والتقويم**

من الملاحظ أن وات قد بدأ كلامه عن هذه الوثيقة بالتشكيك فى صحتها تاريخياً ؛ متعللاً بأن ابن إسحاق لم يذكر لنا الطريقة التى وصلت بها هذه الوثيقة إليه (يقصد الإسناد) .

نعم لم يذكر لنا ابن إسحاق فى سيرته إسناد الرواية التى تتحدث عن هذه الوثيقة ، "على أن هذا لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة التاريخية المهمة ولا يطعن فى صحتها ؛ وذلك لأن المصادر الأخرى أشارت إليها وإن لم تذكر نصّها ، وقد ذكرتها المصادر المتأخرة ؛ ولأن أسلوب هذه الصحيفة يوافق تماماً أسلوب العصر ، كما يوافق روح التنظيم فى المجتمع العربى من حيث الترابط القبلى والاعتراف بقوة العصبية وأثرها فى المجتمع ، وأنه ليس من السهل التخلّص منها" (3).

ومن العجيب حقًا ، أن يتراجع وات فيؤكد صحة هذه الوثيقة مرة أخرى كما في النقطة الثانية .  
وعلى أية حال فقد ذكر هذه الوثيقة بعضُ المحدثين وأهل السير . ذكرها ابن سيد الناس في عيون الأثر (4) ، والسهيلي في الروض الأنف (5) ، وابن كثير في سيرته (6) ، وأحمد في مسنده (7) ، والبيهقي في سننه (8) ، وابن الأثير في النهاية (9) .

- 
- (1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 346 .  
(2) السابق : ص 346 ، 347 .  
(3) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ﷺ) ، ط دار الفكر العربي ، دت ، (319/1).  
(4) ابن سيد الناس : عيون الأثر (260/1) .  
(5) السهيلي : الروض الأنف (345/2) .  
(6) ابن كثير : السيرة النبوية (322/2) .  
(7) مسند أحمد (258/4) ، رقم (2443).  
(8) سنن البيهقي : ط دار الباز - مكة المكرمة 1414 هـ ، 1994 م، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، (183/9).  
(9) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ط المكتبة العلمية - بيروت 1399 هـ - 1979 م تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي (462/2) .  
ورواها الإمام مسلم في صحيحه عن جابر قال : " كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ كُلِّ بَطْنٍ عَفْوُهُ ثُمَّ كَتَبَ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَالَى مَوْلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ بغيرِ إِذْنِهِ ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَنَّهُ لَعَنَ فِي صَحِيفَتِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ " (1).  
وهذا الحديث فيه "إشارة واضحة إلى بعض ما تضمنه الكتاب (دستور المدينة) من استعراض بطون الأنصار وإلزام كل بطن بما يلزم البطون الأخرى" (2).

وهذه الرواية تعضد رواية ابن إسحاق وتقويها ، وإن اختلفت ألفاظ بعض البنود .

كما أشار أبو داود في سننه إلى هذه المعاهدة ، فيروى أن المسلمين حين قتلوا كعب بن الأشرف الذي كان يسبُّ رسول الله " فَرَعَتِ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ فَعَدَّوْا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا طُرِقَ صَاحِبُنَا فَقُتِلَ فَذَكَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ وَدَعَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ كِتَابًا يَنْتَهُونَ إِلَى مَا فِيهِ فَكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً صَحِيفَةً " (3).

"وهذه العبارة التي ختم بها الحديث صريحة في أن النبي (ﷺ) كتب بينه ومعه عامة المسلمين ، وبين اليهود كتابًا وأخذ عليهم أن ينتهبوا إلى ما فيه ، وهو ينفق مع قول من أورد نص الكتاب مبينا أنه كتابٌ موادعة ومعاهدة أقرَّ فيه اليهودَ على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم " (4).

هكذا أعطى الإسلام - بمقتضى هذه الوثيقة - أهل الكتاب حقوق المواطنة التي تمنحهم حق المشاركة في جميع مناحى الحياة بشرط عدم إيذاء المسلمين في معتقداتهم وممارسة شعائرهم ، وعدم هتك ستار الأخلاق في المجتمع .  
"وبمقتضى هذه الوثيقة أصبحت المدينة حرماً آمناً ، وأصبح كل من المسلمين واليهود في أمن من جانب الآخر، و أصبح اليهود ملزمين بمعاونة المسلمين إذا ما دهم المدينة عدوً ، و بعدم مساعدة المشركين و مناصرتهم ضدهم" (5).  
كما أن هذه الوثيقة اعتبرت أهل الكتاب أمة يعيشون مع المسلمين في مجتمع واحد ، وحددت الصلّة بينهم وبين بعضهم البعض على أساس من التسامح والمساواة والعدل وفى ذلك يقول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } . المائدة : 8 " .

(1) صحيح مسلم ، كتاب العتق ، باب باب تحريم تولي العتيق غير مواليه ، (رقم 1507) .

(2) محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله (171/3) .

(3) سنن أبي داود : تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر (169/2) ، رقم (3000) .

(4) محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله (173/3) .

(5) د. محمد أبو شهبة : السيرة النبوية (60/2) .

**وفى النقطة الثالثة** يذكر وات أن فى هذه الوثيقة بنوداً كتبت فى أوقات مختلفة .  
وآية ذلك : وجود فوارق لغوية بين بعض البنود (يقصد اختلاف الضمائر كما صرح من قبل) ، وأن فيها بنوداً مكرّرة دون أدنى اختلاف .

والحق أن ظاهرة التكرار الملاحظة فى هذه الوثيقة ، كتكرار البندين (24 ، 38) ، مرده - كما يرى البعض - "أن كل قبيلة كانت توافق على هذا العهد تُذكر فى الصحيفة . وبمعنى آخر : فمن المحتمل أن تكون قد تمت صياغتها باتفاق بين النبي (ﷺ) وقيادات المهاجرين ونبلاء الأنصار ، ثم وافقت عليها القبائل - كل قبيلة على حدة - عبر ممثليها ، وكل قبيلة عربية ضُمَّت مع حليفتها من قبائل اليهود الصغيرة ، فالصحيفة أشبه بالمحالفة بين المهاجرين والأنصار ومعهم مواليم اليهود" (1).

ومن المؤكد أن من أسباب التكرار فى كثير من البنود مع الاختلاف فى اسم القبيلة التى يوجه إليها الخطاب ، أن النبي (ﷺ) كان يوجه الخطاب إلى كل قبيلة على حدة، وهذا أدعى للاهتمام بهم ، كما يُسهّل ذلك عليهم حفظها واستيعاب مضمونها .

ثم إن فكرة وضع هذه البنود فى أوقات مختلفة أمرٌ غير منطقي لأن من الطبيعي أن توضع الدساتير، وتسنّ القوانين أولاً ثم يبدأ العمل على أساسها . وقد وضع النبي (ﷺ) هذا الدستور المدنى فى أول عهده بالمدينة ليكون نبراساً يسير على هداية الجميع **وبالنسبة للنقطة الرابعة** ، فإن وات يلاحظ أن هذه الوثيقة قد أغفلت ذكر القبائل اليهودية الكبرى (وهم بنو النضير ، وقريظة ، قينقاع) ويرى أن ذلك أمرٌ طبيعي، ويستتنبط من ذلك أن هذه الوثيقة قد تمت صياغتها بشكل نهائى بعد غزوة بنى قريظة ؛ إذ كيف يعطى لهم النبي (ﷺ) هذا الحجم من الاهتمام فى الوقت الذى كانوا فيه قلة ، ويُرجّح أنها كتبت بعد ذلك فى الوقت الذى كثر فيه عدد اليهود فى المدينة.

والحق أن هذه الوثيقة لم تهمل ذكر قبائل اليهود الثلاث ، وإنما ذكرتها ضمناً تحت قائمة القبائل الكبرى ، وهذا ما ذكره (وات) نفسه حين قال : "ونستطيع تفسير ذلك بافتراض أن محمداً صنّف اليهود حسب القبائل العربية التي يعيشون على أراضيها، فضمّ النضيرَ وقريظةَ إلى يهود الأوس وثلعة ؛ لأنهم كانوا يقيمون بينهما"(2). وعلى فرض أن اليهود لم يشتركوا في هذه الوثيقة "فإنهم ما لبثوا أن وقّعوا بينهم وبين النبي صُحفاً مثلها"(3).

"إن وات حينما يثير هذا الغبار الكثيف ، والشكوك حول الوقت الذي كتبت فيه بنود هذا الدستور ، إنما يفعل ذلك لأجل استبعاد القبائل اليهودية الكبرى من مشاركتها في الأمة الإسلامية بحيث يتم تبرئتها من نتائج وتبعات الصراعات التي خاضها ضد دولة النبي (ﷺ) ؛ ولهذا عمل وات على تجزئة الدستور زمانياً ، فبدأ من العقبة ثم بعد بدر، ثم بعد إزالة بنى قريظة : أى أن كتابة الدستور قد مرت بمراحل عديدة.... ويهدف وات إلى تبرئة اليهود من أحداث الفتنة التي نشبت بين التيارين الإسلامى واليهودى داخل المدينة "(4).

(1)عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة النبوية ، ص116 .

(2)مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص344 .

(3)محمد حسين هيكىل : حياة محمد ، ص241 .

(4) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة النبوية ، ص115، 116.

إن وات يريد أن يقول : إنه ما دامت القبائل اليهودية الثلاث لم توقع على هذه الوثيقة ولم تكن طرفاً فيها ، فإنها غير ملومة على ما فعلته مع النبي (ﷺ) من مخالفات ونقض للعهود والمخالفات ؛ إذ أنها لو وقّعت لالتزمت . لكن أحداث التاريخ تؤكد أنهم "اختاروا النقض على الوفاء ، والخيانة على الالتزام ، والانغلاق على مصالحهم القومية ، على الانفتاح على الأهداف العامة الكبيرة للأديان السماوية جمعاء"(1).

إن وات يريد من وراء ذلك كله أن يُثبت أنه لم تكن هناك مخالفات بين النبي (ﷺ) واليهود ؛ ومن ثم فإن الحرب التي دارت رَحَاهَا بينهم لم تكن بسبب نقض اليهود للمواثيق - كما هو معلوم - وإنما كانت اعتداءً غاشماً بلا مبرر ، وهذا ما يخالف الروايات التاريخية التي أفرزتها الغزوات والحروب بين المسلمين واليهود . وسوف يأتي ذلك بالتفصيل - إن شاء الله - فى المبحث الخامس من هذا الباب .

**أما النقطة الخامسة ،** وهى أن البنود رقم (15، 16، 19، 23) قد كُتبت فى العقبة، فالرد على هذه الشبهة من أيسر ما يكون ؛ لأنه بمجرد استعراض بنود الوثيقة ينتضح خطأ وات .

**فالبند رقم (15)** يتكلم عن المؤمنين ، وفيه : "وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أديانهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس".

فالحديث هنا عن إجارة المؤمن للمؤمن ، ولا يعقل أن يكون المطلوب أن يجير مؤمن مؤمنا في مكة أو في العقبة ، فالمؤمن ما كان يستطيع أن يجير نفسه ، ولا رسولُ الله (ﷺ) كان يستطيع أن يجير نفسه في هذه المرحلة المبكرة من الدعوة ، بل لحقهم جميعاً الأذى الشديد ، فكيف يجير أحدهم الآخر ؟ وإنما تحقق ذلك بعد الهجرة حين صارت للمسلمين دولة وقوة .  
**والبند رقم (16)** ، والذي فيه : " وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا تناصر عليهم" .

وهذا البند فيه ما يردُّ رأى وات ويُخَيِّبُ سعيه ، فهل بلغ المسلمون من القوة وهم في مكة أن يعرضوا حمايتهم على من أسلم من اليهود أو غيرهم ؟ ولو كان الأمر كذلك فلمَ هاجر المسلمون المستضعفون إلى الحبشة مرتين ؟ ولم هاجروا إلى المدينة ما داموا أسياداً في بلدهم ؟  
**والبند رقم (19) يقول :** " وأن المؤمنين يبئى بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه" .  
والكلام هنا - كما هو ظاهر - عن الجهاد في سبيل الله ، ومن المعلوم يقينا لدى الجميع - ومنهم وات - أن الجهاد لم يُفرض إلا بعد الهجرة .

(1)د. عما الدين خليل : دراسة في السيرة ، ص125 .

**أما البند رقم (23) ، والذي يقول :** " وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد " .  
وهذا الكلام في الأصل مُوجَّه إلى أهل المدينة بعد أن قامت دولتهم وانتشر دينهم .

هذه هي الوثيقة التي أراد وات أن يشكك في صحتها ، وقد بينتُ صحة سندها ، وانسجام بنودها ، وأنها كتبت في وقت واحد بعد الهجرة ، لا كما يدّعى (وات) أنها كتبت بعد إزالة بني قريظة .

وعلى فرض أن هذه الوثيقة ضعيفة السند - كما يدعى وات - "فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية ، خاصة أن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة" (1) ، وهذا مجرد افتراض وإلا فقد نقلت كلاماً لكثير من العلماء يؤكد صحتها .

وهذه الوثيقة موجودة في كتاب (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) (2) .

وهو كتاب اعتنى فيه صاحبه بتوثيق المعاهدات والمحالفات التي جرت في حياة النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين ، وذلك بعد دراسة سند الروايات التي جاءت تلك الوثائق من طريقها .

- 
- (1) د. أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ص 275 .  
(2) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط6 دار النفائس - بيروت 1407هـ ، 1987م ، ص 57 .

### الادعاء بأن النبي (ﷺ) كان مجرد زعيم للمهاجرين

يرى وات أن مكانة النبي (ﷺ) في المدينة بعد الهجرة لم تكن بالقدر الذي تصوره المصادر الإسلامية ، فيقول :

"إن سلطاته كما يحددها الدستور ليست واسعة ولا أبد أنها كانت أضيق في مطلع إقامته بالمدينة ، والشئ الوحيد الذي يقرره الدستور صراحة هو أن جميع الخلافات يجب أن تعرض على محمد" (1).

كما يعتبر وات أن الرسول (ﷺ) كان مجرد زعيم لجماعة المهاجرين ، فيقول :  
"إن محمدًا كزعيم للمهاجرين كان مساويًا لزعماء مختلف القبائل . ولما كان المهاجرون مذكورين قبل غيرهم فلربما كان لمحمد أولية شرفية بين زعماء القبائل" (2).

ويتراجع وات - كعادته - قائلاً : "فهو (ﷺ) ليس سوى شخصية مهمة بين شخصيات أخرى . وربما كان لعدد من الشخصيات في السنة الأولى التي قضاها محمد في المدينة نفوذ أعظم من نفوذ محمد" (3).

ويدلل وات على ضعف مكانة النبي في المدينة فيقول :

"وتدل عدة حوادث وقعت في النصف الأول من الفترة المدنية على ضعف المكانة التي كان يحتلها محمد بعد حديث الإفك الذي تعرض لعفة عائشة ، حيث أظهر ابن أبي رغبته في نشر النميمة ...، وكذلك حين عرضت مشكلة معاقبة قريظة على خيانتها لم يغامر محمد في إصدار أي حكم بنفسه ، فلو أنه قرر سفك دماء قريظة لدعا الشرف بعض حلفاء اليهود - ولو كانوا مسلمين - إلى الثأر لهم ؛ ولهذا ترك تقرير العقوبة إلى زعيم القبيلة التي كانت قريظة حليفة لها"(4).  
كما يقول :

" ويبدو محمدٌ زعيمَ جماعة من الجماعات العديدة المتضامنة للقيام بعمل مشترك ، ولا شئ سوى القليل يميز النبي عن سائر الزعماء "(5).  
وكذلك يرى وات أن أهل المدينة لم يقبلوا - طواعية - أن يكون النبي (ﷺ) حَكَمًا بينهم ، وإنما قبلوا ذلك فيما بعد - مُكرهين - حينما أمرهم النبي بذلك ، فيقول :  
"وإذا كان أهل المدينة حين قبلوا محمدًا نبيًا لهم ، وحينما نظموا مجيئه إلى مدينتهم لم يعترفوا له صراحة بحق في أن يحكم بينهم ، فإنهم لم يعتموا أن قبلوا ذلك بالقوة ، فقد نزل الوحي يأمره بالرجوع إلى الله في كل الخلافات "(6).

(1) مونتجرى وات : محمد في المدينة ، ص 348 .

(2) السابق ، نفس الصفحة .

(3) السابق ، نفس الصفحة .

(4) السابق ، ص 348 ، 349 .

(5) السابق ، ص 349 .

(6) السابق ، ص 350 .

ويدعى وات أن النبي (ﷺ) قد اتفق على شئ في بيعة العقبة (بيعة الحرب) ثم خالف هذا الاتفاق بعد ذلك ، وأن النبي قد تحدث في هذه البيعة عن الدفاع العسكرى فقط ولم يتحدث عن الهجوم العسكرى ، ويلاحظ وات أن النبي (ﷺ) بعد ذلك كانت غزواته الأولى هجومية ، فيقول :

"وأغرب ناحية في مكانة محمد خلال إقامته في المدينة هي الناحية العسكرية ، وبيعة الحرب لا تتحدث إلا عن العمل الدفاعي ولا تتحدث عن عمليات هجومية ، وكانت تخرج من المدينة على أمل أن تنصب كميناً لبعض القوافل المكية ، وليس أكيداً أن أهل المدينة قاموا بدور في هذه الغارات ، ولكن يمكن أن يكونوا اشتركوا فيها"(1).

كما يدعى أنه "لا يوجب دستور المدينة الطاعة ...، وأن الطاعة الكاملة لمحمد في هذا الوقت ، والتي تختلف عن أمر من أوامر القرآن لم تكن واجبة صراحة ، واستمر الحال كذلك حتى غزوة الحديبية "(2).

## التحليل والتقويم

مما سبق يتضح أن وات يحاول أن يقلل من قدر النبي (ﷺ) وهيبته في أعين أتباعه، ويريد كذلك أن يقلل من قدرته على قيادة المجتمع المدني الجديد ، وأن يظهر عدم قبولهم لحكمه وانصياعهم لأمره إلا بعد أن أجبرهم القرآن على ذلك .  
والحق أن المسلمين "كانوا يخضعون ويستسلمون لأراء الرسول باعتبارها أوامر إلهية لا يجوز معصيتها أو الخروج عنها" (3).

وفى القرآن الكريم ما يؤكد على هذه الطاعة ، فيقول الله تعالى:  
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } النساء : 58 "

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأنْتُمْ تَسْمَعُونَ } الأنفال : آية 20 "

وقوله: " { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } . الأنفال : آية 46 "

وقد توعد القرآن كل من لا يحتكم إلى الرسول في كل أمر فقال :  
{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } . النساء: آية 65 "

وقوله: " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا . الحشر: آية 7 " .

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص351، 352 .

(2) السابق ، ص355 .

(3) د. ساسى سالم حاج : الظاهرة الاستشرافية وأثرها فى الدراسات الإسلامية (172/2، 173).

وقد نص دستور المدينة على ضرورة توقيف النبي (ﷺ) والرجوع إليه كما فى البند (23) ، (42) .

**فالأول يقول :** " وأنكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإن مرده إلى الله وإلى محمد " **والثانى يقول:** " وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فسادة فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله (ﷺ) ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره "

"إن هذين البندين يؤكدان أن الرسول (ﷺ) كان مطاعاً ، وإلا لرفضت الجماعة ذلك" (1).

وأما ما ذهب إليه وات من الاستدلال على ضعف مكانة النبي (ﷺ) فى المدينة بحادث الإفك ، حين افترى هذه الفرية عبد الله بن أبى بن سلول ولم يُقم النبي (ﷺ) عليه حد القذف كما أقامه على بعض أهل الإفك ، فهذا استدلال باطل .  
"لأن النبي (ﷺ) لم يكن متأكدًا من أن ابن أبى هو مصدر الإشاعة وناشرها . وأنه عندما ثبت القذف على حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة جُلدا حدًا " (2).

وفى هذا يقول ابن القيم - يرحمه الله - :

"ولم يُحَدِّد الخبيث عبد الله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك فقيل : لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة ، والخبيث ليس أهلاً لذلك وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة فيكفيه ذلك عن الحد وقيل : بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه وقيل : الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو ببينة وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين ، وقيل : حد القذف حق الأدمي لا يستوفى إلا بمطالبتة وإن قيل: إنه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أبي ، وقيل : بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مراراً وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام فإنه كان مطاعاً فيهم رئيساً عليهم فلم تؤمن إثارة الفتنة في حده ولعله ترك لهذه الوجوه كلها" (3) .

وهنا تظهر واقعية الإسلام وعدله في تطبيق حدوده حتى مع أعدائه ، كما يظهر حرص النبي (ﷺ) على تأليف قلوب الأعداء إلى الإسلام ، ومعاملتهم بمبدأ العفو والصفح ؛ لأن ذلك يتماشى مع المصلحة العليا للإسلام ، فكانت النتيجة أن اعتنقه كثير منهم . ومن استمر منهم على النفاق فضحه الله كما قال تعالى عنهم :  
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ {204} وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ {205} وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ {206} . البقرة .

- 
- (1) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص 124 .  
(2) د. ساسى سالم حاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية (173/2) .  
(3) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط ط 14 مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت ، 1407 - 1986 (229/3).  
والدليل الثاني على ضعف مكانة النبي (ﷺ) في المدينة - كما يزعم وات - هو تفويض النبي سعد بن معاذ ، في قتل يهود بنى قريظة دون أن يحكم فيهم بنفسه. وهذا تفسير خاطئ ؛ "لأن من سياسة الرسول (ﷺ) والإسلام الأساسية اتخاذ جميع القرارات ، خاصة المصيرية منها بالتشاور مع أصحابه . ومبدأ الشورى من أهم المبادئ الإسلامية التي جاء بها لتنظيم شئون الدولة السياسية والاجتماعية ويضاف إلى ذلك أن قيام الرسول بإنفاذ مهمة الحكم على بنى قريظة التي خانت موثيقها مع المسلمين ونكلت عن عهودها معهم بحليفهم وهو (سعد بن معاذ) يدل على حسن سياسى فى غاية السموّ والرقىّ ، ولا يدل على الضعف والخور . ولو اتخذ الرسول مثل هذه القرارات من تلقاء نفسه لوجد حلفاء بنى قريظة عليه ، ولألمتهم هذه الإجراءات القاسية التي اتخذت ضد حلفائهم الطبيعيين ، ولكان فى النفس منها شئ كثير . ولكن اتخاذ الإجراءات الدالة على حسن السياسة والتصرف ، والتي تأخذ بعين الاعتبار الظروف المحيطة بالوقائع المطروحة فى إطار زمانها ومكانها - يدل على الحصافة والسياسة والذكاء الخارق لا على خلافها" (1).

ثم إن الرواية الواردة بهذا الشأن لا تدل على ضعف مكانة النبي (ﷺ) . لقد طلبت قبيلة الأوس من رسول الله (ﷺ) العفو عن بني قريظة كما سبق أن عفا عن بني قينقاع ، فجعل النبي (ﷺ) سعد بن معاذ (زعيم الأوس) – والتي كانت قريظة حليفة لها – حَكَمًا عليهم ، فَحَكَمَ فِيهِمْ بِأَنْ "تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُسَبَى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ ، فَقَالَ الرَّسُولُ (ﷺ) لَهُ : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ" (2).

ثم إن الرواية السابقة يُفهم منها أن النبي (ﷺ) لم يكن ضعيف الكلمة والمكانة والمهابة فيهم ، بل لقد فعل ذلك إرضاءً لقبيلة الأوس وحكم فيهم سعد بن معاذ وأقر حكمه ؛ حتى لا يبدو النبي مُفْتَاتًا عليهم ، منتقمًا منهم . ثم يدعى وات أن بيعة العقبة لم تشمل حديثًا عن أى عمل هجومي ، بل كانت اتفاقًا على الدفاع عن النبي فقط ، لكن النبي قد خالف ذلك الاتفاق وقام بالكثير من السرايا والغزوات . كما يدعى أن المهاجرين فقط هم الذين اشتركوا في الغزوات الأولى دون الأنصار ، يريد بذلك أن يدل على تخاذل الأنصار عن الرسول (ﷺ) .

ويرد قول وات ؛ أن هذه البيعة معروفة باسم "بيعة الحرب" (3) . والحرب دفاع وهجوم معًا ، وقد اشتملت هذه البيعة على الحرب مع رسول الله ؛ دفاعًا وهجومًا . ويتضح ذلك من نص البيعة وفيها :

- 
- (1) د.ساسى سالم حاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، (173/2 ، 174) .  
(2) السيرة النبوية لابن هشام (239/2 ، 240) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (426/3) .  
(3) السيرة النبوية لابن هشام (454/1) .

"..... قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُضَلَّةَ (\*): وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مَنَى غَدًا بِأَسْيَافِنَا ؟ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لَمْ نُؤْمَرْ . بِذَلِكَ وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ . قَالَ فَرَجَعْنَا إِلَى مَضَاجِعِنَا ، فَنَمْنَا عَلَيْهَا حَتَّى أَصْبَحْنَا" (1) .

ومن الرواية السابقة يتضح أن بيعة العقبة كانت قائمة على الدفاع والهجوم معًا . أما اشتراك المهاجرين دون الأنصار في السرايا الأولى ، فسبب ذلك : "أنهم موتورون من قبلها فقد اضطهدهم قومهم ونكّلوا بهم وساموهم سوء العذاب ثم طردوهم من ديارهم واستولوا على أموالهم وممتلكاتهم . وهذه الأمور مجتمعة أدت بالمهاجرين إلى الترسّد للقوافل التجارية القرشية ؛ عليهم بهجومهم عليها يستردون جزءًا من حقوقهم المسلوبة ، ويثأرون للظلم والاضطهاد الذى حاق بهم ، ولكن بعد أن اتسع نطاق العمليات الحربية . وبعد أن فرضت الحروب على المسلمين وأصبح

الجهاد ركنا أساسيا ، اشترك المهاجرون والأنصار فى جميع العمليات العسكرية التى دارت رَحَاها بين المسلمين وأعدائهم "(2).

نعم ، لقد أراد المسلمون استرداد بعض حقوقهم المسلوبة التى هضمها كفار قريش ، وقد بين القرآن الكريم مدى الظلم الذى وقع عليهم بقوله تعالى : **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**{39} **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**{40}. الحج : 39 ، 40 .

أو يمكن أن يكون النبى (ﷺ) قد قصد بهذه السرايا : "إرهاب اليهود المقيمين معه فى المدينة ؛ لأنهم لما رأوه مستقلا فى عباداته ومعاملاته ، وأخذ شأنه يسمو ويرتفع ناصبوه العداء وقاتلوه بالسيف والقلم ، وقد كان النبى على علم بدواخل نفوسهم فأراد أن يزرع الخوف فى قلوبهم حتى لا يبادروا بالاعتداء عليه "(3). ومما يؤكد ذلك أن اليهود ما تجرؤوا على النبى (ﷺ) إلا بعد هزيمة المسلمين فى غزوة أحد .

ومن ثم ، فإن ادعاءات وات مردوة عليه ؛ لما سقت من أدلة .

(\*) العباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف الأنصاري الخزرجي. من أصحاب العقبة. الإصابة ، وأقام العباس بمكة حتى هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فهاجر ، وكان أنصاريًا مهاجريًا ، واستشهد بأحد (510/3) .

(1) السيرة النبوية لابن هشام ، (447/1).

(2) د.سالى سالم حاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية (176/2) .

(3) السابق (177/2) بتصرف يسير .

## حماية الحياة والملكية

يرى وات أن النبى (ﷺ) قد أخذ من العادات والتقاليد الجاهلية ، وحذف منها وزاد عليها ، وطوّرها حتى أخذت شكل التشريع السماوى ، فيقول :  
"ونستطيع القول : إن محمداً احتفظ على العموم بالمبادئ الأساسية للنظام ، وأنه حاول إصلاح ما فيه من مظاهر الاستغلال الخطيرة ، أى أن التجديد الرئيسى الذى أحدثه محمد ليس تجديداً قطً "(1).

ويقول : "ويبدو أن الإصلاحات التى جاء بها محمد فى القضايا المتعلقة بسلامة الحياة والممتلكات قليلة الأهمية ولم تكن - مع ذلك - عديمة الجدوى بل كانت فعالة"(2).

## التحليل والتقويم

يَحْسُنُ فِي الْبَدَايَةِ أَنْ أَقُولَ : إِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَصُبَّ جَامِ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ عَلَى عَادَاتِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ أَقْرَ الْخِصَالَ الطَّيِّبَةَ مِنْهَا ، كَالشَّجَاعَةَ ، وَالكَرَمَ ، وَحَسْنَ الْخَلْقِ ، وَالشَّعْرَ الْحَسَنَ . وَلَقَدْ مَدَحَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَحَدَ الشُّعْرَاءِ بِقَوْلِهِ :

" أَشْعُرُ كَلِمَةً تَكَلَّمْتُ بِهَا الْعَرَبُ كَلِمَةً لَبِيدٌ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ " (3).

كَمَا ذَكَرَ حَاتِمُ الطَّائِيِّ بَخِيرًا ، وَإِنْ بَيَّنَّ أَنْ كَرَمَهُ لَنْ يَنْفَعَهُ فِي الْآخِرَةِ :

" فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّجِمَ ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ ، فَهَلْ لَهُ فِي ذَلِكَ يَعْني مِنْ أَجْرٍ ؟ قَالَ : " إِنَّ أَبَاكَ طَلَبَ أَمْرًا ، فَأَصَابَهُ " (4).

وَفِي رِوَايَةٍ " إِنَّ أَبَاكَ أَرَادَ أَمْرًا فَأَدْرَكَهُ ، يَعْني : الذِّكْرَ " (5).

يَقُولُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ - بِرَحْمَةِ اللَّهِ - :

" لَقَدْ كَانَ لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ خَلَائِقُ أَزْكَى ، يَرْسُمُ مَعَالِمَهَا حَاتِمُ الطَّائِي ( \* ) وَهُوَ يَقُولُ لَزَوْجَتِهِ :

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ ، فَالْتَمَسِي لَهُ أَكِيلاً \*\*\* فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي !!  
أَخَا طَارِقًا ، أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنْنِي \*\*\* أَخَافُ مَذْمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي  
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا ! \*\*\* وَمَا فِي إِيَّاكَ مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ ! " (6)  
وَمِنْ جَمِيلِ مَا قَالَ أَحَدُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مُوَافِقًا لِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ :

" وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي \*\*\* حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَا وَاهَا " (7)

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 403 .

(2) السابق ، ص 414 .

(3) صحيح مسلم : أول كتاب الشعر ، رقم (2256).

(4) مسند أحمد (129/32) رقم 19386 ، وقال شعيب الأرووط : حسن .

(5) مسند أحمد (200/30) ، رقم (18262) ، وقال شعيب الأرووط : حديث حسن .

( \* ) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني : فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي . يضرب المثل بوجوده . كان من أهل نجد ، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية ، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيب) ، وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، ط 15 ، دار العلم للملايين ، 2002 م ، (151/2)

(6) محمد الغزالي : المرأة في الإسلام بين التقاليد الراكدة والوافدة ط 1 : دار نهضة مصر ، ص 33 .

(7) ديوان عنتره العبسي ، ط 4 ، مطبعة الآداب - بيروت ، 1893 م ، ص 93 .

يَقُولُ الْأُسْتَاذُ / أَحْمَدُ أَمِين ( \* ) : " لَقَدْ تَعَرَّضَ الْإِسْلَامُ لِلْقَانُونِ الْجَاهِلِيِّ ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَعَرَفَ الْعَرَبُ وَتَقَالِيدَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَقْرَّ بَعْضًا وَأَنْكَرَ بَعْضًا وَعَدَّلَ بَعْضًا " (1) . وَهَكَذَا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ أَخَذَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مَا كَانَ صَالِحًا وَدَعَا إِلَيْهِ ، وَرَدَّ مَا كَانَ فَاسِدًا وَنَهَى عَنْهُ . وَقَدْ رَكَّزَ وَاتَّ عَلَى شَرِيعَةِ الْقِصَاصِ فِي الْإِسْلَامِ ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ تَطْبِيقَهُ وَالْحُكْمَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ - بِزَعْمِهِ - اعْتِرَافٌ مِنَ النَّبِيِّ بِعَادَةِ الثَّأْرِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَالْحَقُّ ، أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يُبِحِ الثَّأْرَ وَإِنَّمَا أَبَاحَ الْقِصَاصَ " وَالْفَرْقُ بَيْنَ الثَّأْرِ وَالْقِصَاصِ : أَنَّ الْقِصَاصَ يَدُلُّ عَلَى الْمَسَاوَاةِ فِي الْقَتْلِ أَوْ الْجِرْحِ ، أَمَّا الثَّأْرُ فَلَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بَلْ رُبَّمَا دَلَّ عَلَى الْمَغَالَاةِ لِمَا فِي مَعْنَاهُ مِنْ انْتِشَارِ الْغَضَبِ وَطَلَبِ الدَّمِ وَإِسَالَتِهِ " (2) .

وَيَخْتَلِفُ الثَّأْرُ عَنِ الْقِصَاصِ ، فِيمَا يَلِي :

- 1- إن استيفاء القصاص لا بد له من إذن الإمام ، فإن استوفاه صاحب الحق بدون إذنه وقع موقعه ، وعُزِّر لأفتيائه على الإمام .
  - 2- أن إباحة الإسلام للثأر مقيدة بعدم التعدي على غير القاتل ؛ ولذلك حرّم الإسلام ما كان شائعاً في الجاهلية من قتل غير القاتل ، ومن الإسراف في القتل ، لما في ذلك من الظلم والبغي والعدوان . قال الله تعالى : وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ (الإسراء 33).
  - 3- القصاص يردع القاتل عن القتل لأنه إذا علم أنه يقتص منه كف عن القتل بينما الثأر يؤدي إلى الفتن والعداوات .
  - 4- القصاص يُقتصر فيه على الجاني فلا يُؤخذ غيره بجريته ، في حين أن الثأر لا يبالي وليّ الدم في الانتقام من الجاني أو أسرته أو قبيلته (3).
- وهذا من تنظيم الإسلام لتطبيق شريعة القصاص ، فالإسلام قد وضع قوانيناً لكيفية تطبيق القصاص بحيث يُقتص من القاتل بلا تزئيد ولا نقصان بخلاف الثأر فباب الفوضى فيه مفتوح على مصراعيه بلا ضابطٍ أو رابطٍ .
- ومن ضوابط القصاص في الإسلام ، ما ذكره الشهيد عبدالقادر عودة - يرحمه الله - حيث قال : "والأصل أن عقوبات جرائم القصاص كغيرها من العقوبات ، متروك لأولى الأمر ، لكن أجاز استثناء أن يستوفى القصاص بمعرفة وليّ الدم أو المجنى عليه ، والأصل في ذلك قوله تعالى : "وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ... الإسراء : آية 33" . ومن المتفق عليه أن لولى المجنى عليه حق استيفاء القصاص في القتل بشرط أن يكون الاستيفاء تحت إشراف السلطان لأنه أمر يفترق إلى الاجتهاد ويحرم فيه الحيف ولأنه لا يؤمن الحيف من المقتص مع قصد التشفى ، لكن إذا استوفاه في غير حضور السلطان وقع الموقع أى وقع الفعل قصاصاً ، وعُدّ المستوفى لأفتيائه على السلطان ، وفعله ما منع من فعله وينظر =

(\*) "أحمد أمين" صاحب كتاب فجر الإسلام وضحي الإسلام، وهو من رواد الباحثين في الحياة العقلية الإسلامية، وقد بدأ حياته أزهرياً ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي، وعيّن مدرساً بها، ثم أصبح قاضياً شرعياً، وأطلق عليه اسم "العدل" لتحريره إياه. والتحق بالجامعة أستاذاً فعميداً فطبقت شهرته الأفاق، وكانت كلمته "أريد أن أعمل لا أن أسيطر" عنواناً على حياته العلمية الحافلة. انظر موقع قصة الإسلام على الإنترنت . إشراف د. راغب السرجاني .

(1) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، 1933م ، ص227 .

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، د. ت (5/15).

(3) السابق ، (7/15، 8) بتصرف يسير.

السلطان إلى الولي فإن كان يحسن الاستيفاء ويقدر عليه بالقوة والمعرفة اللازمة مكنه منه ، وإن كان لا يحسن الاستيفاء، أمره أن يوكل غيره ؛ لأنه عاجز عن استيفاء حقه " (1).

**يقول ابن تيمية :** "إن أولياء المقتول تغلي قلوبهم بالغيظ ، حتى يؤثر أن يقتلوا القاتل وأولياءه ، وربما لم يرضوا بقتل القاتل ، بل يقتلون كثيراً من أصحاب القاتل كسيّد القبيلة ومقدم الطائفة ، فيكون القاتل قد اعتدى في الابتداء ، وتعدى هؤلاء في الاستيفاء ، كما كان يفعله أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة في هذه الأوقات ، من الأعراب والحاضرة وغيرهم . وقد يستعظمون قتل القاتل لكونه عظيماً أشرف

من المقتول ، فيفضي ذلك إلى أن أولياء المقتول يقتلون من قدروا عليه من أولياء القاتل ، وربما حالف هؤلاء قوماً واستعانوا بهم ، وهؤلاء قوماً ، فيفضي إلى الفتن والعداوات العظيمة . وسبب ذلك خروجهم عن سنن العدل الذي هو القصاص في القتلى ، فكتب الله علينا القصاص - وهو المساواة والمعادلة في القتلى- وأخبر أن فيه حياة ؛ فإنه يحقن دم غير القاتل من أولياء الرجلين . وأيضاً فإذا علم من يريد القتل أنه يقتل كف عن القتل وبذلك يتعرض الأبرياء للقتل دون ذنب جنوه" (2) .

ومما سبق يتضح أن القصاص له أصل في القديم ، وكان معروفاً في الجاهلية (بالتأثر) فأخذ الإسلام ما يصلح منه وهو معاقبة المعتدى ، وترك الإسراف في هذه المعاقبة .

ومن هنا فقد نُقِرَّ الشريعة الإسلامية بعض الأعراف والتشريعات القديمة من حيث الأصل متى وافقت تعاليم الإسلام .

فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه ؛ متحدثاً عن عبدالمطلب جدّ الرسول (ﷺ) :  
"....ورفض (عبدالمطلب) عبادة الأصنام ووحد الله عز وجل ، ووفى بالندى، وسننا نزل القرآن بأكثرها ، وجاءت السنة من رسول الله بها وهي : الوفاء بالندى، ومائة من الإبل في الدية ، وألا تنكح ذات محرم، ولا تؤتي البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، والمباهلة (\*) ، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا، والحد عليه ، والقرعة ، وألا يطوف أحد بالبيت عرياناً ، وإضافة الضيف ، وألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم ، وتعظيم الأشهر الحرم ، ونفى ذوات الرايات" (3).

(1)عبدالقادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ، ط دار الكاتب العربي - بيروت، د.ت (757/1).

(2)ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، 1418هـ (144، 145).

(\*)المباهلة هي الملاعنة ، ومعناها : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شئ فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا . انظر، الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، سابق (286/3) .

(3)تاريخ اليعقوبي ، ط دار صادر- بيروت 1960م ، 1379هـ (108/1).

وهذا كله موافق لأخلاق الإسلام وتعاليمه ومقاصده ، كما أنه موافق للفطرة الإسلامية التي تأبى كل ما هو خبيث ، وتستعذب كل ما هو طيب . فلو كان الإسلام رجلاً لجاءت الفطرة ثوباً مُفصلاً على قَدِهِ .

**يقول الدكتور / أبو سنة :**

"كان للشارع اهتمام عظيم بمراعاة العرف الصالح فيما يشرع من الأحكام حتى يسهل عليهم قبولها ، ولا يضيق ذرعاً بتطبيقها ، وكان للعرف الصحيح أثرٌ بالغ في شرع القانون الإسلامي ؛ ذلك بأن الإسلام إنما جاء لإصلاح ما فسد من أمر الناس، وتجديد ما رث من الشرائع السابقة ، فلم يكن من طبعه نسخ عادات صالحة ولا هدم شرائع عادلة ، ولا استنكار مدنيات فاضلة ، بل ما كان منها كفيلاً بالمصالح أقره ، واعتبره من شريعته ، ودبر به أمر الناس ، لكن لا على أنه عادة ، بل على أنه دين

فيه مصالح العباد فى المعاش والمعاد ؛ لأن الشارع لما أحترم العرف بتقريره ، فقد شرعه للناس ، وبهذا أخذ صفة الدين المقدس . فقد كان للأمة العربية عرف راشد فى المعاملات المالية وآخر فى الأحوال الشخصية ، وثالث فى العقوبات ومثله فى الشعائر ، إلى غير ذلك " (1).

وفى هذا دليل على أن الإسلام كان يراعى الأعراف الصالحة المعتمدة عند الناس ، والتي كانت سائدة قبل الإسلام ؛ ولذا صار العرف عند علماء الشريعة الإسلامية مصدرًا من مصادر التشريع له حجته المعتمدة ، وصارت الأحكام تتغير بتغير أعراف الناس وعوائدهم .

"ولهذا قال العلماء : العادة شريعة مُحَكَّمة ، والعرف فى الشرع له اعتبار " (2) .

هذا .. وإن أهم ما يميز التشريع الإسلامى عن غيره من تشريعات الجاهلية أنه تشريع يترتب عليه ثواب وعقاب أخرويان .

فلقد "حذرت الشريعة الإسلامية من ارتكاب المحرمات على وجه العموم ، منذرة بعقوبة الآخرة ، على صورة تثير فى نفوس المؤمنين شدة الخوف من الإقدام على شئ منها ، وتدفع فى الوقت نفسه عن المجتمع كثيرًا من شرورها ، ثم وضعت لبعض الجنايات عقوبات دنيوية إلى جانب العقوبات الأخروية حتى يتأذى فى دفعها وزجر الناس عنها ، رادع الدين ورادع السلطان " (3).

وبذلك يتضح خطأ ادعاءات وات بأن النبى (ﷺ) قد جعل التقاليد الجاهلية أساسًا له فى التشريع الإسلامى ، وأنه عمل على تنميقها وإعادة صياغتها حتى خرجت إلينا على صورة تشريعات . وكل ما فى الأمر أن الإسلام أقر بعض الأعراف السائدة قبل الإسلام والتي تدعو إلى الفضائل ، كما عمل على تهذيب بعضها ، ورفض البعض الآخر الذى ينافى أحكام الإسلام ومقاصده .

(\*) د. أحمد فهمى أبو سنة . ولد بمركز الصف محافظة الجيزة بمصر سنة 1909م ، أدرك الدراسة بالأزهر على النظام القديم بالجامع الأزهر ، ثم فى كلية الشريعة بعد افتتاحها ، فى عهد شيخ الأزهر الظواهري ، ثم التحق شيخنا بالدراسات العليا ليشغل بإعداد رسالته العرف والعادة فى رأى الفقهاء والأصوليين . انظر موقع روض الرباحين على الإنترنت .

(1) د. أحمد فهمى أبو سنة : العرف والعادة فى رأى الفقهاء - عرض نظرية فى التشريع الإسلامى ، ط مطبعة الأزهر ، 1947م ، ص 69 ، 70 .

(2) د. عبدالوهاب خلاف : أصول الفقه ، ط مكتبة الدعوة - شباب الأزهر ، عن الطبعة الثامنة لدار القلم ، دت ، ص 90 .

(3) الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، ط 18 ، دار الشروق ، 1421هـ ، 2001م ، ص 27 .

## الزواج والعائلة

يتكلم عن المرأة فى النظام الأسمى - على حد تعبيره - فيقول : (كانت تبقى فى مواطن العائلة ويأتى الأزواج بين حين وآخر ، وهكذا كان للمرأة غالبًا عدة أزواج (زائرين) فى نفس الوقت " (2).

### تحليل وتقويم

"إن وات حينما يذكر أن النظام الأمي - بكل فحشائه - قد استمر قرناً كاملاً بعد الهجرة النبوية ، فمعنى هذا استمرار هذا النظام طيلة عهد النبي (ﷺ) وخلفائه وإلى قريب من نهاية دولة بنى أمية ، وهذا مالا يمكن تصديقه نظراً لتوسع الدولة الإسلامية إلى خارج حدود الجزيرة العربية التي كانت تتبع هذا النظام الأمي في الجاهلية ، فإذا ما دخلت في النظام الإسلامي فمعنى هذا أن تتخلى تلقائياً عن ما يناقض الشريعة الإسلامية ، ولا يعطى وات مثلاً على استمرار هذا النظام في العصر الإسلامي ولكن يفترض من غير دليل " (3).

ويمضى وات في طريقه لإثبات انتشار الفاحشة في عصر الرسول (ﷺ) فيقول :  
"يبدو أن القرآن أجاز بعض الوقت للاتصالات الموقوتة بنساء متعدّدات الأزواج ، وتسهّل الآية (25) من السورة (4) ترك تعدد الأزواج وتجعل من الممكن الزواج الحقيقي للذين لا يستطيعون الزواج بسبب فقرهم من امرأة ترغب في أن يكون لها زوج واحد " (4).

إن وات يشير من خلال كلامه السابق إلى قول الله تعالى : وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَانكِحُوا فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . النساء : آية 25 .

(2) السابق ، ص 415 .

(3) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص 133 .

(4) مونتجرى وات : محمد في المدينة ، ص 426 .

ومن الواضح أن وات قد حمل الآية ما لا تحتل ، فالقرآن لم يبيح أبداً الاتصال بامرأة متزوجة ؛ لأن هذا الاتصال في الإسلام يسمى (زنا) .

**ومعنى الآية :** "ومن لم يكن منكم ذا سعة وقدرة أن يتزوج الحرائر المؤمنات فله أن ينكح من الإماء المؤمنات اللاتي يملكنه المؤمنون ، ويكفي معرفة إيمانهن في الظاهر والله يتولى السرائر . ولا تستنكفوا من نكاحهن فرّب أمة خير من حرّة ، فالعبرة بفضل الإيمان لا بفضل الأحساب والأنساب . وادفعوا لهن مهورهن عن طيب نفس ولا تبخسوهن منه شيئاً استهانة بهن ؛ لكونهن إماء مملوكات ، وخذوهن عفيفات غير مجاهرات بالزنا ولا مستنترات به مع أخدانهن (والخدن هو الصديق للمرأة الذي يزني بها سرا) فإذا أحصن بالزواج ثم زنين فعليهن نصف ما على

الحرائر من عقوبة الزنا ، وقد أبيض نكاح الإمام لمن خاف على نفسه الوقوع فى الزنا ، وصبركم وتعففكم عن نكاحهن أفضل ؛ لتلا يصير الولد رقيقاً" (1).

فالآية لا تشير إلى زعم وات من قريب ولا من بعيد . وغاية ما يفهم منها : أن الزواج بالإمام مباح كعلاج مؤقت لمن لا يستطيعون الزواج بالحرّة ، وإن كان الزواج بالحرّة أفضل .  
وقوله تعالى فى وصف هؤلاء الإمام بكونهن (محصنات غير مسافحات) ردّ على وات فى ادعائه بأن القرآن أباح الاتصال بنساء متعدّدات الأزواج ، لكن يبدو أن وات لا يعرف احكام الإمام فى الإسلام .

ويتكلم وات عن حدّ الزنا فيقول :  
"ويقترح القرآن سياسة التمييز العنصرى حيالهم ، فيحكم على الزانية والزانى الذين اتصلا سرّاً وبدون مراعاة العدة بضرب كل منهما (مائة جلدة) ويحرم عليها الزواج من المؤمنين ، ويقول القرآن فى نفس السورة :  
(الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشرّكة ، والزانية لا ينكحها إلا زان) (\*) كان القرآن يأمل فى تصنيف الذين ظلوا متعلقين بالعادات القديمة ، كل طائفة على حدة " (2).

ويشير وات من خلال كلامه السابق إلى الآيات الأولى من سورة النور ، ويعتبر الفصل بين الزناة وجماعة المسلمين فى مسألة الزواج تمييزاً عنصرياً . والحق أنه عقوبة اجتماعية تجعلهم محتقرين فى أعين الناس .

---

(1) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، (263/1) بتصريف يسير .

(\*) ليس هذا نص الآية ، بل ترجمة وات للآية .

(2) مونجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 427 .

### يقول صاحب الظلال:

"فالذين يرتكبون هذه الفعلة لا يرتكبونها وهم مؤمنون . إنما يكونون فى حالة نفسية بعيدة عن الإيمان وعن مشاعر الإيمان . وبعد ارتكابها لا ترتضى النفس المؤمنة أن ترتبط فى نكاح مع نفس خرجت عن الإيمان بتلك الفعلة البشعة لأنها تنفر من هذا الرباط وتشمئز . حتى لقد ذهب الإمام أحمد إلى تحريم مثل هذا الرباط بين زانٍ وعفيفة ، وبين عفيف وزانية إلا أن تقع التوبة التى تطهر من ذلك الدّنس المنفر . وعلى أية حال فالآية نفيده نفور طبع المؤمن من نكاح الزانية ، ونفور طبع المؤمنة من نكاح الزانى واستبعاد وقوع هذا الرباط بلفظ التحريم الدال على شدة الاستبعاد :

«وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» وبذلك تقطع الوشائج التي تربط هذا الصنف المدنس من الناس بالجماعة المسلمة الطاهرة النظيفة... وعلى أية حال فهي فعلة تعزل فاعلها عن الجماعة المسلمة وتقطع ما بينه وبينها من روابط. وهذه وحدها عقوبة اجتماعية أليمة كعقوبة الجلد أو أشد وقعا"(1).

إن الإسلام يضع من يمارسون الزنا(\*) فى مرتبة دون مرتبة البشر ؛ لأنهم عناصر شاذة أشبه بالسوس الذى ينخر فى الخشب أو الجراثيم التى تقضى على كل أخضر ويابس .

فالإسلام يريد أن يقيم سياجا من العفة بين الزناة والأطهار ، كما أن اعتزال الناس لهم نوع من الزجر بالهجر .

ويقول وات : "ربما استوحى محمد فى بعض الأفكار المتعلقة بروابط القرابة التى تحرم الزواج من الديانة اليهودية ، ولكن النبى يختلف عن اليهود فى تحريم الزواج من ابنة الأخ أو الأخت . وكان (محمد ﷺ) يرغب حقاً فى أن يتفق الوحي الذى ينزل عليه مع الوحي القديم ، وكان فى نفس الوقت على اطلاع واسع على مشاكل بيئته ، فهو لم يتبين بصورة عمياء التشريعات اليهودية حباً بالاتفاق ، بل لأن التشريعات المأخوذة كانت تلائم الظروف فى المدينة "(2).

ويتضح مما سبق : "أن وات يعتبر النبى (ﷺ) هو المشرع ، وليس (الله) سبحانه وتعالى ، وأن التشريعات قاصرة على مجتمع المدينة . وهذا يؤدى إلى فكرتين ، الأولى : نبوة سيدنا محمد (ﷺ) ، والثانية : نفى عالمية الرسالة الإسلامية وديمومتها. إن عملية التحليل والتحرير شأن إلهى لا دخل للنبى (ﷺ) فيها ، وإن تلاقى الأديان فى التشريعات إنما مرده إلى وحدة مصدرها وهو الله سبحانه وتعالى"(3).

(1) سيد قطب : تفسير الظلال ، (4/2488) .

(\*) أقصد الذين لم يتوبوا من هذه الجريمة الشنعاء ، وإلا فماعز والغامدية تابا وقبلت توبتهما ، وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة . وهذا من توجيهات السيد المناقش الدكتور / محمد شعيب .

(2) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص432 .

(3) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة ، ص134 .

إن التشريع حق لله وحده دون غيره ، وفى القرآن ما يدل إسناد التشريع لله وحده ، قال تعالى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ . الشورى : 13 " .

وفى السنة أيضا ما يدل على ذلك :

" إن الله شرع لنبىكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ... "(1) .

وهذا لا ينفى أن تكون سنة النبي (ﷺ) تشريعاً للأمة ، على اعتبار أن الله هو الذى رفع كلام نبيه وأسبغ عليه صفة التشريع الإلهي انطلاقاً من قوله تعالى :  
"وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . النجم : 4 " .  
ولو لم تكن سنة النبي (ﷺ) تشريعاً من عند الله وبإذنه لما أمرنا سبحانه بطاعة نبيه وإتباع أوامره ، ولما حذرنا من معصيته ، قال تعالى عن ذلك :  
"وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
الحشر : 7"  
فتشريع النبي (ﷺ) للأمة - فى حقيقة الأمر - ما هو إلا تبليغ عن الله تعالى .

كما يقول وات : "وكان يقال فى الإسلام ، إن المهر كان ملك المرأة ولكن لم يطبق ذلك ، ولا يذكر القرآن المهر إلا بصورة عارضة عند حديثه عن الطلاق" (2).

وهذا محض افتراء من وات ، فلقد كان المهر حقاً مفروضاً من حقوق المرأة فى الإسلام وحتى قبل الإسلام ، وفى ذلك يقول الدكتور/ أبو سنة - يرحمه الله - :  
"فقد كان لهم (يعنى : أهل الجاهلية) زواج كنظام الإسلام ، تخطب فيه المرأة إلى وليها وتعطى صداقها" (3).

ويؤكد انتشار هذا العرف قبل الإسلام ، ما جاء فى صحيح البخارى عن عائشة :  
"أَنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَىٰ أَرْبَعَةٍ أَنْحَاءٍ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ أَوْ ابْنَتَهُ فَيُصَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا... " (4).

وقد أقر الإسلام ذلك بقول الله تعالى :  
"وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً... النساء : آية 4 " .  
وقوله تعالى : "فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً... النساء : آية 24".

(1) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ، رقم : 654 .

(2) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 433 .

(3) د. أحمد فهمى أبو سنة : العرف والعادة فى رأى الفقهاء ، ص 71 .

(4) صحيح البخارى : كتاب : النكاح ، باب : مَنْ قَالَ لِي نِكَاحٌ إِنِّي بَوْلِي ، رقم 5127 .

وَعَنْ أَنَسٍ "أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَىٰ وَزْنِ نَوَاةٍ فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاشَةِ الْعُرْسِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَىٰ وَزْنِ نَوَاةٍ " (1).

و"عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ زَوَّجَهَا النَّجَاشِيَّ وَأَمَهَرَهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَجَهَّرَهَا مِنْ عِنْدِهِ وَبَعَثَ بِهَا مَعَ شَرَحْبِيلِ ابْنِ

حَسَنَةً وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ وَكَانَ مَهْرُ نِسَائِهِ أَرْبَع مِائَةَ دِرْهَمٍ" (2).

ومن النصوص السابقة يتضح لنا أن المهر في الإسلام حق واجب للمرأة ، وهو ملك لها وحدها مقابل استحلال فرجها والاستمتاع بها .

"والمهر ليس شرطاً من شروط الزواج ولكنه حُكم من أحكامه المترتبة عليه ، وأثر من آثار الزوجية التي لا يملك الزوج ولا الزوجة ولا أولياؤها إخلاء الزواج منه" (3).

---

(1) صحيح البخارى، كتاب: النكاح ، باب: قول الله وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ، رقم 4751 .

(2) السنن الكبرى للبيهقى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1411هـ - 1991م ، (315/3) رقم 5512 .

(3) بدران أبو العينين بدران : أحكام الزوج والطلاق في الإسلام — بحث تحليلي ودراسة مقارنة ، ط2 مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، 1961م ، ص 140 .

## تحريم وأد البنات

وحيث يتعرض وات لتحريم الإسلام لعادة وأد البنات ، يقول :

"ولقد قلت الأسباب الداعية لخشية ازدياد السكان فى عهد محمد المتفائل بسبب التوسع فى إعلان الإرادة الإلهية بهذا الصدد دون اعتبار الظروف الاقتصادية دليلاً جديداً على مشاريعه الطويلة الأمد فى توسع الأمة"(1).

### التحليل والتقويم

إن وات يفسر تحريم الإسلام لواد البنات تفسيراً اقتصادياً ، فهو يرى أنه بعد تحسن الحالة الاقتصادية والسياسية لدى المسلمين لم تعد هناك مشكلة من زيادة نسلهم ، ومعنى كلام وات أن تحريم وأد البنات لم يكن سببه النهى الشرعى . وثمة دليل يهدم شبهة وات ، وهو أن النهى عن وأد البنات فى القرآن قد جاء منذ بداية عهد الإسلام فى مكة ، ومن المعروف أن المسلمين فى مكة لم تكن لهم مكانة سياسية ، ولا بحبوحة اقتصادية بل كانوا على العكس من ذلك تماماً ؛ فقراء مضطهدين .

وقد نزلت آيات القرآن المكية تستنكر هذه الجريمة ، بل وتحرمها ، فنزل قول الله :  
وقوله: " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . النحل : آية 58 ، 59"  
وقوله: " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ . الإسراء : آية 31"  
" وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ التكوير : 8 ، 9 ."

كل ذلك كان فى مكة قبل أن تتحسن الظروف السياسية والاقتصادية للمسلمين .

### تحريم الربا

أما حين يتكلم وات عن تحريم الربا بوصفه من الأشياء التى حُرِّمت بالمدينة ، فيرى أن هذا التحريم جاء معادة من الإسلام لليهود معتمداً على أن آيات تحريم الربا مدنية ، فيقول :

"إن تحريم الربا نزل فى أول الفترة المدنية ، وإنه موجه ضد اليهود"(2) .

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 413 .

(2) السابق ، ص 452 .

ويقول عن هذه الآيات : "إنه ليس من آية من هذه الآيات ترجع إلى العهد المكي"(1).

ويؤكد وات زعمه بأن التحريم كان موجهاً فى الأصل ضد اليهود بهذه الآية ، وهى:

"فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّا وَقَدْ هُمَا عَنَّهُ .. النساء : آية 160 ، 161 " ، فيقول :

"ومن الطبيعي بعد أن أقمنا هذه الصلة بين اليهود والربا أن نفكر بأن التهديد بالحرب ضد المرابين المسلمين يقصد في الحقيقة اليهود "(2).

كما يقول : "هكذا أصبحت مسألة الربا جانبًا من الخصومة التي نشأت بين محمد واليهود ، إذ رفض هؤلاء الاعتراف بنبوته ، ولئن كان تحريم الربا موجهاً قبل كل شئ ضد اليهود فهو يخص بعض العرب في المدينة . ويحيط الغموض نهاية هذه المسألة نظرياً وعملياً "(3).

### التحليل والتقويم لتحريم الربا

من الواضح أن وات يسير في طريقه الذي رسمه لنفسه منذ أول كلمة خطها قلمه في بحثه عن السيرة النبوية ، وهو تفسير الوقائع التاريخية ، وأحكام الشريعة الإسلامية تفسيراً مادياً .

فتحريم الربا - في نظره - كان نتيجة لاحتدام الخلاف بين سيدنا محمد (ﷺ) واليهود نتيجة لعدم اعترافهم بنبوته ؛ ومن ثم فقد صبَّ عليهم النبي جامَ سَخَطِهِ وغضبه بأن حرَّم عليهم الربا . وهذا الزعم باطل من عدة وجوه ، وهي :

- 1- أن اليهود ليسوا مخاطبين بأحكام الشريعة الإسلامية ؛ لأنهم غير مسلمين فكيف يحرم عليهم النبي (ﷺ) أو يحل لهم ؟ إنه فقط أمر بتبليغهم بوصفهم من أمة الدعوة.
  - 2- أن آيات تحريم الربا نزلت تخاطب المؤمنين من الناس لا اليهود ، كقوله تعالى :
- "يَا أَيُّهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . البقرة:آية 278"

"وهذا هو الأصل في تحريم الإسلام على أهله المعاملة المعروفة باسم الربا ، وقد جاء وقلوب الناس فارغة من معاني الرحمة والتعاون ، يأكل قويهم ضعيفهم ، ويستغل غنيهم فقيرهم "(4).

(1) السابق ، ص 453 .

(2) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 453 .

(3) السابق ، ص 454 .

(4) الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، سابق ، ص 273 .

3- أن وات قد وضع آية "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ... " فى غير موضعها ، فالآية لم تنزل لتحرم الربا على اليهود ولا على غيرهم ، وإنما نزلت فى معرض الكلام عن فضائح اليهود ، وظلمهم لأنبيائهم ، وبغيهم على غيرهم ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واشتغالهم بالمراباة .

يقول ابن كثير :

"فالله تعالى يخبر أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة ، حَرَّمَ عليهم طبيباتٍ كان أهلها لهم وأن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه ، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه ، وأكلوا أموال الناس بالباطل"(1).

وإذا عشنا الجوّ العام لهذه الآية وما قبلها من آيات نجد أنها لم تنزل لتحريم الربا ابتداءً ، وإنما نزلت تُذَكِّر اليهود بتاريخهم الأسود مع نبي الله موسى عليه السلام .

**يقول الشهيد / سيد قطب :**

" يقصُّ الله على النبي (ﷺ) وعلى الجماعة المسلمة - فى مواجهة اليهود - صفحة من تاريخهم مع نبيهم وقائدهم ومنقذهم موسى - عليه السلام - الذى يزعمون أنهم يؤمنون به ويرفضون التصديق بعبسى من بعده وبمحمد ! إن هذه الجبلية ليست جديدة عليهم وليست طابع هذا الجيل وحده منهم ، إنما هي جبلتهم من قديم . إنهم هُمُ مِنْ عَهْدِ مُوسَى - نبيهم وقائدهم ومنقذهم"(2).

4- ثم إن التعامل بالربا لم يكن مباحًا فى شريعة اليهود حتى يحرمه عليهم القرآن على لسان سيدنا محمد (ﷺ) بقريئة هذه الآية السابق ذكرها : "وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ "

إذن فاليهود منهيون عن التعامل بالربا فى شريعتهم قبل أن يحرمه عليهم سيدنا محمد (ﷺ) .

قال أبو حيان : "والربا مُحَرَّمٌ فى جميع الشرائع"(3).

ولا يبقى بعد هذا آية قيمة علمية لما ساق (وات) من ادعاءات .

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (2/467) .

(2) سيد قطب : تفسير الظلال : (2/799) .

(3) أبو حيان : البحر المحيط ، تحقيق : صدقى محمد جميل ، ط ، دار الفكر - بيروت ، 1420هـ ،

(4/133) .

## تحريم الخمر

يقول وات بشأن أسباب تحريم الخمر في الإسلام :

"ربما تدخلت اعتبارات سياسية بموضوع التحريم ؛ لأن الخمر : أى عصير العنب الصافى كان يُستورد من سورية والعراق ؛ ولهذا فإن شرب الخمر يؤدي إلى إفادة العدو" (1).

## التحليل والتقويم لتحريم الخمر

إن تحريم الخمر لم يكن لاعتبارات سياسية رآها النبي (ﷺ) ، وإنما كان تشريعاً من الله عز وجل "فتحريم الخمر مصدره القرآن" (2).

والغرض من هذا التشريع ، حماية العقل الذى هو أحد الضروريات التى جاء الإسلام لحفظها ؛ ولأن الخمر "أم الخبائث كما قال عنها الإسلام ، وأنها مفسدة للعقل والصحة والمال" (3).

إن تحريم الخمر كان مردّه إلى الأمر الإلهي ، كما فى قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . المائدة: 90 " .

أما ادعاء وات بأن العنب كان يُستورد من سورية والعراق ، وهذه البلاد لم تكن مسلمة آنذاك وفى هذه الحال فإن فى ذلك منفعة اقتصادية لبلاد غير إسلامية .

وإن هذا الادعاء يسقط إذا علمنا أن سورية والعراق قد فتحهما المسلمون بعد ذلك ، وتمّ ضمّهما إلى البلاد الإسلامية ، فلماذا لم يُيح النبي (ﷺ) الخمر بعد أن فتح هذين البلدين ما دامت علة التحريم قد انتفتت ؟ وما دام الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا؟

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص456، 457 .

(2) عبدالقدر عودة : التشريع الجنائى فى الإسلام (1/ 649) .

(3) السابق (1/651).

## الادعاء بأن الإسلام استلهم أركانه الخمسة من اليهودية

يتكلم وات عن أركان الإسلام الخمسة ، فيرى أن الإسلام قد تأثر بالشرعية اليهودية فى هذه الخمسة الأركان ، ويرى أن هناك تشابهاً بينها وبين عبادات اليهود والنصارى ، فيقول عن الصلاة :

"ولما نظمت الصلاة فيما بعد على أيدي الفقهاء الدينيين أصبح على كل مسلم أن يؤديها خمس مرات فى اليوم ، ومن الممكن أنه خلال سنوات النبى الأخيرة لم يُحترم فرض الصلوات الخمس بانتظام ، وقد حذفت صلاة العشاء العزيزة على قلوب المكيبين من أتباع محمد فى المدينة ، وتدل جملة فى القرآن أنه كان يجب تأدية ثلاث صلوات فى اليوم "(1).

وينحصر الرد على وات فى ثلاث نقاط ، وهى :

1- ادعاؤه أن الفقهاء هم الذين نظموا عدد ركعات الصلاة ، وكأن الفقهاء لهم حق التشريع فى الدين .

### التحليل والتقويم

والحق أن الذى شرع الصلاة ابتداء ثم نظمها وطوّرها - مراعاة لسنة التدرج فى التشريع بل فى الكون عامة - هو الله سبحانه وتعالى .

والمسلمون يعلمون أن الصلاة شرعت ليلة الإسراء والمعراج قبل أن يوجد فقيه واحد ، فقد روى البخارى عن أنس بن مالك : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الإسراء الطويل : ".... فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ أُمَّتِي حَمْسِينَ صَلَاةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ فَرَضَ حَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ وَضَعَ شَطْرَهَا فَقَالَ رَاجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَجَعْتُ فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ...."(2).

"ومن واقعية الإسلام وتيسيره على البشر أنه راعى معهم سنة التدرج فيما يشرعه لهم - إيجاباً أو تحريماً - ، فنجده حين فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة ، فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة ، فالصلاة فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ثم أقرت فى السفر على هذا العدد ، وزيدت فى الحضر إلى أربع : أعنى الظهر والعصر والعشاء "(3).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص465 .

(2) صحيح البخارى، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة فى الإسراء ، رقم (349).

(3) د. يوسف القرضاوى : مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، 1414هـ ،

1993م ، ص118 .

وهذا ما أكدته أمنا عائشة رضى الله عنها حين قالت : "فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَأُفِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ" (1) .

وهذا تطوُّرٌ فى التشريع من الله بواسطة نبيه محمد (ﷺ) ، كما قال ابن عباس : "إن الله فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَفِي السَّفَرِ رَكَعَتَيْنِ وَفِي الْحَوْفِ رَكَعَةً" (2).

كل ذلك يؤكد أن الفقهاء لم يكن لهم علاقة بالتشريع وإنما كان التشريع من الله سبحانه وتعالى مباشرة ، أو من الرسول (ﷺ) بأمر من الله ؛ انطلاقاً من قول الله تعالى : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . النجم : آية 3 ، 4 " .

2- ادعاء وات بأن الصلاة لم تعد تحترم فى سنوات النبى الأخيرة ، وأنه قد تقاعس كثير من المسلمين عن أدائها بانتظام ، كما يدعى أن صلاة العشاء قد حُذفت فى آخر عهده (ﷺ) ، ويستدل وات على كلامه – كما فى هامش كتابه – بأخر سورة المزمّل :

"إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَلِعُونَ مِنْ فِضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (المزمّل : آية 20) .

(1) صحيح البخارى كتاب : الصلاة ، باب : كَيْفَ فُرِضَتْ الصَّلَاةُ فِي الْإِسْرَاءِ ، رقم (350).

(2) صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة المسافرين وقصرها ، رقم (685)

## التحليل والتقويم

إن الآية لا تشير من قريب ولا من بعيد إلى حذف صلاة العشاء ، بل لم تتطرق الآية إلى الحديث عن صلاة العشاء . ولعل وات فهم ذلك من جملة (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ) . والحق أن هذه الآية جاءت تخفيفاً على النبي (ﷺ) ، والمسلمين في صلاة التهجد لأنهم كانوا يقومون قريباً من ثلثي الليل ونصفه وثلثه للصلاة .

يقول الإمام الطبري - يرحمه الله - : " علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه ( فَتَابَ عَلَيْكُمْ) إذ عجزتم وضعفتم عنه، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم"(1).

فكيف تحذف صلاة العشاء وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة تحذّر بفضلها لدرجة أنها تجعل ثوابها يعدل ثواب قيام نصف الليل ؟  
فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عثمان بن عفان أن النبي (ﷺ) قال :  
"من صلى صلاة العشاء والصبح في جماعة فهو كقيام ليلة وفي رواية :  
من صلى العشاء في جماعة فهو كقيام نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة فهو كقيام ليلة"(2) . لقد ادّعى وات هذا الادعاء الخطير بلا دليل .

3- ويشير وات إلى آيتين في سورة الإسراء ، وهما قول الله تعالى :  
" أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا . الإسراء : آية 78 ، 79" .  
فيقول بأن هذه الآيات تدل على أنه كان يجب تأدية ثلاث صلوات في اليوم .

## التحليل والتقويم

والحق أنه ليس في الآيتين ما يفيد وجوب الأمر بثلاث صلوات فقط ، بل إنها جمعت كل الصلوات وأكدت على إقامتها .  
ومعنى الآية في أبسط أسلوب : "حافظ يا محمد على الصلاة في أوقاتها من وقت زوال الشمس عند الظهر إلى وقت ظلمة الليل ، وأقم صلاة الفجر ، وإنما عبر عنها بقرآن الفجر لأنه تطلب إطالة القراءة فيها"(3).

(1) تفسير الطبري : سابق ، (697/23) .

(2) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة ، رقم 656 .

(3) محمد على الصابوني : صفوة التفاسير ، (165/2) .

أما وات فقد فهم من الايتين وجوب ثلاث صلوات فقط ، وهى (المغرب ، كما تدل لفظة " لدلوك الشمس أى ميلها للغروب " ، وصلاة العشاء ، كما تدل لفظة " غسق الليل أى سواده وظلمته " ، وصلاة الفجر ، كما تصرح به جملة ، وقرآن الفجر ) . وهذا فهم خاطئ كما بينت قبل قليل .

وبالنظر إلى النقاط الثلاث السابقة يتضح أن وات يريد أن يشكك فى فرضية الصلوات الخمس ، والمصدر الذى شرع هذه الصلوات ، وكذلك فى عدد هذه الفرائض التى يعرف الصغير والكبير من المسلمين أنها خمس صلوات ، يأتى وات ليدعى أنها ثلاث صلوات فقط .

### الادعاء بأن الصوم فى الإسلام مستمد من اليهودية

ويقول وات عن صيام رمضان :

"فرض الصيام خلال الفترة المدنية ليكون المسلمون على قدم المساواة مع اليهود ، حتى إذا ما وقعت القطيعة معهم حلَّ محلَّ الصيام اليهودى المسمى صوم عاشوراء، وصوم رمضان" (1).

### التحليل والتقويم

بالنسبة لما يخص الصوم من كلام وات ، فقد استغل أن الصوم لم يفرض فى الفترة المكية بل فرض فى المدينة ، وحاول الربط بين فرض الصوم وعلاقة اليهود السيئة بالنبي (ﷺ) ، وجعل سبب فرضه هو التأهب للاستقلالية عن اليهود فى الصوم إذا ما ساء الوضع بين اليهود والنبي (ﷺ) ، فوات يريد أن يجعل حكمة تشريع الصوم مادية بحتة .

والسبب الحقيقى لفرض الصوم فى المدينة وعدم فرضه فى مكة أن العهد المكي "كان عهد تأسيس العقائد وترسيخ أصول التوحيد ودعائم القيم الإيمانية والأخلاقية فى العقول والقلوب ، وتطهيرها من رواسب الجاهلية فى العقيدة والفكر والخلق والسلوك . أما بعد الهجرة فقد أصبح للمسلمين كيان وجماعة متميزة تُنادى بـ (بأيها الذين آمنوا) فشرعت عندئذ الفرائض ، وحدت الحدود ، وفصلت الأحكام ، ومنها الصيام" (2).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة : ص 467 ، 468 .

(2) د. يوسف القرضاوى : فقه الصيام ، ط3 مؤسسة الرسالة - بيروت 1414 هـ ، 1993م ، ص 21 .

ويقول ابن القيم : "ولما كان فطم النفوس عن مألفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة وألفت أوامر القرآن فنقلت إليه بالتدرّج ، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة فتوفي رسول الله (ﷺ) وقد صام تسع رمضانات" (1).

لقد كان تأخير فرض صيام رمضان إلى العهد المدنى استجابة لسنة التدرّج فى التشريع ، وهذه السنة من مزايا الشريعة الإسلامية التى تجلب التيسير على البشر كما أنها تعمل على إعداد الناس ذهنياً ونفسياً قبل أن يصدر الحكم بتحليل أو تحريم لقد كانت الفترة المكية فترة تأصيل للعقائد ، وتربية للنفوس ثم كان التشريع والتقنين للناس فى الفترة المدنية . هذا هو السبب الحقيقى فى تأخر فرض الصيام إلى المرحلة المدنية ، لا كما يقول وات

ولو كان الأمر كما يقول وات : أن شهر رمضان قد فرض ليحل محل صوم يوم عاشوراء لنهى النبى (ﷺ) المسلمين عن صيام ذلك اليوم (عاشوراء) بعد فرض صيام رمضان ، لكن الثابت أن النبى (ﷺ) أمر المسلمين بصيامه على سبيل الاستحباب بعدما كان واجباً كما جاء فى الحديث : "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يَوْمٌ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانَ كَانَ رَمَضَانَ الْفَرِيضَةَ وَتُرِكَ عَاشُورَاءُ فَكَانَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَصُمْهُ" (2).

بل وجعل النبى لصيام ذلك اليوم فضلاً عظيماً ، فعن أبى قتادة أن النبى (ﷺ) قال : "صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَصِيَامُ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ" (3).

ولم يُنسخ ذلك الأمر فى حياة النبى ولا بعد موته ، ولا يزال معمولاً به إلى الآن . "ولما كان النبى (ﷺ) حريصاً على تمييز الشخصية الإسلامية فى كل شئ وأن يكون للمسلمين استقلالهم عن غيرهم حث على صيام اليوم التاسع إى مع العاشر؛ لتمييز صيامهم عن صيام أهل الكتاب" (4).

وعن ابن عباس قال " حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ نَعَّظُمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (5).

هذه كلها نصوص تؤكد حرص النبى (ﷺ) على صوم يوم عاشوراء ، وتبين للناس فضل صيامه دونما نظرٍ إلى موقف اليهود السئ من النبى (ﷺ) والإسلام والمسلمين ، وهذا يرد زعم وات .

(1) ابن القيم : زاد المعاد ، سابق (27/2) .

(2) صحيح البخارى ، ك تفسير القرآن ، باب : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، رقم 4504 .

(3) صحيح مسلم : كتاب الصيام ، باب: استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس رقم 1162 .

(4) د. يوسف القرضاوى : فقه الصيام ، ص143 .

(5) صحيح مسلم: كتاب: الصيام، باب: أي يوم يصام في عاشوراء ، رقم (1134) .

## موقف الإسلام من الوثنية العربية

يرى وات أن الإسلام قد تأثر ببعض عادات الوثنية العربية ، وأن الرسول (ﷺ) وأصحابه لم يستطيعوا التخلص من كل عادات وطقوس وأفكار الوثنية العربية ، فيقول في عدة أماكن :

1- "وقد بقيت - رغم هذا النضال ضد الوثنية - بعض الأفكار والطقوس الوثنية . وبالرغم من أننا لا نستطيع نفى إمكانية إفساد المصادر ، إلا أنه من الممكن أن محمداً نفسه كان يؤمن بالفأل من بعض الأسماء ، فكان يتفاءل بالنصر من أسماء القلاع في خيبر ، ويقال بانه غير في مناسبات عديدة أسماء شؤماً بأضدادها ، مثلاً : مطيع بدلاً من عاص . وهكذا دواليك" (1).

2- "ويقول القرآن بصراحة : إن المسلمين استمروا في الاعتقاد بوجود كائنات خارقة أقل من الآلهة كالجن والشياطين" (2).

3- "وقد احتفظ القرآن بالفكرة السامية القديمة حول الطابع المقدس لبعض الأماكن وذلك بصورة مختلفة ، وقداسة الكعبة التي تعترف بها آية من أوائل الآيات (سورة قريش : آية 3) حيث يسمى الله (رب هذا البيت) ، قد تأكدت حين اتخذت قبلة يجب على المؤمنين التوجه نحوها للصلاة والحج إليها ، وتقوم قدسية المسجد الحرام على مقطع من القرآن (سورة الحج : آية 26، 27) (\*)(3) .

4- ويقول : "ولا شك أن القرآن أبقى على بعض الطقوس التي كانت في الأصل سحرية ولكن القرآن لا ينم عن أية إشارة للاعتقاد بفعاليتها ، ولقد استمر في الاعتقاد بالسحر ، كما أدخلت قصص الطقوس السحرية في النصوص التقليدية المتعلقة بمحمد ، وتدور إحدى هذه القصص حول حادثة وقعت في معركة بدر إذ يقال : إن رسول الله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال : شاهت الوجوه ثم نفحهم بها ، ويشير إليها القرآن بكلمات (فَلَمْ تَفْقَهُواْ هَمْزًا وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى . الأنفال ، آية: 17) (4) .

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 473 .

(2) السابق ، ص 474 .

(\*) يشير وات إلى الآيات : "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" . (3) السابق ، نفس الصفحة .

(4) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 477 .



ومن ذلك تغيير النبي لأسماء بعض الصحابة .  
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ زَيْنَبَ كَانَتْ اسْمَهَا بَرَّةً فَقِيلَ تَزَكِّيْ نَفْسَهَا فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ" (1) .

وَعَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَدِّهِ، جَدِّ سَعِيدٍ : " مَا اسْمُكَ ؟ " قَالَ: حَزْنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ " فَقَالَ: لَا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: " فَمَا زَالَتْ فِينَا حُزُونَةٌ بَعْدُ " (2).

وَعَنْ خَيْثَمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، أَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ذَهَبَ مَعَ جَدِّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا اسْمُ ابْنِكَ ؟ " قَالَ: عَزِيزٌ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تُسَمِّهِ عَزِيزًا، وَلَكِنْ سَمِّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ " ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالْحَارِثُ " (3).

وَعَنْ بَشِيرِ بْنِ الْحَصَاصِيَةِ، قَالَ: " وَكَانَ قَدْ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اسْمُهُ رَحْمٌ " فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَشِيرًا " (4) .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ لِرَجُلٍ: مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : شِهَابٌ، فَقَالَ: " أَنْتَ هِشَامٌ " (5).

كل هذه النصوص النبوية تدل على أن النبي (ﷺ) كان يغير الأسماء المنقورة حتى لا يفر الناس من أصحابها ، كما أنه (ﷺ) كان يختار لأصحابه الأسماء التي تبعث على السرور بمجرد سماعها .

هذا هو غاية ما يقصده النبي (ﷺ) من كلمة (الفأل) ، أما وات فقد ظن أن النبي كان لا يزال متعلقا بوثنيات الجاهلية ؛ وذلك راجع إلى عدم معرفة وات للفارق بين الفأل والطيرة .

2- يدعى وات أن القرآن قد اعترف بوجود كائنات خارقة أقل من الآلهة ، كالجن والشياطين .

صحيح أن القرآن قد اعترف بوجود الجن والشياطين ، لكنه لم يقل أبدًا بأنهم في مرتبة تلي مرتبة الإله (الله سبحانه وتعالى) . بل دائمًا ما يؤكد القرآن على ضعفهم وعلى أنهم أضعف من الإنسان المؤمن فيقول : "إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . النحل : آية 99 " .

وقوله تعالى : "إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا . النساء . آية : 76" .

(1) صحيح البخارى، كتاب الأدب ، باب تحويل الإسم إلى اسمٍ أحسن منه ، رقم 6192 .

(2) صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب تحويل الإسم إلى اسمٍ أحسن منه ، 6193

(3) مسند أحمد ، رقم 17606 (147/29) ، وقال الشيخ الأرنؤوط : صحيح .

(4) مسند أحمد ، رقم 21956 (287/36) ، وقال الشيخ الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(5) مسند أحمد ، رقم 24465 ، (12/41) ، وقال الشيخ الأرنؤوط : إسناده حسن .

"ومعنى ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم ، لا من جهة القدرة ولا من جهة الحجة" (1) . هذا هو حديث القرآن عن الجن والشياطين ، وليس فيه ما يدل على أنها مخلوقات تلى الإله .

**3- كما يعتبر وات أن تسمية القرآن للكعبة (بيت الله) فى سورة قريش ، وكونها** قبة المسلمين التى يتجهون إليها فى صلاتهم وحجهم ، يعتبر هذا التقديس من آثار الجاهلية الأولى التى لا تزال عالقة فى نفوس المسلمين .

والحق أن الكعبة المشرفة لها قداسة قديمة تسبق تقديس المكيين لها ، فهى مقدّسة منذ بنائها ثم رُفِعَ قواعدها قبل أن يعرفها المكيون ، قال تعالى :

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . البقرة: 125" وقد كانت الأمم قبل المكيين تقدس هذا البيت ، فقد جاء فى سبل الهدى والرشاد "عن مجاهد رحمه الله تعالى قال : كان يحج من بني إسرائيل مائة ألف فإذا بلغوا أنصاب الحرم خلعوا نعالم ثم دخلوا الحرم حفاة" (2) .

إن تقديس المسلمين للكعبة ليس تقديساً وثنياً ، وإنما هو تقديس دينى نابع من مباركة الله سبحانه وتعالى له ، ولأنه البيت الذى رفعه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . ولم يكن تقديسهم لها لإرضاء عاطفتهم الأبائية ، بل لإرضاء عاطفتهم الدينية لأنها قبله أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد (ﷺ) : " فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا . البقرة : 144 " . وقال أيضا : " جَعَلَ اللَّهُ الْكُعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ . المائدة : 97 " .

**4- كما يرى أن النبى (ﷺ) كان متعلقا بأفعال السحر والشعوذة ، ويستدل على ذلك** بأخذ النبى (ﷺ) حفنة من التراب ورميها فى وجوه المشركين ، وقوله : "شاهت الوجوه" (3) ، وقول الله " وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَكَرَنَّ اللَّهُ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . الأنفال ، آية : 17" .

إن ما يستدل به وات ليس من قبيل السحر والشعوذة . والآية لا تعنى ذلك أبداً ، فالآية " تمثل تدبير الله للأمر كله من وراء الحركة الظاهرة للنبى صلى الله عليه وسلم والعصبة المسلمة معه . ولذلك تلاها قول الله تعالى : « و لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا » (4) .

(1)د. عمر سليمان الأشقر : عالم الجن والشياطين ، ط4 مكتبة الفلاح - الكويت ، 1404 هـ ، 1984م ، ص32

(2)محمد بن يوسف الصوالحي : سبل الهدى والرشاد ، سابق (212/1) .

(3)صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب : فى غزوة حنين ، رقم 1777 .

(4)السيد قطب : فى ظلال القرآن (1490/3) .

وإلا فكيف يمارس النبي (ﷺ) السحر ، وقد نهى عنه ، وحذر منه : "فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِيَاتِ" (1).

عن أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنٌ خَمْرٍ ، وَقَاطِعٌ رَجِمٍ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ" (2).

هذا ، ولقد حذر القرآن من السحر واعتبره كفراً بقوله تعالى :  
{وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} . البقرة : 102".

فكيف يؤمن النبي (ﷺ) بالسحر بعد كل هذه التحذيرات القرآنية التي نزلت عليه ، والتحذيرات النبوية التي خرجت منه ؟

إن قول وات مردود بحكم هذه النصوص ، وبحكم العقل الذي يقول : إنه لا يُعقل أن يأمر الإنسان بشئ وهو أول من يُحاربه وينهى عنه .

(1) صحيح البخارى ، كتاب الحدود ، باب رَمِي الْمُحْصَنَاتِ ، رقم 6857 .

(2) مسند أحمد ، (32/339) ، رقم : 19568 ، وقال الشيخ الأرنؤوط : حسن لغيره .

## المعارضة الإسلامية في فكر وات

يحاول وات هنا أن يوجد نوعاً من الشقاق وعدم الوفاق بين النبي (ﷺ) وأتباعه ، فيقول : "وكان بين المؤمنين أنفسهم من لا يُقرُّ سياسة محمد ، غير أن المصادر تميل إلى التقليل من شأن الخلافات التي نشأت داخل الأمة ، وإيهامنا بأن هذه الأمة كانت متحدة أكثر مما هي حقيقة" (1).

ويضرب وات مثلاً لهذه المعارضة الإسلامية ببعض الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة بدر ولم يحاربوا مع النبي (ﷺ) فيها، وعفو النبي عن بنى قريظة ، فيقول : "وكان أسيد بن الحضير(\*) أحد الذين لم يستجيبوا للنداء (يعنى فى غزوة بدر) ولكن عند عودة الجيش منتصراً ، اعتذر إلى محمد بأنه ظن أن الحملة كانت مجرد غزوة، وأنه لو علم بأنها معركة لحضرها بصورة أكيدة ..... ووقفت شخصيات أخرى بمنأى عنه (يعنى: النبي ﷺ) ، وهم : ابن أبي . وحتى سعد بن عبادة يقال بأنه تغيب عن بدر بسبب لسعة حية ، ولكن ذلك لم يكن سوى عذر يتعلل به " (2) . كما يقول : "يعرض علينا القرآن ، وكتب الطبقات إذن صوراً متكاملة عن عدم الرضا الذى كان سائداً فى المدينة حول سياسة محمد " (3). ويقول عن موقف النبي من القرظيين :

"يمكن القول بأن خيانة أبى لبابة (\*\*\*) لبني قريظة هى الحد الذى يسبق المرحلة الثانية لمعارضة أهل المدينة حين كانت هذه المعارضة ليست موجهة ضد الأمة الإسلامية كأمة ، بل ضد جوانب سياسة محمد . وقضية أبى لبابة غامضة لسوء الحظ ..... وتكمن الخيانة الوحيدة فى أن أباً لبابة كشف نية محمد فى قتل رجال القبيلة..... ولا شئ يجعلنا نعتقد بأن أباً لبابة لم يكن عضواً مخلصاً للأمة الإسلامية ولم يفكر فى الانفصال عنها ، ولكنه لم يكن على اتفاق مع النبي حول بعض المسائل السياسية . هذا الموقف هو طابع المعارضة التى لقيها محمد خلال السنوات الأخيرة من حياته فقد كان المعارضون يقبلون بالأمة الإسلامية ، ولكنهم لا يوافقون على بعض الجوانب فى سياسة محمد ، وكان ذلك فى أغلب الأحيان لأسباب أنانية . ونجد مثلاً آخر على المعارضة فى رفض بعض القبائل البدوية والاشترار فى غزوة الحديبية ؛ لأن هذه القبائل - بدون شك - لا يمكن أن تستفيد أية فائدة مباشرة من هذه الغزوة" (4) .

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 274 .

(\*) أسيد بن ثعلبة الأنصاري ، شهد بدرأً وشهد صفين، وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعث وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ واختلف فى شهوده بدرأً ، كان شريفاً كاملاً وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة وكان ممن ثبت يوم أحد وجرح حينئذ سبع جراحات . انظر الإصابة لابن حجر (27/1) .

(2) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 275، 276 .

(3) السابق ، ص 379 .

(\*\*) أبو لبابة: هو رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري اختلف فى اسمه، أمره الرسول -صلى الله عليه وسلم- على المدينة عند خروجه لبدر وضرب له بسهم، كان أحد النقباء ليلة العقبة، مات فى خلافة علي رضي الله عنه وقيل عاش إلى بعد الخمسين. انظر : الإصابة لابن حجر (392/3) .

(4) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 287، 288 .

## التحليل والتقويم

فى البداية أقول : إن وات يُضخِّم بعض المواقف العابرة ويجعل منها قضايا كبرى ، فيتكلم عن تخلف بعض الصحابة عن غزوة بدر ويجعل ذلك أمراً متعمداً منهم وأنهم أردوا تكوين جبهة معارضة مناوئة للرسول (ﷺ) ، كما يتكلم عن ابن سلول وإخوانه من المنافقين كأنهم مسلمون حتى إنه جعل عنوان هذه القضية / المعارضة الإسلامية .

والحاصل أنه لم تكن هناك معارضة بين النبي (ﷺ) واصحابه . أما تخلف الصحابة الذين ذكرهم وات عن غزوة بدر فلم يكن ذلك مقصوداً . وغاية الأمر أن النبي (ﷺ) كان قد خرج لملاقاة عير قريش فتحولت هذه المناوشة إلى معركة ، كما قال الله عنها : " وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.. الأنفال ، آية : 42 " .

فعن كعب بن مالك قال : ".....وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عَيْرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ" (1) .

أما عن تخلف أسيد بن حضير عن غزوة بدر ؛ فسببه ما يرويه ابن سعد : "أن أسيد بن الحضير رسول الله (ﷺ) حين أقبل من بدر فقال : الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوا ولكن ظننت أنها العير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت . فقال رسول الله (ﷺ) : صدقت" (2) .

وأما عن تخلف سعد بن عبادة ؛ فذلك لأنه قد لسعته حية ، يروى ابن سعد : "وكان (سعد بن عبادة) سيدياً جواداً ولم يشهد بدرًا، وكان يتهيأ للخروج إلى بدر ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج فنهش(\*) قبل أن يخرج فأقام ، فقال رسول الله (ﷺ) : لئن كان سعدٌ لم يشهدنا لقد كان عليها حريصاً" (3) .

وهذه النصوص كلها تحمل دلالة قوية على أن هؤلاء الصحابة الذين يسميهم وات (المعارضة الإسلامية) كانت لهم أذكار تمنعهم من المشاركة فى هذه الغزوات ؛ ولذا قبل النبي (ﷺ) أذارهم فى كل الأحوال ، ولم يعاتب أحدًا منهم ، كما أنه ليس فى هذه النصوص ما يدل على أن النبي (ﷺ) أمرهم بالخروج فنقاعسوا . وهذا كله يُبطل ادعاء وات .

(1) البخارى ، كتاب المغازى ، باب قصة غزوة بدر ، رقم : 3951 .

(2) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى (3/605) .

(\*) ونهشته الحية : لسعته ، انظر . ابن منظور : لسان العرب (6/360) .

(3) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، (3/614) .

وأما بالنسبة لقصة أبي لبابة مع بنى قريظة ، فإنها لا تدل على معارضة لرسول الله (ﷺ) ، وإنما أخطأ فاعتذر وتاب ، وقد عنون ابن هشام في السيرة لهذا الموقف بعنوان (أبو لبابة وتوبته) . وهذه هي رواية ابن هشام يقول فيها :

"...ثُمَّ إِنَّهُمْ (يعنى بنى قريظة) بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَكَانُوا خُلَفَاءَ الْأَوْسِ ، لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا ، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجَالُ وَجَهَشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ فَرَقَّ لَهُمْ وَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا لُبَابَةَ أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ نَعَمْ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ إِنَّهُ الدَّبْحُ . قَالَ أَبُو لُبَابَةَ فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (ﷺ) ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عُمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ وَقَالَ لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ ، وَعَاهَدَ اللَّهُ أَنْ لَا أَطَأَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا ، وَلَا أَرَى فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي لُبَابَةَ فِيمَا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) خَبْرَهُ وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِي لَأَسْتَغْفَرْتُ لَهُ فَمَا إِذْ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَ فَمَا أَنَا بِأَلْذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ أَنَّ تَوْبَةَ أَبِي لُبَابَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مِنَ السَّحَرِ وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ . ( فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ) : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مِنَ السَّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ . قَالَتْ فَقُلْتُ : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَضْحَاكَ اللَّهُ سِنَّاكَ ؛ قَالَ تَيْبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ ، قَالَتْ قُلْتُ : أَفَلَا أُبَشِّرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ بَلَى ، إِنْ شِئْتِ قَالَ فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهَا ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهَا الْحِجَابُ فَقَالَتْ يَا أَبَا لُبَابَةَ أُبَشِّرُ فَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَتْ فَتَارَ النَّاسَ إِلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) خَارِجًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ أَطْلَقَهُ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ مُرْتَبِطًا بِالْجِدْعِ سِتَّ لَيَالٍ . تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فِي كُلِّ وَقْتِ صَلَاةٍ فَتَحُلُّهُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَعُودُ فَيَرْتَبِطُ بِالْجِدْعِ فِيمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَيَّةُ الَّتِي نَزَلَتْ فِي تَوْبَتِهِ قَوْلُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : { وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ } . { التوبة : 102 } (1) .

ومن الرواية السابقة يتضح أن ابا لبابة لم يكن معارضاً لرسول الله (ﷺ) ، لكنه أخطأ فتاب ورجع وقبل الله توبته ونزل فيه قرآن ينلئ كما بينت الرواية السابقة .

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (2/236، 237) ، والسيرة النبوية لابن كثير (3/231) .

"وإذا كان أبو لبابة مُعارضًا فلم يعتذر؟ ولماذا يتكبد المشاق فيسجن نفسه ست ليالٍ في مسجد الرسول (ﷺ) انتظارًا لعفو الله وغفرانه؟ وإذا كان معارضًا فلماذا لم يحرض القرظيين للثورة على محمد (ﷺ) لإحداث انقلاب يتولى أبو لبابة إثر نجاحه السلطة؟" (1).

وفى الوقت الذى جعل فيه وات بعض الصحابة خائنين للنبي (ﷺ)، يحاول أن يثبت أفضلية ابن سلول، بل وأسبقيته فى الإسلام فيضخم من شأنه بلا دليل ويقول عنه:  
"وكانت قد تقدمت به السن ليصبح مسلمًا متحمسًا، وكان فى بعض الأحيان يعبر عن استيائه، ولكنه كان مع ذلك مسلمًا..... ولم يعتم أن صالح محمدًا، والدليل على ذلك وجوده فى الحديبية، كما أن محمدًا أمر بنفسه بالقيام بالشعائر الدينية لدفنه" (2).

ويتمسك وات بإسلام ابن سلول، وموته على الإسلام؛ متعللاً بأن الرسول (ﷺ) قد صلى عليه صلاة الجنازة، وهذا ثابت فى الصحاح كما جاء فى البخارى وغيره:

"عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي لَمَّا تُوفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفُنُهُ فِيهِ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ فَقَالَ أَذْنِي أُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَذَنَهُ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَدَّبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ أَنَا بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ قَالَ { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } فَصَلَّى عَلَيْهِ فَنَزَلَتْ { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ }" (3).

ويُفهم من هذا الحديث أن صلاة النبى (ﷺ) عليه كانت قبل أن ينهى عن ذلك، فلما نهاه ربه عنها "ما صلى بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل" (4).

(1) محمد الأمين النعيم: الاستشراق فى السيرة النبوية، ص 142.

(2) مونتجرى وات: محمد فى المدينة، ص 283، 284.

(3) صحيح البخارى ك الجناز، باب الكفن فى القميص الذى يكف أو لا يكف وَمَنْ كَفَّنَ بغير قميص، رقم (1269)، وانظر: مسند أحمد (308/8) رقم 4680.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (193/4).

ويقول وات أيضا : "يجب أن نلاحظ أن ابن أبيّ وأمثاله الذين عرفوا فيما بعد بالمنافقين كانوا في السنة الأولى والثانية للهجرة مسلمين كسائر الناس" (1).

أقول : هذا في الظاهر، فقد كانوا يُحسَبون على الإسلام ، لكن سرعان ما فضحهم القرآن وأنزل بشأنهم آيات من القرآن ، بل وأنزل فيهم سورة سمّاها باسمهم ، وهى: (سورة المنافقون) .

ولم يكتف وات بذلك بل صرّح بأن ابن سلول كان من السابقين الأولين إلى الإسلام قبل هجرة النبي إلى المدينة فقال :  
"وقد أسلم سعد بن معاذ قبل العقبة وكذلك ابن أبيّ" (2).

أى أن عبد الله بن أبي بن سلول – على زعم وات – كان قد بايع النبي (ﷺ) على الإسلام قبل بيعة العقبة الثانية .  
والحق أن التاريخ لا يذكر أن ابن أبيّ كان فى عداد من بايع النبي (ﷺ) يوم العقبة الأولى أو الثانية .

قال ابن القيم : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة فى الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رئاب فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلموا ثم رجعوا إلى المدينة فدعوههم إلى الإسلام ففشا الإسلام فيها حتى لم يبق دار إلا وقد دخلها الإسلام فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلا السنة الأولى خلا جابر بن عبد الله ومعهم معاذ بن الحارث بن رفاعة أخو عوف المتقدم وذكوان بن عبد القيس وقد أقام ذكوان بمكة حتى هاجر إلى المدينة فيقال : إنه مهاجري أنصاري وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن مالك هم اثنا عشر" (3).

إننا لا نجد فى هذه الرواية ولا فى أية رواية ذكراً لعبد الله بن أبيّ بن سلول بين من حضروا هذه البيعة .

"فإذا كان ابن أبيّ قد أسلم قبل العقبة كما يدعى وات فلماذا يتجاهل لقاء الأنصار بالنبي (ﷺ)؟" (4) ، وبهذا يبطل زعم وات .

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 266 .

(2) السابق ، ونفس الصفحة .

(3) ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد (40/3)

### حادث الإفك كما يصوره وات

يقول وات : "فقد تركت زوجة محمد الشابة (عائشة) قبل الوصول إلى المدينة في المؤخرة ثم وصلت بصحبة شاب جميل ، فأخذت السنة الناس تلوك سمعتها ، وجهد ابن أبي في تضخيم الفضيحة ووجد من يساعده (ابن لابن عم أبي بكر) - يقصد صفوان بن المعطل(\*) - والشاعر حسان بن ثابت ، وأخت عائشة زينب .....وأخذت الفضيحة بالانتشار خلال أسبوعين دون أن يوضع لها حل . وجاء القرار النهائي من محمد لصالح عائشة" (1) .

### التحليل والتقويم

يحاول وات أن يقرب للقارئ فكرة أن السيدة عائشة رضى الله عنها قد انجذبت بالفعل إلى شاب من شباب مكة ، ومالت إليه بسبب جماله ، فيؤكد ذلك بقوله عن السيدة عائشة "وصلت بصحبة شاب جميل" كما يُخطئ وات حين يقول بأن ممن روّد لهذه الحادثة : زينب أخت عائشة ، بينما التي فعلت ذلك هي (حمنة بنت جحش) أخت (زينب بنت جحش) بوصفها أخت ضرثها ، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث :

"...قالت عائشة وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي مَا عَلِمْتَ أَوْ مَا رَأَيْتِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أَخْطَهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ" (2) . وهذا خطأ لا يُعذر فيه وات .

وأما قوله : "وأخذت الفضيحة في الانتشار خلال أسبوعين دون أن يوضع لها حد" ففيه خطأ أيضاً ؛ لأن انتشار هذا الحديث كان قد استغرق شهرا كاملا ، لا أسبوعين كما يدعى وات .

---

(\*) صفوان بن المعطل بن ربيعة بالتصغير، ابن خزاعي بلفظ النسب، ابن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان السلمى ثم الذكواني. هكذا نسبه أبو عمر، لكن عند ابن الكلبي رحضة بدل ربيعة، وزاد بينه وبين خزاعي المؤمل.

قال البغوي: سكن المدينة، وشهد صفوان الخندق والمشاهد في قول الواقدي، ويقال: أول مشاهدة المريسي جرى ذكرها في حديث الإفك المشهور في الصحيحين . انظرا الإصابة لابن حجر (3/ 356) .

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 282، 283 .

(2) صحيح مسلم، كتاب التوبة ، باب : في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، رقم : 2770 .

فقد جاء في حديث الإفك :

"..... وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ (النبي) فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ " (1).

وأما قوله بأن القرار النهائي قد جاء من محمد لصالح عائشة ، فهو قول يُوهم أن النبي (ﷺ) يملك القرار في الوحي ، وهذا ما يعتقده وات ؛ بناء على نظريته السابقة التي تكلم عنها في مبحث الوحي ، وهي (نظرية اللاوعى الجمعى) ، ويعنى وات = باختصار - أن القرآن من وحي خياله (ﷺ) ، كما يريد أن يقول من وراء هذه الجملة : إن فى براءة زوجه عائشة تعزيزًا وتقوية لموقفه (ﷺ) أمام الناس ؛ ولذلك نطق النبي (ﷺ) ببراءتها مُدْعيًا أن ذلك قرآن .

والسؤال الذى أسأله لوات هنا هو : لِمَ لَمْ يُصَدِرِ النبي (ﷺ) قراره بالبراءة منذ أول وهلة أشيع فيه هذا الخبر؟ ولم انتظر شهرًا كاملاً - كما يقول الحديث ، أو أسبوعين كما يدعى وات - وهو زعم خاطئ طبعًا - دون أن يُعلن براءة زوجته ؟

والجواب الحق : هو أن النبي (ﷺ) كان فى انتظار الوحي الإلهى .

كما يتضح من كلام وات السابق : أن التهمة على السيدة عائشة تظل ثابتة ؛ لأن القرار جاء من النبي (ﷺ) ، والنبي تَهُمُّه سمعة بيته ، فلا يمكن أن يُخَطِّئَ عائشة . وهذا غير معقول ؛ لأن الرسول (ﷺ) لو أراد تبرئة عائشة لفعل ذلك منذ اليوم الأول ، لكنه قال : " فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيَّبِرْكَ اللهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلَمَّتْ بِدَنْبٍ فَاسْتَعْفِرِي اللهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِدَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ " (2).

---

(1) المصدر السابق ، ونفس الحديث .

(2) صحيح مسلم : كتاب التوبة ، باب فى حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

## المطلب الثاني :

الهجرة وتأسيس الدولة في المدينة  
في فكر كارين أرمسترونج

## موقف كارين من اجتماع دار الندوة

قد مرّ بنا أن وات قد نفى هذا الاجتماع الذي عُقد في دار الندوة ، والذي تكلمت عنه كل كتب السيرة ، أما كارين فتقرّه وتعترف به ، وتقول :

"عقدت قريش اجتماعًا خاصًا لمناقشة مصير محمد (ﷺ) في دار الندوة ، وقد تغيب عنه أبو لهب . أراد بعض الشيوخ إخراج محمد (ﷺ) من مكة ، ولكن تغلب عليهم الذين رأوا أن السماح له بالانضمام إلى أولئك المنشقين المجردين من المبادئ في يثرب سيكون خطرًا . وجاء أبو جهل بخطة : كل عشيرة تختار شابًا قويًا ويقومون جميعًا بقتل محمد (ﷺ) ، لن يكون هناك ثأر ؛ لأن بنى هاشم لن تستطيع مواجهة قريش كلهم" (1).

وما قالته كارين قريب مما ذكره ابن هشام في السيرة ، مع اختلاف الألفاظ ، فقد ذكره ابن هشام تحت عنوان: (اجتماع الملأ من قريش وتشاورهم في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم) .

قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله (ﷺ) قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا ، وأصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله (ﷺ) إليهم وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله (ﷺ) حين خافوه . قال ابن إسحاق : لما أجمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله (ﷺ) غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل بتلة فوقف على باب الدار فلما رآه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد =

---

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 103 ، ونفس المعنى في كتابها : سيرة النبي محمد ، ص 230 .

سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا ، قالوا : أجل فادخل فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش ، من بني عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بني نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدي ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل . ومن بني عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كلدة . ومن بني أسد بن عبد العزى : أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بني سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، ومن بني جمح : أمية بن خلف ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش . فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا . قال فتشاوروا . ثم قال قائل منهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابعة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره فتشاوروا . ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغللبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتهم أن يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا . قال فقال أبو جهل بن هشام والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم . قال فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل هذا الرأي الذي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له (1) .

وكلام كارين حول هذه النقطة يوافق الروايات الإسلامية تماما ولا يخالفها في شيء ، لكن كارين وإن ذكرت ذكرت هذه الرواية وأقرتها تاريخيا ، إلا أنها لم تفهمها على الوجه الصحيح الذي يوافق المفهوم الإسلامي . وإقرارها هنا لهذه الرواية لا يُنسبنا ما نفتته من ثوابت الإسلام على مدار بحثها .

## الهجرة إلى المدينة المنورة

تقول كارين عن سبب الهجرة إلى الحبشة :  
"كان المعنى الجوهرى للهجرة أن يخلق المسلمون مجتمعًا مختلفًا ، وإحدى أفكار محمد (ﷺ) الأولى كانت نظام المؤاخاة ، حيث جعل لكل مكى أخوا من الأنصار ليتجاوز المسلمون خطوط القرابة التقليدية وسرعان ما سقط الانفصال السياسى للمهاجرين" (1).

## التحليل والتقويم

وهنا نلاحظ أن كارين قد جعلت الهجرة سببًا من أسباب ذوبان الفوارق بين المسلمين ؛ مهاجرين وأنصارًا ، وأن الهجرة قد عمقت أواصر المحبة بين بعضهم البعض وهذا يوافق آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي (ﷺ) بهذا الشأن .  
قال تعالى : {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } .سورة الحشر : 9 " .

كما تحكى السنة النبوية موقفًا من أروع مواقف الإيثار بين المهاجرين والأنصار :  
فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :  
"لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَحَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَفْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَلْتُ، تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقٌ فَيُنْفَعُ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغَدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَزَوَّجْتَ؟ ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ؟، قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: كَمْ سُقْتَ؟ ، قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ -، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ" (2) .

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ص106، 107 .

(2) صحيح البخارى ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في قول الله تعالى: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما

عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين} [الجمعة: 11] ، وقوله: {لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم} [النساء: 29] ، رقم : 2048 .

وبهذه المؤاخاة ذابت العصبية القبلية ، وزالت الفوارق الطبقيّة ، وتلاشت حمية الجاهلية فصار المجتمع الإسلامي الجديد مبنياً على أصرة العقيدة ووشيجة الحب في الله ، وصار ولاء الجميع لله ولرسوله .

وهذه التغيرات التي حدثت في المجتمع المسلم بعد الهجرة لم تكن بالشئ الهين ولا اليسير عند ناس نشأوا - قبل الإسلام - على عادات الجاهلية بكل ما تحمله من مساوئ ، فلقد كان من الصعب تغيير هذه النفوس إلى هذا المستوى الإيماني الرفيع، والتضحيات الرائعة .

## 2- دستور دولة المدينة

سبق أن طعن وات في صحة هذا الدستور وعدم انسجام بنوده ، لكن كارين هنا تصرّح بصحته فتقول :

"أصبحت الأمة (جالية واحدة لكل الرجال) وتقوم بالتحالف مع الحلفاء غير المسلمين بالطريق المعتاد ..... ثم ذكرت كارين رواية ابن إسحاق بشأن هذا الدستور (\*) ، وقالت :

"كز عيم للأمة يمكن لمحمد (ﷺ) الآن أن يطبق إصلاحات أخلاقية واجتماعية بطريقة كانت مستحيلة في مكة" (1) .

وتقول كذلك : " ومن ثم وُضعت معاهدة آنذاك ، ومن حسن حظنا أن المصادر الأولى قد حفظتها لنا حتى نطلع على التخطيط الأول لأقدم مجتمع إسلامي . وهي تقول : إن محمداً وادع القبائل العربية واليهودية بالمدينة وعاهدهم على أن تنسى جميع قبائل الواحة - على اختلافها - عداها القديم وأن تشكّل فيما بينها (قبيلة عظمى) إن صح هذا التعبير ، وعلى أن يسود السلام بين المسلمين واليهود من ناحية ، وبين مشركي المدينة من ناحية أخرى بشرط ألا يعقدوا معاهدة منفصلة مع مكة للتخلص من النبي " (2) .

(\*) وقد ذكرت هذه الرواية قبل قليل ؛ مما يغني عن إعادتها ثانية .

- (1) كارين : محمد نبى لزماننا ، ص 107 ، ونفس المعنى فى كتابها : سيرة النبى محمد ، ص 233 .  
(2) كارين : سيرة النبى محمد ، ص 233 .

### التحليل والتقويم

ونلاحظ هنا أن كارين لا تطعن فى صحة هذه الوثيقة ولا فى سندها .  
كما أنها تقول بأن الهدف من هذه الوثيقة كان إشاعة السلام ، وإزاحة العداوات عن جميع سكان المدينة من اليهود والمسلمين . وهذا ما يوافق الرؤية الإسلامية .  
وأحب أن أشير هنا إلى أن كارين قد أقرت بما فى هذه الوثيقة لأنها تتكلم عن النبى (ﷺ) من منطلق مادى بحت ، لا من منطلق أنه نبى يُوحى إليه .

### حركة النفاق فى المدينة

تقول كارين : "اعتنق البعض الإسلام للمكسب المادى ، كانوا يجلسون على السُّور (بين بين) لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء منتظرين نهاية هذه المغامرة الجديدة . أطلق القرآن على هؤلاء اسم (المنافقين) ؛ لأنهم لم يكونوا مخلصين ، واستمروا فى تغيير أفكارهم . كان زعيمهم (ابن أبيّ) ، بعدها قد صار مسلماً لكنه بقى ممتعضاً وناقداً للدين الجديد " (2) .

والملاحظ هنا أن كارين لا تطلق الثناءات والمدائح فى حق (عبدالله بن أبى بن سلول) .

كما يظهر من كلامها أن المنافقين قد اعتنقوا الإسلام لمطامع مادية ، وقد حكمت كارين على هؤلاء المنافقين بأنهم غير مخلصين .

كما صرّحت كارين بأن ابن سلول كان حانقاً على الإسلام وناقماً عليه دائماً .

وهذه الآراء تتوافق في الظاهر مع تصوراتنا ورؤانا - نحن المسلمين - لكنها لا تجعلنا تسلم بكل ما نقوله ، فهي تكسب عواطفنا مرّة في الأمور الفرعية ، وتصدمنا مرات في ثوابتنا الإسلامية .

(2) السابق ، ص 109 ، 110 ، ونفس المعنى في كتابها سيرة النبي محمد ، ص 238 ، 239 .

#### 4- حادث الإفك

تقول كارين عن حادث الإفك :

"بعد أسابيع قليلة من آيات الحجاب شن أعداء محمد (ﷺ) هجوما شريرا على عائشة في تدمير محمد (ﷺ) ، وكادت تقسم الأمة . مثلت عائشة هدفا سهلا ، فهي المفضلة لدى محمد (ﷺ) ، وجميلة ، ومفعمة بالحيوية ، فخورة بوضعها ، وغيورة مفوهة " (1).

ثم ذكرت كارين رواية ابن إسحاق كاملة بشأن الإفك ، وتكاد تكون هذه الرواية نفس رواية البخاري ؛ ولذا أرى من الأفضل أن أذكر رواية البخاري :

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ أَرْوَاجِهِ، فَأَيْتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَفْرَعُ بَيْنَنَا فِي عَزَاةٍ عَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ، وَأُنزَلُ فِيهِ، فِسْرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَزْوَتِهِ تِلْكَ ، وَقَفَلْ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَدْنَى لَيْلَةٍ بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ أَدْنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِعَاؤُهُ، فَأَقْبَلُ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَيَّ بِعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أُرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَنْقُلْنَ وَلَمْ يَعْشَهُنَّ اللَّحْمَ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُقْفَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهُودَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَحِنْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْجِدُونَنِي، فَبِرْجَعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلْبَتَنِي عَيْنَايَ، فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الدُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يِرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ

رَاحِلَتُهُ فَوَطِيَّ يَدَهَا، فَارْتَكَبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرَّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهْبَةِ، فَهَلَاكَ مَنْ هَلَاكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 156 .

ابْنُ سُلُوفٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ، وَيَرِيْبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ جِئِنَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيَسْلِمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ»، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرِّرًا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُفْفَ قَرِيْبًا مِنْ بِيُوتِنَا، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِيَّةِ أَوْ فِي التَّنْزِهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهِمٍ نَمَشِي، فَعَثَرْتُ فِي مَرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ، فَقُلْتُ لَهَا: بِنْسَ مَا قُلْتَ، أَتَسِيْبِينَ رَجُلًا شَهْدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هُنْتَاهُ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكَ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تَيْكُمُ»، فَقُلْتُ: انْذُنْ لِي إِلَى أَبِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينِنْدِي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَدِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُ أَبِي فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بِنِيَّةُ هَوْنِي عَلَى نَفْسِكَ الشَّانَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ أَمْرًا قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرَنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا، قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرَقًا لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَنْشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيْبُكَ؟»، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنْتِ سُلُوفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَعْدُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَدَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَغْدُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ

- وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اخْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعْمُرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلْهُ، وَلَا تَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعْمُرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ، وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَزِقْأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبُوَي، وَقَدْ بَكَيتُ لَيْتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَيْدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قَبْلَ فِيَّ مَا قَبِلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَتْ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيِّبِرْتِكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلَمَّتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونِي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: {فَصَبِرْ جَمِيلًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: 18] ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّتَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَئِنَّا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّتَنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمِ شَاتٍ، فَلَمَّا سَرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهُ، فَقَدْ بَرَّأكَ اللَّهُ»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} الْآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا} إِلَى قَوْلِهِ {عَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 173] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُّ أَنْ يَغُورَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ" (1) .

(1) صحيح البخارى ، كتاب : الشهادات ، باب : تعديل النساء بعضهن بعضا ، رقم 2661 .

وتعلق كارين على هذه الرواية بقولها :

"لقد أظهرت الحادثة كيف كان محمدٌ (ﷺ) سهلَ المنال ، فهل كان - كما يزعم ابن أبي - نارًا مستهلكة؟" (1).

### التحليل والتقويم

إن كارين ترمى من وراء هذه الكلمة (سهل المنال) أنه لم تكن للنبي هيبة فى أعين أصحابه ، ولم يكونوا يقدرونه ويُجلونه .  
تقول كارين : " وكان مركز محمد قد تحسن بعد بدر ، لكن لم يكن جميع الأنصار متحمسين لتصاعد مكانته " (2) .  
لقد تأثرت كارين - حتمًا - برأى أستاذها وات حين تحدث من قبل عن مكانة النبي (ﷺ) فى المدينة فقال :

"إن سلطاته كما يحددها الدستور ليست واسعة ولا يبد أنها كانت أضيق فى مطلع إقامته بالمدينة ، والشئ الوحيد الذى يقرره الدستور صراحة هو أن جميع الخلافات يجب أن تعرض على محمد" (3).

كما قال بأن الرسول (ﷺ) كان مجرد زعيم لجماعة المهاجرين :  
"إن محمدًا كزعيم للمهاجرين كان مساويًا لزعماء مختلف القبائل . ولما كان المهاجرون المذكورين قبل غيرهم فلربما كان لمحمد أولية شرفية بين زعماء القبائل" (4).

لقد كان القرآن يملأ قلوب الصحابة حُبًا لرسول الله وإيمانًا به ، ويحضهم على توقيره ، قال تعالى :

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {8} لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ  
وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {9} إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ  
نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا {10}

- (1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 161 .
- (2) كارين : سيرة النبي محمد ، ص 273 .
- (3) موننجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 348 .
- (4) السابق ، نفس الصفحة .

وهذه الشبهة تتوارى وتتلاشى أيضا إذا ما علمنا مدى طاعة أصحاب رسول الله له ، فعن عبادة بن الصامت قال :

" دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال : إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان ، " (1) .

هذه هى مكانة الرسول (ﷺ) بين أصحابه ، لا كما تدعى كارين التى تأثرت بأستاذها وات المعادى للإسلام ، والتى تأثرت بأصولها المسيحية .

وقد رددت على الشبهة باستطراد فى الباب الثالث : فى مبحث / الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة عند وات .

## المبحث الخامس :

الجهاد والغزوات ، ويشتمل على  
مطلبين :

المطلب الأول : الجهاد والغزوات فى  
فكر مونتجمرى وات .

**المطلب الثاني : الجهاد والغزوات في  
فكر كارين أرمسترونج .**

## **المطلب الأول :**

**الجهاد والغزوات في فكر  
مونتجمري وات**

## مفهوم الجهاد

### تعريف الجهاد لغة:

الجهاد لفظة ثلاثية ، مبناها من (الجيم والهاء والdal)، وأصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه، والجُهد بالضم: الطاقة (1) لغة أهل الحجاز، وبالفتح عند غيرهم: النهاية والغاية (2) والمشقة (3).

إذن فاللفظة قد استعملت للدلالة على حصول الشيء بمشقة، وذلك ببذل الوسع والطاقة فقالوا في ذلك: (الجُهد: بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو فيه، تقول: جَهَدْتُ جَهْدِي، وأجهدت رأيي ونفسي حتى بلغت مجهودي(4)). وجهد فلان في الأمر: جدّ فيه وبالغ، وجهد بفلان: امتحنه، ودابته: بلغ بها غاية طاقتها، وفلانا: بلغ مشقته وألح عليه في السؤال(5). و"المجهود": اللبن الذي أخرج زبده، ولا يكون ذلك إلا بمشقة ونصب(6). والجُهِيدَى: الجُهد، والتجاهد: بذل الوسع كالاجتهاد(7). والجُهاد: الأرض الغليظة ، وأجهدت لك الأرض : برزت ، وفلان مجهد لك : محتاط(8).

مما سبق ذكره من استعراض لمعاني لفظ الجهاد في معاجم اللغة يتضح لنا أن الأصل فيه المشقة التي تنتج عن استفراغ الوسع والطاقة بما يتاح من وسائل في الوصول إلى غرض مّا مع المبالغة والاحتياط .. وهذه هي جُمّاع معانيه اللغوية.

(1) أحمد بن زكريا بن فارس : معجم مقاييس اللغة (1/486) .

(2) الفيومي : المصباح المنير ، ص 112.

(3) ابن منظور : لسان العرب ، باب الدال فصل الجيم مادة: جهد ط1 دار صادر بيروت (3/133) .

(4) محمد بن مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، باب الدال، فصل الجيم، (2/1944) .

- (5) مجمع اللغة العربية : المعجم الكبير ، القاهرة حرف الجيم ، ط1 أخبار اليوم القاهرة 1420هـ 2000 ، (619/4) .
- (6) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة 486/1.
- (7) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، باب الدال فصل الجيم ( 404/1 )
- (8) أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، ط1 154/4 دار الكتب العلمية بيروت 1421هـ 2000م.

### تعريف الجهاد اصطلاحاً:

قد مرَّ مما سبق إيراد من تعريفات لغوية للجهاد المعنى العام لهذا المصطلح ، ونجد في بعض المعاجم المعنية بالمصطلحات ذكراً للمعنى الاصطلاحي له . فقد جاء في التعريفات للجرجاني ، مادة جهد: "الجهاد : هو الدعاء إلى الدين الحق"(1).

وهذا المعنى الاصطلاحي للجهاد عُرف بعد الهجرة إلى المدينة المنورة.

يقول الدكتور خير هيكل عن ذلك:

"أما الجهاد بمعناه الاصطلاحي الخاص والذي يعنى : بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة ، أو معاونة بمال أو رأى أو تكثير سواد أو غير ذلك ، فيبدو أن هذا المعنى الخاص للجهاد إنما كان في المدينة ، أما في مكة فلم يكن تشريع الجهاد قد أنزل بعد، وبهذا المعنى الاصطلاحي حفلت نصوص السنة المطهرة"(2).

وفي الموسوعة الفقهية : "هو قتال مسلم كافراً غير ذي عهد ، بعد دعوته إلى الإسلام وإبائه ، إعلاءً لكلمة الله"(3).

وقد كان لتخصيص لفظ الجهاد بالقتال والحرب أثره على نظرة الغربيين لمفهومه، حيث إنهم استغلوا هذا التخصيص استغلالاً سيئاً، ففسروه تفسيراً قاصراً على العمل الحربي فقط ، بحجة أن هذا المفهوم القاصر المبتور هو ما يعتقده المسلمون ، من واقع مدوناتهم المتخصصة ، وهم بهذا يتجاهلون أن العمل الحربي في الجهاد هو آخر مراحلها ، وكما قيل : "آخر الدواء الكي" ويتجاهلون أيضاً مجموعة النصوص القرآنية والنبوية ذات المعنى الشامل للجهاد .

- (1) الجرجاني : التعريفات ، ص80 .  
(2) د/محمد خير هيكل : الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، ط1 دار البيارق بيروت 1414هـ 1994م (39/1) .  
(3) الموسوعة الفقهية الكويتية (124/16) .

## مفهوم الغزوات

### أولاً - لغة :

قال ابن منظور : "عَزَا الشيءَ عَزْوًا أَرَادَهُ وَطَلَّبَهُ وَعَزَوْتَ فُلَانًا أَغْرُوهُ عَزْوًا وَالْعَزْوَةُ مَا غُزِيَ وَطُلِبَ ، وَالْعَزْوُ الْقَصْدُ وَقَدْ عَزَاهُ وَغَازَهُ عَزْوًا وَغَوَزًا إِذَا قَصَدَهُ وَعَزَا الأَمْرَ وَاعْتَزَاهُ كِلَاهِمَا قَصَدَهُ" (1).

يُقال : "عَزَوْتُ العَدُوَّ عَزْوًا . وَالاسْمُ العَزَاةُ . وَالنَّسْبَةُ إِلَى العَزْوِ عَزَوِيٌّ . وَرَجُلٌ غَازٌ وَالجَمْعُ غَزَاةٌ" (2).

وجاء في المعجم الوسيط :

"غزا العدو غزواً وغزواناً سار إلى قتالهم وانتهاهم في ديارهم فهو غاز ، والجمع: غزاة وغزى وغزى والشيء غزوا طلبه وقصده" (3) .

ومن هنا يُفهم أن الكلمة مبنية على طلب الشيء ، والسعى لحصوله . وهذا المعنى يتمشى مع الغزو ، أى : طلب العدو ومحاولة اللحق به والاشتباك معه .

### ثانياً - اصطلاحاً :

" وَالغَزْوُ السَّيْرُ إِلَى قِتَالِ العَدُوِّ وَأَنْتِهَابِهِ" (4).

" الغزوة : المرة من الغزو" (5).

والجمع غزوات ، وهى المعارك التى شارك فيها النبى (ﷺ) بنفسه أو بإرسال جيش من قبَله .

- (1) ابن منظور : لسان العرب (123 / 15) .
- (2) الجوهري : معجم الصحاح (1 / 2446) .
- (3) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (2 / 652) .
- (4) لسان العرب (123/15) .
- (5) المعجم الوسيط (652/2) .

يبدأ وات كلامه عن الجهاد والغزوات بالحديث عن سرية نخلة بوصفها السرية الأولى فى عهد الكفاح النبوى ، وإليكم ما قاله وات عنها .

## سرية نخلة (\*)

يقول وات عن هذه السرية :

"الرواية العادية للمعركة الأولى بين المهاجرين المسلمين والقرشيين الكفار التى وقعت خلال غزوة نخلة ، هى رواية ابن إسحاق عن عروة . وتقول هذه الرواية : إن عبدالله بن جحش أرسل معه جماعة من ثمانية إلى عشرة أشخاص جميعهم من المهاجرين . وقد أرسل معه محمد رسالة مختومة وأمره أن لا يفتحها إلا حين يصبح على بعد يومين من المدينة ، ففتحوا الرسالة ووجدوا فيها أمراً بالسير إلى نخلة الواقعة على الطريق من الطائف إلى مكة ، وأن ينصبوا كميناً لقافلة مكية ، فالتقوا بقافلة مكية فى نخلة وبدأوا بالهجوم فقتلوا أحد المكيين الأربعة المرافقين للقافلة وهو (عمرو بن الحضرمي) وأسروا اثنين ..... وهناك ظهر الخوف من مقتل المكى خلال شهر رجب الذى يحرم فيه سفك الماء . ولم يُوزَّع محمد الغنيمة فى أول الأمر ولم يقبل الخمس الذى هو من نصيبه حتى نزل الوحي وبرر فعلهم " (1).

ويلخص وات مهمة عبدالله بن جحش فى هذه السرية فيقول :

"كان الشئ الأساسى فى أوامر محمد المختومة إلى عبدالله بن جحش أن يذهب إلى نخلة ، وينصب كميناً لقافلة قريش ، والشئ الثانى أن يرفع تقريراً لمحمد (حسب روايات أخرى) . وهذه إضافة لاحقة تحاول أن تجعل لكلمة (ترصدوا) بمعنى (راقبوا) بدلاً من أن (ينصب كميناً) ، وهكذا تُرفع المسؤولية عن محمد بسبب أى معركة دموية " (2).

- (\*نخلة : واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ط2 ، دار صادر - بيروت 1995 (278/5) .
- (1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص9 ، 10 .
- (2) السابق ، ص12 .

## التحليل والتقويم

وإذا وقفنا وقفة تحليلية أمام كلام وات السابق وجدنا أن فيه عدة أخطاء ، وهى :

1- تسميته لهذه المعركة (غزوة) بينما هى فى الحقيقة (سرية) . وبلا شك فهناك فرق بين الغزوة والسرية ، وقد خلط وات بينهما .

"فالغزوة تطلق فى الغالب على كل مجموعة من المسلمين خرج بها النبى (ﷺ) ليلقى عدوه ، سواء حدث فيها قتال أم لم يحدث ، وسواء كان عددها كبيراً أم صغيراً . ويطلق على كل مجموعة من المسلمين يرسلها النبى (ﷺ) لاعتراض عدو، كلمة (سرية) أو (بعث) ، وقد يحدث فيها قتال وقد لا يحدث ، وقد تكون لرصد أخبار عدوه أو غيره ، وغالبا ما يكون عدد الذين يخرجون فى السرايا قليلا؛ لأن مهمتهم محددة فى مناوشة العدو وإخافته وإرباكه"(1).

وعلى أساس هذه الفروق بين السرية والغزوة ، فإن وات قد أخطأ فى التمييز بينهما.

2- ثم يقول وات بأن النبى (ﷺ) قد أمر أفراد هذه السرية بأن ينصبوا كميناً لقافلة قريش ، كما يزعم أن كلمة (ترصدوا) تعنى : (انصبوا كميناً) ، ولا تعنى : (راقبوا) ، وأن المسلمين قد فسروا فيما بعد كلمة (ترصدوا) بمعنى : (راقبوا) حتى لا تقع التبعة على رسول الله (ﷺ) إذا ما أريق دم فى هذه السرية أو غيرها .

وحتى نتبين ما إذا كان وات أمينا فى نقل الروايات أم لا ، فهى رواية ابن إسحاق التى يدعى وات أنه اعتمد عليها :

قال ابن إسحاق : ".... وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشِ بْنِ رَبَّابِ الْأَسَدِيِّ فِي رَجَبِ مَقْلَهُ مِنْ بَدْرِ الْأُولَى ، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ فَيَمْضِيَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ وَلَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا ... فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشِ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ فَنَظَرَ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ إِذَا نَظَرْتُ فِي كِتَابِي هَذَا فَاْمُضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةٌ ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعْلَمْ لَنَا مِنْ

أَخْبَارِهِمْ فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ قَالَ سَمِعًا وَطَاعَةً ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى نَخْلَةَ ، أَرْصِدُ بِهَا فُرَيْشًا ، حَتَّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبْرٍ وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْكُمْ . فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَى وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَسَلَّكَ عَلِيٌّ =

(1)د. محمد عبدالقادر أبو فارس : فى ظلال السيرة النبوية ، ط2 دار الفرقان ، عمان - الأردن 1408هـ ، 1988م ، ص12 .

الْحِجَارِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَعْدِنَ فَوْقَ الْفُرْعِ ، يُقَالُ لَهُ بَحْرَانُ ، أَضَلَّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَغُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لَهُمَا ، كَانَا يَعْتَقِبَانِيهِ . فَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ فِي طَلْبِهِ . وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ بِنَخْلَةَ فَمَرَّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيبًا وَأَدَمًا ، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ . فَلَمَّا رَأَهُمُ الْقَوْمُ هَابُوهُمْ وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ فَأَشْرَفَ لَهُمْ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمِنُوا ، وَقَالُوا عَمَارٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ . وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِيهِمْ وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ فَقَالَ الْقَوْمُ وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكَتُمْ الْقَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلَنَّ الْحَرَمَ ، فَلَيَمْتَنِعَنَّ مِنْكُمْ بِهِ وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَتَرَدَّدَ الْقَوْمُ وَهَابُوا الْإِفْدَامَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ شَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَأَخَذُوا مَا مَعَهُمْ . فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ عَمْرُو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالْحَكَمَ ابْنَ كَيْسَانَ وَأَقْلَتِ الْقَوْمُ نَوْفَلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعَجَزَهُمْ . وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعَيْرِ وَبِالْأَسِيرِينَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ . وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا غَنِمْنَا الْخُمْسَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُضَ اللَّهُ تَعَالَى الْخُمْسَ مِنَ الْمَغَانِمِ - فَعَزَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُمْسَ الْعَيْرِ وَقَسَمَ سَائِرَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، قَالَ مَا أَمَرْتُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . فَوَقَّفَ الْعَيْرَ وَالْأَسِيرِينَ ، وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ وَقَالَتْ قُرَيْشٌ قَدْ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ وَأَسْرُوا فِيهِ الرِّجَالَ فَقَالَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ . وَقَالَتْ يَهُودُ - تَفَاعَلَ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَمْرُو ، عَمَرَتْ الْحَرْبُ وَالْحَضْرَمِيُّ ، حَضَرَتْ الْحَرْبُ وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدَّتْ الْحَرْبُ . فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ... البقرة : 219 } أَيِ إِنْ كُنْتُمْ قَتَلْتُمْ

فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقَدْ صَدَّوْكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ الْكُفْرِ بِهِ وَعَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ،  
وَإِخْرَاجِكُمْ مِنْهُ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ } وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ  
الْقَتْلِ ... البقرة : 219 { أَي قَدْ كَانُوا يَفْتِنُونَ الْمُسْلِمَ فِي دِينِهِ حَتَّى يَرُدُّوهُ إِلَى الْكُفْرِ  
بَعْدَ إِيمَانِهِ فَذَلِكَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ } وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ  
دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا { أَي تُمْ هُمْ مُقِيمُونَ عَلَى أَحَبِّ ذَلِكَ =

وَأَعْظَمِهِ غَيْرَ تَائِبِينَ وَلَا نَازِعِينَ فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَذَا مِنَ الْأَمْرِ وَفَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ  
الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّقَقِ قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِيرَ  
وَالْأَسِيرِينَ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ فُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَكَمِ ابْنِ كَيْسَانَ فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نُفْدِيكُمْوهَا حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا - يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي  
وَقَاصِ ، وَعُثْبَةَ بْنَ عَزْرَانَ - فَإِنَّا نَحْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا ، فَإِن تَفْتَلُوهُمَا ، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ  
فَقَدَّمَ سَعْدٌ وَعُثْبَةُ فَأَفْدَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ " (1).

وبعد ذكر الرواية السابقة ، فإنه لا توجد فيها جملة (انصبوا كميناً) كما ادعى وات .  
فأين أمانة النقل عن المصادر !!

ثم إن المعنى اللغوي لكلمة (ترصد) يردُّ على وات تفسيره الخاطئ للكلمة ، بأنها  
تعنى (انصب) ، فقد جاء فى معاجم اللغة أن كلمة (رصد) تعنى : "رقب" (2) ،  
"وترصده بمعنى ترقبه" (3).

وكما يتضح من تعريف الكلمة فإنها لا تعنى - ولو من بعيد - : (انصبوا) .  
"ونظرًا لأن هذه الحادثة وقعت فى الشهر الحرام ، فقد أثار المشركون ضجة كبيرة  
بدعوى أن المسلمين ينتهكون حرمة الأشهر الحرم ، وكان لذلك وقع خطير فى  
الحواضر والبوادي ، فهو خرق لعُرف عام سَادَ الجزيرة العربية مدة طويلة قبل  
الإسلام" (4).

وكما أثارَت هذه الحادثة ضجة كبيرة فى أوساط المشركين قديمًا ، فهى الآن تثير  
حفيظة كثير من المستشرقين ، وعلى رأسهم مستشرقنا (مونتجرى وات) حيث  
يركز على أن هذه السرية كانت خرقًا من سيدنا محمد (ﷺ) وأصحابه لحرمة شهر  
رجب .

والواقع أن هذه السرية لم يقصد منها الهجوم ، وإنما قصد منها "الاستطلاع  
والتعرف على أخبار قريش" (5) .

- (1) السيرة النبوية لابن هشام(1/601 - 604 ) ، وانظر كذلك : ابن حزم : جوامع السيرة، تحقيق : إحسان عباس ، د. ناصر الأسد ، مراجعة : أحمد شاکر ، ط ، المطبعة العربية - لاهور ، باكستان 1401هـ - ، 1981م (104، 105) ، تاريخ الطبری (2/410 - 414) .
- (2) الزبيدي : تاج العروس (8/99) ، الفيروزآبادي: القاموس المحيط (1/282) ، ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (2/329) ، مراجع سابقة .
- (3) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط (1/348)، سابق .
- (4) د. أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ص 347 .
- (5) د. أبو بدر محمد بن بكر آل عابد : حديث القرآن عن غزوات الرسول (ﷺ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ، د.ت ، ص 42 .
- وهذا واضح من الرواية السابقة التي ذكرها ابن إسحاق ، فليس فيها أمر من النبي (ﷺ) بالقتال ، وإلا لأرسل معهم عددا كثيرا . لكن أفراد هذه السرية كانوا "ثمانية رهط من المهاجرين" (1).

3- وينتهز وات وقوع هذه السرية في شهر رجب ليؤكد على أن المسلمين لم يكونوا يحترمون الأشهر الحرم ، وأنهم كانوا طلاب دنيا وجباة غنائم ، دونما نظير منهم إلى حرمة الشهر الذي هم فيه . كما يؤكد وات على أنها وقعت في منتصف شهر رجب ؛ وذلك حتى يؤكد على أن المسلمين قد فعلوا هذه الفعلة المنكرة في شهر يحرم فيه القتال . وحتى يؤكد أيضا على أن ما فعله أفراد هذه السرية سيظل عارا ملازما لهم ، ولن ينفك عنهم بحال ، وفي ذلك كله يقول وات :

"أما القول بأن المهاجمين لم يكونوا يعرفون ما إذا كان الشهر الحرام انتهى أو لم ينته ، فهذه محاولة لغسل العار الذي أصبح مشهورا، ومما يدعو للشك أنه بينما تقول بعض المصادر بأن ذلك كان في نهاية رجب ، إذا بمصادر أخرى تقول إن ذلك كان في مطلع شهر رجب والباقي يقوم على الافتراض ، وإذا كان الأمر كذلك فقد وقع الحادث نحو منتصف الشهر" (2) .

والشئ الأكيد هو أن هذه السرية لم تكن في منتصف الشهر كما يدعى وات ، وليس هناك خلاف بين أهل السير والتاريخ على أن هذه السرية كانت في آخر يوم من شهر رجب ، وهذا ما صرحت به الروايات (3).

4- كما يرى وات أن النبي (ﷺ) لم يبال بكسر حرمة شهر رجب ، وأن هذا أمر غير معيب عند سيدنا محمد (ﷺ) ؛ لأن تعظيم الأشهر الحرم من آثار الجاهلية التي جاء سيدنا محمد لمحوها كما جاء لمحو عبادة الأصنام ، فيقول : "وإذا افترضنا أن محمدا كان في نيته خرق الشهر الحرام فإنه لا يعنى أنه كان يفكر بارتكاب أمر معيب أو غير مشرف ، فلقد كان طابع شهر رجب المحرم مرتبطا بالديانة الجاهلية التي كان محمد يحاربها ؛ ولهذا كان خرق الشهر الحرام كتخطيم الأصنام .... وأسهل حل هو التفكير بأنه اكتشف بعد الحادث ردود فعل قوية حول خرق الشهر

الحرام أكثر مما كان ينتظر ، وربما خشى بعضهم عقاباً تنزله بهم الآلهة ، وهو عقاب ربما أثر بالطائفية جميعها فيما لو قبلوا الغنيمة . كما لاحظ البعض التناقض =

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (601/1) .  
(2) مونتجمري وات : محمد فى المدينة ، ص 13 .  
(3) انظر هذه الروايات فى : مغازى الواقدى (13/1) ، الطبقات الكبرى لابن سعد (10/2) ، السيرة النبوية لابن هشام (602/1) ، تاريخ الطبرى (411/2) مراجع سابقة .  
بين نقض الشريعة الإلهية من ناحية ، ودعوة محمد إلى التضحية فى سبيل الله من ناحية أخرى " (1).

ويمضى وات قائلاً : "وشئ آخر ثابت ، وهو أن محمداً لم يكن يعبأ كثيراً بالقتال فى الأشهر الحرم ، ولكن كان عليه أن يحترم معتقدات قسم كبير من أصحابه ، وأن يتجنب ما ينشأ عن ذلك من صدى يهدد سلطته كنبى " (2).

وكلام وات السابق ، يعنى : أن سيدنا محمداً (ﷺ) حين عاتب عبدالله بن جحش ورفاقه فى قتل عمرو بن الحضرمى ، فإنما فعل ذلك خشية أن يُغضب منه الكثيرين ، أو أن تضعف سلطته كنبى وأن يفر الناس من حوله ؛ لأنهم وجدوه يكسر حرمة الأشهر الحرم بالرغم من أنه أخبرهم من قبل أنها أشهرٌ يحرم القتال فيها .

كما يعنى كلامه : أن المسلمين كانوا لا يزالون يعبدون غير الله ، حين قال : "وربما خشى بعضهم عقاباً تنزله بهم الآلهة " ، وهذا من أمحل المحال .

كما يعنى أيضاً : أن النبى (ﷺ) كان لا يعظم الأشهر الحرم .

والحق أنه (ﷺ) كان يعظمها إلى آخر عمره ، وقد نزل عليه (ﷺ) فى تعظيم هذه الأشهر قرآن يُنلى ، كقوله تعالى : "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .  
التوبة : آية 36"

وهذه الآية ، بل هذه السورة كلها من أواخر ما نزل من القرآن ، فقد روى البخارى "عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَخْرُسُورَةٌ نَزَلَتْ كَامِلَةً بَرَاءَةً" (3).

يقول ابن كثير : " وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله (ﷺ) لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم فى ذلك ، وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم ، فبعث أبا بكر

الصديق - رضي الله عنه - أميرًا على الحج هذه السنة ، ليقوم للناس مناسكهم ،  
ويعلم المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا ، وأن ينادي في الناس ببراءة" (4).

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 13 ، 14 .

(2) السابق ، ص 16 .

(3) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حج أبي بكرٍ بالناس في سنة تسع ، رقم 4364 .

(4) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (102/4)

ومن الرواية السابقة يتضح أن هذه السورة نزلت بعد غزوة تبوك ، ومن المعروف  
أن غزوة تبوك كانت في " رجب سنة تسع " (1).

كما أن النبي (ﷺ) قد أكد على حرمة هذه الأشهر وتعظيمها في العام الذي مات فيه  
في حجة الوداع ، فعن أبي بكرٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الزمان قد  
استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم  
ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب مضر الذي بين جمادى  
وشعبان " (2) .

هكذا ، يظهر للقارئ أن النبي (ﷺ) لم يحلّ ما حرّم الله ولم ينتهك حرمة هذه  
الأشهر ، وكذا المسلمون .

فلماذا يصرّ وات على انتهاك المسلمين لحرمة هذا الشهر بقتالهم فيه دون تفهم  
لملابسات الواقعة ؟

"إن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام واضطهاد أهله ! فما  
الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة ، فأصبح انتهاكها معرّة وشناعة ؟ ألم يكن  
المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر قتل نبيهم ، وسلب أموالهم . لكن بعض  
الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته فإذا رأى هذه المصلحة  
مهدة بما ينتقضاها ، هدم القوانين والداستير جميعا" (3).

"وعلى كل الأحوال فلسرية عبدالله بن جحش هذه أهمية كبيرة في التاريخ ؛ فهي  
التي مهدت لتجاوز فكرة تحريم القتال في الأشهر الحرم ، فلقد انطلق الصحابة بعد  
ذلك وكل أيامهم جهاد ، ولو بقيت فكرة تحريم القتال في الأشهر الحرم لأصيب  
المسلمون بالخرج ، ومع ذلك فقد بقي الرسول (ﷺ) يلاحظ قدسية الأشهر الحرم  
عند العرب وتجنبهم فيها القتال ، وذلك من مراعاة الرأي العام " (4).

لقد رفع الله الحرج عن المسلمين حين أباح لهم القتال فى هذه الأشهر متى اعتدى عليهم .

- 
- (1) ابن هشام : السيرة النبوية (515/2) .  
(2) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب حَجَّةِ الْوُدَاعِ ، رقم 4406 .  
(3) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص 212 .  
(4) سعيد حوى : الأساس فى السنة وفقهها ، ط3 دار السلام ، القاهرة ، 1416هـ ، 1995م (433،434/1)

## غزوة بدر

والمتمأل فى أقوال وات المتعلقة بغزوة بدر يجد أنها تدور فى هذه النقاط :

**1- يرى وات أن الأنصار قد شاركوا فى الغزوات السابقة على بدر ، مخالفاً بذلك المصادر الإسلامية التى تنفى اشتراكهم فيها ، فىقول :**

"وتجمع المصادر على أن معركة بدر ، كانت الأولى التى يشترك فيها الأنصار ، غير أن هذا الإجماع ليس تاماً . ففى المقطع الوحيد الذى يُذكر فيه اسم الرواة يملكنا الشك ؛ لأن الأسماء الأخيرة فى الرواة متأخرة وهى أسماء أشخاص يظهر فى الخلافات الفقهية ، بالإضافة إلى أنهم جميعاً ينتمون لبنى مخزوم من قريش" (1) .

ويناقض وات نفسه فىقول عن الخطوات التى قام بها المكيون قبل غزوة بدر فىقول:

"تلك هى رواية الخطوات التى قام بها المكيون ، تنقلها إلينا مصادر متعددة، وتحتوى هذه المصادر - وإن كانت معادية لبنى مخزوم ومواليه لعبد شمس - على جزءٍ من الحقيقة" (2) .

**2- ويستبعد وات أن يكون غرض النبى (ﷺ) من هذه الغزوة هو الاستيلاء على تجارة مكة فيتساءل :**

"هل كان هدف محمد سلبياً ، وهو تحطيم تجارة قريش أم كان ينظر إلى أبعد من ذلك وهو فتح مكة ؟ لا شئ يدل على أن محمداً كان يفكر فى الاستيلاء على تجارة مكة من أجل المدينة" (3) .

3- كما يجعل وات انتصار النبي (ﷺ) فى سرية نخلة ، والغنيمة التى غنمها منها هو الدافع الذى دفعه إلى أن يخوض غمار غزوة بدر ، فيقول :  
"شجعت غنيمة غزوة نخلة سياسة الغزوات ضد القوافل المكية" (4) .

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 6 .

(2) السابق ، ص 18 .

(3) السابق ، ص 8 .

(4) السابق ، ص 16 .

4- ويريد وات أن يظهر المسلمين فى صورة الجبناء الحريصين على الحياة ، الخائفين من الموت ، فيقول :

"فلو علم المسلمون أنه سوف تحدث معركة لامتنعوا عن السير" (1).

ويقول : "فلم يكن - مثلا - أسيد بن حضير ، وهو من الزعماء الذين أسلموا مبكراً يؤيد محمداً بحماس للاشتراك فى الحملة ، ولكنه ما كاد يرى محمداً يعود منتصراً حتى اعتذر إليه" (2).

5- وفى محاولة من وات للانتفاص من قدر انتصار المسلمين الساحق فى هذه المعركة والحط من قيمته يقول :

"لا شئ يسمح بالقول بأن صفات الأنصار الحربية كانت أعلى من صفات القرشيين.....، ولا يمكن الاطمئنان كثيراً إلى التفاصيل ؛ لأن عدد ضحايا عليّ وحمزة لا شك مبالغ فيه ، وإذا حسبنا حساب المبالغة نستطيع القول بأن مزارعى المدينة لم يكونوا محاربين متفوقين على تجار مكة . كما يجب أن نتذكر أن الكفار الذين قُتلوا كانوا أكبر سناً من غالبية المهاجرين ، وربما كانوا (الكفار) يعانون العطش" (3) .

6- وبخصوص الحديث عن أسرى بدر ، يقول :

"وقرار محمد بحفظ أسرى بدر عامة بانتظار دفع الفدية ، ليس فقط دليلاً على الرحمة وحاجته إلى تحسين حالة المسلمين المالية ، بل هو بداية تحقيق الفكرة القائلة بأنه كى يحقق أهدافه البعيدة التى أخذت تتراءى له فوق الأفق ، فإنه سوف يحتاج

إلى كفاءات المكيين الإدارية ؛ لهذا فليست مهمته تحطيم هؤلاء القرشيين ، بل اكتسابهم إلى جانبه "(4).

كما يقول : "وقد وزّع في بدر كما يبدو حسب رأى محمد . وهذا ما يؤيد الرأى القائل بأنها كانت غزوة شخصية نظمها محمد ودعا الآخرين للاشتراك فيها "(5).

(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 18 .

(2) السابق ، ص 24 .

(3) السابق ، ص 21 .

(4) السابق ، ص 28 .

(5) السابق ، ص 352 .

**7- وأخيراً ، يشكك وات فى نزول الوحي على الرسول (ﷺ) فى هذه الغزوة ،** فيقول : "كما توجد إشارة إلى تجربة تشبه الوحي وقعت لمحمد كما يبدو عند احتدام المعركة تأكد بعدها أن المسلمين يتلقون مساعدة إلهية لا تقهر "(1) ويشير بذلك إلى هذه الآيات : "إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمُ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْنُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . سورة الأنفال (43-45)

### تحليل وتقويم الشبهات السبع السابقة

**1- أما بخصوص رأى وات فى أن الأنصار قد شاركوا فى السرايا التى سبقت غزوة بدر . فهذا خطأ ، لأنه قد جاء فى طبقات ابن سعد ما يرد ذلك وفيها :**

"وخرج من خرج معه من المهاجرين، وخرجت معه الأنصار فى هذه الغزاة ، ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك"(2) .

فهذه الرواية تدل على أن الأنصار لم يشتركوا مع رسول الله (ﷺ) فى السرايا والمعارك التى وقعت بعد بدر .

"ويبدو أن عدم اشتراك الأنصار فى الغزوات الأولى جاء لعدة اعتبارات ، منها : أن الجهاد فى سبيل الله لم يكن فرضًا ، وثانيا : لأن الخطاب فى آيات القتال الأولى موجه للمهاجرين : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ :

آية:39) وثالثا : أن النبي (ﷺ) لم يستنفر الأنصار للقتال كما استنفر المهاجرين وحينما نزل الأمر بالقتال في سبيل الله : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . البقرة : آية 244) اشترك الأنصار في الغزوات" (3).

وثمة عذرٌ آخرٌ للأنصار في عدم خروجهم مع رسول الله (ﷺ) قبل بدر "فقد بايع الرسول في بيعة العقبة الثانية على أن يحموه في بلادهم ، ولم يبايعوه على القتال معه خارج المدينة ؛ لذلك اقتصر السرايا التي سبقت بدرًا على المهاجرين" (4).

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 25 .

(2) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، (12/2) .

(3) عبد الله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص 256 .

(4) د. أكرم ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ص 358 .

ثم إن النبي (ﷺ) ما خرج يريد القتال "وإنما كان قصده غير قريش" (1).

والغريب حقًا أن وات حين يؤكد هنا أن الأنصار قد اشتركوا في السرايا التي سبقت بدرًا فقد شكك في موضع آخر أن يكون الأنصار قد اشتركوا في أية معركة سابقة على غزوة بدر ، فقال :

"إن بيعة الحرب (العقبة الثانية) لا تحدث إلا عن العمل الدفاعي ولا تحدث عن عمليات هجومية ، ولقد حدث أن كانت الغزوات الأولى هجومية ، وكانت تخرج من المدينة على أمل أن تنصب كمينا لبعض القوافل المكية . وليس أكيدًا أن أهل المدينة قاموا بدور في هذه الغارات ، ولكن يمكن أن يكونوا اشتركوا فيها" (2).

وهذا تناقض صريح وقع فيه وات ، وليس هذا هو التناقض الوحيد الذي وقع فيه وات ، فنجده يرفض الرواية التي تقول بأن الأنصار لم يشتركوا في معارك قبل بدر بدليل أن الرواة ينتمون إلى بنى مخزوم من قريش ، وفي مكان آخر نجده يتهم المصادر الإسلامية بعداوتها لبنى مخزوم .

**2- وبخصوص النقطة الثانية التي يتساءل فيها وات عما إذا كان غرض سيدنا محمد من غزوة بدر تحطيم تجارة قريش أم كان يهدف إلى فتح مكة ، ثم يُرَجَّح أن هدفه لم يكن الاستيلاء على تجارة قريش .**

إن هدف النبي (ﷺ) كان فتح مكة ، وهذا يعني انتشار الإسلام وذيوعه ونفوذ كلمته . وتلك كانت الغاية العظمى التي كان النبي يعمل لأجلها . لكن النبي في سبيل تحقيق

هذه الغاية سلك عدة سبل ، منها : إضعاف المشركين اقتصاديًا ، وإخافتهم عسكريا . وبدأ ذلك بمهاجمة قوافلهم ، ومنها مهاجمة عير قريش التي كانت سببًا في غزوة بدر إذن ، فقد كان غرض سيدنا محمد (ﷺ) من اعتراض هذه القافلة التجارية أن يأخذ بعضا من حقوق المهاجرين التي سُلبت منهم بسبب هجرتهم إلى المدينة ، فقد تركوا أراضيهم وديارهم وأموالهم وتجارتهم بسبب استبداد المشركين وظلمهم لهم ، وقد حان الوقت لاسترداد شئ من حقوقهم المسلوبة.

---

(1) محمد آل عابد : حديث القرآن عن غزوات الرسول (ﷺ) (43/1).

(2) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 351 ، 352 .

نعم .. إن هدف النبي (ﷺ) من مهاجمة هذه العير كان هو الحصول على الغنيمة لتعويض المسلمين عن سنين الحرمان والاضطهاد . وهذا واضح من استنفار النبي (ﷺ) لهم قبل مهاجمة العير .

يروى ابن هشام : " لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ الشَّامِ ، نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ هَذِهِ عَيْرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهُ يُنْفِلُكُمْوهَا " (1).

3- أما زعم وات بأن الغنيمة التي غنمها الرسول (ﷺ) في سرية نخلة هي التي شجعتة على القيام بمهاجمة القوافل التجارية لمكة ، فهذا زعم خاطئ .

ففي الرواية التي ذكرها أهل السير " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، قَالَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . فَوَقَّفَ الْعَيْرَ وَالْأَسِيرِينَ . وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا " (2).

وفي هذه الرواية ما يؤكد على أن الرسول (ﷺ) لم يقبل هذه الغنيمة بل عاتب عبدالله بن جحش وأصحابه في ذلك ، وقال لهم : ما أمرتكم بقتال ، ثم رد الأسيرين ، وبعث اليهم بالعير ، وفي ذلك ما يرد زعم وات .

4- ويريد وات أن يظهر المسلمين في صورة الجبناء الخائفين من الموت الذين تخلوا عن نصره نبيهم ، والدليل على ذلك تخلف أسيد بن حضير عن غزوة بدر 0

والحق أن تخلف أسيد بن حضير كان لأنه لم يتوقع أن النبي (ﷺ) سيلقي عدواً ، وقد ذكرت الرواية التي تشير إلي هذا المعني في المبحث السابق عند الكلام على (المعارضة الإسلامية في فكر وات ) .

"ونظراً إلى أن نداء الرسول (ﷺ) لم يكن ملزماً بل كان ندباً ، ونظراً لأن أحداً لم يكن يتوقع أن لقاء مسلحاً حاسماً سيتمخض عن التحدى الجديد هذا ، فقد خرج بعض المسلمين بقيادة رسولهم الكريم (ﷺ) لمهاجمة القافلة ، وتخلف بعضهم الآخر" (3).

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (606/1) ، السيرة النبوية لابن كثير (381/2) ، ابن سيد الناس : عيون الأثر (321/1) .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (604/1) .

(3) د. عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ، ص146 .

ثم إن أسيد بن حضير لم يكن وحده هو الذي تخلف عن بدر ، بل تخلف عثمان بن عفان أيضا لمرض زوجته ، كما أمر النبي (ﷺ) أبا أمامة بالبقاء مع أمه لمرضها .

"عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ إِنَّمَا تَعَيَّبَ عُمَانُ عَنْ بَدْرِ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مَرِيضَةً فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ" (1).

و"عن أبي أمامة بن ثعلبة أن رسول الله (ﷺ) أخبرهم بالخروج إلى بدر وأجمع الخرج معه فقال له خاله أبو بردة بن نيار : أقم على أمك يا ابن أخت فقال أبو أمامة : بل أنت أقم على أختك فذكر ذلك للنبي (ﷺ) فأمر أبا أمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة فقدم النبي (ﷺ) وقد توفيت فصرى عليها" (2).

كما يدعى وات أن المسلمين (مهاجرين وأنصاراً) لو علموا أن معركة ستنشب بينهم وبين المشركين ما خرجوا ، وهذا من أكذب الكذب على الروايات التاريخية ، فقد ثبت أن النبي (ﷺ) استشار الأنصار والمهاجرين قبل الغزوة فهبوا كالأسود .

يقول عبدالله بن مسعود عن المقداد بن الأسود : " شَهِدْتُ مِنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهُدًا لِأَنَّهُ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَدِلَ بِهِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ( اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا )

وَأَكْبَأُ نَفَائِلَ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسَرَّهُ يَعْنِي قَوْلَهُ" (3). هذا هو موقف واحد من المهاجرين .

أما الأنصار ، فلم يكونوا أقلَّ شجاعة من المهاجرين ، ويمثلهم سعد بن معاذ :  
" ..... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ وَإِنَّمَا يُرِيدُ  
الْأَنْصَارَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ وَأَنْهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا  
بُرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا ، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ  
مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّفُ أَلَّا  
تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إِلَّا مِمَّنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ  
أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ  
لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَجَلٌ قَالَ فَقَدْ آمَنَّا بِكَ =

(1) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب بركة الغزاة في ماله حيا وميتا مع النبي صلى الله عليه وسلم  
وولاية الأمر ، رقم (3130) .

(2) الطبرانى : المعجم الكبير ، سابق ، رقم . 792 .

(3) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب قصة غزوة بدر ، رقم 3952 .

وَصَدَقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنْ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَائِقَنَا  
، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَاَمْضُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ  
بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَا مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ  
وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوْنَا عَدَاً ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ صِدْقٌ فِي اللَّقَاءِ . لَعَلَّ اللَّهَ  
يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنُكَ ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ . فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشِطَهُ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ سِيرُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي  
إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَاللَّهِ لَكَأَنَّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ" (1).

هذا هو موقف المهاجرين والأنصار من غزوة بدر ، وهذا هو حماسهم الشديد الذى  
يريد أن يقلبه وات إلى تخاذل وخور ، وهذا هو استعدادهم الكامل للشهادة فى سبيل  
الله . أفبعد ذلك يصح كلام وات بأنهم لو علموا أنهم سيحاربون المشركين ما ذهبوا  
مع رسول الله (ﷺ) لملاقاتهم .

**5- ويشكك وات فى انتصار المسلمين الساحق على المشركين من أهل مكة فى هذه  
المعركة ؛ إذ لا يُعقل أن ينتصر أهل المدينة على القرشيين لأن أهل المدينة كانوا  
مزارعين بينما كان القرشيون أهل تجارة . والتجّار أعرف بفنون القتال من  
غيرهم ؛ لحاجتهم إليه فى الدفاع عن قوافلهم ، كما أن الذين قُتلوا فى هذه المعركة  
من المشركين كان معظمهم شيوخاً ، أى غير قادرين على القتال ؛ ولذا كانوا لقمة  
سائغة فى أيدي جيش المسلمين (مزارعى المدينة الضعفاء) . أو أن الذى ساعد على**

هزيمة المشركين أنهم كانوا عطشى فى المعركة ؛ إذ لو ارتووا بالماء لهزموا المسلمين هزيمة ساحقة .

وهكذا ، نجد وات يحاول أن يتفنن فى اختلاق الأعذار للمشركين من أهل مكة ، ويحاول أن يخفى جوانب القوة عند المسلمين وكأن النصر قد جاء اتفاقاً ، بلا تخطيط من الرسول (ﷺ) والمسلمين .

كما يؤكد وات هذا المعنى : بأن الروايات التى تقول إن علي بن أبى طالب ، وحمزة بن عبدالمطلب قد قُتلا عدداً من المشركين ، هى روايات مبالغ فيها . والواقع ان هذه الروايات ليس فيها أى نوع من أنواع المبالغة ، فهذا ما تؤكد الروايات التاريخية ، وأذكر منها :

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (615/1) ، ابن كثير : السيرة النبوية (392/2) .

أ - عن عبد الرحمن بن عوف ، قال قال لي أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه أخذ بأيديهما : "يا عبدَ الإلهِ مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعَلَّمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ ؟ قَالَ قُلْتُ : ذَلِكَ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ، قَالَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ ؟" (1) .

ب - "قال نوفل بن خويلد لجبار بن صخر : مَنْ هَذَا ؟ وَاللَّاتِي وَالْعُرَى ، إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا ، إِنَّهُ لَيُرِيدُنِي قَالَ هَذَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَسْرَعَ فِي قَوْمِهِ مِنْهُ . فَيَصْنُدُ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَضْرِبُهُ فَنَسِيبُ سَيْفٍ عَلِيٍّ فِي حَجَفَتِهِ سَاعَةً ثُمَّ نَزَعَهُ فَيَضْرِبُ سَاقِيهِ وَدِرْعَهُ مُشَمَّرَةً فَقَطَعَهُمَا ؛ ثُمَّ أَجْهَرَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِنَوْفَلِ بْنِ خُوَيْلِدٍ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا قَتَلْتَهُ . قَالَ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجَابَ دَعْوَتِي فِيهِ" (2) .

هذه شهادات الأعداء بأن علياً وحمزة رضى الله عنهما قد أوقعا عدداً كثيراً من المشركين فى ساحة المعركة ، وأنه ليست هناك أية مبالغة فى الروايات التى وردت بهذا الشأن ، " وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا... يوسف : 26 " .

**6- وَيُخْطِئُ وَات كَذَلِكَ حِينَ يَفْسِّرُ احْتِجَازَ النَّبِيِّ (ﷺ) لِأَسْرَى بَدْرٍ بِأَنَّهُ (ﷺ) كَانَ فِي حَاجَةٍ إِلَى كِفَايَاتِهِمُ الْإِدَارِيَّةِ ، وَأَنَّهُ (ﷺ) قَدْ وَزَّعَ فِي الْغَزْوَةِ تَبَعًا لِهَوَاهُ لَا بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ غَزْوَةً شَخْصِيَّةً يَسْتَفِيدُ مِنْهَا شَخْصَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَحْدَهُ .**  
إن وات يُصَدِّرُ كلامه بأن حفظ الأسرى كان قرار النبي وحده . وغرضه من ذلك أن يثبت أن سيدنا محمداً (ﷺ) كان يعمل لأغراض شخصية خاصة ، لا شرعية عامة .

والصحيح أن تحفظ النبي (ﷺ) على أسرى بدر كان بعد مشاورته لأصحابه في ذلك ثم أخذ النبي برأى الأغلبية وهو العفو عنهم مقابل الفدية ، فنزل القرآن يعاتبهم في ذلك .

فعن ابن عباس قال: "... فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قُلْتَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمْكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمْكِّنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهَوِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَتَكَيَّانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْبَبْتَنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبَكِّي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ =

- (1) ابن هشام : السيرة النبوية (1/631) ، ابن كثير : السيرة النبوية (2/439) ، مغازى الواقدي (1/83) .  
(2) مغازى الواقدي (1/92) .

فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةَ قَرِيْبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ( مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتُخَنَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ) [ الأنفال / 67 - 69 ] فأحل الله الغنيمة لهم" (1).

"والإثخان المقصود : هو التقتيل حتى تضعف شوكة المشركين وتشتد شوكة المسلمين ، وهذا ما كان ينبغي قبل أن يكون للنبي والمسلمين أسرى يستبقونهم ويطلقونهم بالفدية كما حدث في بدر فعاتب الله المسلمين فيه . لقد كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين ، وكان المسلمون ما يزالون قلة والمشركون ما يزالون كثرة ، وكان نقص عدد المحاربين من المشركين مما يكسر شوكتهم ويذل كبرياءهم ويعجزهم عن معاودة الكرّة على المسلمين . وكان هذا هدفاً كبيراً لا يعدله المال الذي يأخذونه مهما يكونوا فقراء" (2).

ويتضح مما سبق أن هذه القرارات ليست قرارات النبي (ﷺ) وحده . ففي المرة الأولى نزل النبي (ﷺ) على رأى الأغلبية من الصحابة ، وفي المرة الثانية نزل على أمر الله سبحانه وتعالى له .

أما زعم وات بأن النبي (ﷺ) قد احتفظ بالأسرى للاستفادة بهم في إدارة شئون البلاد، فهذا غير صحيح وإنما أبقى النبي عليهم حتى يأخذ الفدية منهم وكان من لم

يستطع أن يفدى نفسه أو يفديه أحد من أهله ، أمره النبي (ﷺ) أن يُعلم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة ؛ لمحو أمية المسلمين في المدينة .

يقول ابن سعد : "كان فداء أهل بدر أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين الكتابة ، فكان زيد بن ثابت ممن علم"(3).

هذا هو سبب إبقاء النبي عليهم ، فأين الشؤون الإدارية التي قام بها هؤلاء المشركون في المدينة ؟

"فستان بين أن يكون المشرك إدارياً في الدولة الإسلامية ، وبين أن يكون مُعلماً فيها؛ إذ أن إدارته تجعله متحكماً في رقاب المسلمين ، لكن حينما يكون المشرك مجرد معلم في الدولة الإسلامية فإنه يكون خاضعاً لرقابة الدولة"(4).

- 
- (1) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، رقم 1763 .
  - (2) تفسير الظلال (1552/3 ، 1553) .
  - (3) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى (22/2) .
  - (4) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص258 .

وأما اتهام وات للنبي (ﷺ) بأنه قد ورَّع غنائم بدر على هواه ، فهذا خطأ أيضا ؛ وذلك لأن الله تعالى هو الذى شرع تقسيم الغنائم ، وحدد أنصبتها ، قال تعالى :

"وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الأنفال ، آية : 41 ."

وجاء هذا التشريع بعد أن اختلف المسلمون في توزيعها "فأمر رسول الله (ﷺ) بما في العسكر مما جمع الناس فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه : هو لنا وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : لولا نحن ما اصبتموه نحن شغلنا عنكم العدو فهو لنا وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله (ﷺ) لقد رأينا أن نقتل العدو حين منحنا الله أكنافهم ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ولكننا خفنا على رسول الله (ﷺ) كرة العدو فما أنتم بأحق به منا فنزعه الله من أيديهم فجعله إلى رسول الله فقسمه في المسلمين عن بواء يقول عن السواء"(1).

إذن ، فالنبي (ﷺ) في كل ما سبق نجده يمتثل للتوجيهات الإلهية ، ولا يقرّر شيئا من تلقاء نفسه فيما يتعلق بالتشريعات .

7- وبالنسبة لتشكيك وات في نزول الملائكة ، واشتراكهم مع المسلمين في غزوة بدر ، فهذا مردود بثبوت نقيضه في القرآن والسنة ، ومن ذلك :

قول الله تعالى : " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ . بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . آل عمران : ( 123 - 126 ) .

وقوله تعالى : " إِذْ يُوجِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . الأنفال : آية 12 "

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (1/641) ، ابن سيد الناس : عيون الأثر (1/346) .

وفي السنة أمثلة كثيرة على نزول الملائكة ، منها :

1- " عن ابن عباس قال بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتِ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمَ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَحَرَّ مُسْتَقْبًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاحْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ (1) .

2- " عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب " (2) .

3- ولما أسر العباس بن عبدالمطلب يوم بدر على يد أحد الصحابة " قال العباس : يا رسول الله ، إن هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجح ، من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول الله ، فقال : اسكُتْ ، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم " (3) .

وفي هذه النصوص دلالة قوية على أن الله سبحانه وتعالى قد أيد نبيه محمدًا (ﷺ) والمسلمين في غزوة بدر بمدد من عنده سبحانه وتعالى ، وأنه قد وقعت بعض هذه

المعجزات والخوارق ، والتي رآها بعض القوم من المسلمين والمشركين وحدثوا بها بعد ذلك .

وقد كان هذا المدد الملائكى من الله تعالى ؛ لإشعار المسلمين بأنهم فى معيَّة الله سبحانه وتعالى ، وأنهم ليسوا وحدهم فى مواجهة المشركين ، بل كان الله معهم .  
ومن هنا " فقد اتفق العلماء قاطبة على إمداد الله سبحانه للمسلمين يوم بدر بالملائكة"(4).

لكن مأزق وات يرجع إلى تبيّنه للمنهج المادى وعدم اعترافه بالروحانيات ، فهو لا يقر بالمعجزات فى عالم الرسالات .

- 
- (1) صحيح مسلم ، ك: الجهاد والسير ، باب : الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر وإباحة الغنائم ، رقم(1763)
  - (2) صحيح البخارى ، ك : المغازى ، باب شُهُودِ الْمَلَائِكَةِ بَدْرًا ، رقم (3995).
  - (3) مسند أحمد ، (261/2) ، رقم 949 ، وقال الشيخ الأرنؤوط : إسناده صحيح .
  - (4) د. محمد أبو شهبه : السيرة النبوية (144/2).

## غزوة أحد

يبدأ وات كلامه عن غزوة أحد بالتشكيك فى جُلِّ الروايات التى تحدّثت بشأنها ، فيقول : " نجد فى المصادر القديمة كمية ضخمة من الأخبار حول معركة أحد ، ولكن جزءًا كبيرًا منها يحتوى على أخبار حوادث تافهة كُتبت لتمجيد أشخاص (وحفظها أحفادهم أو قبائلهم) أو على العكس لاتهامهم . ولا تسمح هذه الأخبار بإعطاء سرد واضح أو كامل للمعركة "(1).

ثم يفصّل وات كلامه عن أحداث المعركة على النحو التالى :

1- يشكك فى أن عبدالله بن أبى بن سلول قد خذل النبى (ﷺ) فى غزوة أحد ، فيقول: "عجيب رحيل عبدالله بن أبى ورفاقه قبل المعركة ، ونقول المصادر إنه استاء من أن محمّدًا لم يتبين المخطط الذى دافع عنه سابقًا ، ولكن يصعب تصديق ذلك ؛ لأنه ذهب مع محمّد - كما يبدو - حتى مكان القتال ، ويمكن القول بأنه انسحب بالاتفاق مع محمّد للدفاع عن المكان الرئيسى ضد هجوم منتظر من العدو "(2).

2- كما يردُّ وات الروايات التى تقول بأن خالد بن الوليد (\*) كان قائد الخيالة الذين احتلوا مكان الرماة المسلمين حين شُغلوا بجمع الغنائم وتركوا أماكنهم ، فيقول :

"أما نسبة الهجوم على مؤخرة المسلمين إلى خالد ، فهي نتيجة عداوة المصادر نحوه لأننا نسمع في مكان آخر أن الخيالة كانت تحت قيادة صفوان بن أمية (\*\*)" (3) ، ويشير وات في الهامش إلى مغازى الواقدي .

3- يشكك في الرواية الإسلامية التي وردت في غزوة أحد ، والتي رواها الواقدي ، وابن إسحاق ، ويرى تفسيراً آخر لهذه الرواية ، فيقول :  
"نستطيع القول إذن أن الرواية الرسمية الإسلامية يجب أن تُغيّر" (4).

(1) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص32 .

(2) السابق ، ص33، 34 .

(\*) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن محزوم القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان ، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب وهما أختنا ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم. كان أحد أشرف قريش في الجاهلية وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية ، مات خالد بن الوليد بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين وقيل: توفي بالمدينة النبوية . انظر : ابن حجر : الإصابة (1/283) .

(\*\*) صفوان بن أمية: بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو وهب الجمحي أمه صفية بنت معمر بن حبيب جمحية أيضاً ، أقام بمكة حتى مات بها مقتل عثمان وقيل: دفن مسير الناس إلى الجمل وقيل: عاش إلى أول خلافة معاوية قال المدائني: سنة إحدى وقال خليفة سنة اثنتين وأربعين . انظر : ابن حجر : الإصابة (2/41) .

(3) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص36، 37 .

(4) السابق ، ص38 .

4- كما يشكك في ثبات موقف النبي (ﷺ) في هذه الغزوة ؛ لأنه تردّد في الخروج لملاقاة المشركين وأنه خرج ليُقَوِّىَ معنويات المسلمين من ناحية ، وليثبت للمشركين أنه ليس خائفاً منهم ، ويسرد وات آيات سورة الأنفال ، وهي:

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ . الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . الأنفال : آية : 65، 66"

ويقول معلقاً على هذه الآيات :

"وكان محمد يعلم - بدون شك - أن في ذلك مبالغة . كما نراه يتردد في الخروج إلى لقاء المكيين ، ولكن ربما كان يعتقد أنه كان يجب عليه أن يتكلم بهذه الطريقة ليقاوم الخوف من القرشيين ، ويقاوم معنويات المسلمين" (1).

5- يتهم وات المصادر الإسلامية بأنها حاولت إخفاء عظم الكارثة في أحد ، فيقول :

"لقد اعتقد بعض العلماء الغربيين في بعض الأحيان أن المصادر تحاول أن تخفي عظم الكارثة في أحد" (2).

6- ويصف حمراء الأسد بأنها كانت تظاهراً بالشجاعة الفارغة من محمد ، فيقول :

"ولم يكن في نية محمد مهاجمة المكيين . كان ذلك عملاً يقوم على التحدى وإظهار القوة حتى يمنع المكيين من العودة إلى الهجوم .... ولكي يُضفي محمد الروعة على مظهرته هذه فقد أمر رجاله بجمع الحطب خلال النهار ، وأشعل النيران في الليل" (3) .

وإليك تحليل هذا الكلام وتقويمه :

---

(1) مونتجرى وات : محمد في المدينة ، ص 39 .

(2) السابق ، ص 41 .

(3) السابق ، ص 44 .

### التحليل والتقويم

في البداية ، بدأ وات كلامه بالطعن - مسبقاً - في الروايات التي حكى وقائع وملابسات غزوة أحد ؛ وذلك تمهيداً للطعن في الروايات التي تصادم فكرة عنده كما سيتضح من خلال النقاط التالية . وقد جعلت الرد عليه في نقاط ، كما سبق أن جمعت آراءه في هذه المعركة على صورة نقاط ، وذلك على النحو التالي :

**1- النقطة الأولى** ، التي يدعى فيها وات أن عبدالله بن أبي بن سلول لم يخذل النبي (ﷺ) وأصحابه في غزوة أحد ، ويدلل وات على صدق نية ابن سلول وحسن طويته بأنه لو كان في نيته الخيانة من البداية لما خرج معهم من المدينة ابتداءً . ويُرجح وات أن ابن سلول وأصحابه قد رجعوا إلى المدينة بناءً على اتفاق تم بين النبي (ﷺ) وابن سلول ؛ لحماية الأماكن المعرّضة للهجوم في المدينة .

إن المصادر الإسلامية كلها ، وعلى رأسها المصادر التي رجع إليها وات ، وهي سيرة ابن إسحاق ، ومغازي الواقدي - تذكر تخاذل ابن سلول في معركة أحد :

"قال ابن إسحاق : حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشُّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَحُدٍ ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْتِ سَلُولٍ بِثَلَاثِ النَّاسِ وَقَالَ أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي ، مَا نَذَرِي عَلَامَ نَقُتْلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ فَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ وَالرَّيْبِ وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ يَقُولُ يَا قَوْمِ أَدَّكَرُكُمْ اللَّهُ إِلَّا تَخَذَلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيِّكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَقَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُفَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالًا . قَالَ فَلَمَّا اسْتَعْصَمُوا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الْإِنْصِرَافَ عَنْهُمْ قَالَ أَبَعَدَكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ فَسَيُعْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ" (1).

ففى هذه الرواية أن ابن سلول ومن معه من المنافقين قد تركوا جيش المسلمين ورجعوا إلى المدينة ؛ خوفا على أرواحهم من القتل ، وجُبنا من لقاء العدو .

وأما قول وات بأن ابن سلول قد ذهب مع النبي (ﷺ) إلى مكان المعركة ، فهذا مما لا دليل عليه ، بل إن الثابت أنه رجع هو ومن معه حين بلغوا (الشوط) ، وهو مكان بين المدينة وأحد كما جاء فى الرواية السابقة . بل ربما لم يتجاوزوا حدود المدينة ، بمعنى أنهم لم يخرجوا منها أصلا . ويؤيد هذا الاحتمال ، ما جاء فى معجم البلدان : أن "الشوط : اسم حائط يعنى بستانا بالمدينة" (2).

(1) سيرة ابن إسحاق تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 1424 هـ ، 2004م ، ص 333 ، السيرة النبوية لابن هشام (64/2) ، مغازى الواقدي (299/1) ، عيون الأثر لابن سيد الناس (407 /1) ، ابن حزم : جوامع السيرة (157) مراجع سابقة .

(2) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ط2 دار صادر ، بيروت ، 1995 م (372 /3).

كذلك ، لم ينسحب ابن سلول من المعركة لاستيائه من خطة النبي (ﷺ) العسكرية — كما يدعى وات — وإنما "كان هدفه الرئيس من هذا التمرد أن يحدث بلبلة واضطرابًا فى الجيش الإسلامى ؛ لتنهار معنوياته ، ويتشجع العدو ، وتعلو همته . وعمله هذا ينطوى على خيانة عظمى وبغض للإسلام والمسلمين" (1).

ولو كان ابن سلول قد انسحب من المعركة بالاتفاق مع النبي (ﷺ) كما يدعى وات ، لما لحقه عبدالله بن حرام (\*) مُحَوِّفًا إياه غضبَ الله ورسوله ، كما حكى الرواية التى سقتها قبل قليل ، ولما احتدم الصراع بين ابن سلول والمسلمين فى المدينة بعد الرجوع من الغزوة . فقد أظهر المنافقون العداوة للرسول (ﷺ) والمسلمين ، وافتضح أمر ابن سلول ومن معه وضاعت مكانته التى كان يحتلها قبلاً .

يروى ابن إسحاق : " فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْتِ سَلُولٍ ، كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابِ الزَّهْرِيِّ ، لَهُ مَقَامٌ يَوْمَهُ كُلِّ جُمُعَةٍ لَا يُنْكَرُ شَرَفًا لَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قَوْمِهِ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا ، إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَامَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ وَأَعَزَّكُمْ بِهِ فَانصُرُوهُ وَعَزِّرُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، ثُمَّ يَجْلِسُ حَتَّى إِذَا صَنَعَ يَوْمَ أَحُدٍ مَا صَنَعَ وَرَجَعَ بِالنَّاسِ قَامَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ فَأَحَدَ الْمُسْلِمُونَ بِثِيَابِهِ مِنْ نَوَاجِيهِ وَقَالُوا : اجْلِسْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ لَسْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلِ ، وَقَدْ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ فَخَرَجَ يَنْحَطِي رِقَابِ النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَكُنَّا

قُلْتُ بَجْرًا أَنْ قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرَهُ . فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ مَا لَكَ ؟  
وَيْلَكَ قَالَ قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرَهُ فَوُتِبَ عَلَيَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَجْذِبُونَنِي وَيُعْتَفُونَنِي ،  
لَكَأَنَّ مَا قُلْتُ بَجْرًا أَنْ قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرَهُ . قَالَ وَيْلَكَ ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَاللَّهِ مَا أَبْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي " (2).

فهذه الرواية تدل على تأزم الموقف بين المسلمين وابن سلول بعد رجوعهم إلى المدينة ؛ مما ينفي إمكانية حدوث أية اتفاقات بين الطرفين .

**2- وفي النقطة الثانية ، يدعى وات أن قائد الخيالة في غزوة أحد لم يكن خالد بن الوليد ، بل كان صفوان بن أمية ، وأن المصادر الإسلامية هي التي نسبت ذلك إلى خالد بن الوليد لمعاداتها له ، وقد اعتمد وات في هذا الرأي على هذه الرواية :**  
".....وأقبل المشركون ، قد صفوا صفوفهم واستعملوا على اليمين خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل. ولهم مجنبتان مائتا فرس ، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية - ويقال : عمرو بن العاص" (3)

(1)د. على محمد الصلابي : السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل أحداث - ط مكتبة فياض - المنصورة ، 1428هـ ، 2007 م ص615 .

(\* ) هو : عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي والد جابر بن عبد الله الصحابي المشهور ، كان من النقباء واستشهد بأحد . انظر . ابن حجر : الإصابة (157/2) .

(2)ابن هشام : السيرة النبوية (105/2) .

(3) مغازي الواقدي (220/1) .

ويلاحظ من الرواية السابقة أن الواقدي يتكلم بصيغة من صيغ التمريض فيقول :

(يُقال) : أي أنه غير متأكد مما يقول ، ثم إن الواقدي نفسه يروي في مكان آخر أن صاحب الهجوم على الرماة المسلمين هو خالد بن الوليد ، فيقول : "نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله ، فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة في الخيل ، فانطلقا إلى بعض الرماة فحملوا عليهم" (1).

وهذا يدل على أن الواقدي الذي أخذ عنه وات ، متردد في تحديد صاحب الهجمة على الرماة المسلمين .

وإذا فرضنا جدلا صحة رأي وات فيمكن " أنه بعد هزيمة المكيبين في البداية حدث تغيير في القيادات بسبب ما تعرضت له القيادات السابقة من موت أو جروح ، وحسب رواية نسطاس(\*) فإن مولاه صفوان كان في وضع صحي حرج للغاية بسبب إصابته في المعركة ، فلا يستبعد أن يتولى خالد قيادة الخيالة بعد صفوان " (2).

يقول نسطاس : "...ولقد رأيت رجلا من المسلمين ضمّ صفوان بن أمية إليه ضمة ظننت أنه سيموت حتى أدركته به رمق" (3).

ثم يدعى وات أن المصادر الإسلامية نسبت ذلك الهجوم إلى خالد بن الوليد زوراً وبهتاناً بسبب بغض مصنفها لخالد بن الوليد . وهذا أمر عجيب !! فكيف يبغض علماء المسلمين واحداً من أكابر صحابة رسول الله (ﷺ) . وقد سماه رسول الله : (سيف الله) .

روى النسائي عن أبي قتادة أن رسول الله قال عنه يوم مؤتة : " اللهم إنه سيفٌ من سيوفك أنت تنصره ، فمن يومئذ سُمي خالد سيف الله " (4).

**3- ثم يرى وات ضرورة تغيير الرواية الإسلامية التي تتحدث عن غزوة أحد، وذلك لمخالفتها الأحداث التاريخية . وتغيير هذه الروايات يقوم على أسس لخصها وات في مسألتين : "المسألة الأولى هي معرفة ما إذا كان نجاح المسلمين الأول عظيماً بالقدر الذي تقوله بعض المصادر ؛ لأنها تقول بأن المسلمين وصلوا إلى المعسكر المكي وأخذوا بنهبه . وهذا موضع شك لأن نفس المصادر تعترف بأنهم في الحقيقة لم يغنموا شيئاً ..... ، والمسألة الثانية : هي معرفة ما إذا كانت غريزة السلب عند الرماة هي السبب الوحيد لنقص تغطية مؤخرة المسلمين التي تعرضت للخيالة المكيين ..... يضاف إلى ذلك أن هذا الهجوم الجانبي لم يكن من وحى الساعة ، بل كان جزءاً من خطة المكيين في المعركة " (5).**

(1)مغازى الواقدي (232/1).

(\*نسطاس: مولى صفوان بن أمية الجمحي ، شهد أحداً مع المشركين ثم أسلم وحسن إسلامه فكان يحدث عن يوم أحد ، انظر ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة (3/187، 188).

(2)عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص264 .

(3) مغازى الواقدي (231/1).

(4) السنن الكبرى للنسائي (5/69).

(5)مونتجمرى وات : محمد في المدينة ، ص37، 38 .

إن الروايات التاريخية لا يمكن لأحد أن يُغيّرَها بجرّة قلم – كما يطالبنا بذلك وات –

إن وات يُرّجِح أن المسلمين لم ينتصروا في بداية المعركة كما تقرر ذلك المصادر الإسلامية ، ويستبعد القول بأن المسلمين قد اقتحموا معسكر المشركين ونهبوا ما فيه؛ وذلك لأن نفس المصادر تعترف بأن المسلمين لم يغنموا شيئاً في هذه المعركة.

وحقيقة الأمر : أن المسلمين كانوا قد انتصروا في الجولة الأولى من المعركة ، كما يقول الشهيد سيد قطب :

"وكانت الدولة أولّ النهار للمسلمين على الكفار حيث قتل من هؤلاء سبعون من صناديدهم . وانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نساءهم وحتى شممت النساء ثيابهن عن أرجلهن هاربات ، فلما رأى الرماة هزيمة المشركين وانكشافهم ،

تركوا مراكزهم التي أمرهم رسول الله (ﷺ) ألا يبرحوها. وقالوا : يا قوم ، الغنيمة! الغنيمة! فذكرهم أميرهم عهد رسول الله (ﷺ) فلم يسمعوا ، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة ، فذهبوا في طلب الغنيمة ، وأخلوا الثغر في أحد عندئذ أدركها خالد ، فكَرَّ في خيل المشركين ، فوجدوا الثغر خاليا فاحتلوه من خلف ظهور المسلمين . وأقبل المنهزمون من المشركين حين رأوا خالدا والفرسان قد علوا المسلمين ، فأحاطوا بهم ! وانقلبت المعركة ، فدارت الدائرة على المسلمين ، ووقع الهزج والمرج في الصف ، واستولى الاضطراب والذعر ، لهول المفاجأة التي لم يتوقعها أحد" (1).

وإذا كان وات قد استبعد — دون دليل — أن المسلمين قد نهبوا ما في معسكر المشركين وانتصروا في بادئ الأمر ، فقد أكد القرآن الكريم ذلك بقوله :

"وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . آل عمران : آية 152 ."

"قال ابن عباس : والحسُ : القتل" (2)

(1) سيد قطب : تفسير الظلال (462/1) .

(2) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (133/2).

هذا ، ولقد أكدت المصادر الإسلامية تلك النصره ، ونصت على نهب المسلمين لما في معسكر المشركين :

"فعن ابن عباس قال : تعليقا على قول الله (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ...آل عمران: 152) "...وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ، ثُمَّ قَالَ: " اِحْمُوا ظُهُورَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ ، فَلَا تَنْصُرُونَا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تُشْرِكُونَا " فَلَمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ ، أَكَبَّ الرُّمَاءُ جَمِيعًا ، فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْهَبُونَ ، وَقَدْ التَّقَتِ صُفُوفُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُمْ هَكَذَا- وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ - وَالتَّبَسُّوا ، فَلَمَّا أَحَلَّ الرُّمَاءُ تِلْكَ الْخَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا ، دَخَلَتِ الْخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالتَّبَسُّوا ، وَقُتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ" (1).

وكلمة نهب هنا لا تعنى السرقة كما هو دارج ، وإنما كانت غنيمَةً حلالاً للمسلمين .  
يقول ابن منظور : "النهب : الغنيمَة"(2).

لكن المسلمين بعدما نهبوا (أى : غنموا) تركوا ما نهبوه لَمَّا باغتهم خالد بن الوليد  
ومَن معه من الخيَّالة .

ويشكك وات فى أن هزيمة المسلمين فى هذه المعركة ترجع إلى ترك الرماة أماكنهم  
بحثاً عن الغنيمَة ، ويُرجع هذه الهزيمة إلى مهارة المكيين العسكرية ، وتفوقهم  
العددى ، وفى هذا يقول وات :  
"ولا شك أن انحطاط الصفات العسكرية عند المسلمين مرتبطة بازدياد عددهم . فلقد  
لاحظ محمد خلال السنة السابقة أنه بحاجة إلى جيش أقوى من جيش بدر "(3).

و يُلاحَظ من كلام وات أنه يضخم النصر المكيّ ويُحَلِّق به فى آفاق السماء ، ويُحَقِّر  
من قدر المسلمين ويهبط بهم إلى حضيض الغبراء .

ويرى أن هزيمة المشركين فى بادئ الأمر كانت لعبة سياسية "على أساس أنها  
انسحاب تكتيكي" (4).

---

(1)مسند أحمد (369/4) رقم 2609 ، وقال الشيخ الأرنؤوط : إسناده حسن ، وسيرة ابن كثير(47/3).

(2)ابن منظور : لسان العرب (773/1).

(3)مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 40 .

(4) عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة النبوية ، ص 262 .

ويرى وات أن هجوم خالد بن الوليد المباغت على الرماة المسلمين لم يكن من وحى  
الساعة وإنما كان خطة محكمة مدروسة من الجبهة المشتركة ، لكن الروايات  
الإسلامية تؤكد على أنها كانت وليدة اللحظة ، أو من وحى الساعة .

"قال رافع بن خديج : فلما انصرف الرماة وبقي من بقي نظر خالد بن الوليد إلى  
خلاء الجبل وقلة أهله ، فكرَّ بالخيـل وتبعه عكرمة فى الخيل فانطلقا إلى بعض  
الرماة فحملوا عليهم "(1).

فهذه الرواية تدل على أن الهجوم ، صنعَه الموقف ولم تصنعه عقليَّة خالد بن الوليد  
رضى الله عنه .

**4- زعم وات أن النبى (ﷺ) قد تردد فى الخروج إلى أحد لكنه خرج ليقوى معنويات  
المسلمين ، ويثبت للمشركين أنه ليس خائفاً منهم وأنه على استعداد لمواجهتهم .**

نعم . إن النبى (ﷺ) كان قد تردد فى الخروج لملاقاة جيش مكة فى هذه المرة ،  
ولكنَّ تردد الرسول (ﷺ) فى الخروج كان له مبرراته المقبولة ، فقد استشـار

أصحابه " واجتمع المسلمون حول رسول الله (ﷺ) يتدبرون أمرهم ، أخرجون لمقاتلة العدو فى العراق أم يستدرجونه إلى أزقة المدينة ، حتى إذا دخلها قاتله الرجال فى الطرق ، وقاتله النساء من فوق أسطح البيوت ؟" (2).

وكان أصحاب الرأى الأول (الخروج) من المسلمين " ممن فاتهم بدر ، قالوا : يارسول الله : اخرج بنا إلى أعدائنا " (3).

وقال بالرأى الثانى (البقاء فى المدينة) القليل منهم ، وكان الرسول (ﷺ) يرى "المقام فى المدينة والتحصن بها ، فإن هم دخلوا عليهم قاتلوهم ، ورأى هذا الرأى شيوخ المهاجرين والأنصار ، ورأى هذا الرأى أيضا عبد الله بن أبى بن سلول " (4).

وكان النبى (ﷺ) "كان يريد أن يعتمد الخطة التى يسمونها اليوم ، حرب الشوارع" (5).

- 
- (1) ابن سعد : الطبقات الكبرى (476/3) ، ابن سيد الناس: عيون الأثر (416/1) ، مغازى الواقدي (232/1).
  - (2) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص 243 .
  - (3) د. على الصلابى : السيرة النبوية ، ص 611 .
  - (4) د. محمد أبو شهبة : السيرة النبوية (188/2) .
  - (5) د. عماد الدين خليل : دراسة فى السيرة ، ص 157 .

لأن النبى (ﷺ) "كان يرى أن المدينة درع حصينة" (1).

فلم تكن رغبة النبى (ﷺ) فى البقاء بالمدينة جُبناً منه - حاشاه - وإنما كان ذلك منه (ﷺ) تخطيطاً عسكرياً ، وأخذاً بأسباب الغلبة والنصر . لكنه (ﷺ) نزل على رأى الأغلبية من شباب الصحابة فخرج لملاقاة المشركين عند أحد ، ولم يكن خروجه محاولة منه (ﷺ) لإثبات شجاعته أمام مشركى مكة كما يدعى ذلك وات .

كما شجع رسول الله (ﷺ) على هذا الرأى رؤيا منامية رآها ، وفيها :

"يقول رسول الله (ﷺ) للمسلمين إني قد رأيت وألله خيرًا ، رأيت بقرًا ، ورأيت في دباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولئها المدينة ، قال ابن هشام : وحدتني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت بقرًا لي تدبح ؟ قال فأما البقر فهى ناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي رأيت في دباب سيفي ، فهو رجل من أهل بيتي يقتل" (2).

وهذه الرؤيا توضح أن النبي (ﷺ) كان يميل إلى قتال المشركين مُتحصناً بالمدينة .  
"ومن الواضح أن الرسول (ﷺ) رَبَّى أصحابه على التصريح بأرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه ، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعويداً لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة" (3).  
"وخوفاً من أن يطول النقاش وتتعرض وحدة الصف المسلم للخطر ، وتلبية لنداء الشباب المتحمسين للقتال والشهادة أسوة بإخوانهم في بدر ، أسرع الرسول فدخل بيته ولبس درعه وحمل سلاحه" (4).  
إن النبي (ﷺ) يعوّد أصحابه على مبدأ الشورى حتى لو رأى أصحابه خلاف رأيه (ﷺ) ، على أن هذه الشورى تكون فيما لا نص فيه .

- 
- (1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، (502/2) .  
(\*ذباب السيف : طرفه المنطرف الذى يُضرب به ، وقيل : حدّه . انظر لسان العرب (380/1) ، والثلمة : الموضع الذى قد انتلم (أى انكسر) . انظر : لسان العرب (78 /12) .  
(2) ابن هشام : السيرة النبوية (63/2) ، ابن سيد الناس : عيون الأثر (407/1) ، ابن كثير : السيرة النبوية (21/3) ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (502 /2)  
(3) د. أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ص 380 .  
(4) د. عماد الدين خليل : دراسة فى السيرة ، ص 158 .

هذه هى حقيقة الأمر ، أمّا ما يقوله وات من أن النبي (ﷺ) قد خرج لتقوية الروح المعنوية للمسلمين ، وإبداء الشجاعة للمشركين فهذا مجرد ادعاء بلا دليل . إذ لو لم يكن النبي (ﷺ) مستعداً للقتال لما خرج على رأس ألف من المسلمين .  
**5- أما عن اتهام وات للمصادر الإسلامية بأنها أخفت عظم الكارثة فى أحد .**  
فيتلخص الرد فى نقطتين :

**النقطة الأولى :** أن هزيمة المشركين للمسلمين لم تصل إلى حدِّ الكارثة ، ولم تصل إلى هذا الحد الذى يعمل وات على تضخيمه ، فقد خرج المشركون لاسئصال شأفة سيدنا محمد (ﷺ) ومن معه ، ثم عادوا ولم يقتلوه . إذن فهم لم يحققوا الهدف الرئيس الذى خرجوا من أجله .  
عن ابن عباس قال: «لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء، قال أبو سفيان : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب (\*) أردفتم، شر ما صنعتم..» (1) .  
وهذا يدل على أن أبا سفيان قد وبَّخ جيش المشركين لأنهم لم يُحققوا أى هدف من أهدافه الذين خرجوا لأجلها .

**والنقطة الثانية :** أن المصادر الإسلامية ذكرت ما دقَّ وعظُم في هذه الغزوة ، سواءً في ذلك ما للمسلمين وما عليهم ، فذكرت "هزيمة المسلمين بسبب تقصير الرماة"(1) ، و ذكرت أيضا "قتل حمزة والتمثيل به"(2) ، كما ذكرت "الاعتداء على شخص رسول الله بشح رأسه وكسر ربايعته"(3) . ثم عاتب القرآن الكريم المسلمين فيما حدث منهم من تقصير ، بقرآن يُتعد بتلاوته إلى يوم القيامة ، بقوله : " **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعِمَ لَكِيْلًا تَحَزَّنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا آصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .** آل عمران آية : 152 ، 153 " .

فما الذي أخفته مصادرنا الإسلامية من وقائع هذه الغزوة بعد ذلك ؟

(\*الكاعب : الجارية التي كعب ثدياها وكعب ، بالتشديد والتخفيف ، والجمع: الكواعب . انظر . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى : تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط1 دار إحياء التراث العربي- بيروت - 2001م ، (211/1)

(1) أبو الحسن الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق: حسام الدين القدسي ط : مكتبة القدسي ، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م

(1) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى (476/3) ، مغازى الواقدي (232/1).

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (91/2).

(3) صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : غزوة أحد ، رقم 1790 .

**6- حمراء الأسد :** يدعى وات أن خروج النبي (ﷺ) لحمراء الأسد بعد غزوة أحد ، لم يكن بنية القتال وإنما كان مجرد تظاهر بالشجاعة لإرهاب المشركين . والحق أن النبي (ﷺ) كان مستعداً للقتال متى اضطرت له الظروف لذلك .

"فعندما سمع الرسول (ﷺ) ما كانت تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة خرج بمن حضره يوم أحد من المسلمين - دون غيرهم - إلى حمراء الأسد"(1).

ومما يدل على أن الرسول (ﷺ) كان مستعداً لحربهم ، وأن المشركين كانوا يهابون لقاء النبي ثانية بعد انتهاء المعركة ، ما يذكره الواقدي قائلا :

"وَكَانَ مِمَّا رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى أَبَا سَفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ كَلَامُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَبْلَ أَنْ يَطَّلَعَ مَعْبِدُ وَهُوَ يَقُولُ يَا قَوْمِ لَا تَفْعَلُوا فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَزَنُوا وَأَحْسَنَى أَنْ يَجْمَعُوا عَلَيْكُمْ مَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْحَزْرَجِ ، فَارْجِعُوا وَالدَّوْلَةُ لَكُمْ فَإِنِّي لَا أَمْنُ إِنْ رَجَعْتُمْ أَنْ تَكُونَ الدَّوْلَةُ عَلَيْكُمْ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِدُهُمْ صَفْوَانُ وَمَا كَانَ بِرَشِيدٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمُ الْحِجَارَةُ وَلَوْ رَجَعُوا لَكَانُوا كَأَمْسِ الدَّاهِبِ فَأَنْصَرَفَ الْقَوْمُ سِرَاعًا خَائِفِينَ مِنَ الطَّلَبِ لَهُمْ"(2).

وكلمة (تظاهر) التي وصف بها وات جيش المسلمين في حمراء الأسد ، والتي يقصد بها (التظاهر بالشجاعة) قد استخدمتها (دائرة المعارف البريطانية) ، وقد توقف عندها أحد الباحثين فلاحظ الآتي :

"استخدام كلمة showdown عند الحديث عن محاولة الرسول (ﷺ) للحاق بالمشركين بعد أن ولّوا هاربين من أرض معركة أحد . والكلمة فيها كثير من السخرية ، وتعني تظاهراً بفعل الشيء يُداخله التمثيل والكذب ، والموسوعة تقول إن الرسول الكريم (ﷺ) قام بتمثيل أنه أراد للحاق بالمكيين ، وذلك للاعتقاد السائد عند المستشرقين بأن معركة أحد كانت نصراً للمكيين"(3).

إن وات قد تأثر – بلا شك – بما في دائرة المعارف البريطانية محاولاً إثبات أن النبي (ﷺ) وجيشه كانوا يتظاهرون بالشجاعة الفارغة حرصاً منهم على الإبقاء على شيء من كرامتهم ، وحفظاً لماء وجوههم أمام بقية القبائل العربية .

وقد بينت وجه الحق في سبب خروج النبي (ﷺ) وجيشه إلى حمراء الأسد بعد انتهاء الغزوة ، وأنهم كانوا على استعداد لمواجهة جيش المشركين مرة ثانية .

(1)د. على الصلابي : السيرة النبوية ، ص679 .

(2)مغازي الواقدي (339/1) .

(1)وليد بن بليهش العمري : السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ط : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، د.ت ، ص63.

## حادث بئر معونة

بداية ، يحسن أن أذكر الواقعة كما روتها المصادر الإسلامية ، وهي :

"قدم أبو براء عامر بن مالك (\*) بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام وقال يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوهم إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء . أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين...فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب وهي إلى حرّة بني سليم أقرب . فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل ؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما

دعاهم إليه وقالوا : لن نخفر (أى : لن ننقض) أبا براء ، وقد عقد لهم عقدًا وجوارًا ؛ فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم من عصابة ورعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم يرحمهم الله إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فإنهم تركوه وبه رمق فارتت من بين القتلى (أى : حُمل من المعركة جريحا وبه رمق) ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا ، رحمه الله فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة (\*\*\*) من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر قال ابن هشام : ثم من بني كلاب وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بني سليم . قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه في ظل هو فيه . وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلها ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن أمية (\*\*\*) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قتلت قتيلين لأدينيهما" (1).

(\*) هو عامر بن مالك: بن جعفر بن كلاب العامري الكلابي أبو براء المعروف بملاعب الأسنة . الإصابة (89/2) .

(\*\*)القرقرة هي : الأرض الملساء . انظر . لسان العرب (82 /5) .

(\*\*\*) هو عمرو بن أمية بن حُوَيْلِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الضَّمْرِيُّ ابْنِ إِيَّاسٍ، أَبُو أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَهِدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بَدْرًا وَأُخْدًا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرِيَّةً وَخُدَّةً، وَبَعَثَهُ رَسُولًا إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَعَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَوَى أَحَادِيثَ . الذهبي : سير أعلام النبلاء (179/3) .

(1)ابن هشام : السيرة النبوية (183/2-185) .

هذه هي القصة من واقع المصادر الإسلامية

ويعجب وات من دفع رسول الله (ﷺ) لدية القتيلين الذين قتلها عمرو بن أمية ، وعدم أخذه لدية أربعين أو سبعين رجلا من المسلمين الذين قتلوا في هذا الحادث ، فيقول : "والشئ المزعج في هذه القصة أن محمداً يدفع دية قتيلين لعامر بن الطفيل، ولا يطالب بدية ما يقارب الأربعين قتيلا (\*) من المسلمين الذين كان عامر مسئولاً عن موتهم" (1).

## التحليل والتقويم

إن رسول الله (ﷺ) فعل ذلك لأنه - كما تقول الرواية - كان بينه وبين قبيلة الرجلين القتيلين عقد وجوار ؛ فلزم أن يؤدي ديتهما وبالفعل "انشغل بجمعها من المسلمين وحلفائهم اليهود" (2) .

فالرجلان المقتولان لا ذنب لهما ، ثم إن العهد كان بين الرسول (ﷺ) وبنى عامر . فبنو عامر - على ذلك - بريئون من القتل ، ولكن "استصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل من بنى سليم" (3) ، فقتلوه .

فكيف يأخذ النبي (ﷺ) الدية من بنى عامر وهم من دماء المسلمين بُرَاءً ؟

"وقد كان بإمكان النبي (ﷺ) أن يعتبر عمل عمرو بن أمية جزءاً من الانتقام الذى ينبغى أن يواجَه به المجرمون المعتدون ، ولكن ما ذنب الأبرياء حتى يؤخذوا بجريرة المعتدين من قومهم؟ . إن التوجيهات الإسلامية الرفيعة دفعت بالمسلمين ونبیهم (ﷺ) إلى الرُقَى الأخلاقى الذى لانظير له فى دنيا الناس" (4).

وبهذا يبطل عجب وات الذى أبداه فى بداية كلامه .

- 
- (\* ) جاء فى صحيح البخارى أنهم كانوا سبعين رجلا ، وهو الأصح : انظر صحيح البخارى ، كتاب : الجمعة ، باب : الوتر فى السفر ، رقم 1002 .  
(1) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 48 .  
(2) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص 270 .  
(3) د. محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، (242/2)  
(4) د. على الصلابى : السيرة النبوية ، ص 679 .

## صلح الحديبية

خرج النبي (ﷺ) فى السنة السادسة للهجرة ، فى يوم الاثنين من ذى القعدة (\*) معتمراً إلى مكة .

وسبب خروجه أنه (ﷺ) : " رأى رؤيا فى منامه وهو فى المدينة ، وتتلخص هذه الرؤيا فى أن النبي (ﷺ) رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين مُحْرِمًا مؤدياً للعمرة ، وقد ساق الهدى مُعْظَمًا لبيت مقدّسا له ، فبشّر النبي (ﷺ) أصحابه ففرحوا بها " (1).

ونزلت الآية : "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا . سورة الفتح . آية : 27" .

يقول الإمام الطبرى - يرحمه الله - :

" يقول تعالى ذكره : لقد صدق الله رسوله محمداً رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين ، لا يخافون أهل الشرك ، مُقَصِّرًا بعضُهُم رأسه ومحلقًا بعضهم" (3).

وعن هذه الرؤيا يقول وات : "ربما تأثر وصف محتوى الرؤيا بالحوادث اللاحقة . ولا شك أن الرؤيا هي التى دفعت محمداً إلى التفكير بالحج ، ولقد قلق حينما رأى وعد الله لا يتحقق ، ولربما فرضت الفكرة نفسها عليه لأسباب سياسية" (4).

ويقول كذلك : "وكان الشهر شهراً حراماً يحرم فيه سفك الدماء . ولكن محمداً نفسه لم يُراعَ تماماً الأشهر الحرم ، ولم يكن يعتمد على قدسية هذا الشهر بل على عدد أنصاره" (5).

كما يعلق على نص المعاهدة ، قائلاً : "ربما لم يكن هذا هو النص الحقيقى للمعاهدة بسبب تبدل الأشخاص المفاجئ" (6).

---

(\* ابن هشام : السيرة النبوية (307/2) ، السيرة النبوية لابن كثير (312/3).

(2) محمد آل عابد : حديث القرآن عن غزوات الرسول (ﷺ) (495/2).

(3) الطبرى : جامع البيان فى تأويل القرآن (257/22) .

(4) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 70 .

(5) السابق ، ص 71 .

(6) السابق ، ص 72 .

## التحليل والتقويم

فى البداية ، يصف وات محتوى الرؤيا التى جاءت فى الآية بأنها تأثرت بالأحداث اللاحقة . وهذا يعنى : "أن الرواية القرآنية ليست من عند الله ، وإنما من عند سيدنا محمد أو المسلمين أنفسهم" (1).

ولو كان وات قال بأن محتوى الرؤيا قد تحقق فى فترات لاحقة ، لكان كلامه صحيحاً ؛ لأن محتوى الرؤيا قد تحقق بعد عام من نزولها .

يقول ابن كثير : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة ، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام ، فلما وقع ما وقع من قضية الصُّلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قائل ، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء ، حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ، فقال له فيما قال : أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى ، أفأخبرتكَ أنك تأتيه عامك هذا؟ قال : لا قال: فإنك آتية ومُطَوَّفٌ به"(2).

"فالنبي لم يكذب فيما رأى ، ولكنه ليس في الرؤيا أنه يدخلها عام ستة من الهجرة ، وإنما أراه مجرد صورة الدخول ، وقد حقق الله له ذلك بعد عام "(3).

ومن ذلك يتضح أن الآيات القرآنية قد تنزل منجمة حسب الوقائع والأحداث لتؤيد فكرة أو تعارضها ، ولتأمر النبي أو تنهاه ، فهي إذن تؤثر في الأحداث ولا تتأثر بها كما يدعى وات هنا .

كما يدعى وات أن الرسول (ﷺ) قد انتابه القلق حين رأى وعد الله لا يتحقق ، يقصد عدم الاعتماد في هذا العام ، لكن الروايات تؤكد أن النبي (ﷺ) لم يقلق بل استسلم لأمر الله وأن بعض الصحابة هم الذين انتابهم هذا القلق ؛ لأن النبي (ﷺ) - كما ذكرت الرواية السابقة - قد أخبرهم من قبل أنهم سيعتَمرون ، فظنوا أن ذلك كائن ذلك العام . وقد تقاعسوا في تنفيذ أمر الرسول لأول مرة ، كما ورد في صحيح البخاري ، عن عروة بن الزبير قال : قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه :

(1)عبدالله محمد الأمين : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص 269 .

(2) تفسير ابن كثير (7/356) .

(3)محمد الصابوني : صفوة التفاسير (3/219).

"قَوْمُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْحِبُ ذَلِكَ أَخْرَجَ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمَّا"(1).

كما يدعى وات أن الرسول (ﷺ) لم يكن يعظم الأشهر الحرم ، وأنه كان ينتوى قتال أهل مكة في هذه المرة ، ولم يكن في نيته أداء العمرة .

لكن الأدلة التاريخية والروايات التي وردت في المصادر التي اعتمد عليها وات - والتي يشير إليها دائماً في هامش كتابه - تخالف ذلك وتؤكد أنه (ﷺ) لم يكن يريد حرباً ، وأنه كان من أشد الناس احتراماً للأشهر الحرم ، وأذكر منها ما يلي :

1- قال ابن إسحاق "أقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً" (2).

2- "إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له" (3).

3- قال رسول الله (ﷺ) : "إنا لم نجئ لقتال أحدٍ ولکننا جئنا معتمرين" (4).

4- قال (ﷺ) : "والله لا تدعوني فريشاً اليوم إلى خطبة يسألوني فيها صلوة الرجم إلا أعطيتهم إياها" (5).

فهذه النصوص كلها تؤكد على أن النبي (ﷺ) لم يكن عازماً على قتال أهل مكة ، وإنما كان هدفه زيارة بيت الله الحرام ، وفي ذلك إبطال لرأى وات . ثم يشكك وات في نص المعاهدة بسبب تبدل الأشخاص المفاجئ ، كما يزعم في هامش كتابه (\*) أنه نقل ذلك الاختلاف عن الواقدي ، وابن سعد ، وابن هشام . وبالرجوع إلى هذه المصادر وجدت أنها قد اتفقت على نفس ألفاظ المعاهدة (6) مع الاتفاق على أسماء من حضرها .

- 
- (1) صحيح البخارى، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، رقم 273.  
(2) ابن هشام : السيرة النبوية (307/2) ، ابن سيد الناس : عيون الأثر (113/2) ، ابن كثير : السيرة النبوية (312/3).  
(3) السيرة النبوية لابن هشام (307/2) ، عيون الأثر (113/2) ، وانظر، عبدالرحمن بن أحمد السهيلي : الروض الأنف، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ، ط1 دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1421هـ / 2000م (38 /4).  
(4) البخارى ك الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم 2731  
(5) مسند أحمد (213/31) ، رقم 18910 ، وقال الأرنؤوط : إسناده حسن ، سيرة ابن هشام (309 /2) .  
(\*) انظر : هامش كتابه : محمد في المدينة ، ص 72 .  
(6) انظر : طبقات ابن سعد (97/2) ، مغازى الواقدي (610/2) ، سيرة ابن هشام (317/2) .

أما إن كان وات يعنى اختلاف الرواة الذين رَوَوْا هذه المعاهدة "فإن هذا لا يُعتبر مبرراً للشك في الرواية ، لاسيما وأن تعدد الرواة مع اتفاقهم في النص يعزز من صحة النص ذاته" (1).

## مكاتبة الملوك والأمراء ، ودلالة ذلك على عالمية الإسلام

يعترض وات على عالمية الإسلام ويقول بإقليميته ، وأن رسول الإسلام (ﷺ) لم يتجاوز في دعوته شبه الجزيرة العربية ، فيقول :

"إن قول بعض المصادر الإسلامية - وهي ليست أقدم المصادر - أنه (يقصد الرسول) نظر إلى الإسلام على أنه دين عام شامل وأنه دعا الإمبراطور البيزنطي والفرسي وغيرهما من الملوك إلى الدخول فيه ، هو قول خاطئ . لقد كان الإسلام منذ البداية دينًا عامًا مضمّرًا ، وليس من الصدفة أنه بنمو الدولة العربية أصبح شاملًا غير أنه من البعيد أن يوجه رجل سياسي حكيم كمحمد مثل هذا النداء المحدد (يقصد الرسائل ) في هذه المرحلة من حياته " (2)0

و يشكك وات في محتوى هذه الرسائل ويطعن فيها ، فيقول : "فليس من المستحيل أن يكون محتوى الرسائل قد تبدل نوعًا ما خلال النقل " (3).

ثم يعلل وات رفضه لفكرة العالمية ، فيقول : "لأنه يُستبعد من محمد في هذا الوقت دعوة هؤلاء الحكام الأقوياء للدخول في الإسلام ، وندرك عند البحث أن تقارير السفراء عند مختلف الحكام مملوءة بالتناقضات " (4).

ويقول : " لقد كان محمد يعتبر نفسه نبيًا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش أو لقريش فقط ، ولم تكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنه فكّر في مدّ رسالته للعرب كافة " (5).

ويقول : " اعتبر محمد نفسه في أول الأمر مرسلًا إلى قومه القرشيين ، ثم أخذ شيئًا فشيئًا ، وبدرجات لا تبدو بوضوح في القرآن ، يتراءى له هدف أوسع . دعا قبل الهجرة بعض أفراد القبائل البدوية إلى الإيمان بالله عدا مفاوضته مع سكان المدينة . ثم اختلت فكرة الأمة القائمة على أساس ديني مكان الصدارة بحلول الهجرة " (6).

(1)عبدالله محمد الأمين : الاستشراق في السيرة النبوية ، ص271 .

(2)مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص61، 62 .

(3)السابق ، ص62 .

(4)السابق ، 63 .

(5)مونتجمري وات : محمد في مكة (274).

(6)السابق ، ص216 .

## التحليل والتقويم

ومما سبق يتأكد أن وات يُكذب المصادر الإسلامية التي تقول بأن سيدنا محمدًا (ﷺ) نظر إلى الإسلام منذ بداية الدعوة على أنه دين عام شامل . وحتى لو كان القرآن الكريم هو مصدر هذه المعلومة ، فإن وات يُصرُّ على تكذيبه .

لقد أخبر القرآن منذ بدايات تنزّله أن الإسلام دين عالمي شامل ، فقال :

1- "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . الأنبياء ، آية : 107 " .

2- "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الفرقان ، آية : 1 " 3- "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .سبأ، آية :28."

4- " وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . القلم ، آية : 52 ."

5- "إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . التكوير ، آية: 27 ."

وليس من قبيل الصدفة أن تكون هذه الآيات كلها مكية ، بل إن "مجرد عرض هذه الآيات كافٍ في أن يتبنى أى باحث القول بعالمية الإسلام منذ لحظاته الأولى" (1).

وفى السنة الصحيحة ما يؤكد على عالمية الإسلام ، ومن ذلك :

1- عن حديث جابر بن عبدالله قال : "...وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً"(2).

2- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ، وَالْأَسْوَدِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"(3).

ففى الحديث الأول يوضح النبى (ﷺ) أنه أرسل إلى الناس كلهم دون تخصيص أحد منهم دون الآخر ، أو لون دون لون ، أو لسان دون لسان .

وفى الحديث الثانى يؤكد (ﷺ) أنه لم يُرسل فقط إلى الإنس ، وإنما شملت دعوته الجن كذلك .

(1)د. لخضر شايب : نبوة محمد فى الفكر الاستشراقى ، ص521 .

(2) البخارى ، كتاب : الصلاة ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا

(3)مسند أحمد (512/32) رقم 19735 ، وقال الشيخ الأرنؤوط : صحيح لغيره .

إن وات يزعم أن النبى (ﷺ) كان يعتبر نفسه فى أول الأمر مرسلًا إلى أهل مكة وحدهم ، لكنه بعد التطور السياسى فى حياته (ﷺ) والانتصارات التى حققها بعد هجرته إلى المدينة بدأ ينظر إلى الإسلام على أنه دين عالمى . ومن هنا يكمن خطأ نظرية وات ونظراءه من المستشرقين "القائلة بالتدرج فى نطاق الدعوة الإقليمية إلى العالمية لاتساع النفوذ السياسى للرسول (ﷺ) ، فإن صفة العالمية تفررت والمسلمون مستضعفون بمكة يخافون أن يتخطفهم الناس" (1).

كما يشكك وات فى هذه الرسائل ، ويقرر بأنها مملوءة بالتناقضات . وهذا محض افتراء من وات .

ولقد حقق هذه الرسائل (أو الوثائق) عالمٌ متخصص في هذا الميدان ، وأثبت صحتها تاريخياً (\*).

"وهذه الرسائل تؤكد في مجموعها على عالمية الإسلام وأن النبي (ﷺ) قام بالتبليغ على أوسع نطاق" (2) . فمن الملاحظ إذن أن وات يحارب فكرة عالمية الإسلام.

وبعدما ردَّ على وات علماء الإسلام ، أضع الآن بعض ردود علماء الغرب ، وهذان نموذجان أحدهما منصف ، والآخر معروف بالتعصب ضد الإسلام لكنه يقول بالعالمية .

**فمثال الأول يقول :** "ولم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل إن للعالم أجمع نصيباً فيه" (3).

**ومثال الثاني يقول :** "هل كان محمد يشعر في قرارة نفسه أنه نبي وطنى أم نبي عالمى أرسل إلى الناس كافة . أعتقد أننا نستطيع الأخذ بوجهة النظر الثانية .... ، ومما لا شك فيه أن نظريته الداخلية قد امتدت منذ أول رسالة إلى مدى أوسع وأفق أرحب برغم أن أفقه الجغرافى المحدود لم يكن ليترك له مجالات للتفكير فى وضع خطة أولية لدين عالمى ، فمنذ بدء الأمر كانت فكرته عن رسالته أن الله أرسله رحمة للعالمين . وهناك جملة تكررت كثيراً فى القرآن وهى وصف التعاليم الإلهية بأنها ذكر للعالمين ، فكلمة (للعالمين) لها فى القرآن دائماً معنى عالمى ..... إن المتواتر من الأحاديث الإسلامية نفسها يعبر عن إدراك النبى بأن رسالته موجهة إلى الجنس الإنسانى بأسره أو الناس كافة" (4).

(1) د. أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ، ص456 .

(\*) محمد حميد الله أبادى : مجموعة الوثائق السياسية للعهد المدنى والخلافة الراشدة ، طدار النفائس 1407هـ ، 1987م ، ص24 — 28 .

(2) نضرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ) ، تأليف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، ط4 ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، جدة ، (1/348).

(3) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص48 .

(4) إجناس جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ص39 ، 40.

هذه شهادة بعض المستشرقين الذين يخالفون وات فى رأيه .

إن سيدنا محمداً (ﷺ) لم يُبعث إلى قريش خاصة ، ولا إلى العرب وحدهم بل لكل البشر ، بخلاف سابقه من الرسل الذين كانت دعوتهم محدودة بمكان معيّن ، وزمان معيّن ، وأقوام معيّنين .

إن لخصيصة العالمية من الإسلام أهمية الدم للشعيرات ، والنبض للقلب ، والنفس للحياة .

ولذا فقد كانت محاولة نسف خصيصة العالمية خطة مدروسة ، وقد بدأ أعداء الإسلام فى تنفيذها "بإثارة الشكوك حول الكتب التى بعث بها النبى (ﷺ) إلى الملوك والزعم بأنها وضعت فى صورتها الأولى بعد قرن من حياة النبى (ﷺ)" (1).



(1) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج (196/5).

غزوة مؤتة (\*)

يقول وات عن هذه الغزوة : "تحولت قصة مؤتة كثيرًا أثناء تناقلها على ألسنة الرواة؛ ولهذا يستحيل التأكد إلا من الخطوط الكبرى فيها . والسبب الرئيسى

للاختلاط فيها . الرغبة فى التشنيع على خالد بن الوليد ، وهكذا فإن الرواية القائلة بأن محمداً عيّن جعفر بن أبى طالب وعبداً بن رباحة لخلافة زيد إذا قُتل ، موضوعة . وهدفها اتهام خالد بأنه تولى القيادة بصورة غير مشروعة ....، ويعترف بعدة حقائق فقط ، وهى حدوث لقاء مع قوة للعدو ، وقتل زيد وجعفر وعبداً ولم يقتل غيرهم وعودة الجيش إلى المدينة بقيادة خالد دون أن يتكبد خسائر جسيمة . أما ما عدا ذلك فمشكوك فيه "(2).

وفى الوقت ذاته يقول وات : " لم يحدث التقاء مع مجموع الجيش المعارض "(3).

ويشكك وات فى عدد الأعداء فى هذه السرية فيقول : "ويمكن أن يكون تضخيم عدد العدو إلى مائة ألف رجل جزءاً من الدفاع عن عمل خالد"(4).

كما يقول عن انسحاب خالد بن الوليد بالجيش : "ولم يتخذ قرار العودة بسبب خطر العدو أو الجبن ، بل بسبب مدة الغياب بعيداً عن القاعدة ، أو ربما لجهل خالد بالأسباب الحقيقية للغزوة ، ويبدو أن التعليمات التى أعطيت لزيد هى من تاريخ لاحق"(5).

---

(\*هى فى الحقيقة سرية وليست غزوة ؛ لأن النبى (ﷺ) لم يخرج معهم ، ولكن عامة علماء السيرة أطلقوا عليها اسم الغزوة لكثرة عدد المسلمين فيها ، ولما لها من أهمية . انظر : فقه السيرة للبوطى ، ص 258 .  
(2) مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ص 80 .

(3) السابق ، ص 80 ، 81 .

(4) السابق ، ص 80 .

(5) السابق ، ص 81.

## التحليل والتقويم

فى البداية ، يتهم وات الرواية التى تتحدث عن غزوة مؤتة بالوضع ؛ لأن هدفها تشويه سمعة خالد بن الوليد ، كما يزعم أن الرواية التى تفيد بأن النبى (ﷺ) عيّن

جعفر بن أبى طاب وعبدالله بن رواحة لخلافة زيد بن حارثة ، هى رواية موضوعة. وسبب ذلك - فى رأيه - أن خالدًا تولى القيادة بطريقة غير شرعية .

ومن الملاحظ أن وات يؤكد هنا - كما أكد من قبل فى غزوة أحد - على معاداة الرواة المسلمين والمصادر الإسلامية لخالد بن الوليد . وكأن وات يريد أن يُذكر المسلمين دائماً بأن لهم تَأراً قديماً مع خالد بن الوليد (رضى الله عنه) من يوم أحد .

والحق أنه قد عُفِر لخالد ما كان منه ، كما عُفِر لغيره ، كوحشى(\*) قاتل حمزة ، وكعمرو بن العاص(\*\*) .

روى النسائى عن قتادة أن رسول الله قال عن خالد يوم مؤتة : " اللَّهُمَّ هُوَ سَيِّفٌ مِنْ سَيُوفِكَ فَأَنْصُرْهُ " . فَمِنْ يَوْمِئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيِّفَ اللَّهِ " (1).

وعن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى وحشى قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى دِينِكَ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ أَوْ أَشْرَكَ أَوْ زَنَا يَلْقَى أَثَامًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا، وَأَنَا قَدْ صَنَعْتُ ذَلِكَ؟ فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ رُحْمَةٍ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" [الفرقان آية 70] ، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَرَطٌ شَدِيدٌ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَلَعَلِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" [النساء آية 48] ، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: يَا مُحَمَّدُ أَرَى بَعْدَ مَشِيئَةِ فَلَا أَدْرِي يُعْفَرُ لِي أَمْ لَا فَهَلْ غَيْرُ هَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" [الزمر آية 53] ، قَالَ وَحْشِيٌّ: هَذَا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أَصَبْنَا مَا أَصَابَ وَحْشِيٌّ، قَالَ: هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً" (2).

(\*) هو وحشى بن حرب الحبشى مولى بني نوفل. قيل: كان مولى طعيمة بن عدي وقيل مولى أخيه مطعم وهو قاتل حمزة قتله يوم أحد ، شارك فى قتل مسيلمة. يكنى أبا سلمة وقيل أبا حرب وشهد وحشى اليرموك ثم سكن حمص ومات بها. وعاش وحشى إلى خلافة عثمان . انظر : الإصابة (3 / 242) .

(\*\*) هو عمرو بن العاص: بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي أمير مصر يكنى أبا عبد الله وأبا محمد ، أمه النابغة من بني عنزة بفتح المهملة والنون ، أسلم قبل الفتح فى صفر سنة ثمان وقيل بين الحديبية وخيبر . الإصابة (2 / 296) .  
(1) مسند أحمد (37 / 258) ، رقم : 22567 ، وقال الشيخ الأرنؤوط : صحيح لغيره، وهذا إسناد جيد .  
(2) المعجم الكبير للطبرانى رقم 11480 (11/197).

وكذلك عُفِر لعمرو بن العاص بعد ما وَشَى بالمسلمين أمام نجاشى الحبشة .

"عن عمرو بن العاص قال قلت يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي فقال رسول الله (ﷺ) إن الإسلام يَجِبُ ما كان قبله وإن الهجرة تَجِبُ ما كان قبلها" (1).

إن هذه الروايات تؤكد على أن كل من كان له موقف معادٍ من الإسلام ثم أسلم بعد ذلك فلا إثم عليه ؛ وعلى ذلك فإن المسلمين لا يحملون شيئاً من الضغينة لخالد بن الوليد ، كما سبق أن ادعى وات .

إن الروايات التي تحدثت عن هذه السرية ليس فيها ما يشير - ولو من بعيد - إلى الإساءة إلى خالد ، ولا إلى توليه قيادة الجيش بطريقة غير شرعية كما يدعى وات .

وهاهي الروايات التي تؤكد ذلك :

1- "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يُقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف . وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم. وعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لواءً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة" (2).

2- ".... ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان فقال يا قوم اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد" (3).

ومما سبق يتضح أن خالدًا قد اختير بطريقة شرعية شورية ، ولم يطلب قيادة الجيش لنفسه بل طلب إليها ؛ ولذا أعين عليها .

ثم يناقض نفسه . فبينما ينكر الرواية القائلة بأن محمدًا (ﷺ) قد عين جعفرًا وابن رواحة خلفًا لزيد بن حارثة إذا قُتل ، إذا به يقول في نفس الصفحة بأنه قد "قُتل زيد وجعفر وعبدالله" (4) .

(1) مسند أحمد ، رقم 17813، (349/29) ، وقال الشيخ الأرئوط : حديث حسن .

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد (128/2) ، ومغازى الواقدي (756/2).

(3) ابن هشام : السيرة النبوية (378/2) ، ابن سيد الناس : عيون الأثر (167/2) ، ابن كثير : السيرة النبوية

(463/3) ، السهيلي : الروض الأنف (176/7) .

(4) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 80 .

كما يدعى وات أنه لم يحدث لقاء مع مجموع الجيشين ، وإنما حدث لقاء بين المسلمين وعدد من جيش العدو ، وليس مع الجيش كله .

لكن الروايات الإسلامية تؤكد حدوث معركة حقيقية بين مجموع الجيشين حتى انتهت المعركة بانتصار جيش المسلمين ، وذلك كما جاء في الحديث :

"عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا ، وَجَعْفَرًا ، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ ، فَقَالَ : أَحَدَ الرَّايَةِ زَيْدٌ ، فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَحَدَ

جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ ، وَعَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»(1).

كما يدل هذا الحديث أيضا على "أن الله أيّد المسلمين بالنصر أخيراً ، وليس كما قال بعض رواة السيرة أن المسلمين انهزموا وتفرقوا وعادوا بعد ذلك إلى المدينة . ولعل مقصود الذين قالوا هذا ، أن المسلمين لم يتبعوا الروم ومن معهم فى هزيمتهم واكتفوا بانكشافهم عن مواقعهم ؛ خوفا على المسلمين ، وانقلبوا عاندين إلى المدينة ، ولا شك أنه تدبير حكيم من خالد بن الوليد رضى الله عنه "(2).

ثم إنه من العجيب حقاً أن يقول وات : إن انسحاب خالد من المعركة كان بسبب جهله بأسباب المعركة الحقيقية . وهذا غير معقول ؛ لأنه كيف يذهب جيش قوامه "ثلاثة آلاف"(3) مقاتل وهو لا يعرف أسباب المعركة .

وسبب المعركة كما جاء فى كتب السيرة "أن رسول الله (ﷺ) بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يُقتل لرسول الله (ﷺ) رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف"(4).

ثم يدعى وات أن المعلومات التى أعطيت لزيد بن حارثة بخصوص استخلاف من بعده ، قد أعطيت له فى تاريخ لاحق . وإذا كان ذلك كذلك فإنه يعنى : "أنها موضوعة ، فما هى التعليمات الحقيقية التى أعطيت لزيد ؟ إن وات لا يذكر شيئاً عنها ، ومن المفترض أن يذكر هذه التعليمات بعد أن تشكك فى التعليمات التى ذكرتها المصادر الإسلامية"(5).

ولو كانت المعلومات التى أعطيت لزيد بن حارثة بخصوص استخلاف من بعده قد أعطيت له فى تاريخ لاحق : أى بعد الغزوة ، فما قيمتها حينئذ ؟

(1) صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، باب مناقب خالد بن الوليد رضى الله عنه ، رقم 3757.

(2) د. محمد سعيد البوطى : فقه السيرة النبوية ، ص 260 .

(3) ابن سعد : الطبقات الكبرى (128/2).

(4) ابن سعد : الطبقات الكبرى (128/2)

(5) عبدالله محمد الأمين : الاستشراق فى السيرة النبوية ، 232 .

## الجهاد ضد اليهود

### أولا - غزوة بنى قينقاع :

يقول عنها وات : "وقد انتهز محمد ثورة الانتصار للتخلص من بعض جوانب الضعف ..... ، وهاجم فى نفس الوقت قبيلة بنى قينقاع اليهودية بعد أن أدت

خصومة تافهة لموت مسلم ، وقد حوصرت القبيلة خلال أسبوعين ثم استسلمت وأبعدت عن المدينة " (1).

## تحليل وتقويم رأى وات فى غزوة بنى قينقاع

إن وات يدعى أن غزوة بنى قينقاع قد وقعت بسبب خصومة تافهة ، فما هى هذه الخصومة يا ترى ؟ وهل هى تافهة كما يدعى وات ؟  
لقد كان النبى (ﷺ) حريصا على دعوة اليهود إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بعد أن أثاروا الرّيب فى قلوب المسلمين ، وبعد ما أثاروه من روح التردد والهزيمة فى قلوب المجاهدين بسبب ما فى قلوبهم من غيظ وحقد ؛ لهذا ذهب إليهم الرسول (ﷺ) ليحدثهم حديث الجار لجاره . ولكنهم مع ذلك أساءوا الأدب مع رسول الله (ﷺ) والمسلمين .. عندئذ كان لابد من الحرب دفاعا عن الفضيلة وعفة النفس وحماية العرض ، وذلك بعد أن نقضوا العهود بأقبح الأساليب .  
إن علمائنا يذكرون سببين لهذه الغزوة :

أولهما : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ ( بَنِي ) قَيْنُقَاعَ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ احذَرُوا مِنْ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِفَرِيثِشَ مِنَ النَّقْمَةِ وَأَسْلِمُوا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ تَحْدُثُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَرَى أَنَا قَوْمُكَ ، لَا يَغْرَنَّاكَ أَنَّكَ لَقَيْتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَابَتْ مِنْهُمْ فُرْصَةٌ إِنَّا وَاللَّهِ لَأِنَّا حَارِبُنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ " (2).

لقد كثر اليهود عن أنيابهم ، وأظهروا الكراهية للمسلمين ، وترجموا هذه الكراهية إلى واقع عدائى ، وأفصحوا عن تحديهم السافر لرسول الله (ﷺ) .

(1) مونتجرى وات : محمد فى المينة ، ص 24 .

(2) سيرة ابن إسحاق (323) ، سيرة ابن هشام (551/1) ، مغازى الواقدي (176/1) .

ثانيهما : " كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلْبٍ لَهَا ، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِعٍ بِهَا ، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا ، فَأَبَتْ فَعَمِدَ الصَّائِعُ إِلَى طَرْفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا ، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوَاتِئُهَا ، فَضَحِكُوا بِهَا ، فَصَاحَتْ . فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِعِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ يَهُودِيًّا ،

وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ ،  
فَعَضِبَ الْمُسْلِمُونَ فَوَقَعَ الشَّرَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ" (1) .

ولا تنافى بين هذين السببين "فالأغلب أن السببين واقعان معًا ، وكل منهما يُتِمُّ  
الآخر ، إذ من البعيد أن ينبذ إليهم رسول الله (ﷺ) عهدهم لمجرد ظهور بوادر  
الضعينة على وجوههم وفي كلماتهم ، بل لابد أنهم قد تصرفوا مع ذلك تصرفاً  
أساؤوا فيه إلى المسلمين" (2).

إن هذين السببين ليسا تافهين كما يقول وات .

**فالأول : نقض العهد الذى بينهم وبين المسلمين ، وتحدى النبى (ﷺ) "فقد واجهوا  
النبى (ﷺ) بالتحدى والتهديد رغم ما يفترض أن يلتزموا به من الطاعة والمتابعة  
لبنود المعاهدة التى جعلتهم تحت رئاسته" (3).**

"وكظم المسلمون غيظهم وانتظروا ما تتمخض عنه الليالى من مكر اليهود" (4).

**والثانى : امتهان عرض امرأة مسلمة ، وعرض المسلم من الأولويات التى جاءت  
الشريعة الإسلامية لحفظها ؛ لكونها من الضروريات الخمس .**

---

(1) سيرة ابن هشام (47/2)، عيون الأثر (386/1)، سيرة ابن كثير (6/3).

(2) د. محمد سعيد البوطى : فقه السيرة ، ص 168 .

(3) د. عبدالله الشقارى : اليهود فى السنة المطهرة ، ط1 دار طيبة - الرياض - 1417هـ ، 1996م ،  
(276/1).

(4) محمد الغزالى : فقه السيرة ، ص 235 .

## **ثانيا - إجلاء بنى النضير:**

وسبب إجلاء بنى النضير عن المدينة كما جاء فى الروايات الإسلامية :

قال ابن إسحاق : " خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ دَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرِ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، لِلجَّوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَدَ لَهُمَا ، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ . فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ دَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ قَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ ، مِمَّا اسْتَعْنَتْ بِنَا عَلَيْهِ ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحُنَا مِنْهُ ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ ، أَحَدَهُمْ فَقَالَ أَنَا لِذَلِكَ فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعَلِيٌّ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا اسْتَلَبَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابُهُ قَامُوا فِي طَلَبِهِ فَلَفُّوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ رَأَيْتَهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ . فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْعَدْرِ بِهِ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ" (1).

لكن وات يشكك في هذه الرواية ، ويفسر هذه الخيانة من اليهود للنبي (ﷺ) بأنها دفاع عن النفس ؛ لأن النبي (ﷺ) "كان يعلم جيدًا - حسب الآراء السائدة في شبه الجزيرة العربية آنذاك - أنه إذا سنحت الفرصة انتهزها أعداؤه وقتلوه . وكان التأخير في إعطاء الجواب لإتاحة الفرصة لقتله ولهذا اعتبر عملاً عدائياً" (2).

(1) ابن هشام : السيرة النبوية (2 / 189 ، 190).

(2) مونتجمري وات : محمد في المدينة ، ص 323 .

## تحليل وتقويم رأى وات في إجلاء بنى النضير

لقد فسّر وات هذه الغزوة على أنها عمل عدائى من النبي (ﷺ) ضد بنى النضير ؛ لأنهم دبروا لقتله ، فهي إذن معركة ذات دافع شخصى - على حد زعم وات - .

وحقيقة الأمر أنها لم تكن كذلك ، وإنما وقعت لنقضهم عهد الأمان مع رسول الله (ﷺ) والمسلمين ، وإبرامهم عهدًا مع منافقى المدينة للغدر به . وعلى ذلك ، فهناك مجموعة من الأسباب حملت النبى (ﷺ) على غزو بنى النضير، وإجلانهم عن المدينة ، ومن أهمها :

**السبب الأول –** " نقض بنى النضير عهودهم التى تُحتم عليها ألا يؤوا عدوًا للمسلمين ، ولم يكتفوا بهذا النقض بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف فى المدينة " (1).

فعن عبيد الله ابن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال : "كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة، ورجع قُلٌّ (\*) قريش إلى مكة من بدر، نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً. فخرج في مائتي راكب من قريش، ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدور قناة إلى جبل يقال له تبت، من المدينة على بريد أو نحوه. ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل، فأتى حى بن أخطب، فضرب عليه، بابه فأبى أن يفتح له وخافه، فأبى فأنصرف إلى سلام بن مشكم - وكان سيد النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم - فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه، وبطن له خبر الناس" (2).

وقال موسى بن عقبة في المغازي : " كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله صلى الله عليه و سلم ودلوهم على العورة" (3).

**والسبب الثانى –** محاولة اغتيال الرسول (ﷺ) حين ذهب يطالبهم بديعة القتيلين ، كما ذكرت من قبل .

---

(1)د. على الصلابى : السيرة النبوية ، ص688 .

(\*)الْقُلُّ : القوم المنهزمون .

(2) تاريخ الطبرى (484/2).

(3) فتح البارى ، سابق (332/7) .

**والسبب الثالث –** " أنهم كانوا يتعاونون خفية مع المنافقين ، ومع كل من يعادى رسول الله (ﷺ) ولم ينس يهود بنى النضير ما لحق بإخوانهم من بني قينقاع ،

وبكعب بن الأشرف ، فأخذوا يتحِينون الفرص للغدر برسول الله (ﷺ) ، وبالمؤمنين" (1).

وبالنظر إلى هذه الأسباب نلاحظ أن عزم النبي (ﷺ) على قتال بنى النضير لم يكن بسبب عدوات شخصية ، وإنما كان بسبب نقضهم للعهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين .

وكذلك تأمرهم مع قريش والمنافقين ضد رسول الله (ﷺ) ، وقد شجعهم على ذلك هزيمة المسلمين في غزوة أحد .

ولم يُرد النبي (ﷺ) بهذه الغزوة أن ينتقم لنفسه من اليهود ؛ لأنهم أرادوا قتله ، وإنما كانت هذه الخيانة منهم بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير ، فقد استهدفوا بقتل رسول الله قتل الأمة كلها .

يقول الدكتور / على معطى : "ولم تكن مؤامرة بنى النضير التي أفضلها الله تعالى تستهدف شخص النبي فحسب ، بل كانت تستهدف كذلك دولة المدينة والدعوة الإسلامية برمتها ؛ لذا صَمَّم النبي (ﷺ) على محاربتهم" (2).

ومن هنا يتضح أن هناك أسبابًا اجتمعت لتجعل النبي (ﷺ) يحارب بنى النضير ، بعيدًا عن الأسباب والعداوات الشخصية ، كما يدعى وات .

---

(1) أحمد أحمد غلوش : السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ط1 مؤسسة الرسالة 1424هـ - 2004م (407/1) .

(2) د. على معطى : التاريخ السياسى والعسكرى لدولة المدينة فى عهد الرسول (ﷺ) - استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية ، ط1 مؤسسة الرسالة - بيروت ، 1419هـ ، 1998م ، ص 109 .

### ثالثًا - غزوة بنى قريظة:

يقول وات عن المؤامرات التي دارت حول قبيلة بنى قريظة :

"ويبدو أنها (قريظة) عقدت معاهدة مع محمد ، وإن لم يتضح ما إذا كان عليها أن تساعد عند وقوع هجوم على المدينة أم أنها تبقى على الحياد" (1).

كما يقول عن موقف النبي (ﷺ) من القرظيين : "وكذلك مسألة معاقبة قريظة على خيانتها ، لم يغامر محمد في إصدار حكم بنفسه ، فلو أنه قرّر سفك دماء قريظة لدعا الشرف بعض حلفاء اليهود ولو كانوا مسلمين إلى الثأر لهم ؛ ولهذا ترك تقرير العقوبة إلى زعيم القبيلة التي كانت قريظة حليفة لها" (2).

ويؤكد وات هذا الزعم بقوله : "يقال إن بعض الأوس طلبوا إلى محمد أن يعفو عن قريظة إكرامًا للأوس ..... وقد أجاب محمد على طلبهم أن اقترح بأن يقرر مصير اليهود أحد حلفائهم فقبلوا ، فعين محمد حَكَمًا (سعد بن معاذ) زعيم الأوس" (3).

### تحليل وتقويم رأى وات فى غزوة بنى قريظة

كان قد عقد اليهود عقدًا بالأمان مع رسول الله (ﷺ) ، كما قال ابن سعد :

"كان بين النبي (ﷺ) وبين قريظة ولس (\*) من عهد" (4).

فنفضوا هذا العهد "جاء عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد ذلك على رسول الله (ﷺ) وقال : من نبعت يعلم لنا علمهم ؟ فقال عمر: الزبير بن العوام. فكان أول الناس بعث رسول الله (ﷺ) الزبير بن العوام، فقال: اذهب إلى بني قريظة فذهب الزبير فنظر، ثم رجع فقال: يا رسول الله، رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم ، وقد جمعوا ماشيتهم" (5). فجاء الأمر من الله بمحاربة بنى قريظة ، فقال النبي (ﷺ) لأصحابه : "لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة" (6).

(1) مونتجمرى وات : محمد فى المدينة ، ص 58 .

(2) السابق ، ص 349 .

(3) السابق ، ص 327 .

(\*) ولس من عهد أى شئ قليل منه . انظر : لسان العرب (203/2).

(4) الطبقات الكبرى لابن سعد (77/2).

(5) مغازى الواقدي (457/2).

(6) صحيح البخارى ، كتاب : المغازى ، باب : مرجع النبي من الأحزاب ، رقم: 4119 .

ومع ما سبق فإن وات يدعى أن يهود بنى قريظة كانوا بين أمرين ، إما أن يدافعوا عن المدينة مع الرسول ، وإما أن يكونوا على الحياد . وكل هذه النصوص التى

أوردتها تدل دلالة قاطعة على أنهم شاركوا مع الجبهة المعادية لرسول الله (ﷺ) والمسلمين ، فلماذا يتعاطف وات معهم ؟

وأما ادعائه أن النبي (ﷺ) كان عاجزاً عن الحكم على بنى قريظة بنفسه فحكّم فيهم سعد بن معاذ (زعيم الأوس) وهو أحد حلفائهم . فقد رددت على هذه الشبهة في المبحث السابق تحت عنوان (مكانة النبي (ﷺ) في المدينة) .

وهذا لم يكن عاجزاً من النبي (ﷺ) ؛ إذ لو كان النبي عاجزاً ما استطاع حصارهم ، وقضى عليهم بعد ذلك بالإعدام " وهذا الموقف يُحسب لصالح النبي (ﷺ) لا عليه ؛ إذ أنه مسلك يدل على قمة العدالة . فلو أنه (ﷺ) أصدر الحكم الذي أصدره سعد ، لتّم التشكيك في نزاهته باعتباره طرفاً أساسياً في القضية " (1).

وعلى أية حال ، فقد كان ذلك حكم الله فيهم كما قال النبي (ﷺ) لسعد بن معاذ بعد ذلك : "لقد حكمت فيهم بحكم الملك " (2).

وبالقضاء على بنى قريظة خلت المدينة تماماً من الوجود اليهودي وصارت خالصة للمسلمين ، وخلت الجبهة الداخلية من عنصر خطير يملك القدرة على المؤامرة والكيد والمكر بالمسلمين .

"وهكذا تم إستئصال أفاعي الغدر والخيانة ، والذين كانوا قد نقضوا الميثاق المؤكد، وعاونوا الأحزاب على إبادة المسلمين في أخرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم، وكانوا قد صاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين يستحقون المحاكمة والإعدام" (3) .

---

(1) عبدالله محمد الأمين : الاستشراق في السيرة ، ص204.

(2) صحيح البخارى ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : إذا نزل العدو على حكم رجل ، رقم 3043 .

(3) صفى الرحمن المباركفورى : الرحيق المختوم ، ط1 دار الهلال - بيروت ص 290 .

## المطلب الثاني :

الجهاد والغزوات في فكر كارين  
أرمسترونج

موقف كارين من سرية عبدالله بن جحش :

تقول كارين عن هذه السرية :

"فبينما يذكر ابن إسحاق أن المسلمين أمروا بالذهاب إلى نخلة بين مكة والطائف ، وأن يقوموا فقط بالتجسس على القافلة ، يروى محمد بن عمر الواقدي مؤرخ القرن التاسع الميلادي أن فحوى الرسالة كان أمرًا للمسلمين أن يذهبوا إلى وادي مكة **ويقيموا كمينًا لقريش** . ويعنى ذلك أنه كان على المسلمين أن ينتهكوا حرمة الشهر الحرام . وفى حالة تصديق الرواية الثانية ، فيمكن القول إنه لم يكن لدى محمد الكثير من المحاذير فى ذلك الوقت . فقد كانت تلك الأشهر الحرم ما زالت جزءًا من النظام الوثنى الذى كان يحاول التغلب عليه ، وربما بدا انتهاكه لها مساويًا للتقليل من شأن تلك الآلهة الوثنية"(1) .

### التحليل والتقويم

ويمكن تقسيم كلام كارين إلى عدة نقاط ، ومناقشة كل نقطة على حدة كالتالى :

1- قولها : "يذكر ابن إسحاق أن المسلمين أمروا بالذهاب إلى نخلة وأن يقوموا فقط بالتجسس على القافلة "

وهذا الكلام موافق لما ذكره ابن إسحاق ، غير أن كارين عبّرت بلفظ (التجسس) ، بينما جاءت رواية ابن إسحاق بلفظ (الترصد) .

واللفظان بمعنى واحد ، فـ (ترصد تعنى ترقّب)(2) . وهو قريب جدًا من اللفظ الذى عبّرت به كارين ، وهو (التجسس) ؛ ولذلك فلم تكذب كارين فى الرواية عن ابن إسحاق ، وإن كانت رواية بالمعنى .

---

(1)كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص256، 257 .

(2)ابن منظور : لسان العرب (177/3) .

2- قولها : "يروى محمد بن عمر الواقدي مؤرخ القرن التاسع الميلادي أن فحوى الرسالة كان أمراً للمسلمين أن يذهبوا إلى وادي مكة ويقيموا كميناً لقريش " .

وهذا الكلام مخالف للرواية التي ذكرها الواقدي في مغازيه ، فقد ذكرها الواقدي أيضاً بلفظ "فترصدُ بها غيرَ قريش"(1) .

لأنه ليس فيها أمرٌ بأن يقيموا كميناً لقريش كما تزعم كارين .

وسبب الخطأ عند كارين : أنها لم ترجع إلى مغازي الواقدي ، وإنما نقلت مباشرة عن المستشرق (تور أندريه) في كتابه : محمد : حياته وعقيدته (2).

وهذا خطأ وقعت فيه كارين ؛ إذ كان يجب عليها أن تأخذ الرواية الإسلامية من مظانها الصحيحة .

3- قولها : "وفي حالة تصديق الرواية الثانية" ، وتعنى الرواية التي نقلتها عن المستشرق (تور أندريه) والتي تخالف الرواية الثابتة .

ومن كلام كارين السابق يتضح أنها تشك في هذه الرواية ولا تعتقد ثبوتها .

4- قولها : " فقد كانت تلك الأشهر الحرم ما زالت جزءاً من النظام الوثني الذي كان يحاول التغلب عليه ، وربما بدا انتهاكه لها مساوياً للتقليل من شأن تلك الآلهة الوثنية" .

والحق أن الأشهر الحرم لم تكن جزءاً من النظام الوثني ، وإنما هي أشهرُ حَرَمَ الله تعالى فيها القتال ، وكان ذلك التشريع موافقاً لعادات الجاهلية قبل الإسلام .

وفي هذه الأشهر يقول الله تعالى :

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } . التوبة : 36 .

(1)مغازي الواقدي (14/1) .

(2)انظر هامش ، كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص256 .

بل لقد شدّد النبي (ﷺ) على حرمة هذه الأشهر في آخر حياته في حجة الوداع كما يروى البخارى عن أبي بكرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

" إِنَّ الرَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ، مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ " (1) .

وكذلك لم يُحاول النبي (ﷺ) أن ينتهك حرمة هذه الأشهر أو يقلل من شأنها يومًا مَّا ، كما أنه (ﷺ) لم يحاول خرق هذا النظام في هذه السرية ؛ بدليل أنه (ﷺ) قد أنكر على عبدالله بن جحش قتالُهُ في الشهر الحرام ، كما أنه أبى أن يأخذ من أموال الغنيمة شيئًا .

قال ابن إسحاق :

"فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، قَالَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَوَقَّفَ الْعَيْرَ وَالْأَسِيرِينَ ، وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا" (2) .

إذن فكلام كارين حول محاولة النبي (ﷺ) لخرق حرمة هذه الأشهر الحرم لأنها كانت جزءًا من النظام الوثني - كلام خاطئ جملة وتفصيلاً .

إن كارين في هذه القضية تتبنى منهج ورأى أستاذها " مونجمرى وات " وتريد أن توصّل للقارئ أن المسلمين لم يكونوا يحترمون الأشهر والحرم ، بل إنهم أول من انتهكوا حرمتها ، وأنهم كانوا قطاع طرق . وهذا الموقف من كارين ينم عن **حقد دفين للإسلام والمسلمين .**

---

(1) صحيح البخارى : كتاب تفسير القرآن ، بَابُ قَوْلِهِ : إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا

فِي كِتَابِ اللهِ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ ، رقم : 4662 .

(2) السيرة النبوية لابن هشام (1 / 603) .

## موقفها من غزوة بدر:

لقد تكلمت كارين عن غزوة بدر فكان في كلامها ما يحتاج إلى مناقشة ، ومن ذلك قولها : "ابتدأت قريش في التقدم على كُتبان الرمل نحو المسلمين ، ورفض محمد (ﷺ) الهجوم ، وحتى بُعيد الاشتباك لم يكن يريد لجنوده القتال " (1) .

## التحليل والتقويم

يجب أن نفرق بين موقف النبي (ﷺ) من قتال مشركى مكة قبل بداية المعركة ، وموقفه أثناء المعركة .

**أما قبل المعركة :** فإن النبي (ﷺ) لم يخرج من المدينة يريد القتال ، وإنما كان يريد فقط الاستيلاء (\*) على قافلة قريش التجارية . ودليل ذلك قوله (ﷺ) لأصحابه :  
"هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلْكُمْوهَا" (2) .

وبدليل أن الذين خرجوا مع الرسول (ﷺ) لملاقاة هذه القافلة كانوا من المهاجرين فقط ، ولو أراد النبي (ﷺ) قتالهم حقاً لخرج بالأنصار أيضا .

**وأما موقفه (ﷺ) أثناء المعركة :** فكان موقفه المشجع والمحرّض على القتال، لا كما تقول كارين : "لم يكن يريد لجنوده القتال" .

كما أن القرآن أمره (ﷺ) بالتحريض على القتال :

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا  
مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ } .

سورة الأنفال : 65" .

---

(1) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 125 .

(\*) من لاحظات السيد الدكتور محمد شعيب (المناقش الداخلي) أن لفظة (الاستيلاء) لا تصلح ، والصواب القول : أراد النبي استرداد جزء من أموال الصحابة المنهوبة منهم ، كما أكرهوا على الهجرة من ديارهم وأموالهم .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (1/ 606) .

كما أكدت السنة ذلك في غير ما موضع :

أ - قوله (ﷺ) لأصحابه : "قَوْمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ" (1) .

ب - ذكر ابن هشام تحت عنوان / تحريض المسلمين على القتال :

"ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ فَحَرَّضَهُمْ وَقَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمْرَاتٍ يَأْكُلُهُنَّ بَخَّ بَخَّ أَفَمَا بِيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هُوَ لَأَنْ يَقْتُلَنِي هُوَ لَأَنْ تَمَّ قَذْفَ التَّمْرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ" (2) .

هذه النصوص تؤكد على أن النبي (ﷺ) لم يكن يخاف على جنوده ملاقاتة المشركين، وإنما على العكس من ذلك كان يحضهم على القتال بشراسة وتفانٍ في سبيل الله .

وتقول كارين عن معاملة المسلمين للأسرى المشركين بعد غزوة بدر :

"أحاط المسلمون في ابتهاج بأسراهم ، وجرّدوهم من أسلحتهم . في حرب القبائل لم تكن هناك رحمة بالمنهزمين ، فالمجروحون يُمَثَّلُ بهم ، والأسرى بصفة عامة يُذبحون أو يُعذبون . أمر محمد (ﷺ) جنوده أن يمتنعوا عن تلك الأفعال التقليدية ، فقد أمره الوحي بأن أسرى الحرب إمّا أن يُعفى عنهم أو تُؤخذ عنهم فدية" (3) .

ثم ذكرت كارين الآية من سورة محمد ، وهي قول الله تعالى :

{فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخِنْتُمْهُمْ فَشُدُّوا الوثَاقَ فَأِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} . سورة محمد : 4 ، 5 .

وتقول أيضا : "حتى في الحرب ، تجنب المسلمون عادات الماضي . أصرَّ القرآن باستمرار على أهمية الرحمة والعفو ، حتى في الصراع المسلح" (4) .

ثم استشهدت كارين بقوله تعالى : {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} . سورة النحل : 126 .

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، رقم : 1901 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية (1/ 627) .

(3) ، (4) كارين أرمسترونج : محمد نبي لزماننا ، ص 126 .

وتقول كذلك : " إن بقية الأسرى أحضروا إلى المدينة آمنين ، ومُنحوا إقامة إنسانية فى منازل الأشخاص الذين أسروهم . وبعد ذلك مباشرة أتى القرآن بسياسة إنسانية تجاه أسرى الحرب فأمر أن لا تُساء معاملتهم بأى شكل . فإما أن يُطلق سراحهم وإما أن يُفتدوا" (1) .

### التحليل والتقويم

وهذا الكلام الذى قالته كارين يوافق الإسلام ، فقد قال سبحانه وتعالى فى حق الأسرى :

{وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَأَسِيرًا} . سورة الإنسان : 8 .

وقال (ﷺ) لأصحابه فى حق الأسرى : " استوصوا بهم خيراً (2) ، وفى رواية : استَوْصُوا بِالْأَسَارَىٰ خَيْرًا " (3) .

وهذا السمو الأخلاقى من ابتكارات الإسلام وحده ، وقد نادى به الإسلام قبل أن تنادى بها منظمات حقوق الإنسان بأربعة عشر قرناً .

لكن هذا رأى من كارين لا يشفع لها ؛ وذلك لأنها فى الصفحة القادمة ستنتفى عالمية دين الإسلام ، وهى من ثوابت دين الإسلام . فإذا طغنت كارين فى الثوابت ، فلا يُقبل منها مدح فى المسائل الفرعية .

---

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد ، ص 269 .

(2) ابن كثير : البداية والنهاية (373/3) .

(3) الطبرانى : المعجم الكبير (393 / 22) رقم : 18829 .

## طعن كارين فى عالمية الإسلام

كما يؤخذ عليها كذلك : أنها تقول بإقليمية الإسلام ، ولا تعترف بعالميته ، فنقول عن رسائل النبي (ﷺ) التى بعث بها إلى الملوك والأمراء :

" ونكاد نقطع بأن هذه الرواية مدسوسة ؛ لأننا لا نملك الدليل على أن محمدًا كان يرى أن الإسلام دين عالمي ، وأنه سوف يلغى ما أنزل على أهل الكتاب .... ، واستمر المسلمون إلى ما بعد وفاة نبيهم بنحو مائة عام يعتبرون أن الإسلام دين منزل على العرب وحسب "(1).  
وتقول كذلك : "لكن محمدًا لم تكن لديه حينذاك أى فكرة أنه يؤسس دينًا عالميًا جديدًا"(2) .

### التحليل والتقويم

ومن النص السابق نلاحظ أن كارين تنفى عالمية الإسلام .

وقد ذكرت من قبل الأدلة القرآنية والنبوية على عالمية دين الإسلام فى الرد على وات ولا أكرر ما قلت ثانية ، لكننى أزيد قائلاً :

إن هناك شواهد فعلية على عالمية الإسلام ، منها :

قبوله (ﷺ) إسلام أقوام من غير العرب ، كبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي . ولو كان الإسلام دينًا قوميًا أو محليًا لرد الرسول (ﷺ) إسلام أولئك ، لأنهم غير مخاطبين به ، ولم يأت أصلاً لهم ، ولقال لهم ما قاله الإنجيل الذي بأيدي القوم عن المسيح عليه السلام قوله: "لم أرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة"(3).

وأمر تلاميذه بذلك قائلاً: "إلى طريق أمم لا تسلكوا وإلى بيوت للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"(4).

(1) كارين أرمسترونج : سيرة النبي محمد ، ص 314 .

(2) كارين : محمد نبي لزماننا ، ص 133 .

(3) متى 15 / 24 .

(4) متى 10 / 6 .

ولمّا لم يردّ النبي (ﷺ) إسلامهم علّم أنهم مخاطبون بالإسلام مطالبون به ، وعلى المسلمين جهادهم بكل الوسائل لتبليغ دعوة الله ﷻ إليهم ، ومنع فتنهم في الدين .

زد على ذلك أن النبي (ﷺ) كرّم هؤلاء السابقين إلى الإسلام من غير العرب، واعتبرهم بواكير نصر وتباشير خير، ورؤّادًا لأقوامهم إلى الإسلام والجنة ، وفيهم قال (ﷺ) :

"أنا سابق العرب إلى الجنة و صهيب سابق الروم إلى الجنة ، و بلال سابق الحبشة إلى الجنة وسلمان سابق الفرس إلى الجنة"(1).

ومن التطبيقات العملية الدالة على عالمية الرسالة الإسلامية : أن النبي (ﷺ) بعد أن أمّن جانب قريش بعقد صلح الحديبية ، الذي بمقتضاه وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش عشر سنين، بعدها مباشرة وجّه رسائله إلى ملوك وزعماء العالم حينئذ، يدعوهم فيها إلى الإسلام، ويحملهم تبعة وإثم رعاياهم المستضعفين، إن هم أبوا إلا الصّد عن سبيل الله ﷻ ودعوته وحالوا بين أقوامهم والاستماع إليه.

يقول د. أكرم ضياء العمري تحت عنوان : الجهاد ضد المشركين :

"شكك معظم المستشرقين في صحة إرسال الرسائل النبوية بالجملة ، وتتلخص اعتراضاتهم بأن الإسلام دين يخص العرب ، وأن الدولة الإسلامية كانت ضعيفة لا يمكنها تحدي القوى العالمية آنذاك ، وبأن ابن إسحاق لم يذكرها ، وبأن فيها تفاصيل أسطورية"(2) .

---

(1) الحديث أخرجه الطبراني وغيره واللفظ له عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي ؓ في معجمه الكبير في باب الصاد فصل: صدى بن عجلان ( 111/8 ) برقم: 7526 ط2 دار العلوم والحكم الموصل العراق 1404هـ - 1983م حققه: حمدي السلفي قال الهيثمي: (وإسناده حسن) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لابن حجر الهيثمي كتاب المناقب، باب: فضل جماعة من الصحابة، مرجع سابق 503/9 (وهو في مسند البزار بسند رجاله ثقات) ، مجمع الزوائد ( 242/9 ) برقم 14927.

(2)المجتمع المدني في عهد النبوة د/ أكرم ضياء العمري ، ط1 دار الفكر دمشق 1404هـ - 1984م ، ص 155 ، 156 .

ثم قال الدكتور العمري :

"وهذه الملاحظات لا تقوى على هدم الأساس التاريخي لوجود الرسائل.. لأن الأساس في إثبات وقوع شيء أو عدم وقوعه إنما هو ما تنقله الروايات ، فما توفر في تلك الروايات من شروط الصحة حول وقوع حدث ما قلنا بوقوعه ، وإذا تخلفت شروط الصحة في رواية ما ، تشتمل على وقوع أمر من الأمور لم نقل بوقوعه ، أما محاكمة تلك الأحداث والوقائع على أساس ما يقبله العقل أو يرفضه بناء على الظروف والملابسات ، فهذا أمر قد يؤدي إلى إثبات أمور لم تقع ، وإنكار أمور أخرى قد وقعت بالفعل ، تبعاً لاختلاف من يعالجون تلك الأمور من حيث الهوى والإدراك . ومن هنا فإن الحكم على حدوث الوقائع أو نفيها لا يجوز تركه للملكات البلاغية والتصويرية تمحو ما تشاء وتثبت ، بل يجب الرجوع في هذا الحكم إلى المقياس الموضوعي ، وهو ما قرره علم الحديث من شروط قبول الخبر أو رفضه"(1).

أما إثبات الرسائل إلى الملوك : فقد أوردها كثير من أصحاب المصنفات في الحديث والسير ، فقد عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باباً بعنوان : كتاب النبي (ﷺ) إلى كسرى وقيصر(2).

وعن أنس (رضي الله عنه) : "أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى"(3)، وعن عمرو بن أمية الضمري (رضي الله عنه) : "أن النبي (ﷺ) بعث ثلاثة نفر إلى قيصر وإلى كسرى وإلى صاحب الإسكندرية.."(4). وصاحب الإسكندرية هو المقوقس جريج بن مينا.

وفي رواية ابن أبي شيبة : ".. وبعث عمرو بن أمية [رضي الله عنه] إلى النجاشي [رضي الله عنه] فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم.."(5).

(1) السابق ، نفس الصفحة .

(2) صحيح البخاري كتاب المغازي باب: كتابه ﷺ إلى كسرى وقيصر .

(3) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب: كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار .

(4) المعجم الأوسط للطبراني باب الألف فصل: من اسمه أحمد، 1/156 برقم: 489.

(5) مصنف ابن أبي شيبة كتاب المغازي باب: ما ذكر في كتب النبي ﷺ 347/7 برقم: 36628 ط1 مكتبة الرشد الرياض 1409هـ 1989م حققه: كمال الحوت.

وتثبت المستشرقة لورافيشيا فاغليري (\*) خصيصة العالمية للإسلام قائلة: "إن الآية القرآنية التي تشير إلى عالمية الإسلام، بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيه (ﷺ)": "رحمة للعالمين" (1) هي نداء مباشر للعالم كله، وهذا دليل ساطع على أن الرسول (ﷺ) شعر في يقين كلي أن رسالته مقدر لها أن تعدو حدود الأمة العربية، وأن عليه أن يبلغ الكلمة الجديدة إلى شعوب تنتسب إلى أجناس مختلفة، وتتكلم لغات مختلفة. وثمة دليل آخر على هذا الشعور نفسه: في الحديث النبوي الذي يشير إلى أنه كان من عادة محمد (ﷺ) أن يقول: «وبعثت إلى كل أحرر وأسود» (2).

أو أن يستعمل تعابير أخرى مماثلة. بل إننا نجد دليلاً إضافياً: في الإشارة إلى الفتوح المستقبلية وراء تخوم بلاد العرب، وأخيراً في الاتصالات التي بدأ سيدنا محمد (ﷺ) نفسه القيام بها مع البلدان الأجنبية. إن الخلفاء الذين خلفوا محمداً (ﷺ) كرؤساء للدولة الإسلامية سلكوا - بوصفهم المفسرين الأمناء لتفكيره - السبيل التي اختطها، وحملوا راية الإسلام إلى قلب آسيا في الشرق، وإلى المحيط الأطلسي في الغرب" (3).

يقول توماس أرنولد :

"ولم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل إن للعالم كله أجمع نصيباً فيها، ولما لم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يُدعى إليه الناس كافة. ولكي تكون هذه الدعوة عامة، وتُحدث أثرها المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب، نراها تتخذ صورة عملية في الكتب التي قيل إن محمداً (ﷺ) بعث بها في سنة 6هـ 630م إلى عظماء ملوك ذلك العصر" (4).

---

(\*) لورافيشيا فاغليري (1893-1989م) إيطالية التحقت بجامعة روما، وحصلت على درجاتها العلمية في آداب اللغة العربية، عملت بتدريس العربية ولهجاتها بالمعهد الشرقي ببابولي، ثم مديرة للقسم الشرقي به حتى وفاتها، انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً. من أثارها: الدفاع عن الإسلام، النزاع بين علي ومعاوية [رضي الله عنهما]، أصل تسمية السنين، تقاليد رمضان في متعدد البلدان الإسلامية، قواعد اللغة العربية.. انظر: نجيب العقي: المستشرقون (1/466).

(1) وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء 107.  
(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم وغيره واللفظ له في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في مقدمة كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم/521.

(1) لورافيشيا فاغليري: دفاع عن الإسلام، تعريب: منير البعلبكي، تقديم: ظفر الله خان، ط 5 مطبعة

العلوم، نشر: دار العلم للملايين بيروت 1401هـ 1981م، ص 24-25.

(2) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد مرجع سابق ص 48.

ثم يقول عن مدلول تلك الرسائل :

"على أنه إن كانت هذه الكتب قد بدت في نظر من أرسلت إليهم ضربا من الخرف، فقد برهنت الأيام على أنها لم تكن صادرة عن حماسة جوفاء، وتدل هذه الكتب دلالة أشد وضوحا وأكثر صراحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الإسلام، ومعنى ذلك: خضوع الإنسانية كلها خضوعا مطلقا ، ولقد كان محمد (ﷺ) بوصفه رسولا من عند الله حق المطالبة بهذه الطاعة، وقد كان عليه أن يطالب بها، وهذا ما ظهر في أول الأمر جزء لا ينفصل عن جملة ما أراد تحقيقه من مبادئ"(1).

فهذه آراء بعض المستشرقين في هذه القضية وهذا البعض قد اعترف بعالمية الرسالة الإسلامية ، وأقر بشرعية الفتوحات الإسلامية استنادا إلى الرسائل النبوية. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف العليؑ من الآية: 26].

---

(1) المرجع السابق نفسه.

## نتائج البحث :

**أولاً -** إن سمة الاستشراق العالمي هي إعلان الحرب الضروس على الإسلام ورسوله (ﷺ) ، حتى وإن ادَّعوا التزامهم بقواعد المنهج العلمي .

**ثانياً -** وسط هذا المناخ المُكفَّهر من العداء الاستشراقي ، قد نجد بعض المستشرقين المعتدلين - وهم من الندرة بمكان - ممكن يدافعون عن الإسلام ورسوله ، وهذا لا يمنع وقوعهم في بعض الأخطاء كنتيجة حتمية للجو الذي رُبُّوا فيه من جهل بأصول الإسلام وتعاليمه .

**ثالثاً -** وقوع المستشرق (مونتجمري وات) في أخطاء منهجية وفكرية في كثير من الأحيان ، عن عمد (غالبًا) وعن غير عمد (أحيانًا) .

**رابعاً -** أهمية الاستفادة من كتابات المستشرقين المعتدلين في تحسين تصورات الغربيين عن الإسلام ورسوله ، وتوظيفها في الرد على المستشرقين المتعصبين ؛ لأن شهادتهم للرسول (ﷺ) حينئذٍ أولى بالقبول من شهادة المسلمين .

**خامساً -** ولَّع معظم المستشرقين بتحريف النصوص القرآنية والنبوية لتأييد أفكارهم المسبقة عن الإسلام ورسوله (ﷺ) .

**سادساً -** ألا يُحَكِّم الباحثُ المؤرخ المناهج المادية في تفسير الحوادث التاريخية الإسلامية لعدم صلاحيتها لذلك، لأنها تعني تفرغ الحادثة من محتواها بعزوها إلى تفسيرات مادية، وقطع الصلة بينها وبين هدى السماء .

**سابعاً -** ضرورة ترجمة الأعمال التاريخية والموسوعات العلمية إلى اللغات العالمية، وبأيد إسلامية أمينة مع التدقيق العلمي التاريخي واللغوي، ومراعاة عقلية من خاطب بتلك الترجمات، حتى لا يساء فهم ديننا الحنيف وتاريخنا المجيد .

**ثامنًا -** إذا ترجمت أعمال المستشرقين فليكن ذلك بأيد حاذقة أمينة، على علم ودراية كافية بأساليب القوم في المراوغات العلمية والتمويه واللبس .

**تاسعا** . أن تقرر التراجم بالتحليل العلمي لما يقع فيه المؤلف من أخطاء، وضرورة التعقيب المباشر على كل ملحوظة تبدو للمترجم، ولا يربأ التعقيب إلى نهايات الفصول أو في أواخر المدونات.

**عاشرا** . إذا لم يتوفر تراجمة بهذه المواصفات فليست ذلك إلى مراجعين مختصين، كل ذلك حتى لا يندع القارئ بما دون ويصاب ببلبله وتشتت في الفكر والمعتقد ولا يجد إلى الرد العلمي المفهم سبيلا.

**حادى عشر** - ألا نحفل كثيرا بفكر المستشرقين وتمجيد آثارهم، لأن القوم وإن بذلوا في بحوثهم ما بذلوا؛ إلا أنهم لا يزالون يقصرون علميا وأخلاقيا عن المستوى العلمي المطلوب، بل ربما طرح بعضهم أخلاقيات البحث العلمي النزيه بدافع التعصب الأعمى فافتروا على الإسلام الكذب، هذا بشهادتهم أنفسهم.

**ثانى عشر** . نظرة المستشرقين للرسول (ﷺ) نظرة مادية بحتة .

**ثالث عشر** - ضرورة أن نستقى تاريخنا من مصادرنا العلمية ، لا من مدونات ودوائر معارف أجنبية ، لأنها ذات أغراض ، كما أنها غير مؤهلة علميا للقيام بعبء النقل المعرفى والتحليل العلمى بلغة لا يجيدونها .

## التوصيات :

وأخرج من هذا البحث بعدة توصيات أوصى بها نفسى وإخوانى وزملائى الباحثين فى مجال الاستشراق ، منها :

**أولاً-** لقد انطلقت منذ وقت قريب دعوة إلى تنقية التراث الإسلامى ، وتصحيح ما فيه من اخطاء ؛ وذلك لأن بعض الشبهات التى تأتينا من الغرب ، ويُتهم بها الإسلام ونبى الإسلام ، إنما هى فى الأصل - وبالأسف - مأخوذة من كتب التراث التى بين أيدي المسلمين ، والتى تمتلئ بما تمجده العقول ، وتأباه النصوص ؛ ولذا وقع المستشرقون على هذا الكنز الثمين ليضربوا الإسلام فى مقتل ؛ أخذاً بقول من يقول: لا يقطع الشجرة إلا أحدُ فروعها . على أن ما فى هذه الكتب من أخطاء يشبه الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو العكس .

ومن هنا ؛ فإنه يتحتم على الباحثين المسلمين الاستمرارُ فى مشروع تنقية التراث الإسلامى ، وتوسعة هذا المشروع حتى لا نعطى لأعدائنا الفرصة لإدانتنا ، ووضعنا (أى : التراث) تحت منظار النقد العلمى ، بشرط أن لا نتجاوز نقد الآراء إلى تجريح أصحابها ، والتشكيك فى نياتهم . أما أن نتجاوز النقد إلى التجريح والتشهير بالعلماء فهذا غير مقبول ، وقد أساءنى جداً وصنّف الدكتور حسين مؤنس للإمام الطبرى شيخ المفسرين والمؤرخين بأنه كان : "مؤرخاً عبيطاً"(1).

**ثانياً -** وأوصى الباحثين فى المجال الاستشراقى أن يُكرّسوا الجهود لدراسة الشخصيات الاستشراقية وكتاباتهما عن الإسلام ورسول الإسلام (ﷺ) ؛ لنعرف كيف يفكر العقل الغربى ، وكيف يرى نبي الإسلام سيدنا محمداً (ﷺ) .

**ثالثاً -** كما أوصى بأن تدرّس مادة الاستشراق فى جميع الجامعات والكليات - وعلى رأسها جامعة الأزهر - وعدم الاقتصار على تدريسه فى الكليات الشرعية؛ لأن الاستشراق خطر يُداهم المسلمين كلّهم .

**رابعاً -** ضرورة التعرف على خصائص منهج كل مستشرق ، ومصادره التى اعتمد عليها فى دراساته ؛ وذلك حتى يسهل الرد عليه .

**خامساً -** ضرورة تصنيف كتاب فى السيرة النبوية ، لأحتمته وسُداه : القرآن الكريم ، وأحاديث البخارى ومسلم، لكان فى أيدينا سفرٌ عظيم تجتمع الأمة عليه ، ولا يستطيع أن يطعن فيه طاعن ؛ لخلوه من الغرائب والخرافات ، والضعيف من الروايات .

---

(1)د. حسين مؤنس : تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، ص8 .

## مُلْحَق

لقد حصل المترجمان (\*) لكتاب (سيرة النبي محمد) للمستشرقة (كارين أرمسترونج) على تصريح (\*\*\*) من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالموافقة على نشر هذا الكتاب ، ويوجد في نهاية هذا الكتاب تصويبات المجمع .

والواقع أن مثل هذه التصريحات لا ينبغي أن يُعوّل عليها الباحث ، أو يعتمد عليها في إصدار أحكامه ؛ وذلك لأن في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف إدارة تسمى الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة تُعرض عليها بعض الكتب من المؤلفين أو المترجمين ليأخذوا تصريحًا بتداول هذه الكتب ، ويُصدّر التصريح بهذه العبارة : ليس في الكتاب ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ، ولا مانع من طبعه وتداوله مع التأكد من ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد يتخذ بعض المؤلفين أو المترجمين أو الناشرين هذا التصريح لترويج الكتاب وإيهام الناس أن هذا الكتاب يمثل الرأي الصحيح الوحيد الذي يجب أن يُؤخذ به ، وهذا هو مكنم الخطر.

فإن تصريح مجمع البحوث خاص بنقطة واحدة هي التأكد من موافقة الكتاب للعقيدة الإسلامية ، لكن عرض الآراء والترجيحات بين الآراء ليس مما يهتم به المجمع .

وأنا أعترف بأن هذا الكتاب فيه بعض الأخطاء ؛ منها الخلافية التي لا يبنى عليها عمل ، ومنها العقيدية التي لا تهاون فيها ، وعلى رأس هذه الأخطاء ، موقفها من عالمية الإسلام ، فقد سبق أن قالت كارين بإقليمية الإسلام ورفضت القول بعالميته وهذا من صميم عقيدة الإسلام ، وعقيدة الوحي ، وأزواج النبي ... وغيرها .

من أجل ذلك ؛ لم ألتفت إلى ما في هذا التصريح لأنني على يقين بأن هذا الكتاب لم يُفحص على يد متخصصين من علماء المجمع ، وتعاملت مع مادة الكتاب بكل حيادية ، فما وافقت فيه كارين الإسلام أقررتها عليه ، وما خالفت فيه الإسلام خالفتها فيه.

---

(\*) وهما الدكتور: محمد عناني ، والدكتورة : فاطمة نصر .

(\*\*) وقد أرفقت صورة من هذا التصريح في آخر الرسالة .

## فهرس المراجع والمصادر مرتبة هجائيا :

### أولا- القرآن الكريم : كلام رب العالمين ﷺ.

#### ثانيا - كتب التفسير وعلوم القرآن :

- 1- أبو حيان : البحر المحيط ، تحقيق : صدقى محمد جميل ، ط دار الفكر ، بيروت، 1420هـ .
- 2- السيوطى : الإتيقان فى علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م .
- 3- الطبرى : جامع البيان فى تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاکر ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة - 2000 م .
- 4- القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردونى ، وإبراهيم أطفيش ، ط2 دار الكتب المصرية - القاهرة 1996م .
- 5- إبراهيم الإبيارى : تاريخ القرآن ، ط3 دار الكتاب المصرى - القاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى - بيروت 1991م .
- 6- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامى بن محمد سلامة ، ط 2 دار طيبة للنشر والتوزيع 1999م .
- 7- بدر الدين الزركشى : البرهان فى علم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي 1957م .
- 8- سيد قطب : فى ظلال القرآن ، ط9 دار الشروق 1980م .
- 9 - محمد حسين الذهبى : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ، ط4 مكتبة وهبة 1990م .
- 10 - محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ط الهيئة المصنوية العامة للكتاب 1990م .
- 11- محمد عبدالله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم - عرض تاريخى وتحليل مقارن، ترجمة : محمد عبدالعظيم عامر ، ط دار القلم - الكويت 1974 م .
- 12 - محمد عبدالعظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ، تحقيق : فواز أحمد زمرتى ، ط1 دار الكتاب العربى 1995م.

- 13 - محمد عبده : تفسير جزء عم ، ط3 مطبعة مصر 1341هـ .  
14- محمد على الصابوني : صفوة التفاسير، ط10 دار الصابوني ، د ت.  
15- محمد محمد أبوشهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، ط 4  
مكتبة وهبة 1990م.  
16 - محمود شكرى الألوسى : روح المعانى ، ط إحياء التراث العربى - بيروت  
لبنان ، د ت .

### ثانيا - الحديث وعلومه :

- 1- ابن أبى شيبة : المصنف ، تحقيق : كمال الحوت ، ط مكتبة الرشد - الرياض  
1989م .  
2- ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى ،  
محمود الطناحى ، ط المكتبة العلمية - بيروت 1979م .  
3- ابن حجر العسقلانى : فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، ط دار المعرفة -  
بيروت ، 1379هـ .  
4- أبو الحسن الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق : حسام الدين القدسى ،  
ط مكتبة القدسى - القاهرة ، 1994م .  
5- أبو داود السجستاني : سنن أبى داود ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ،  
ط دار الفكر - بيروت ، د . ت .  
6- أحمد بن شعيب النسائى : السنن الكبرى ، تحقيق : عبدالغفار سليمان البندارى ،  
سيد كسروى حسن ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 1991م .  
7- أحمد بن شعيب النسائى : الضعفاء والمتروكين ، تحقيق : محمود إبراهيم زيدان،  
ط دار المعرفة - بيروت - لبنان 1986م .  
8- البغوى : شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد زهير الشاويش ، ط2  
المكتب الإسلامى ، دمشق - بيروت 1983م .  
9- البيهقى : دلائل النبوة ، تحقيق : عبدالمعطى قلعجى ، ط دار الكتب العلمية ،  
ودار الريان للتراث 1988م .  
10- البيهقى : سنن البيهقى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، ط دار الباز - مكة ،  
1994م .  
11- البيهقى : شعب الإيمان ، تحقيق : دكتور عبدالعلى عبدالحميد حامد ، ط1مكتبة  
الرشد - الرياض ، 2003م .

- 12- الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، ط دار الكتب العلمية - بيروت 1990م .
- 13- السيوطي : جامع الأحاديث ، تحقيق : فريق من الباحثين بإشراف الدكتور / على جمعة ، ط 1 على نفقة :الأستاذ الدكتور حسن عباس زكى ، 1423هـ - 2002م.
- 14- الطبرانى : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدى عبدالمجيد السلفى ، ط 1 مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، 1983م .
- 15- المتقى الهندي : كنز العمال ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، 1989م .
- 16- سعيد حوى : الأساس فى السنة وفقهها ، ط 3 دار السلام - القاهرة 1995م .
- 17- عبدالله بن مسلم بن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، ط 2 المكتب الإسلامى ، مؤسسة الإشراف ، 1999م .
- 18- محمد بن إسماعيل البخارى : الجامع الصحيح (صحيح البخارى) ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط 1 دار طوق النجاة ، ترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، د . ت .
- 19- محمد بن عيسى الترمذى : الجامع الصحيح (سنن الترمذى) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، د . ت .
- 20- محمد ناصر الدين الألبانى والسيرة النبوية ، ط دار الأرقم ، د . ت .
- 21- محمد ناصر الدين الألبانى : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط مكتبة المعرفة - الرياض ، د . ت .
- 22- محمد ناصر الدين الألبانى : صحيح الترغيب والترهيب ، ط 5 مكتبة المعارف - الرياض ، د . ت .
- 23- محمد ناصر الدين الألبانى : صحيح الجامع الصغير ، ط 3 المكتب الإسلامى ، بيروت 1405هـ .
- 24- محمود الطحان : تيسير صطلح الحديث ، ط مركز الهدى للدراسات - الأسكندرية ، 1415هـ .
- 25- مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار إحياء التراث العربى - بيروت ، 1995م .
- 26- يوسف القرضاوى : كيف نتعامل مع السنة النبوية ، ط 2 دار الشروق 2002م

ثالثا - الفقه وأصوله :

- 1- أحمد فهمى أبو سنة : العرف والعادة فى رأى الفقهاء - عرض نظرية فى التشريع الإسلامى ، ط مطبعة الأزهر 1947م .
- 2- بدران أبو العينين بدران : أحكام الزواج والطلاق فى الإسلام - بحث تحليلى ودراسة مقارنة ، ط2 دار التأليف - القاهرة ، 1961م .
- 3- عبدالقادر عودة : التشريع الجنائى فى الإسلام مقارنة بالقانون الوضعى ، ط دار الكاتب العربى - بيروت ، د. ت .
- 4- عبدالوهاب خلاف : أصول الفقه ، ط مكتبة الدعوة - شباب الأزهر عن الطبعة الثامنة لدار القلم ، د. ت .
- 5- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية ، الموسوعة الفقهية الكويتية ، ط2 وزارة الأوقاف الكويتية ، د. ت .
- 6- يوسف القرضاوى : فتاوى معاصرة ، ط1 ، دار القلم - الكويت ، ودار القلم - القاهرة ، 2001م .
- 7- يوسف القرضاوى : فقه الصيام ، ط3 مؤسسة الرسالة - بيروت ، 1993م .
- 8- يوسف القرضاوى : مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ط1 مؤسسة الرسالة - بيروت ، 1993م .

#### رابعاً - اللغة وآدابها:

- 1- الأزهرى : تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط1 دار إحياء التراث العربى - بيروت 2001م .
- 2- ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، ط1 دار الكتب العلمية - بيروت 2000م .
- 3- ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط اتحاد الكتاب العرب 2002م .
- 4- ابن منظور : لسان العرب ، ط1 دار صادر - بيروت ، د. ت .
- 5- البوصيرى : بردة المديح ، ط مكتبة الآداب - القاهرة ، د. ت .
- 6- الجرجانى : التعريفات ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1983م .
- 7- الجوهري : الصحاح ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطّار ، ط4 دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، 1987م .
- 8- الزبيدى : تاج العروس ، ط دار الهداية ، د. ت .
- 9- الفيروزأبادى : القاموس المحيط ، ط8 مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، 2005م .

- 10- الفيومي : المصباح المنير ، ط المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، د. ت .
- 11- جلال الدين القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ، ط11 دار الفكر العربي - بيروت ، د. ت .
- 12- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ط دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ، 1982م .
- 13- ديوان المتنبي ، ط دار بيروت للطباعة والنشر ، 1983م .
- 14- ديوان عنتره العبسي ، ط4 مطبعة الآداب - بيروت ، 1993م .
- 15- على الجارم ، مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ط دار المعارف - مصر ، د. ت .
- 16- مجمع اللغة العربية - القاهرة : المعجم الفلسفي ، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، 1983م .
- 17- مجمع اللغة العربية - القاهرة : المعجم الكبير ، ط1 أخبار اليوم ، 2000م .
- 18- مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ط وزارة التربية والتعليم - مصر ، 1999م .
- 19- مجمع اللغة العربية - القاهرة : المعجم الوسيط ، ط دار الدعوة ، د. ت .
- 20- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط مؤسسة المختار - القاهرة ، د. ت .
- 21- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ط2 دار صادر - بيروت ، 1995م .

#### خامسا - كتب السيرة والتراجم والتاريخ :

- 1- إبراهيم العلي : صحيح السيرة النبوية ، ط1 دار النفائس ، 1995م .
- 2- إبراهيم محمد الجمل : زوجات النبي محمد (ﷺ) وأسرار الحكمة في تعددهن ، ط2 مكتبة وهبة ، د. ت .
- 3- ابن الجوزي : صفة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري ، ط3 دار المعرفة - بيروت ، د. ت .
- 4- ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : على محمد البجاوي ، ط دار الجيل - بيروت ، 1992م .
- 5- ابن حزم الظاهري : جوامع السيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، ناصر الأسد ، ط المطبعة العربية - لاهور - باكستان ، 1981م .

- 6- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 دار صادر - بيروت ، 1994م .
- 7- ابن قيم الجوزية : زاد المعاد فى هدى خير العباد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ، ط14 مؤسسة الرسالة ، ومكتبة المنار الإسلامية - الكويت ، 1986م .
- 8- ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق : على شيرى ، ط1 دار إحياء التراث العربى ، 1988م .
- 9- ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، ط دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، 1971م .
- 10- أبوبدر محمد بن بكر آل عابد : حديث القرآن عن غزوات الرسول (ﷺ) ، ط1 دار الغرب الإسلامى - بيروت ، د.ت .
- 11- أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازى ، ط دار الوطن للنشر - الرياض ، 1998م .
- 12- أحمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول (ﷺ) ، ط دار الفكر العربى - بيروت ، د.ت .
- 13- أحمد أحمد غلوش : السيرة النبوية والدعوة فى العهد المدنى ، ط1 مؤسسة الرسالة - بيروت ، 2004م .
- 14- أحمد عبدالوهاب : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، ط1 مكتبة وهبة ، 1989م .
- 15- أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة - محاولة لتطبيق قواعد المحدثين فى نقد روايات السيرة النبوية ، ط6م - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، 1994م .
- 16- أكرم ضياء العمرى : المجتمع المدنى فى عهد النبوة ، ط1 دار الفكر - دمشق ، 1984م .
- 17- الخطيب ابغدادى : تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط دار الغرب الإسلامى - بيروت ، د.ت .
- 18- الذهبى : الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ، تحقيق : محمد عوامة ، أحمد محمد نمر الخطيب ، ط1 دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ومؤسسة علوم القرآن - جدة ، 1992م .
- 19- الذهبى : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط3 مؤسسة الرسالة - بيروت ، 1985م .

- 20- الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 دار المعارف - مصر ، د. ت .
- 21- القاضى عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ط دار الفكر - بيروت - لبنان ، 1988م .
- 22- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ط دار صادر - بيروت ، 1960م .
- 23- جواد على : تاريخ العرب فى الإسلام ، ط دار الحداثة - بغداد ، د. ت .
- 24- حسين مؤنس : تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، ط1 دار الرشاد - القاهرة ، 1997م .
- 25- خير الدين الزركلى : الأعلام ، ط دار العلم للملايين ، 2002م .
- 26- صفى الرحمن المباركفورى : الرحيق المختوم ، ط1 دار الهلال - بيروت ، د. ت .
- 27- عبدالرحمن بن أحمد الهبلى : الروض الأنف ، تحقيق : عمر عبدالسلام السلمى ، ط1 دار إحياء التراث العربى - بيروت ، 2000م .
- 28- عبدالمتعال الجابرى : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، ط مكتبة وهبة ، د. ت .
- 29- على الصلابى : السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل أحداث ، ط مكتبة فياض - المنصورة ، 2007م .
- 30- على معطى : التاريخ السياسى والعسكرى فى عهد الرسول (ﷺ) ، ط1 مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، 1998م .
- 31- عماد الدين خليل : دراسة فى السيرة ، ط2 دار النفائس ، بيروت - لبنان ، 2004م .
- 32- فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ط2 دار القلم - دمشق ، د. ت .
- 33- محمد أبو شهبه : السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ، ط دار القلم - دمشق ، د. ت .
- 34- محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله (ﷺ) - منهج ورسالة وتحقيق ، ط2 دار القلم - دمشق ، 1995م .
- 35- محمد الطيب النجار : القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ، ط دار الندوة الجديدة ، بيروت - لبنان ، د. ت .
- 36- محمد الغزالى : فقه السيرة بتحقيق الألبانى ، ط8 دار الريان للتراث ، 1987م .

- 36- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ط الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ، 1988م .
- 37- محمد رمضان البوطى : فقه السيرة ، ط1 دار السلام - القاهرة ، 1994م .
- 38- محمد بن أحمد الأزورى : منهج ابن سعد فى نقد الرواة من خلال كتابه : الطبقات الكبرى ، رسالة دكتوراة مطبوعة من جامعة أم القرى - السعودية ، 1422هـ .
- 39- محمد العبدى : الطريق إلى المدينة ، ط2 سدار الجوهرة - عمان 1999م .
- 40- محمد بن إسحاق : سيرة ابن إسحاق ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د.ت .
- 41- محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 دار صادر - بيروت ، 1968م .
- 42- محمد بن سيد الناس : عيون الأثر ، ط1 مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، 1986م .
- 43- محمد بن عبدالله العوّشن : ما شاع ولم يثبت فى السيرة النبوية ، ط دار طيبة ، د.ت .
- 44- محمد بن يوسف الصوالحي : سبل الهدى والرشاد ، تحقيق : الشيخ / عادل أحمد عبدالموجود ، الشيخ / على محمد معوض ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1993م .
- 45- محمد رجب البيومى : السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين - مناقشا وردود، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة ، رقم / 10 ، ط الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية - الأزهر الشريف ، د.ت .
- 46- محمد حسين هيكل : حياة محمد (ﷺ) ، ط14 دار المعارف - مصر ، د.ت .
- 47- محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، ط6 دار النفائس ، 1987م .
- 48- محمد عبدالعظيم على ، عبدالمتعال الجابرى : السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، ط1 دار الدعوة - الإسكندرية ، 1994م .
- 49- محمد عبدالقادر أبو فارس : فى ظلال السيرة النبوية ، ط2 دار الفرقان - عمان - الأردن ، 1988م .
- 50- محمد عزة دروزة : سيرة الرسول (ﷺ) صورة مقتبسة من القرآن ، ط1 المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د.ت .

- 51- محمد قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامى ، ط1 دار الشروق - القاهرة ، 1992م .
- 52- نضرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم : مجموعة من العلماء ، ط4 دار الوسيلة - جدّة ، د. ت .
- 53- وليد بن بليهش العمرى : السيرة النبوية فى دائرة المعارف البريطانية ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ، د. ت .
- 54- يوسف القرضاوى : تاريخنا المفترى عليه ، ط1 دار الشروق ، 2005م .
- 55- يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ، ط10 مكتبة وهبة - القاهرة ، 1996م .

### سادسا- الكتب المُعرّبة :

- 1- أتين دينيه ، سليمان إبراهيم : محمد رسول الله ، ترجمة : د . عبدالحليم محمود ، د. محمد عبدالحليم محمود ، ط2 دار المعارف - مصر ، د. ت .
- 2- إجناس جولدتسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ترجمة : محمد يوسف موسى وصاحبايه ، ط2 دار الكتب الحديثة ، مصر ، د. ت .
- 3- أرنولد توينبى : العالم والغرب ، ترجمة : هاجر سعيد العز ، بدون طبعة ، د. ت .
- 4- إميل درمنغم : حياة محمد ، ترجمة : محمد عادل زعيتر ، ط2 الهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر ، سلسلة ذاكرة الكتابة ، 2009م .
- 5- توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن ، وعبدالمجيد عابدين ، ط1 مكتبة النهضة المصرية ، د. ت .
- 6- توماس كارليل : الأبطال ، ترجمة : محمد السباعى ، ط مكتبة مصر ، د. ت .
- 7- توماس كارليل : محمد المثل الكامل ، ترجمة : محمد السباعى ، ط مكتبة الآداب - القاهرة ، 1993م .
- 8- تيودور نولدكة : تاريخ القرآن ، ترجمة : جورج تامر ، ط1 مؤسسة كونراد - أناور ، 2004م .
- 9- رضا الدقيقى : كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألمانى تيودور نولدكة .. ترجمة وقراءة نقدية ، رسالة دكتوراة من جامعة الأزهر (مطبوعة) ، ط1 وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر 2009م .
- 10- عبداللطيف طيباوى : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ترجمة : د/ قاسم السامرائى ، ط إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

- 11- عبدالرحمن بدوى : دفاع عن محمد (ﷺ) ضد المنتقسين من قدره ، ترجمة : كمال جاد الله ، ط الدار العالمية للكتاب والنشر ، سلسلة : نافذة على الغرب ، رقم:2، د. ت .
- 12- غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط عيسى الحلبى، د. ت .
- 13- كارل جوستاف يونج : جدلية الأنا واللاوعى ، ترجمة : نبيل محسن ، ط1 دار الحوار - سوريا ، 1997م .
- 14- كارين أرمسترونج : سيرة النبى محمد ، ترجمة : د. فاطمة نصر ، د. محمد عنانى ، ط2 شركة سطور - القاهرة ، 1998م .
- 15- كارين أرمسترونج : محمد نبى لزماننا ، ترجمة : فاتن الزلبانى ، ط1 مكتبة الشروق الدولية ، 2008م .
- 16- لورافيشيا فاغليرى : دفاع عن الإسلام ، تعريب : منير البعلبكي ، تقديم : ظفر الله خان ، ط5 مطبعة العلوم ، نشر : دار العلم للملايين ، 1981م .
- 17- لويس جوتشلاك : كيف نفهم التاريخ ، ترجمة : د. عائدة سليمان عارف ، د. أحمد مصطفى أبو حاكمة ، ط دار الكاتب العربى - بيروت ، د. ت .
- 18- مالك بن نبى : الظاهرة القرآنية ، ترجمة : د. عبدالصبور شاهين ، ط4 دار الفكر ، دمشق - سوريا 1987م .
- 19- مراد هوفمان : الإسلام كبديل ، ترجمة : غريب محمد غريب ، ط2 مكتبة العبيكان - الرياض 1997م .
- 20- مونتجرى وات : الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر ، ترجمة : د. عبدالرحمن الشيخ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988م .
- 21- مونتجرى وات : محمد فى المدينة ، ترجمة : شعبان بركات ، ط صيدا بيروت ، د. ت .
- 22- مونتجرى وات : محمد فى مكة ، ترجمة : د. عبدالرحمن الشيخ ، وحسين عيسى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م .
- 23- نيكلسون : الصوفية فى الإسلام ، ترجمة : نور الدين شريبة ، ط2 مكتبة الخانجى - القاهرة 2002م .
- 24- وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ، تعريب : د. ظفر الله خان ، ط مكتبة الرسالة ، د. ت .
- 25- ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، ط1 دار الجيل - بيروت - لبنان ، 1992م .

- 26- يوسف شاخت : أصول الفقه ، ترجمة : د. إبراهيم خورشيد وزميلاه - كتب دائرة المعارف الإسلامية ، رقم 5 ، ط دار الكتاب اللبناني ، دبت .
- 27- يولوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ترجمة : محمد عبدالهادى أبو ريده ، ط2 لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1968م .
- 28- يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ترجمة : عمر لطفى العالم ، ط2 دار المدار الإسلامى - بيروت ، 2000م .

### كتب متنوعة ذات صلة بالبحث :

- 1- إبراهيم اللبان : المستشرقون والإسلام ، ملحق بمجلة الأزهر - صفر 1390هـ - إبريل 1970م .
- 2- ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ط1 وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، 1418هـ .
- 3- ابن تيمية : النبوات ، تحقيق : الشحات الطحان ، ط مكتبة فياض - المنصورة ، دبت .
- 4- أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط2 دار الكتاب العربى - بيروت 1933م .
- 5- أحمد عبدالحميد غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ط المنتدى الإسلامى - لندن 1411هـ .
- 6- أحمد عمران الزاوى : جولة فى تاريخ القرآن ، ط1 مكتبة دار طلاس - دمشق - سوريا 2008م .
- 7- الكتاب المقدس ، ط1 دار الكتاب المقدس - مصر 2005م .
- 8- أنور الجندى : أخطاء المنهج الغربى الوافد ، ط1 دار الكتاب اللبناني - بيروت 1974م .
- 9- أنور الجندى : التيارات الوافدة - سلسلة رسائل إلى الشباب المسلم ، ط1 دار الصحوة - القاهرة 1994م .
- 10- أنور الجندى : سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية ، ط مكتبة التراث الإسلامى - القاهرة ، دبت .
- 11- أنور الجندى : فى سبيل إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، ط دار الاعصام - سلسلة فى دائرة الضوء ، دبت .
- 12- أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، ط دار الأنصار - القاهرة ، دبت .

- 13- جعفر شيخ إدريس : منهج مونتجمري وات فى نبوة محمد (ﷺ) ضمن كتاب مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية والعربية ، ط المكتب العربى لدول الخليج ، د.ت .
- 14- حسن عزوزى : آليات المنهج الاستشراقى فى الدراسات الإسلامية ، ط مطبعة أنفو برانت - الليدو فاس - المغرب ، د.ت .
- 15- رجب البنا : المنصفون للغرب فى الإسلام ، ط دار المعارف - مصر ، د.ت .
- 16- زاهر عوض الألمعى : مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى بزيب بنت جحش ، ط4 - طبعة خاصة ، 1983م .
- 17- زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، 1965م .
- 18- ساسى سالم حاج : نقد الخطاب الاستشراقى : الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية ، ط1 دار المدار الإسلامى 2002م .
- 19- سالم البهنساوى : المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية ، ط1 دار الوفاء - مصر ، د.ت .
- 20- شوقى أبو خليل : الإسقاط فى مناهج المستشرقين ، ط دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، 1995م .
- 21- شوقى أبو خليل : غوستاف لوبون فى الميزان ، ط1 دار الفكر ، بيروت - لبنان ، 1990م .
- 22- صالح أحمد العلى : محاضرات فى تاريخ العرب ، ط3 مطبعة الإرشاد 1964م .
- 23- طارق سرى : المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق فى التراث الإسلامى ، ط1 ، مطبئة النافذة ، القاهرة 2005م .
- 24- طه جابر العلوانى : الأزمة الفكرية المعاصرة ، ط المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، 1989م .
- 25- عباس محمود العقاد : الإسلام دعوة عالمية ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999م .
- 26- عباس محمود العقاد : التفكير فريضة لإسلامية ، ط2 دار الكتاب العربى - بيروت ، 1969م .
- 27- عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ط المكتبة العصرية - بيروت ، د.ت .

- 28- عبدالجليل شلبي : صور استشرافية ، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، السنة العاشرة - الكتاب الأول ، محرم 1398هـ .
- 29- عبدالراضى محمد عبدالمحسن : الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ، د.ت .
- 30- عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، ط3 دار العلم للملايين - بيروت ، 1993م .
- 31- عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، محمد بن صالح العثيمين : فتح المجيد مع القول المفيد فى شرح كتاب التوحيد ، ط1 دار المستقبل - مصر 2005م .
- 32- عبدالرحمن محمود : رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ، بدون طبعة ، د.ت .
- 33- عبدالرحمن حبّكة الميدانى : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، سلسلة أعداء الإسلام - رقم 3 ، ط 8 دار القلم - دمشق 2000م .
- 34- عبدالحليم محمود : أوروبا والإسلام ، ط4 دار المعارف - مصر ، د.ت .
- 44- عبدالعظيم الديب : المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامى ، سلسلة كتاب الأمة ، ط1 رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر 1411هـ .
- 45- عبدالعظيم المطعنى : افتراءات المستشرقين على الإسلام .. عرض ونقد ، ط1 مكتبة وهبة 1992م .
- 46- عبدالله محمد الأمين النعيم : الاستشراق فى السيرة النبوية ، ط1 المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، سلسلة الرسائل الجامعية ، رقم 21 ، 1997م .
- 47- عبدالله الشاذلى : مناهج البحث عند المستشرقين من الانفعالية إلى العقلية .. دراسة معرفية نقدية ، ط مكتبة الأزهر الحديثة ، د.ت .
- 48- عبدالله الشقارى : اليهود فى السنة المطهرة ، ط1 دار طيبة - الرياض ، 1996م .
- 49- على بن إبراهيم الحمد النملة : الاستشراق والدراسات الإسلامية .. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم ، ط1 مكتبة التوبة - الرياض ، 1998م .
- 50- على جريشة ، محمد الزبيق : أساليب الغزو الفكرى ، ط3 دار الاعتصام - القاهرة ، 1979م .

- 51- على شوّاخ إسحاق : ماذا حول أمية الرسول (ﷺ) ، ط1 دار السلام - بيروت 1978م .
- 52- عمادالدين خليل : التفسير الإسلامى للتاريخ ، ط دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، 1975م .
- 53- عمادالدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية ، ضمن كتاب : مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية والعربية ، ط المكتب العربى لدول الخليج - د.ت .
- 54- عمادالدين خليل : قالوا عن الإسلام ، ط1 الندوة العالمية للشباب الإسلامى - الرياض 1992م .
- 55- عمر سليمان الأشقر : عالم الجن والشياطين ، ط4 مكتبة الفلاح - الكويت ، 1984م .
- 56- لخضر شايب : نبوة محمد (ﷺ) فى الفكر الاستشراقى ، ط مكتبة العبيكان - الرياض ، د.ت .
- 57- مازن مطبقانى : منهج المستشرق برنارد لويس فى دراسة الفكر السياسى الإسلامى ، ط مجمع الثقافة - الإمارات العربية المتحدة ، 1998م .
- 58- محد أبو شهبه : دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين - سلسلة البحوث الإسلامية - الكتاب الثالث ، ط مجمع البحوث الإسلامية 1990م .
- 59- محمد أبو ليلة : القرآن الكريم من المنظور الاستشراقى . دراسة نقدية تحليلية ، ط1 دار النشر للجامعات 2002م .
- 60- محمد أبو ليلة : محمد (ﷺ) بين الحقيقة والافتراء ، ط1 دار النشر للجامعات ، 1999م .
- 61- محمد الغزالى : المرأة فى الإسلام بين التقاليد الراكدة والوافدة ، ط1 دار نهضة مصر ، د.ت .
- 62- محمد الغزالى : دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، ط7 دار نهضة مصر ، 2005م .
- 63- محمد الغزالى : عقيدة المسلم ، طدار الكتب الإسلامية ، 1980م .

- 64- محمد خير هيكل : الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية ، ط1 دار البيارق - بيروت ، 1994م .
- 65- محمد رشيد رضا : نداء للجنس اللطيف ..حقوق الإنسان فى الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدى ، ط المكتب الإسلامى ، بيروت 1984م .
- 66- محمد سعيد البوطى : كبرى اليقينيّات الكبرى ، ط8 دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، 1982م .
- 67- محمد صديق حسن خان : قطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الأثر ، ط1 وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ، 1421هـ .
- 68- محمد عبده : رسالة التوحيد ، ط مطابع دار الكتاب العربى ، 1966م .
- 69- محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم ، ط10 دار القلم - الكويت 2008م .
- 70- محمد على الصابونى : شبهات وأباطيل حول تعدد أزواج الرسول ، ط وقفية 1980م .
- 71- محمد عمارة : التفسير الماركسى للإسلام ، ط1 دار الشروق 1996م .
- 72- محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، ط3 دار الفكر ، بيروت - لبنان 1971م .
- 73- محمد مهر على : مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، د.ت .
- 74- محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ط دار المعارف - مصر ، د.ت .
- 75- محمود حمدى زقزوق : الإسلام فى تصورات الغرب ، ط مكتبة وهبة 1987م
- 76- محمود شاکر : أباطيل وأسمار ، ط3 مكتبة الخانجى - القاهرة ، د.ت .
- 77- محمود شاکر : رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ، سلسلة الأعمال الكاملة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م .
- 78- محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، ط18 دار الشروق 2001م .

- 88- محمود ماضى : الوحي القرآنى فى المنظور الاستشراقى ونقده ، ط1 دار الدعوة - الأسكندرية ، 1996م .
- 89- مصطفى الأعظمى : المستشرق شاخت والسنة النبوية ، بحث ضمن كتاب مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية والعربية .
- 90- مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون ..ماله وما عليهم ، ط المكتب الإسلامى ، دبت .
- 91- مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ط1 دار الوراق - المكتب الإسلامى 2000م .
- 92- نجيب العقيقى : المستشرقون ، ط4 دار المعارف - مصر ، دبت .
- 93- نذير حمدان : الرسول فى كتابات المستشرقين ، ط رابطة العالم الإسلامى ، دبت .
- 94- هدى عبدالكريم مرعى : الأدلة على صدق النبوة المحمدية ، رسالة دكتوراة مطبوعة - إشراف : الأستاذ / محمد قطب ، ط دار الفرقان - عمان - الأردن ، دبت .
- 95- يوسف القرضاوى : البابا والإسلام ، ط1 مكتبة وهبة ، 2007م

### سابعا - المجلات والدوريات :

- 1- فهد محمد المالك : نظرات فى قضية ترجمة معانى القرآن الكريم ، مجلة البيان، عدد 97 .
- 2- عزية على طه : من افتراءات المستشرقين على أساليب المحدثين فى العناية بمتون الأحاديث ، مجلة البحوث الإسلامية - شوال ، 1411هـ .
- 3- أحمد محمد جمال : اللغة العربية لسان وكيان ، مجلة البحوث الإسلامية ، عدد

4- عادل خفاجى : الدكتور محمد رجب البيومى - مجلة الأزهر عدد ، ربيع الآخر 1432هـ مارس 2011م ، الجزء (4) ، سنة 84 .

### ثامنا - الإنترنت :

1- شبكة الإنترنت : مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق ، إشراف د/ مازن مطبقانى .

2- شبكة الإنترنت : موقع مجلة الجيل الواعد .

3- شبكة الإنترنت : موقع مكتبة المنارة الأزهرية .

4- شبكة الإنترنت : موقع جريدة الأسبوع الأدبى .

5- شبكة الإنترنت : موقع مكتبة المهتدين لمقارنة الأديان .

6- شبكة الإنترنت : موقع مكتبة المشكاة الإسلامية .

7- موقع المكتبة الشاملة .

8- شبكة الإنترنت : موقع صيد الفوائد .

9- شبكة الإنترنت : موقع هدى القرآن .

10 - شبكة الإنترنت : موقع منتدى طلبة الدراسات العليا فى العلوم الاجتماعية .

11- شبكة الإنترنت : موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) .

12- شبكة الإنترنت : موقع وجهات نظر .

### فهرس المحتويات:

|   |                            |
|---|----------------------------|
| أ | المقدمة .....              |
| ب | خطة البحث .....            |
| 1 | أهمية الموضوع .....        |
| 2 | أسباب اختيار الموضوع ..... |

|     |  |
|-----|--|
| 2   | ..... تحرير مفردات البحث   |
| 6   | ..... أهمية دراسة السيرة النبوية                                       |
| 8   | ..... التعريف بمونتجرى وات   |
| 10  | ..... التعريف بكارين أرمسترونج   |
| 13  | ..... نبذة عن المدرسة الاستشراقية الانجليزية                           |
| 17  | ..... تحرير المفردات المناظرة ذات الصلة بموضوع البحث                   |
| 19  | ..... الدراسات السابقة   |
| 25  | ..... كيف يمكن الاستفادة من كتابات المستشرقين المعتدلين                |
| 30  | ..... الباب الأول : مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر وات وكارين       |
| 31  | ..... الفصل الأول : مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر وات ، وتقويمها   |
| 32  | ..... المبحث الأول: المصادر الإسلامية فى فكر وات وتقويمها              |
| 51  | ..... المبحث الثانى : المراجع الاستشراقية فى فكر وات وتقويمها          |
| 100 | ..... الفصل الثانى : مصادر دراسة السيرة النبوية فى فكر كارين وتقويمها  |
| 101 | ..... المبحث الأول : المصادر الإسلامية فى فكر كارين وتقويمها           |
| 104 | ..... المبحث الثانى : المراجع الاستشراقية فى فكر كارين وتقويمها        |
| 141 | ..... الباب الثانى : قواعد منهج وات وكارين فى دراسة السيرة النبوية     |
| 142 | ..... الفصل الأول : قواعد منهج وات فى دراسة السيرة النبوية وتقويمها    |
| 180 | ..... الفصل الثانى : قواعد منهج كارين فى دراسة السيرة النبوية وتقويمها |
| 204 | ..... الباب الثالث : قضايا السيرة النبوية فى فكر وات وكارين            |

|     |  |
|-----|--|
| 205 | الفصل الأول: سيرة النبي (ﷺ) الذاتية في فكر وات وكارين.....             |
| 205 | المبحث الأول : كتابات وات وكارين عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة.....         |
| 206 | المطلب الأول : كتابات وات عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة.....                |
| 224 | المطلب الثاني : كتابات كارين عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة.....             |
| 235 | المبحث الثاني : كتابات وات وكارين عن أخلاق الرسول (ﷺ).....             |
| 236 | المطلب الأول : كتابات وات عن أخلاق الرسول (ﷺ).....                     |
| 243 | المطلب الثاني : كتابات كارين عن أخلاق الرسول (ﷺ).....                  |
| 249 | الفصل الثاني : قضايا السيرة النبوية عند وات وكارين (رؤية تقويمية)..... |
| 250 | المبحث الأول : زواج النبي (ﷺ) وأزواجه.....                             |
| 251 | تمهيد.....   |
| 254 | المطلب الأول : زواج النبي (ﷺ) وأزواجه في فكر وات.....                  |
| 278 | المطلب الثاني : زواج النبي (ﷺ) وأزواجه في فكر كارين.....               |
| 291 | المبحث الثاني : الوحي ومعجزة القرآن.....                               |
| 292 | تمهيد.....   |
| 296 | المطلب الأول : الوحي ومعجزة القرآن في فكر وات.....                     |
| 335 | المطلب الثاني : الوحي ومعجزة القرآن في فكر كارين.....                  |
| 344 | المبحث الثالث : دعوة الرسول (ﷺ) في مكة.....                            |
| 345 | المطلب الأول : دعوة الرسول (ﷺ) في مكة عند وات.....                     |
| 377 | المطلب الثاني : دعوة الرسول (ﷺ) في مكة عند كارين.....                  |
| 390 | المبحث الرابع : الهجرة وتأسيس الدولة في المدينة.....                   |

|     |   |
|-----|---|
| 391 | المطلب الأول : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة فى فكر وات.....    |
| 439 | المطلب الثانى : الهجرة وتأسيس الدولة فى المدينة فى فكر كارين..... |
| 450 | المبحث الخامس : الجهاد والغزوات .....                             |
| 451 | المطلب الأول : الجهاد والغزوات فى فكر وات .....                   |
| 504 | المطلب الثانى : الجهاد والغزوات فى فكر كارين.....                 |
| 516 | نتائج البحث .....   |
| 518 | التوصيات .....  |
| 519 | مُلحَق .....  |
| 520 | فهرس المراجع والمصادر .....                                       |
| 536 | فهرس المحتويات .....  |